الوجه القبيح للصحافة

صلاح الإمام

إبراهيم سعده

فضائح عهد وجرائم قلم





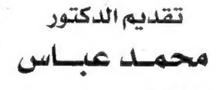



تقديم الدكتور

محمد عباس









صلاح الامام

الوجه القبيح للصحافة

إبراهيم سعده

فضائح عهد.. وجرائم قلم

الوجه القبيح للصحافة

إبراهيم سعده

فضائح عهد.. وجرائم قلم

المؤلف: صلاح الامام

رقم الإيداع: ٨٧٣٧/٢٠٠٠م

الوجه القبيح للصحافة

إبراهيم سعده

فضائح عهد.. وجرائم قلم

بسم الله الرحمن الرحيم

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

إهـــــداء...

إلى من أقر حقنا فى النقد والتعبير..

إلى السيد رئيس الجمهورية..

فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك..

إليك أهدى.. كتابى.. رسالتى.. شكواى..

اقرأها ياسيدى الرئيس..

فإنها سيرة «موظف» محسوب عليكم.. يسىء إلى عهدكم.

اقرأها.. ثم قرر.. فليتك تغير..

فما عهدناك إلا شجاعاً عند القرار..

مقداماً عند التنفيذ.. صادقاً الوعد والعهد..

صلاح الامام

فبراير ١٩٩٣م

الديمقراطية معناها..

«أن تقول رأيك.. وتدفع حياتك ثمنا لحق غيرك فى أن يقول رأيه».

إبراهيم سعده

أخبار اليوم ٢١ ديسمبر ١٩٨٥م

مقدمة..

بقلم الدكتور محمد عباس

عندما جاءنى الكاتب الدؤوب المجتهد صلاح الامام بمخطوط هذا الكتاب رحت أتأمل المخطوط فى إعجاب ذاهل..

كان الإعجاب بهذا الجهد الكبير فى متابعة المواقف الفكرية والفلسفية المعقدة لكاتب كبير فيلسوف عبقرى كالأستاذ ابراهيم سعده (وهل أدل على عبقريته من أن الدولة قد احتفظت به رئيسا لمنبر من أهم منابر الفكر فى العالم العربى أكثر من عشرين عاما.. والحقيقة أن الدولة معذورة.. لأنها لو وجدت له منافسين لما ترددت فى تعيينهم مكانه.. أليست هى الحكومة التى تسجل دبيب العبقرية فى الرؤوس؟!)..

وكان الذهول مع تساؤلى: كيف استطاع صلاح الامام أن يتعقب الأستاذ الكبير ابراهيم سعده طيلة عشرين عاما.. رحت أبخع نفسى منددا بقصورى وعجزى.. إذ أننى أبدأ فى التثاؤب بعد دقيقتين من قراءة أى مقال للأستاذ الكبير سعدة ومن هم على دربه.. أما بعد خمس دقائق فلا توجد قوة فى الدنيا تقدر على دفعى للمواصلة.. فكيف استطاع الكاتب أن يتعقبه ليس لدقيقتين ولا لخمس بل عشرين عاما..!!..

مع الإعجاب كان الخوف..

ومع الذهول كان الاعتراض..

كان الخوف لأننى تصورت ملاكا من ملائكة العذاب الذين يحصون على الإنسان خطاياه كى يحاسبه الله عليها يوم القيامة.. وتصورت أن إمكانيات مثل هذا الملاك وجهده لا بد

تفوق إمكانيات صلاح الامام.. فرحت أقلب صفحات الكتاب وأنا أقول لنفسى فى خوف: «يالها من كارثة لو أن الإنسان يواجه بكتاب كهذا يحصى عليه خطاياه يوم القيامة».. كنت أدرك بالطبع أن كتاب الملاك سيكون أشمل بكثير.. فإن كان يخيفنى الأصغر كيف سأفعل مع الأكبر.. نعم.. تصورت كتابا يحصى على ذنوبى وعيوبى فاشتد رعبى.. وتعاطفت مع الكاتب العبقرى الكبير الأستاذ ابراهيم سعدة.. لأنه دوننا جميعا. وربما تكون تلك ضريبة العبقرية. يلقى كتابه فى الدنيا قبل كتاب الآخرة..

وكان الاعتراض موجها لكاتبنا صلاح الامام.. فلقد لمست فى الكتاب نوعا من استعمال المعايير المزدوجة ضد الأستاذ العبقرى الكبير الأستاذ ابراهيم سعده.. ألا نعجب جميعا بالممثل الذى يقوم بجميع الأدوار؟.. ألا تفتنا الممثلة التى تقوم بدور الإمبراطورة بنفس الكفاءة التى تقوم بها بدور المتسولة؟.. ألا يُعد معجزة فى عالم الأوبرا أن يستطيع مغن أوبرالى أداء مختلف الطبقات من العميق جداً.. إلى الحاد.. إلى المتوسط.. ألم تبهرنا الفنانة المبدعة « لبلبة» فى برنامجها الدينى الشهير. وأقول: دينى لأنه لا يذاع إلا فى شهر رمضان الكريم.. فهو بالتالى دينى حتى ولو لم يفهم عقلى ذلك.. أقول ألم تبهرنا وهى تقلد الأصوات بداية من أم كلثوم إلى فريد الأطرش إلى محمد عبدالوهاب إلى الممثل على الشريف.. ألم يبهرنا ذلك وعلى مستوى التكنولوجيا.. ألا يعتبر الجهاز متعدد الأنظمة أكثر تقدما من الجهاز ذى النظام الواحد؟.. فلماذا لا نستعمل المعايير المزدوجة.. ولماذا لا نعتبر الكاتب الذى يستطيع محاكاة كل الأصوات خيراً من الكاتب ذى الصوت الواحد.. ولماذا لا نعتبر الكاتب متعدد الأنظمة أفضل من الكاتب ذى النظام الواحد.. ثم أكثر من هذا كله.. ألا ننظر بالإعجاب كله والانبهار كله إلى اخوتنا من الحيوانات التى تغير جلدها مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء.. فإن كنا نسلم بهذا كله.. لماذا أخذ صلاح الإمام على الأستاذ ابراهيم سعدة تغيير مواقفه كل آن وآخر؟!..

لماذا اختار صلاح الإمام أن يهاجم الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة ليقف بذلك فى صف القراء القساة.. ألم تكن دواعى الإنتماء الطائفى والفئوى تدعوه الى الوقوف فى صف زميله بدلا من مهاجمته..

إن الموقف الجمعى للقراء القساة يحول الكاتب الذى يخون عهده معهم إلى بهلوان، رغم أنه ليس هناك أى عقد مكتوب بين الكاتب والقراء!! ومن مثل هذا الكاتب يتخذون موقفاً غريباً، إذ يكذبون كل ما يقول ويؤيدون كل ما يهاجم ومن يهاجم ويهاجمون كل من يؤيد وما

يؤيد، حتى يتحول الكاتب إلى وبال على من يؤيده، وعار على من يصاحبه.. وكارثة على من يدعو له..

ولست أعفى نفسى من قسوة القراء فهم منى وأنا منهم، لكن بى تجاه الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة ضعف خاص، ولست أدرى هل يعود ذلك إلى إحساسى بأنه صادق مع نفسه؟، أنه يكتب فى التو واللحظة ما يشعر به دون اى كوابح، دون أى تأمل فيما قبل أو فيما بعد، دون أى نظر لما يتجاوز الحدث نفسه، هل هى براءة الاطفال دون شجاعة الأبطال ما يجذبنى إليه؟ أم أنه حرصى ألا أقرأ له مقالة كاملة ابدًا، لأننى أقرا بضع سطور فى البداية وأخرى فى الوسط ثم جملة النهاية؟ أم طريقتى المبتكرة التى أمارسها أوقات السأم واليأس حين أقرأ المقالة المقسمة إلى عدة أعمدة بالعرض وليس بترتيب السطور فاقرأ السطر الأول فى العمود الأول ثم السطر الأول فى العمود الثانى ثم الثالث فى الثالث وهكذا دواليك، وهى طريقة مجربة تسفر أحيانا عن مفارقات صاخبة مثل: (وقد بدأ سيادة الوزير جولته الميدانية.. غارقا فى المجارى الطافحة فى المنطقة.. محاولا الهروب من الشرطة التى كانت تجد فى.. السيارة فى وضع مخل مع ميكانيكى سيارات..)..

فهل من أجل ذلك أو ذاك لا أحمل للأستاذ الكبير ضغينة أم أنه من أجل ذلك جميعا؟ أم اننى لم أنس أبدا تلك الطرفة التى اطلقوها عليه فى بدايات عهده برئاسة التحرير، فقيل أن اجتماعا جمعه بمحمد حسنين هيكل ومصطفى أمين، وسئلوا جميعا عن أصعب سنة مرت فى حياتهم، فأجاب هيكل بعد تفكير عميق: كدت اقول سنة موت جمال عبدالناصر لكن سنة النكسة كانت أقسى، وقال مصطفى أمين أن أصعب سنة فى حياته كانت سنة أولى سجن، أما الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة فقد فكر طويلا ثم قال وهو يتنهد: سنة ثانية إعدادى..!!.

لماذا لم يثر الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة غضبى كما يثيره الآخرون؟؟..

هل لأنه كاتب شامل جامع مانع؟؟..

من الممكن بل من الطبيعى أن تتخذ موقفا مع أو ضد من يقف فى الشمال أو اليمين أو الوسط، لكن كيف تتخذ موقفا ضد من كان واقفا فى الشمال فإذا به بمجرد شروعك فى انتقاده ينتقل إلى اليمين فإذا فكرت فى تهنئته فوجئت بإنتقاله إلى الوسط فإذا بادرت إلى الترحيب بوضعه الجديد وجدته قبل أن تطرف عينك فى الشمال، فإذا عاودت الهجوم فوجئت به يغير مكانه مرة أخرى.. وهو فى هذه التنقلات يدافع عن موقفه الجديد فى كل

مرة بكل حماسة وصدق، بنفس الحماسة والصدق، فلا يترك لك ثغرة يمكن ان تنفذ إليه منها إلا وفتحها هو، ولا دليلا ضده إلا سبقك اليه ولا حجة عليه إلا قلبها معه، فقط تختلف التواريخ، فلو كانت لك ذاكرة حافظة أو أرشيف منظم، فلا تتعب نفسك فى محاولة الكتابة او الرد، فقط قلب صفحات أرشيفك القديم، هل يضايقك أن يسب صدام حسين - أو أى زعيم عربى آخر - مثلا، قلب الصفحات لتجد أحلى مديح.. هل يسيئك مديحه فيمن ترى أنه لا يستحق، انتظر قليلا فسوف يهاجمه أبشع هجوم.. ربما مع استثناء وحيد، هو حكام أمريكا وإسرائيل، وحتى هذا الاستثناء ليس مطلقا.

القارىء السوداوى قد يدين الاستاذ الكبير، دون أن يفكر للحظة أنك يمكن أن تأخذ من أى كاتب أو مفكر أو ترد عليه، لكن الأستاذ الكبير يتميز عن هؤلاء جميعا بأنك لست فى حاجة لأن ترد عليه، لأنه هو الذى يرد على نفسه.

●●●

كاتبنا المجتهد صلاح الامام كتب هذه الموسوعة الضخمة فى ظاهرة الأستاذ الكبير إبراهيم سعدة يتعقب فيها خطواته وتنقلاته منذ عشرين عاما، دار بمؤلفه على دور النشر، فرحبت كل دار نشر فى البداية بنشر الكتاب، بل ودفعت بعض هذه الدور «عربونا» لكنها جميعا ودون استثناء عادت لتعتذر له بل وتنازل بعضها عن «العربون» الذى دفع..

وقد ينتقد القارىء السوداوى موقف الناشرين من الكتاب ليعتبر ذلك دليلا على سطوة الكاتب الكبير وقهره، وتعطيله آليات الإبداع الفكرى بمصادرة من نوع لم نسمع عنه قبل ذلك، لكن القارىء السمح، الطيب سينظر للمسألة من وجهة نظر أخرى، لقد تنازل معظم الناشرين عن «العرابين» الذين كانوا قد دفعوها فعلا إلى صلاح الامام، أليس هذا مكسبا؟ ألا يحسب هذا المكسب للأستاذ الكبير الذى يعود اليه - وحده - الفضل فى ذلك؟ وهل كان يمكن لصلاح الامام أن يحصل على ما حصل عليه من عرابين : قد يتجاوز مجموعها مجموع حقوقه عن نشر الكتاب - لو كان الكتاب عن أى شخص آخر؟!.

سوف أكتفى مستمينا بكتاب صلاح الامام بمقتطفات من أقوال الأستاذ الكبير إبراهيم سعدة كدليل على ما سبق أن أوردناه وسوف نرصد بعض كتاباته لنثبت أن تربعه على مقعد رئيس التحرير منذ ديسمبر ١٩٧٩ وإلى ما شاء الله!!.. إنما يعود بالدرجة الأولى إلى مواهب لم تجتمع لغيره، وصلابة خلق لم تتوفر لسواه، ورسوخ على المبادىء مهما كانت الغواية.

أنظر مثلا كيف يتحدث عن الحكام العرب:

«حكام عواصم الدول العربية الذين هبوا اليوم يهاجمون اتفاق كامب ديفيد ما هم سوى قطيع من الجثث المتحركة...»

ويضيف:

«تستطيع مصر أن تؤدب الحكومات العربية التى تصدر الإرهاب داخل حدودنا، وعملية التأديب لن تكون صعبة، فقد سبق أن مارسناها عندما قامت قواتنا المسلحة بإعادة القذافى وقواته وأنصاره إلى أحجامهم الطبيعية من خلال عملية عسكرية تأديبية كان يمكن أن تقضى على نظامه لو أرادت القاهرة ذلك..»

وقد يرى القارىء ذو المزاج السوداوى أن مصر كادت تتورط بذلك فيما أدانت فيه العراق بعد ذلك، وأن تلك الخطوة ربما شكلت بداية الخرق الذى اتسع بعد ذلك ليسمح بمرور جند العراق الى الكويت، لكن القارىء المنصف ذا النفس السمحة سيقول أن الكاتب الكبير أيد وطنه فى حالة حرب فلا تثريب عليه.

•••

لنتابع معاً صلاح الامام وهو يتابع موقف الكاتب العبقرى من ثورة مايو..!!

«قولوا أى شيء فى مصر..

هاجموا كل ما تحققه مصر من إنجازات وانتصارات، واسخروا كما يحلو لكم من معارك أكتوبر، واسترداد سيناء، واستصلاح الصحراء.. (!!!)

ولكن أرجوكم اتركوا ثورة ١٥ مايو فى حالها..

فإنها أعظم وأعز إنجازاتنا..»

لكن، وفى أول ١٥ مايو بعد موت السادات إذ بالأستاذ الكبير ابراهيم سعدة يقول: «.. إن من حق أى شخص أن يعيد النظر فى رأى أبداه، وأثبتت التجربة خطأ هذا الرأى، وليس هذا عيبا ولا نفاقا ولا تراجعا «!!! فارق كبير بين أن أعلن تأييدى لثورة ١٥ مايو وأتحفظ على تسميتها بالثورة وأفضل اعتبارها حركة تصحيح......».

إنه يسحب وصف الثورة من ١٥ مايو ليسبغها على العهد الجديد:

«مصر تشهد الآن ثورة حقيقية بكل مواصفاتها وأبعادها وأوضاعها، ثورة عسكرية

واجتماعية ودستورية وسياسية واقتصادية، ثورة تتطلع إلى الأمام ولا تنظر إلى الوراء.. ثورة (!!!) حدثت يوم ٦ أكتوبر الماضى (١٩٨١) وبدأت بعد حادث المنصة الذى قتل فيه الرئيس أنور السادات.. الذى حدث بعد هذا اليوم يجب ألا تكون له علاقة بما حدث قبله..»!!!

ملحوظة: علامات التعجب ليست واردة فى مقال الكاتب الكبير..

●●●

بمنتهى الشجاعة والإنصاف كتب الكاتب الكبير الذى لم يخش فى الحق لومة لائم - دعك من كون اللائم ميت.

«مشكلة السيدة جيهان السادات أنها تصورت أن وضعها كزوجة لرئيس الجمهورية يعطيها الحق فى ان يكون لها دور سياسى (!!!) ولم تهتم بأن يكون ما تقوله يمكن أن يحرج بلادها أو يثير شهية أعداء زوجها الراحل لطعنه بعد موته...»

وقد يرى من لا يرى إلا النصف الفارغ من الكوب أنه كان يجدر بالكاتب الكبير أن يكتب ما كتبه والسادات حى، لكن أليس كتابته على أى حال أفضل من عدم كتابته على الإطلاق؟!

إننى اعترف للقارىء القاسى أن دفاعى ليس قوياً فى هذه النقطة، فهل لى فى رجاء بما لى من رصيد عنده أن استسمحه وأرجوه أن يدع تلك النقطة تمر دون حصارى.. أقصد «يفوّت».

●●●

ثم يتناول صلاح الامام موقف الأستاذ الكبير إبراهيم سعدة من أحداث سبتمبر الدامى ففى ٣١ مايو ١٩٨٠ كتب الأستاذ الكبير يقول:

" أشاعوا أن الوزارة الجديدة لا هم لها هذه الأيام سوى البحث عن أسرع الطرق للبطش بالمعارضة، وخنق الرأى الآخر، وكسر الأقلام التى تعترض وقطع الألسنة التى تنتقد، وقالوا أن البلاد ستشهد قريبا مذبحة للحريات تعيد إلى الأذهان سلسلة المذابح التى عاشتهامصر فى ماضيها القريب (!!!)

إن الرجل الذى أعاد للبلاد حريتها وللقانون سيادته وللفرد كرامته وللحق قدسيته لا يمكن ان يسمح باعادة عجلة الزمن إلى الوراء.."

لكن الزمن يعود إلى ما وراء الوراء، وتبطش حكومة السادات بالمعارضة، وتأسر سويداء قلوب الوطن وفلذات كبده: فيكتب الأستاذ الكبير فى ١٩ سبتمبر ١٩٨١:

«بدأت الدولة بالتصدى باتخاذ عدد من الإجراءات أحدثت دويا هائلا على المستوى المحلى وعلى المستوى العالمى، لدرجة أن صحيفة فرنسية - بارى ماتش - وصفتها بأنها ضربة لم يسبق للرئيس السادات أن وجهها بمثل هذه القوة، لا فى عام ١٩٧٢ عندما طرد الخبراء الروس، ولا فى عام ١٩٧٣ حينما شن حرب أكتوبر، ولا حتى فى عام ١٩٧٧ عندما فاجأ العالم كله بزيارته المذهلة إلى القدس.. الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى أيد هذه القرارات....».

هل رأيتم لياقة أبرع من هذه اللياقة، هل رأيتم قدرة كتلك القدرة المذهلة على الدفاع عن الشىء وضده، بنفس الحماسة والإخلاص و.. الصدق..!!، هل تستطيع - مثلا - أنت أيها القارىء أن تفعل ذلك أو حتى بعضا يسيرا منه؟! هل تستطيع أن تدافع فى المساء بكل حماسة عما هاجمته فى الصباح بكل شراسة؟!، فلماذا لا تعترف له إذن بالسبق ولماذا لا تشهد له بالفضل؟..

يورد الكتاب أحل كلام عن سوريا وأقذع هجوم عليها.. واعظم مديح فى القذافى وأسف هجوم عليه.. والكويت والإمارات.. و.. و..

يقول الكاتب الكبير عن ياسر عرفات:

«.... عندما انطلقت الرصاصات من بنادق أبوعمار ورفاقه فى مثل هذا اليوم قبل ثمانية عشر عاما كانت صفحة جديدة من التاريخ العربى تفتح، وكانت فلسطين تبعث مرة أخرى من موتها، وكان الحلم يمر من فوهة البنادق ليفرض نفسه على الدنيا كلها.»

ويقول: «لقد صمد الرجل أمام أعدائه الإسرائيليين وحاربهم ولم يركع أمامهم وخرج سليما وحرا من لبنان ليواصل كفاحه وجهاده..»

ولكنه بعد ثلاثة أسابيع فقط يكتب:

«ما أفدح سذاجة ياسر عرفات... (!!!) .. هو كالحرباء .. يتلون بكل الألوان المعروفة وغير المعروفة تبعا للزمان والمكان.. (!!!) إن مصر يا أبغض من عرفة شعبها».. «لقد كان العالم معذورا فى تجاهله للقضية الفلسطينية مادام المتحدث باسمها والمتحكم فى طرحها هو عرفات بضحالة قدراته...»

هل يمكن ان يعفينى القارىء من التعليق فليست لى مواهب الكاتب الكبير ولا قدراته كى أستطيع التعامل مع كل هذه المتناقضات..!!

أما حديثه عن الملك حسين فأنا أتركه للقارىء كى يقرأه بنفسه بين دفتى الكتاب..

●●●

وعلى عهدة صلاح الامام فقد كان الأستاذ الكبير إبراهيم سعده واحدا ممن تلقوا سيارة مرسيدس كهدية من الرئيس صدام حسين فى ١٥ فبراير ١٩٨٩، بل ان كتابات الأستاذ الكبير نفسه تحوى هذا المعنى وان لم يعترف مباشرة. ويعدها كتب:

«لم يتركوا شرا إلا ألصقوه بالرئيس العراقى صدام حسين! لم يتركوا اتهاما إلا وجهوه إليه وإلى نظام حكمه، لم يتركوا خيالا إلا أخضعوه لنشر الأكاذيب والشائعات حول ما سموه بأهداف وأحلام «جنكيزخان» القرن العشرين! ولم يتركوا ايضا بوقا إعلاميا الا بثوا من خلاله كل حقدهم.. (!!!) النصر العظيم الذى حققه العراق ضد إيران شككوا فيه، نجاح الجيش العراقى فى وقف زحف ايران على العالم العربى نددوا به.. (!!!) وكان صدام حسين مطالبا بالرد على هذه الحملة، وهذا المخطط أمام الرأى العام العراقى الذى وثق بقيادته، واختاره زعيما وقائدا لبلاده، وقال رئيس العراق ما كان يجب عليه أن يقوله، وما كان من حق شعبه عليه أن يسمعه منه.. (!!!).. المنطق يقول أن العراق لم يخطىء، وأن رئيس العراق لم يتجاوز، ولكن هذا المنطق ليس عادة مقبولا من حكومات الغرب ومن حكومة إسرائيل بصفة خاصة، لا لشيء إلا لأن هذا المنطق جاء فى صالح دولة عربية تحاول أن تجد لنفسها مكانا تحت الشمس.. هذه مأساة فى حد ذاتها».

ترى: هل أغضب هذا الكلام الذين يبغضون صدام حسين؟!

فلينتظروا إذن أسابيع قليلة..

فالكاتب سوف يقول:

«انظروا إليه كيف يمشى، وكيف يستقبل ملوك ورؤساء العالم الأكثر فهما وخبرة، (!!!) فهو من طراز كنا نشك أنه اندثر بعد هولاكو وجنكيزخان وهتلر ومرسولينى ولكنه أثبت بكل وضوح أن التاريخ يعيد نفسه، وأن عقد النقص يمكن ان تتحول إلى جنون العظمة لبعض الذين ابتليت الشعوب والدول بحكمهم ونرجسيتهم وإرهابهم...».

ويتحدث عن الحرب المقدسة مع إيران فيقول:

«.. حربه الحمقاء التى افتعل شرارتها الأولى ضد إيران والتى استمرت لأكثر من ثمانية أعوام أنفق عليها من دخل الشعب نحو «٥٠٠ مليار دولار»، وراح ضحيتها أكثر من مليونى قتيل وجريح ومعوق، إلى جانب وقوع أكثر من ١٠٥ ألف عراقى فى الأسر الإيرانى...».

ثم ينسى إشادته بالنصر العراقى الذى حمى العرب من هجوم الفرس فيقول:

«عندما نجحت إيران فى احتلال آلاف الكيلومترات من الأراضى العراقية وعلى رأسها مدينة البصرة، وعندما نجحت القوات الإيرانية فى غزو واحتلال الفاو، وعندما كانت القنابل والصواريخ تدك العاصمة العراقية بغداد ليل نهار، كان الرئيس العراقى صدام حسين يرتعد خوفا وهلعا ويتوقع الموت بين لحظة وأخرى..».

ويواصل: «لقد اصدر اوامره إلى المرتزقة من حوله - ياسر عرفات وحسين بن طلال والبشير وزين العابدين وعلى بن صالح - بالسعى فى طول البلاد وعرضها من أجل الدعوة الى حل الأزمة عربيا وبعيداً عن التدخل الأجنبى».

ويُغتال رفعت المحجوب فيتهم العراق بارتكاب الجريمة..

وتظهر الحقائق فلا يعود إلى ما كتب...

' الم أقل لكم أنه رجل عظيم وكاتب أعظم، وأنه ليس من النوع الذى يخاطب غرائز الدهماء أو يستجلب إعجابهم، لقد بلغ من عظمته أنه لا يحاول استرداد ثقة قارئه فهو مستغن بنفسه عن الاثنين معاً: الثقة والقارئ!!...

كما ان الحاسة الفنية بالغة القوة عنده فقد دفعته الى ما يلجأ اليه الفن العظيم عادة من خلط الخيال بالواقع فكتب - ما قد يظنه السذج مانشيتات كاذبة - مثل:

«هرب زوجة صدام وأولاده»

«صدام يطلب اللجوء إلى الجزائر»...

●●●

● محمد حسنين هيكل:

وكتب الأستاذ الكبير إبراهيم سعدة عن محمد حسنين هيكل - ولعل القارئ قد لاحظ أننى احتفظ بالألقاب لمن يستحقها فلم أؤستذ هيكل ومن على شاكلته، إذ كيف يساغ او يستساغ أن يحملوا نفس اللقب الذى يحمله الكاتب الكبير الاستاذ ابراهيم سعدة - الذى كتب يقول عن هيكل:

«عندما يحدث التغيير، فإن صاحبنا يصاب بالشلل، ويصاب بالخبل، ويفقد سيطرته على تصرفاته ، وعلى كلماته ولا يستطيع ان يعمل كما كان غيره يعمل ولا يستطيع ان يكتب كما كان يكتب باقى الزملاء فتسوء أحواله، وتطيش تصريحاته، ويملأ الحقد قلبه، ويصبح

الرافض الأوحد بعد ان انسلب منه منصب الصحفى الأوحد.. (!!!) وفى رأيى أن الرجل معذور فالذى شهده والذى عمله والذى وصل إليه فى غفلة من الزمن والقيم والقانون أفقده الصلة بحاضره كما سبق أن افقده الصلة بأصله الذى تنكر له...»

وبعد اعتقال هيكل يقول:

«.. قريبا جدا سيعرف الشعب ماذا فعل أحد هؤلاء، محمد حسنين هيكل (!!!) ولا أريد أن أسبق الأحداث وأستعجلها (!!!) محمد حسنين هيكل ليس بالرجل الذى يرفض التقرب من صاحب القرار، أى قرار.. (!!!).. لم يترك هيكل قلما غيره يقول رأيا أو يقدم فكراً، لم يترك هيكل زميلا له يخشى منافسته إلا وعمل على قصفه (!!!).. أما ماذا فعل هيكل بعد يأسه فهذا هو ما سوف يقوله المدعى العام الاشتراكى.. قريبا..»

●●●

يقول صلاح الامام أن الأمور قد انقلبت فجأة بقتل السادات والإفراج عن هيكل بل وأشيع أنه سيسند إليه منصب رفيع، فكتب الأستاذ الكبير إبراهيم سعدة على الفور:

«.. والأستاذ هيكل كفاءة صحفية وإعلامية يشهد لها الجميع (!!!) وجاذبية هيكل ليست وحدها التى قربته من عبدالناصر فى بادىء الأمر (!!!) واندهش عبدالناصر من السؤال ورد عليه ساخرا: أخبار ايه اللى أنا بقولها لهيكل؟ دا هيكل هو اللى بيجى يقول لى عن اخبار المؤتمر..!!»

لكن الزمن يمر ولا يعين هيكل فى منصب رفيع بل وتبدو ثمة خلافات فى الرؤى مع النظام الجديد، فينقلب موقف الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة مرة أخرى ويعلق على مقال لهيكل:

«.. كلمات طائشة لا يمكن أن تصدر عن مواطن يقدر مسئولية الكلمة.... لم يترك هيكل فرصة أتيحت أمام خنجره المسموم لكى يمارس شجاعته ويطاحن بها الرجل الذى استطاع بجرة قلم أن ينتزعه من الأهرام ليصبح فى الطريق عاريا ضعيفا وضئيلا..»

ولكن الزمن الغدار يمر وتتغير الأحوال مرة أخرى، وتقع أحداث اختطاف الطائرة المصرية بواسطة القراصنة الأمريكيين، وهى الحادثة التى يرى صلاح الامام أنها كانت خلف أمر صدر للأستاذ الكبير ابراهيم سعدة برد يحمل ملامح التهديد والغضب والإحساس بالجرح تجاه عملية القرصنة، ليفاجأ القراء بمانشيتات ضخمة بقلم الأستاذ الكبير ابراهيم

سعدة:

قريبا مفاجأة أخبار اليوم.. الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل يكتب «بصراحة» أسبوعيا فى أخبار اليوم!!..

ويواصل الكتابة:

«أحدث ما نشرناه فى الاسبوع الماضى عن عودة الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل للكتابة فى أخبار اليوم دويا هائلا.. لم ينقطع رنين التليفون فى أخبار اليوم طوال الاسبوع (!!!) مكالمات من صحف ومجلات من شتى أنحاء العالم العربى تطلب نشر مقالات هيكل فى نفس يوم صدورها...»..

ليس مهما ما حدث بعد ذلك من توسلهم إلى هيكل أن يعتذر عن الكتابة ولا مهما أن نعرض ما نشرته الأخبار من حوار معه بديلا عن المقالات وكانت فى كل كلمة رصاصة حارقة خارقة وبتعبير الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة:

«أصر الأستاذ محمد حسنين هيكل على أن يطلق تعبير المحاكمة على الأسئلة التى وجهها اليه مجلس تحرير أخبار اليوم (!!!) وقال هيكل أنه يقبلها.. وأجاب عليها جميعا ولكنها استطاع أن يصنع من الاتهامات التى وجهت اليه دروعا لبسها وقذائف أطلقها لتصيب الاتهامات فى مقتل (!!!)..

وبلغ من شجاعة الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة أنه لم يستنكف أن ينشر ما قاله هيكل: «.. لكن المناقشة وحتى الحساب لا يمكن ان يكونا بحملات الكراهية والمفرقعات الدخان والزمجرة والعواء.. إلى آخره..».

وما أظن إلا أن هيكل كان يقصد الأستاذ الكبير شخصيا فيمن يقصدهم بحملات الكراهية والمفرقعات الدخان والزمجرة والعواء، ولكن طيبة قلبه جعلته ينشر السباب الموجه اليه.. فهل يريد القارىء المنصف حرية أكثر من هذه؟!..

ربما لا يكون مهما أيضا - لأنه متوقع - أن الأخبار لم تحتمل نشر مقالتين لهيكل فتوقفت..

● جلال كشك:

ثمة دليل آخر، أقدمه للقارىء ذى القلب القاسى، الذى - مثلى - لا يرى إلا نصف الكوب الفارغ، فهل رأى منكم أحد رئيس تحرير يوافق على نشر مقالات لكاتب سبق أن وجه إليه أفظع تهم وأقذر سباب، وهى تهم لو كانت حقيقة لجاز لرئيس التحرير أن يمنع نشر أى

كلمة لهذا الكاتب بعد ذلك فى أى صحيفة من صحف مؤسسته، فما بالكم إذا كانت هذه الإتهامات كلها باطلة.. كلها باطلة..

ولتقرءوا معى جلال كشك فى كتابة «ثورة يوليو الأمريكية»:

«هناك فريق يبغضون ناصر وهيكل ولكنهم يعرفون أو عرفوا أن لدى هيكل وثائق ضدهم فلزموا الصمت أو انقلبوا بشكل مفضوح من الهجوم عليه إلى مدحه بلا حياء، وخذ مثلا الأستاذ ابراهيم سعدة فقد بدأ فى عهد السادات ينشر حملة ضد هيكل.. واذا بهيكل يخرج من أضابيره وثيقة تقول أن ابراهيم سعدة كان ضمن تنظيم مصطفى أمين يجمع له الأخبار، ليس هذا فحسب، بل وكان فى سويسرا لحساب المخابرات المصرية باتفاق مع صلاح نصر.. وصحيح أن عودة هيكل للكتابة فى أخبار اليوم كانت بموجب قرار علوى جدا جدا.. إلا أن ما نشره هيكل عن الاسلوب الذى وجهت به الدعوة اليه ليكتب كان طافح الإذلال بالأستاذ ابراهيم سعدة الذى فضحه هيكل بأنه كان طوال عهد عبدالناصر يعمل لحساب صلاح نصر.. بل وافهمه ان لديه الكثير فإذا به يقبل أن يكتب عليه هكذا: «قالت المحررة فى أخبار اليوم للأستاذ هيكل: هل تقبل أن ترد على مكالمة هاتفية من ابراهيم سعدة ورد هيكل: أنا لم أتعود أن أوصد بابى لمن يطرقه مهما كان فعله.....».

إننى أتحدى أى قارىء منكم مهما بلغت سماحة نفسه وطيبة قلبه، أن يصل الى ما وصل اليه الأستاذ الكبير ابراهيم سعدة الذى نسى وصفح بل ونشر لمن كتب عنه مثل هذه الاكاذيب.. نشر له عشرات المقالات بعد ذلك.. وكان أغلبها - ان لم تخنى الذاكرة - هجوما على هيكل..!!

وثمة واقعة طريفة أخرى كنت أريد من صلاح الامام أن يرويها وهى واقعة الاتصالات المكثفة التى جرت معه لمنع هذا الكتاب من النشر والتلويح له بذهب المعز ثم بسيفه.. ولعل الكاتب يدخر لنا هذه الواقعة لينشرها فى جزء ثان من هذا الكتاب الممتع..

●●●

ترى هل يحتاج القارىء المنصف إلى مزيد؟!

هل يحتاج الى أدلة إضافية على طيبة قلب الكاتب الكبير الأستاذ ابراهيم سعدة، الكاتب الشامل الجامع المانع الذى لا تحتاج ابدا للرد عليه، وحتى إذا انبرى لنا السوداويون الذين لايرون سوى أنصاف الأكواب الفارغة، فإننا نؤكد لهم أن الكاتب الكبير ملتزم بصدق اللحظة لكنه يفصلها عما عداها، ولا يدع لأى مؤثرات أن تدخل فيما يكتب حتى ولو كانت هذه

المؤثرات كتاباته هو شخصيا، فهل رأيتم حياداً وتجرداً أكثر من هذا؟! لقد عرفنا - واحترمنا - أن يكون الإنسان محايداً مع آخرين، لكن، هل رأيتم من قبل قط إنسانا يستطيع أن يكون محايدا مع نفسه؟، بل ويبلغ به التجرد أن يرد عليها ويقرعها ويسفه آراءها، إن كنتم أنتم قد رأيتم فإننى لم أر...

هل هناك من مايزال يشك؟! لا أظن.. فإن كان منكم خبيث فإنى سأفحمه بالحجة الأخيرة: تعلمون صدق انفعال كاتبنا، الكبير، وانه لفرط انفعاله بقضايا الوطن يخرج أحيانا - أو حتى دائما - عن طوره، ونحن نعلم من الفقه ان من خرج على طوره لا يحاسب على التلفظ حتى بيمين الطلاق فى غمرة انفعاله، فإذا كان الشرع لا يحاسب على الطلاق حين الانفعال، فهل نحاسب نحن على المقال؟!!!.

***

الأستاذ صلاح الامام

لماذا يا صلاح الإمام فعلت ما فعلت، لماذا هاجمت الكاتب الكبير الطيب الشريف المتسامح، أعترف لك لو كنت ناشرا لتنازلت لك أنا الآخر عن أى عربون أكون قد دفعته لك لكننى لا انشر مثل هذا الكتاب أبداً..!! بل أنشر ضده وأعارض ما فيه وأفند وأشجب وأرفض وأستنكر.. كما فعلت فى هذا المقال..

لوكنت مكانك لفعلت أيضا ما فعله الأخ الأكبر فى رائعة جورج أورويل «١٩٨٤»، ولاندفعت الى الارشيف لا لكى أسحب نسخ الصحيفة التى تحتوى على آراء متناقضة للكاتب الكبير.. بل لكى أطبع مكانها بنفس التواريخ القديمة نسخا جديدة لا تتناقض فيها الآراء.. فإن هذا يمكن الكاتب الكبير من التباهى بالحكمة بأثر رجعى.. كنت سأمحو مثلا إشادته بثورة ١٥ مايو.. وكنت سأضع بدلا من الإشادة إدانة.. كى أمكن الكاتب الكبير من التباهى بشجاعته فى الماضى..

***

إننى واثق أن صلاح الامام لم يكن لينشر هذا الكتاب إلا لإدراكه أن الأستاذ الكاتب الكبير أصبح كالأدوية منتهية المفعول.. والتى تضر من يتعاطاها..

وهنا أختلف مع صلاح الامام اختلافا كبيرا.. لقد افترض الأستاذ صلاح أن بقاء رئيس تحرير فى موقعه ما يقرب من ربع قرن أمراً غريبا ولا يمكن ان يستمر.. واعتبر عبورنا من

القرن العشرين إلى القرن الحادى والعشرين تحت قيادته أمراً شاذاً.. وهنا أختلف بشدة مع الكاتب.. لأننى واثق أننا سنعبر من القرن الحادى والعشرين إلى القرن الثانى والعشرين تحت قيادة الكاتب الكبير.. نعم.. لا تندهشوا.. ألم تقرءوا بعد عن علوم الاستنساخ.

وربما يدرك القارىء الآن سر موقفى العدائى من كتاب صلاح الامام الذى نبذ الذهب وواجه السيف.. أما أنا فقد قدرت عواقب الاستنساخ.. وبنيت عليها حسابى..

د. محمد عباس

ما قبل المقدمة

هذا الكتاب التى تجرى عيناك عزيزى القارىء كلماته الآن لتقرأة، وصلك بعد ملحمة معاناة امتدت فصولها على مدى أكثر من عشر سنوات، ومادام قد وصلك عزيزى القارىء فنستطيع أن نقول أننا نجحنا، ونصلى لله تعالى على نصره لنا، لأنه أخذ على نفسه عهدا بنصرة المؤمنين، فى قوله تعالى: **«وكان حقا علينا نصر المؤمنين»**.

هذا الكتاب تم الانتهاء منه فى ١٨ فبراير عام ١٩٩٣، وتعاقدت على نشره مع أحد الناشرين بتاريخ ١٠ مارس ١٩٩٣، وما تعاقد معى إلا بعد أن عرض مادته على نخبة من كبار المحامين بمصر ليحيط علما بمدى ما سيترتب على نشره من مسئولية قانونية، فأجمع الكل - وهم بالفعل محامون كبار - على أن الكتاب ليس به أى تجاوز عن حدود النقدالتى أباحها القانون وأحكام القضاء والعرف السائد، فاطمأن الرجل، وحرر عقد النشر معى، ثم سجل العقد فى الشهر العقارى التابع له، وقمت أنا من ناحيتى بتسجيله فى مأمورية الشهر العقارى بالمنصورة تحت رقم ٤٣٩ لسنة ١٩٩٣، وذهبت النسخة الخطية إلى المطابع لصفه على الكمبيوتر، وراجعت البروفا الأولى، وجاءت الثانية، وأصبحت صفحات الكتاب جاهزة للطبع.. إلا أن الناشر تلكأ.. ثم تلكأ.. وظل يتذرع بأعذار وحجج غريبة حتى انتهى عام ١٩٩٣ ولم تتم طباعة الكتاب، فحررت ضده محضرا أثبت فيه تقاعسه عن نشر الكتاب، وأبدى رغبته بالمحضر بأنه لا يريد نشره، وأنه تنازل عن العربون الذى دفعه، وتم حفظ المحضر إدارى بنيابة أجا تحت رقم ١٠٦٤ لسنة ١٩٩٤ ثم اتجهت فورا إلى ناشر آخر، وكانت تربطه صلة قربى بمسئول كبير فى

جهاز سيادى حساس للغاية، وكانت مصر فى تلك الفترة تشهد عمليات إرهابية عشوائية، والجو العام مكهرب، فطلب هذا المسئول منى أنابصفة شخصية أن أصرف نظر عنه فترة، فسحبت الكتاب من عند قريبه هذا، ولجأت إلى ناشر آخر، تعاقد معى، وأعطانى عربونا كبيرا .. لكن الأيام والشهور مرت دون أن أرى الكتاب، وكرر معى نفس السيناريو الذى حدث مع الناشر الأول.. فذهبت لغيره.. وكانت المفاجأة أن أعيش نفس السيناريو، فبعد التعاقد يتنازل الناشر عما دفعه لى من عربون ويعتذر صراحة مرددا ذات العبارة التى سمعتها من كل من سبقوه وهى: «أنا مش أد إبراهيم سعدة يا عم».. لدرجة أنى كدت أفقد ثقتى فى نفسى وبدأت استسلم لحالة من اليأس والاحباط لم أعش مثلها من قبل، رغم ما تعرضت له على مدى سنين عمرى.

لجأت إلى صديقى وأخى الكبير الكاتب الفذ والمفكر العبقرى فريد زمانه ومكانه الدكتور محمد عباس.. طلبت منه أن يساعدنى فى نشر هذا المؤلف المحكوم عليه بألا يرى النور، فى وقت تقذف فيه المطابع للأسواق بالآلاف من المؤلفات التافهة.. فلا يمكن أن تكون مصر كلها خلو من ناشر شجاع يستطيع أن يتبنى مؤلفى هذا.. ثم ماذا يمثل إبراهيم سعدة لكى يرتعد الناشرون من التعرض له؟.. هل هو من القوة لدرجة ألا يجرؤ أحد على الوقوف أمامه؟.. فلا أعرف عنه سوى أنه صحفى، ويعمل رئيس تحرير لصحيفة من بين مئات الصحف المصرية.. هل كل رئيس تحرير فى مصر يتمتع بهذه القوة وله هذه الرهبة؟.. إنه فى النهاية مواطن مصرى.. بمعنى أن التعرض له لن يخضعنا لقرارات يصدرها مجلس الأمن، أو لصواريخ كروز تنطلق نحونا من حيث لا ندرى.. أقول إنه فى النهاية «مواطن مصرى» لا يزيد - بل لا يساوى - أى من المواطنين المصريين الذين تعرض هو لهم ليس بالنقد فقط، بل بالتجريح والسباب والاهانة - كما سنرى خلال هذا المؤلف - من أمثال المجاهد ابراهيم شكرى، والعالم الدكتور أحمد شفيق، والدكتور أحمد فتحى سرور، وأيضا الكاتب العلامة محمد حسنين هيكل.. وغيرهم وغيرهم... تعرض سعدة لشخصيات مصرية عظيمة جدا، - بالباطل - ولم يؤاخذه أحد، لأننا نعيش عهد ديمقراطى جدا و يتغنى سعدة به، بل هو أحد حراس هذه الديمقراطية التى أصبحت من العمق بحيث تحتاج لحراس يحملون رايات سوداء حتى لا

يغرق أحد فيها، وسعدة بلغ منه الاخلاص لها ألا يكتفى بأن يكون حاملا لراية سوداء وصفارة فقط، بل يجيد الإلتحام المباشر إذا تجاهل أحد الرايات السوداء وأراد الغوص فى الديمقراطية، ليس خوفا عليه، بل على الديمقراطية أن تتلوث!!

المهم.. بادر الدكتور محمد عباس من ناحيته، وقدم عرضا لمشكلتى وكتابى فى مقال رصين ورائع شغل وجه صفحتين من عدد جريدة الأسبوع الصادر فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٩٨.. بعدها اتصل عدد من الناشرين العرب يعرضون رغبتهم فى نشر الكتاب خارج مصر.. فكنت أتحسر على عدم تقدم أى ناشر مصرى بعرض لنشر الكتاب.

ثم كشفت لى الأقدار بعد ذلك أمرا - رغم أنه لم يغب عن توقعى - إلا أننى صعقت حينما وصلنى الخبر اليقين، والذى يقول فحواه أن صحفيا من مؤسسة أخبار اليوم كان يتتبع هذا الكتاب عند الناشرين، ويتدخل لإيقافه وتعويض الناشر عن أى خسارة، ولأن هذا الصحفى لديه خبرة واسعة بالعمل البوليسى فقد نجح فعلا فى «وقف حال الكتاب» وكافأ سعدة هذا الصحفى فجعله رئيسا لتحرير إحدى اصدارات مؤسسة أخبار اليوم، واطمأن سعدة إلى أن هذا الكتاب تم وأده للأبد.

فى تلك الأثناء، وفى خط موازٍ لرحلة كفاحى لنشر الكتاب، كان هناك خمسة من الصحافيين الشرفاء بمؤسسة أخبار اليوم أبى ضميرهم أن يصمتوا على مخالفات مالية وإدارية فى غاية الخطورة، وجاهدوا حتى وصلوا إلى المستندات التى تثبت ذلك، وتقدموا بها للنائب العام غير مبالين بعواقب ذلك، وبالفعل أوقفهم سعدة عن العمل، ولم يستجب لقرار مجلس نقابة الصحفيين، وضرب عرض الحائط بكل الاعتبارات، وتحدى كل السلطات رغم أنه - قانونا - المفروض ألا يجلس على كرسيه لأنه تعدى السن القانونية للتقاعد منذ أربع سنوات، ولم يفقد الخمسة الشجعان الأمل فى تقويم الأمور، فلجأوا إلى القضاء ليقتص لهم، ولازالت قضيتهم منظورة أمام القضاء وقت مثول الكتاب للطبع.وهؤلاء الخمسة كان على رأسهم الصديقان: زكى محمد زكى،، ومحمد أبوذكرى،.كنت قد يئست إزاء كل تلك الظروف والملابثات من نشر كتابى، فى زمن أصبح فيه مثل سعدة يتحكم فى حرية الفكر، ويحجر على آراء الآخرين، حتى لا يكون هناك سوى رأيه هو، إن كان أصلا ما يكتبه يعبرفعلا عن رأيه، وكنت أشعر بمرارة وأنا أرى

الكتاب الذى يفضح منهج وفكر وسياسة عصر حبيس أدراج مكتبى، إلى أن قرأت الهجوم الكاذب والمزور، والحافل بالافتراءات على السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية إثر إذاعة حواراته فى قناة الجزيرة القطرية، فنسب سعدة للبطل الثائر حسين الشافعى . زورا وبهتانا - أقوالا وأفعالا هو برىء منها، فتملكنى الغضب، وكتبت مقالا ملتهبا أرد فيه على سعدة، وتحديت بقايا ما عنده من شرف أو ضمير فى أن ينشره، وتدخل بيننا وسيط أكد لى أن المقال سينشر كعربون حسن النوايا لكى أكف عن محاولات نشر الكتاب.. لزمت الصمت، وتحليت بقليل من الدهاء والسذاجة، حتى وصلت لما كنت أبغى، فلقد نشر سعدة بالفعل مقالى فى عدد أخبار اليوم الصادر صباح يوم ٢٩ يناير عام ٢٠٠٠، ولا يهم ماذا فعل بعد ذلك، فأنا كنت أريد تحريك قضية كتابى هذا وانتشله من الظلام ليطفو على سطح الرأى العام أمام شمس الحقيقة، ومن خلال جريدته هو التى يقرأها ما لا يقل عن خمسة ملايين من الناس..

تحقق بالفعل ما كنت أهدف إليه، إذ اتصل بى كثيرون يعرضون المساعدة فى نشر هذا الكتاب، الذى بدأت مسودته تنتشر بين قطاع كبير من الكتاب والمثقفين، وتم نسخها على ماكينات التصوير الضوئى لعشرات من النسخ تهافت عليها المئات.

ورغم تعدد العروض التى جاءتنى لنشر الكتاب، وبعضها كان من سوريا ولبنان والأردن، إلا أننى تحليت إزاءها بالحذر، فمن تلسعه «الشوربة» ينفخ فى «الآيس كريم».. ولأننى لدغت قبل ذلك وتاجر إناس بلا ضمير بهذا الكتاب، قررت أن يتم طبعة على نفقتى، وكانت تكاليف الطباعة عالية جدا، فلجأت إلى حذف عدة فصول كانت تقع فى أكثر من ٢٠٠ صفحة، ثم تعاون معى صديق عزيز فى تحمل نفقات طباعته.وإننى إذ يعز علىّ أن أحذف قرابة ثلث الكتاب، فإننى أعد بنشرجزء تال لهذا المؤلف، لأن المادة الموجودة بين يديك الآن عزيزى القارىء كانت متابعة لكتابات سعدة حتى نهاية عام ١٩٩٢، ولابد من كتاب جديد يكشف للقارىء جرائم هذا القلم خلال الفترة من أول عام ١٩٩٣ حتى عام ٢٠٠٠، ومن هذه الجرائم على سبيل المثال لا الحصر:

- حملته «المشبوهة جدا» على البنوك الإسلامية، والتى كانت تخدم بالدرجة الأولى المؤسسات المصرفية الربوية التى أبدعها وصممها «آل روتشيلد» خاصة وأن المصارف الإسلامية كانت قد بدأت فى سحب البساط من تحت أقدام المؤسسات الربوية الموجودة

فى الدول الإسلامية، فلجأ اليهود «الروتشلديون» إلى تكليف رجالهم فى شتى البقاع والمجالات، ليؤدى كل منهم دوره المحدد سالفا.

- حملة سعدة «المشبوهة أيضا» على دعوى الحسبة حتى تم إلغاؤها!

- حملته على السينارست أسامة أنور عكاشة إثر تكليف وزارة الدفاع له بكتابة سيناريو لفيلم عن حرب أكتوبر.. وتم إلغاء المشروع!

- حملته على المستشار عبد الرحيم نافع محافظ دمياط لأنه تجرأ ومنع استخدام المقاهى للدش لأنه يلهى أبناء المحافظة - وهم الصناع المهرة - عن أعمالهم، ولأنه يبث فيهم سلوكيات لا تتفق تماما وتعاليم ديننا الإسلامى الحنيف، وتم إقالة المحافظ!

- حملاته «المشبوهة جدا» على إيران ونظام الحكم الإسلامى الناجح فيها.

- مقاله «المصيبة» الذى يطالب فيه رئيس وحكومة مصر بالتدخل عسكريا فى السودان لـ «تأديبها» لمجرد أن الإسلاميين بقيادة الدكتور حسن الترابى، أصبح لهم اليد العليا فيها، وهذا المقال فى حد ذاته كان سابقة خطيرة، وتوقعت أن يتخذ ضد سعدة إجراء ما.. أى إجراء.. لكن كما قلت وأقول إنه «محصن»!

- حملته على الدكتور مصطفى السعيد الحافلة بالغرائب والأعاجيب، وما سرها!

- حملته على بعض الفنانين و«الفنانات» بصفة خاصة.. ولماذا الفنانة «ا. ش» بالذات.

- لماذا لجأ إلى الكتابة باسم «أنور وجدى»؟!

- لماذا خصص صفحة لنشر «أفراح وليالى ملاح» الخاصة بالطبقة الارستقراطية؟!

- لماذا كان محامى مؤسسته هو الوحيد الذى تصدى للدفاع عن الجاسوس الإسرائيلى؟

- التفاصيل الحقيقية لحادث السيارة المرسيدس التى انقلبت به ومن كان معه فى الإسكندرية، ولماذا لم تنشره الصحف؟

- ما هى حكاية شريط الكاسيت الخاص بزوجة جاره فى السكن ونائبه فى العمل المرحوم « ......»؟

- ما سر العلاقة بين سعده وإحدى رئيسات التحرير التى هبطت بالبراشوت فى دنيا

الصحافة رغم أنها لا تستطيع تركيب جملة؟

- لماذا تفرد صحيفته مساحات واسعة لنشر كل ما يخص الساقطات العالميات أمثال كلوديا شيفر وناعومى كامبل، وإليزابيث تايلور، والمجرمة الملعونة بريجيت باردو، وغيرهن من اللاتى نعلم كل العلم أنهم أعمدة رئيسية فى المؤسسات اليهودية التى تحارب الإسلام؟ ولماذا تنفرد أخبار اليوم عما سواها من الصحف العربية بتسليط الأضواء عليهن؟

- حملته على قناة الجزيرة القطرية والتى تحسب على أنها أقوى قناة تليفزيونية ليس على المستوى العربى فقط، بل فى منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، ومن يتابع هذه القناة يجد أنها أول نافذة إعلامية عربية «صح» فى كل شىء.. لكن لماذا يهاجمها سعدة؟

- وغيرها.. وغيرها من الموضوعات التى أثارها سعدة على مدى السنين السبع الماضية، إضافة إلى ما حذفناه من هذا الجزء، سنقوم إن شاء الله تعالى وكتب لنا عمرا، ثم إذا تركنا سعدة بعد ذلك ولم يتعرض لنا، سنقدم كل ذلك فى الجزء الثانى لهذا الكتاب الذى سيضم مفاجآت مذهلة.

بقى..

بقى أن أؤكد لك عزيزى القارىء أن ما ستقرأه بدءا من نهاية هذه المقدمة هو أصل الكتاب الذى انتهيت منه قبل سبع سنوات، دون أن أتدخل بحذف أو إضافة كلمة واحدة.

لذلك..

يجب أن تلاحظ أن كل المآخذ التى أخذتها على كتابات سعدة، وعلى جريدته، عمد لتلافيها بعد أن أتاه مخبره الخاص بنسخة من هذا المؤلف قبل عدة سنوات، لكنى مُصر على أن يصدر الكتاب بنفس الصيغة التى كتبته بها فى آواخر عام ١٩٩٢، وأوائل عام ١٩٩٣ خاصة إننى كتبتها على موسيقى أغنية المطرب الجزائرى الشاب خالد «ديدى» التى كانت تمثل ظاهرة وقتها، وأؤكد على أننى مستمع جيد لموسيقى «الراى» و«الروك».. والجاز.. والسامبا .. والبامبا.. وأيضا «البامية» حتى لا يقال عنى إننى «ارهابى» متعصب.. وإننى غير «مستنير» ولازلت أعيش فى ظلام العصور الوسطى.

أخيرا .. نرجوا ألا تحرمنا عزيزى القارىء من الاستماع إلى رأيك أيا كان على هاتفنا المحمول رقم «٠١٠/١٤٩٧٨٧٦» لنقدم فى ضوء هذه الآراء الجزء الثانى لهذا المؤلف.

والله ولى التوفيق

صلاح الإمام
مارس عام ٢٠٠٠

مقدمة لابد منها

رحم الله الأستاذ محمد التابعى..

كان صحافيا قديراً، وهو الذى أطلق على الصحافة صفة «صاحبة الجلالة» ولقد جانبه الصواب فى ذلك، فلا صاحبة جلالة سوى «العدالة» التى يمثلها رجال القضاء..

ولأن ما يميز المشتغلين بالصحافة، أنهم يقولون ولا يسمعون . ولهم فى ذلك سلطان كبير . فقد استحسنوا هذا اللقب «صاحبة الجلالة» وألصقوه بكلمة الصحافة، ثم أضحى مرادفاً لها، وبات بديلا عنها!

وانساق الكل وراء هذا التعبير «الجميل» لمهنة الصحافة، فأصبح كل من له علاقة بالصحافة من قريب أو بعيد حين تسأله عن عمله يقول أنه يعمل فى «بلاط صاحبة الجلالة»!!

ومع تقديرى الشديد لمهنة الصحافة . وأنا أنتمى إليها . إلا أننى أرى تصويب وتدارك هذا الخطأ.. وإن كان هناك من يستحق الإجلال فهى مهنة «القضاء»، لأنها أساسا عمل الحق سبحانه وتعالى، فهو القاضى بالعدل بيننا جميعا.. ومن يفصل بين الناس يكون «ممثلا» للقاضى الأكبر، الذى هو الله، لينصف «الحق» الذى هو الله، ويقيم «العدل» الذى هو الله، وقديما تصور الرومان العدالة على أنها سيدة معصوبة العينين تمسك بميزان على سيف.. إنه منتهى «الإجلال» حقا.ونتتهى إلى ضرورة إطلاق اللفظ على مستحقيه، ليكون القضاء هو «صاحب الجلالة» وكل من يعمل به هو صاحب جلالة.. فالصحافة أبعد ما تكون عن هذه الصفة، بل هى آخر مهنة يمكن أن تسمى بذلك..

وأنا «حقوقى» وأعمل بالصحافة منذ أواخر عام ١٩٨٠، ولدىّ أرشيفاً ضخماً يحوى المئات من أعمالى الصحفية، منذ أن بدأت مراسلا لجريدة «الطلبة» فى نوفمبر عام ١٩٨٠ وأنا لازلت طالبا فى الثانوية العامة، حتى وصلت إلى الكتابة فى أكبر الصحف العربية التى تصدر فى لندن وباريس وقبرص.. وغيرها، ومررت على صحف مصرية كثيرة.. شاهدت فيها عجبا.. وثابرت صابراً.. وصبرت مثابراً.. حتى وصلت إلى أن «أكتب» فى صحيفة عربية تصدر يوميا فى لندن.

وحدث أن نشرت حواراً مع شخصية سياسية لها وزنها فى مصر، فى أعقاب إقالة اللواء زكى بدر وزير الداخلية المصرى فى يناير ١٩٩٠، وتطاول مُحدثى فى الحوار إلى الأسباب التى يراها - من وجهة نظره - وراء إقالة الوزير الذى كان قد فجر، وتحجرت عيناه، ورفع عصا الظلم الغليظة فوق كل القوانين، والشرائع.. وربط محدثى - فى الحوار المنشور - بين إقالة زكى بدر وبين ما حدث لرئيس رومانيا الأسبق «نيقولاى شاوشيسكو» الذى أعدمه شعبه فى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٨٩.

نشر الحوار يوم الاثنين ٢٦ فبراير ١٩٩٠، وبعدها بيومين قابلنى محدثى صدفة فى فندق شبرد، ولم أكن قدعرفت بعد أن الحوار قد نشر، لأن هذه الصحيفة لا توزع فى مصر، وتصلنى عن طريق مكتبها، ومع ذلك فوجئت به يقول لى: «يظهر إنك تجاوزت فى نشر ما قلته لك».. تعجبت مما قاله، كيف ومتى قرأ ما نشرته، فأكد لى أن الحوار نشر، وأن ما قاله تعرض بسببه للوم شديد جدا من القيادات العليا جدا.

وفى اليوم التالى ذهبت لمدير المكتب استفسر عما حدث.. لم أعرف شيئا.. كل ماقاله لى أن أعطانى «حسابى» وطلب منى عدم الذهاب إليه مرة ثانية!! وجدت نفسى فجأة بلا عمل.. والمرتب الكبير الذى كنت أتقاضاه بالعملة الصعبة لن أحصل عليه بعد ذلك.. ماذا أفعل!؟.. لقد قاسيت كثيرا كثيرا فى عملى بالصحافة.. قاسيت كثيرا ولم أجد فرصتى فى صحيفة مصرية.. ومن الغريب أن هناك من تتلمذوا على يدى، ووجدوا لهم فرصا كبرى فى أكبر الصحف المصرية بعد أن أتوا بـ «الواسطة» التى باتت هى الجسر الوحيد للوصول لأى شيء فى هذا الزمان..

تركت القاهرة.. عدت إلى قريتى «شبراويش» الكائنة بمحافظة الدقهلية، لأجلس

بجوار والدى الذى كان يصارع الموت، وفى الأيام الأخيرة لوالدى قبل وفاته فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٠، طلب منى أن أعمل «محاميا».. وكان طلب والدى غالياً للدرجة التى جعلتنى أبدأ فوراً فى تحقيقه. وسجلت اسمى فى نقابة المحامين.. وأصبحت محاميا..

لكن حب الصحافة كان قد تغلغل فى دمى، فجمدت عملى فى المحاماة، وهجرت الناس جميعا.. وعكفت على نفسى أكتب، فأنجزت الموسوعة التاريخية «حدث فى مثل هذا اليوم»، ثم كتاب «الوثائق الكاملة لأزمة الخليج الكبرى» ثم مجموعة قصصية بعنوان «البحث عن حب». وكنا فى أواخر عام ١٩٩١، فعدت من جديد إلى القاهرة بغية العودة إلى عملى الصحفى، ولأباشر إشرافى على إصدار كتابى الذى يحمل اسم «حسين الشافعى وأسرار ثورة يوليو وحكم السادات»، وهو مجموعة حوارات مطولة أتاح لى السيد حسين الشافعى أن أجريها معه، ونشرتها فى الصحيفة العربية التى كنت أعمل فيها، ونلت بذلك شرفا لا أدعيه.. ورغم إننى كنت متعاقداً مع الناشر منذ يناير ١٩٩٠، إلا أنه لم ينشر الكتاب وكان يريد تغييره جذريا لتصبح «مذكرات»، ودخلت معه فى دوامة القضايا أمام المحاكم، وسحبته من عنده وأعطيته لناشر جديد.. ثم تفرغت بعد ذلك لنفسى أبحث عن فرصة جديدة فى إحدى الصحف المصرية.

لكنى وجدت نفسى مرة أخرى فى دوامة غريبة.. فرأيت زملاء لى يعجزون عن تركيب جملة.. أو إنشاء تعبير.. وجدتهم فى مراكز قيادية فى بعض الصحف.. تغلغلت داخل المؤسسات الصحفية.. رأيت عجائب.. فظائع.. فهذا رئيس تحرير لا يعين سوى الفتيات فقط، فتيات لا يستطعن التفريق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية. فتيات أغلبهن من حاملى المؤهلات المتوسطة.. لكن مؤهلات أجسادهن بما فيها من إمكانيات انثوية أجلستهم فوق مقاعد «عرش» الصحافة.. ورأيت رئيس تحرير يقول لى: «إذا كنت عايز تشتغل عندى هات لى شهادة من مباحث أمن الدولة «!».. مش مهم كفاءتك أو خبرتك.. المهم عندى موافقة أمن الدولة».. ورئيس تحرير عملت معه.. وفى نهاية الشهر وجدته قرر لى مكافأة ٤٥ جنيه.. نعم ٤٥ جنيها.. رغم أننى كنت أتقاضى ٢٥ ضعف هذا المبلغ منذ سنوات، فى الصحيفة العربية التى كنت أعمل فيها.

اعتكفت مرة ثانية..

وتساءلت: هل من العدل أن تكون لى هذه الخبرة العريضة فى الصحافة ولا أجد فيها فرصتى؟ فى نفس الوقت الذى يلمع فيها من هو غير أهل لها بالمرة لمجرد أن لديه واسطة، أو معه شوية فلوس، أو يجيد النفاق؟؟

ولا أحب أن يسيل وقتى من بين يدى دون جدوى.. ولابد أن أنتهزها فرصة أنفذ فيها المشروع الكبير الذى كنت أفكر فيه منذ سنوات طويلة.. هذا المشروع كان يمنعنى عنه عدم توافر الوقت.. لكنى الآن متفرغ.. إذن فلأتوكل على الله وابدأ.. فمنذ سنوات طويلة وأنا أتابع كتابات عدد كبير من الأقلام التى لا تراعى الله فيما تكتب.. فكرت فى أن أتابع وأسجل كتابات هذه الأقلام منذ بدأت حتى اليوم، إنهم يظنون أن ذاكرة القارىء مثقوبة، فينثنوا على ما يكتبون، ثم يقومون، ثم يلتوون ولا أحد يعتب عليهم مجرد عتاب.. قررت أن أسجل عليهم كتاباتهم فى شكل تسلسل تاريخى متنوع، لأكشف للقارىء كيف يعبث هؤلاء بالقراء، وكيف يقود صاحب القلم - المقود - جماهير القراء لخدمة من يقوده.. لقد أعطى هؤلاء لضمائرهم أجازة حتى الموت.. وتحولوا مع الوقت إلى «عرائس» فى يد الحكومة تلعب بهم أمام الشعب كيفما تشاء.. هؤلاء مجرمون فى حق أنفسهم ثانيا.. وفى حق الجماهير أولا..

حددت قائمة طويل بأسماء هؤلاء، جاء على رأسها موسى صبرى. ولكن لأنه رحل عن دنيانا، فمن الظلم أن أتعرض لمن لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وكان ابراهيم سعدة هو التالى مباشرة لموسى صبرى، وهو «تلميذه» المخلص فى كل شىء.. فهو يجيد «التطبيل» و«التزمير»، ويجيد هز الرأس وهز أى شىء لمن يقوده. ويجيد «الردح» لأعداء من يقوده.. وهو يلعب بأى ورقة تتاح له.. مهما كانت النتائج.. المهم هو أن يربح.

منذ زمن بعيد وأنا أراقب كتابات «إبراهيم على سعدة» الذى صنعه أنور السادات.. وجعله رئيسا لتحرير أخبار اليوم فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٧٩، وكتب على جبينه «ميد باى سادات»، ثم جعله رئيسا لتحرير جريدة الحزب الوطنى التى تسمى «مايو» منذ أول عدد لها فى ٢ مارس ١٩٨١، ثم عينه عضوا بالمجلس الأعلى للصحافة فى ٤ أغسطس

١٩٨١، وبقى على كرسيه رئيسا لتحرير أخبار اليوم حتى يومنا هذا، ثم أصبح رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم فى ١٦ مارس ١٩٩١.

جمعت كل ما كتبه سعدة منذ أول عدد من أخبار اليوم صدر برئاسة تحريره، واكتشفت أن التعرض لكتابات سعدة يكشف فضائح عهد انقضى، إذ أن كتاباته مرآة صادقة تقرأ فيها بوضوح وقائع وأحداث عهد أنور السادات «الرئيس المؤمن»، ومع متابعة كتابات سعدة تتكشف لك من خلالها كل جرائم أنور السادات، التى «طبّل» و«هلل» و«صفق» و«صفّر» و«زغرد» و«انتطط» لها ابراهيم سعدة.. مثلا:

- كيف صفق وهلل سعدة لقرارات سبتمبر ١٩٨١ باعتقال كل مصر وإغلاق كل الصحف، وحل مجالس ادارات الجمعيات والنوادى..و..و... ووصفها سعدة بأنها أعظم من قرار حرب أكتوبر!!!

- كيف هلل للسادات عندما حل مجلس نقابة المحامين وعين لها مجلساً.

- كيف هلل له عندما جعل لوزير العدل سلطة على نادى القضاه!!

- كيف هلل له عندما نقل أساتذة الجامعات لوظائف إدارية!!

- وكيف هلل له عندما وضع عدد من الصحافيين - زملاءه - فى السجن!!

- وكيف هلل له عندما أعلن توصيل ميه النيل لإسرائيل!!

- وعندما أعلن عن إهدائه قطعة من أرض مصر لتكون ميناء للسودان على البحر المتوسط!!

- وعندما غير الدستور ليكون رئيسا أبديا لمصر!!

- وعندما حل مجلس الشعب دون أى سند دستورى أو قانونى!!

- وعندما كانت تجرى الاستفتاءات بالإرادة المنفردة!!

- وعندما.. وعندما.. وعندما..

ثم...

بعد أن مات السادات مقتولا تنصّل من كل هذا..

وجدتنى أقرأ عهد السادات جيدا فى كتابات سعدة، كيف كان السادات «يشتم» الزعماء العرب، وكان سعدة أحد ألسنة السادات الطويلة «المسّممة» التى كالت للزعماء العرب أطنانا من البذائات، ومع ذلك.. عندما تولى الرئيس حسنى مبارك رئاسة مصر، وطلب عدم التطاول على الزعماء العرب لأنهم أشقاء لنا، وحتما ستعود العلاقات لطبيعتها.. سكت سعدة؟.. لم يسكت.. انقلب بزاوية ١٨٠ درجة، وراح يكيل المديح فى نفس الأسماء.. وبنفس الشراسة. بشكل يوحى - بل ويؤكد - إنه ليس إبراهيم واحد.. بل هما شخصان فى واحد.. «ابراهيمان».. فلا يمكن للذى ظل يلعن فى زعيم سنوات طوال، ينقلب فجأة إلى «متغزل» فى سحنته، ثم ينقلب عليه من جديد،، وبلا أى مقدمات،، فإذا كان خط قلمه «يوازى» خط نظام الحكم فما يضيره لو إنه التزم الموضوعية فى النقد.. وأى فائدة تعود عليه عندمايصبح «شتّاماً» بدرجة ممتاز؟؟

وضعت يدى على كتابات سعدة كلها.. فإذا بها جريمة كبرى وكلمة «جريمة» لم تأت هنا كتعبير بلاغى.. بل هى فعلا جريمة متكاملة الأركان، وأنا أقدم فى هذا الكتاب كل أبعاد الجريمةالتى ارتكبها سعدة فى حق الشعب المصرى كله، لتكون بمثابة بلاغ للسيد رئيس الجمهورية أولا، وللسيد النائب العام ثانيا ليحقق فيها ويحيله إلى المحاكمة. فهو يعطينا معلومات خطأ وقتما يريد.. ويعكر صفو مشاعرنا نحو الأشقاء العرب وقتما يريد.. ويثير غداواتنا بلا أى داع، ويحارب القيم الفضلى فى المجتمع.. ويحرّض على الخلاعة والتسيب.. ثم «يثير عواطفنا» وقتما يحلو له هو ذلك أيضا!! على أى أساس «لعن»؟.. لا ندرى .. وعلى أى أساس «مدح»؟.. لا ندرى، وعلى أى أساس يغيّر رأيه واتجاهه بهذه السرعة؟.. أيضا لا ندرى.. لا ندرى.

إن ما فعله سعدة - وأمثاله - يمثل جريمة كبرى لا تسقط بالتقادم، ولا تخضع لاعتبارات العفو المعروفة والمفروض أن يحاكم فوراً.

لقد جندت نفسى وقتا طويل.. وبذلت جهدا خارقا فى قراءة كل كلمة كتبها سعدة، بدءا من العدد ١٧٦٨ الصادر فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٨ حتى العدد ٢٥١٨ الصادر فى ٦ فبراير ١٩٩٣، أى أننى قرأت ٧٥٠ عددا من أعداد أخبار اليوم على مدى ١٤ سنة..

وبذلت جهداً مضنيا للربط بين هذه الكتابات، حتى خرجت بهذا العمل الضخم.

وأغرب ما لاحظته على كتابات سعدة أنه لا يعرف كيف يركب جملة مفيدة، ولا يعرف متى وأين توضع الفاصلة «،» أو علامة التعجب «!» أو علامة الاستفهام «؟» أو شرطتى الجملة الاعتراضية «- ... -» فهو يضع الفواصل بمناسبة وبدون مناسبة، وبطريقة خاطئة و«مجليطة» للغاية، وما من عنوان لمقال له إلا ويضع فى نهايته علامة التعجب هذه «!».. أيضا بدون أى مناسبة، وليته يتعلم كيف يستخدم هذه الأدوات حتى لا يظن أنها ما وجدت إلا لـ «الزينة» فقط..

وأيضا يلاحظ على كتابات سعدة، أنها جافة تماما.. وأنا اتحدى سعدة أن يأتى لى بمقال له «رصّعة» بآية من آيات القرآن الكريم، أو بحديث نبوى شريف، أو بقول مأثور لصحابى جليل، أو حتى ببيت شعر.. أبداً لا يعرف أن يدعم ما يكتب بمثل هذه الجواهر التى ترفع أى مكتوب.. ولو قلنا أن ما يكتبه هو «هراء» وأبعد بكثير من أن يرقى لهذه الحجج العظيمة، فذاك لا يعفيه من أن نقول له: «تذكر يا رجل أن دستور المسلمين هو كتاب الله وسنة رسوله، إن أخذت منهما وقلت فقد صدقت، وإن أغمضت عيناك؛ عنهما فلا وزن لما تقول»..

ومما يلاحظ أيضا أن إبراهيم سعدة تسلم رئاسة تحرير أخبار اليوم وكانت توزع مليون ومائتى ألف نسخة، عام ١٩٧٩ حينما كان عدد سكان مصر حوالى ٤٢ مليون نسمة، منهم حوالى ١٠ ملايين فقط يقراون، أما الآن فتوزيع هذه الجريدة أصبح أقل من هذا الرقم بكثير.. وإذا أخذنا فى الاعتبار أن عدد سكان مصر الآن «أول عام ١٩٩٣» وصل ٥٨ مليون نسمة، وأن عدد من يقرأون حوالى ٢٠ مليون نسمة لقطعنا بأن توزيع الجريدة قد هبط ٥٠٪، وتلك حقائق لا تثير العجب إذا ما قارنا بين أى عدد من أعداد أخبار اليوم قبل تولى سعدة رئاسة تحريرها، وبين عدد من أعداد الجريدة الآن فى ظل رئيسها «المحصن» إبراهيم سعدة.

والآن تعالوا لنتصفح معاً بهدوء ملف جرائم هذا القلم.

والله ولى التوفيق

صلاح الامام

١

الطريق إلى رئاسة التحرير

مقامك بيننا دنس علينا
فليتـك غائب فى حـر نـار
وفخرك بين خنزير وكلب
على مثلى من الحدث الكبار

• بشار بن برد •

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١)
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾

صدق الله العظيم

«سورة المطففين»

فى يوم السبت ١٥ ديسمبر ١٩٧٩ صدر عدد أخبار اليوم رقم ١٨٣٢، وظهر فيه لأول مرة اسم «إبراهيم سعدة» رئيسا للتحرير مع الصحفى الكبير عبدالحميد عبدالغنى، وبدءًا من يوم ٤ يوليو ١٩٨١، أصبح إبراهيم سعدة وحده رئيسا لتحرير «أخبار اليوم».

وفى الصفحة الثالثة من عدد أخبار اليوم المشار إليه «١٨٣٢» كان هناك موضوعا «أرشيفيا» يدور حول ترسانات الأسلحة النووية فى العالم، إلا أن اسم «إبراهيم سعدة» اعتلى الصفحة، وبجواره هذه العبارة «يكتب من باريس»!!.. فكأن هذا الإبراهيم «علما» كبيرا ويهم أن يعرف الناس من أين يكتب..

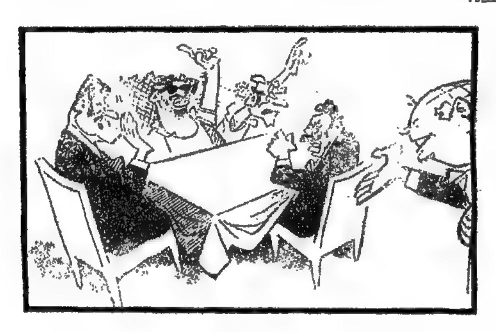
كان سعدة مجرد محرر صغير فى أخبار اليوم، وفى يوم وليلة اعتلى رئاسة تحرير الجريدة، وهى أكبر جريدة أسبوعية عربية، وتم ذلك من خلال سيناريو مبهر ومحبوك - كأنه حقيقة - أعده المجلس الحاكم لمصر فى ذاك الحين، بأوامر مباشرة من فرعون عصره محمد أنور السادات.

ولكن..

لماذا؟.. لماذا كان هو؟.. لماذا كان هذا الشخص بالذات ؟؟؟

لماذا وقع اختيار السادات عليه هو بالذات، ليجلسه فوق كرسى أعلى منه، ويمكنه من منصب أكبر بكثير من حجمه؟؟

الإجابة على هذا السؤال نستطيع أن نعرفها بسهولة بعدما نطالع كتابات سعدة، فى الفترة السابقة على هذا التاريخ، فهناك ثلاثة أسباب رئيسية وراء هذا الاختيار الساداتى لسعدة.



شتم العرب!

فى العدد رقم ١٧٦٨ الصادر فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٨ كتب سعدة فى مقاله الدورى المسمى «آخر عمود» يقول:

«عجيب أمر هؤلاء العرب الذين يهاجمون اتفاق كامب ديفيد، أعجب ما فى أمرهم أنهم لا يملكون سوى الرفض، لا يجيدون سوى النطق بكلمة (لا) بمناسبة وبدون

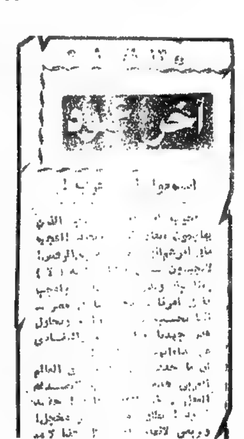
مناسبة، وأعجب ما فى أمرنا . نحن هنا فى مصر. أننا نحسب لهم حسابا، ونحاول قدر جهدنا مهادنتهم، والتغاضى عن بذاءاتهم وسفالتهم!

ما حدث ويحدث فى العالم العربى هذه الأيام شىء لا يصدقه العقل، خلافات حادة! حقد أسود! تطاول مزمن! تآمر مخجل! وتربص لا نهاية له.

حكام عواصم الدول العربية الذين هبوا اليوم يهاجمون اتفاق كامب ديفيد . ما هم سوى قطيع من الجثث المتحركة.

لن يخيفنا ما يهدد به حكام دول الرفض، ولن يهزنا عواء عرفات وحواتمة، وحبش، وابن منذر، وابن.. وأبو.. وأم.. إلى آخر أسماء الإرهابيين الحركية.

●●●



وفى العدد ١٧٩٥ من «أخبار اليوم» الصادر فى ٢١ مارس ١٩٧٩ تحت عنوان «سادة الإرهاب» كتب سعدة يقول:

«يبدو أن سادة سوريا، والعراق، وليبيا، ومنظمة التحرير الفلسطينية، تناسوا أن عدوهم الأول هو إسرائيل! واتضح أن هؤلاء السادة لا همَّ لهم الآن سوى طعن مصر، وشتم مصر، واغتيال رئيس مصر! أما إسرائيل، وشعب إسرائيل، وقادة إسرائيل، فقد أرجأوا التصدى لهم إلى ما بعد تصفية المصرى نهائيا!

ولم ينتظر سادة الرفض العربى إلى ما بعد ختام جلسات مؤتمر بغداد، وصدور القرارات التأديبية ضد مصر! وسارع هؤلاء السادة بتنفيذ ما اتفقوا عليه، وآمنوا به، لإرهاب مصر! وسمعنا عن المظاهرات التى هاجمت بعض السفارات والمكاتب المصرية فى الخارج! عشرات، وربما مئات من الفلسطينيين، والسوريين والعراقيين، سارعوا فى شوارع العواصم الأوروبية والآسيوية يهتفون ضد مصر، ويطالبون برؤوس قادتها، ويندون بسياستها..! وعندما جفت حناجرهم، أسرعوا إلى سواعدهم يقذفون بها الطوب، صوب النوافذ والواجهات والسيارات الخاصة بالدبلوماسية المصرية! ومن المنتظر ألا يكتفى سادة الرفض العربى بالطوب كوسيلة لإرهاب مصر، ومن المؤكد أنهم سيلجأون إلى الرصاص، والقنابل لنسف بعض المكاتب المصرية هنا أو هناك».

***

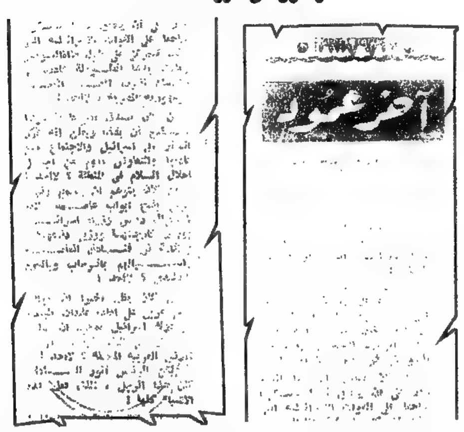
وفى العدد ١٧٩٨ الصادر فى ٢١ أبريل ١٩٧٩، واصل سعدة تصعيده لنار الكراهية بين الشعب المصرى والأنظمة العربية، وكتب يقول:

«تستطيع مصر أن تؤدب الحكومات العربية التى تصدر الإرهاب داخل حدودنا، وعملية التأديب لن تكون صعبة، فقد سبق أن مارسناها عندما قامت قواتنا المسلحة بإعادة القذافى وقواته، وأنصاره، إلى أحجامهم الطبيعية من خلال عملية عسكرية تأديبية كان يمكن أن تقضى على نظامه لو أرادت القاهرة ذلك.

وتأديب نظام الحكم فى ليبيا، وغير ليبيا يمكن أن يتكرر، بل لابد أن يتكرر لو تكررت عملية تفجير القنابل، وجرح الأبرياء، فى شوارعنا، ومدننا المصرية، ومن المؤكد أن الشعب

....

وتغزل فى أنور السادات!



من «قصائد» سعدة الغزلية فى أنور السادات، نختار هذه المقتطفات مما كتبه عنه فى العدد ١٧٦٩ من «أخبار اليوم» الصادر فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٨، إذ كتب (أو غنى له) قائلا:

«احتاروا فى شخصه، إحتاروا فى قراراته، وإحتاروا فى أفكاره وعندما فشلوا فى تفسير حيرتهم أجمعوا على أنه شخصية غير عادية طبقا للمقاييس التى تعارفوا عليها طويلا!

من كان يصدق أن حاكما عربيا يستطيع أن يقف ويعلن أنه قرر السفر إلى إسرائيل والاجتماع مع قادتها والتفاوض معهم من أجل إحلال السلام فى المنطقة؟ لا أحد.

من كان يتوهم أن يسمح رئيس عربى بفتح أبواب عاصمة بلاده لاستقبال رئيس وزراء إسرائيل ووزير خارجيتها ووزير دفاعها، والإقامة فى فنادق العاصمة واستقبالهم بالترحاب وبالكرم التقليدى؟ لا أحد.

من كان يظن أخيرا أن يوافق زعيم عربى على إقامة علاقات طبيعية مع دولة إسرائيل بمجرد أن توافق إسرائيل على الإنسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة؟ لا أحد.

ولكن الرئيس أنور السادات كان هذا الرجل الذى فعل هذه الأشياء كلها..............

....».

وفى الصفحة الثالثة من ذات العدد من أخبار اليوم «١٧٦٩» كتب سعدة تحقيقا بعنوان «سر عمره ٨ سنوات» ملخصه أن قرار السادات بطرد الخبراء السوفيت من مصر كان قراراً أسطورياً، ويجب تجسيمه، وصناعة تمثال ذهبى له فى حجم الهرم، ونضعه فوق قمة برج القاهرة ذلك لأن هذا القرار كما يقول سعدة «هو البداية الحقيقية لنصر ٦ أكتوبر» وأفاض إبراهيم فى تمجيد القرار، وفى صب اللعنات على السوفيت، وأخذته «الجلالة» إلى أن قال عن الطائرات السوفيتية أنها كالبط الطائر، والطيارون السوفيت يتساقطون كالعصافير الذبيحة!!!

وهنا لى سؤال: بأى سلاح حارب المصريون فى أكتوبر ١٩٧٣؟ بدءا من رصاصة البندقية، حتى الطائرة، والصاروخ، والكبارى التى عبروا عليها؟!! أليست معدات وأسلحة وذخائر السوفيت هى التى حاربنا بها فى أكتوبر؟! أليست صواريخ «سام» السوفيتية هى التى قذفت الرعب فى قلوب اليهود؟ أليست الطائرات السوفيتية هى التى تدرب عليها طيارونا ثم قاتلوا بها؟ وعادوا بها من أعماق سيناء سالمة؟؟

يا رجل: يا من تتعجب من عظمة الذى زار إسرائيل، ودعى حكامهم ليدنسوا أرض مصر، وأقام معهم علاقات طبيعية.. إتق الله.

وشتم عبدالناصر!

حتى الزعيم الخالد جمال عبدالناصر.. لم يسلم من لسان سعدة.. فى العدد ١٧٧٨ من أخبار اليوم الصادر فى ٢ ديسمبر ١٩٧٨ كتب سعدة فى عموده الأخير يقول:



«........................ هذا ما يفعله أنور السادات، ولكن بعض الذين سبقوه استطاعوا خداع الشعب لفترة طويلة لا لشىء إلا لأنهم يتحركون فى طريقين، وينفذون سياستين، ويتحدثون بلغتين ....».

وبرغم أن المقال برمته كان يتحدث عن واقعة تأجير فندق منيل بالاس لشركة فرنسية - وهو ما يهلل له سعدة اليوم - ورغم أنه موضوع لا يرقى لمستوى رئيس البلاد، إلا أن سعدة أبى أن يكتب الموضوع - كالعادة - دون أن يسبقه بسيمفونية الولاء والطاعة لسيده أنور السادات، ولما تأكد لسعدة أن إطالة اللسان على عبدالناصر أمر يرتاح إليه أنور السادات، فتح سعدة «صنبور» شتائم مخصوص لعبدالناصر.

●●●

وفى العدد ١٧٨٩ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٧ فبراير ١٩٧٩، بعد وفاة فكرى أباظة بيومين، كتب سعدة يقول:

«إن فكرى أباظة لم يستطع أن يساير النفاق، والتزلف والرياء التى تقدمت الصفوف فى مصر فى نهاية الخمسينات وطوال الستينات كان أكبر النجاح فى هذا الوقت، هو التغنى بالقوة المسلحة المصرية التى وصفها «الخبراء» بأنها أقوى قوة ضاربة فى الشرق الأوسط! وكان المسئول عن هذه القوة المشير عبدالحكيم عامر - رحمه الله وغفر له - يتشدق ليل نهار بأن الطريق إلى قلب تل أبيب يحتاج إلى ثلاثة أيام من المعارك المضمونة النجاح مقدما ....!»

وواصل المقال الذى كان عنوانه «شجاعة فكرى اباظة» شتائمه فى جمال عبدالناصر وعهده، بالطريق غير المباشر.

سعده منتج ساداتى

نشرت جريدة أخبار اليوم فى عددها الصادر بتاريخ ٢ يونيو ١٩٧٩، أن هذا الإبراهيم سعدة قطع علاقاته بجريدة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر فى لندن، وقالوا إنه تركها ردا على الموقف العدائى الذى تتخذه الجريدة من معاهدة السلام ومن الرئيس المصرى!

وقد يصدق الساذجون من القراء هذه القصة المضحكة، لأن ما نعلمه أن الصحف وكافة أجهزة الإعلام العربية «طردت» من مؤسساتها كل الصحفيين الذين أيدوا معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية، بل امتد هذا الحظر إلى كافة الشخصيات العامة المصرية، الذين أيدوا مشاريع السادات مع اليهود، ووصل الأمر لدرجة أن منعت تلك الدول هذه الشخصيات من دخول أراضيها، وأعدت بأسمائهم قائمة سوداء، ظلت بعض أحكامها سارية حتى الغزو العراقى للكويت فى أغسطس ١٩٩٠، وبالتالى فإن سعدة «طرد» من جريدة الشرق الأوسط ضمن الزمرة الساداتية.

ورغم هذه الحقائق.. خرجت علينا أجهزة الإعلام فجأة بقصة رائعة تستحق جائزة عالمية، ملخصها أن هذا الصحفى عرضت عليه بعض الدول العربية مبلغا ضخما ليكتب فى صحفها مهاجما سياسة رئيس مصر إلا أنه رفض، ولم يقدم مع القصة ـ المحبوكة ـ أى دليل على صدقها، لكن كافة القرائن سواء الواقعية أو المنطقية كانت تؤكد أنها قصة كاذبة.. والحكم على القصة بأنها «كاذبة» له عدة أسباب:

فإبراهيم سعدة هذا لم يكن معروفا قبل ذلك التاريخ، ولم يكن من أصحاب الأقلام المشهورة أو الكتابات المؤثرة، فى الوقت الذى كان هناك الكثيرون من أبناء مصر الذين أبى واجبهم الوطنى والقومى إلا أن يقولوا كلمة الحق، ودفعوا لذلك ثمنا رهيبا، أدناه تحمل مشاق الغربة نفياً عن وطنهم الحبيب مصر.

ثم «أفهمتنا» الصحف المصرية أن سعدة هذا هو نابغة زمنة، ومعجزة عصره، وأن

ملوك وأمراء الدول العربية الرافضة لسياسة السادات، أرسلت له «تبوس» جزمته لكى يكتب فيها، ولكن ضميره الوطنى (الساداتى) رفض أن ينزلق إلى هذا المستنقع.. هكذا وضعت أجهزة إعلام السادات الرتوش الأخيرة على هذا «المنتج» الجديد، وحفرت على جبينة عبارة «صنع فى ميت أبوالكوم» وله ريموت كنترول توجد منه نسخة فى القصر الجمهورى، وأخرى فى مجالس الشعب والشورى والوزراء، ويتميز بقدرته على الخدمة الشاقة، متعدد الألوان، يتوامم مع كل الظروف، يتكيف مع كل العصور وكافة الأجواء.

كان هذا المنتج هو فخر الصناعة الإعلامية لمصر فى عهد السادات، فإذا كانت هناك دول تفخر - فى مجال الإعلام - بأنها فتحت أبواب الصحف، وأنشأت محطات بث واستقبال للقنوات العالمية، فإن «إبراهيم سعدة» يعد وبحق فخر الصناعة الساداتية فى عهد أنور السادات، والمفروض ألا نغفل ذكر إبراهيم سعدة عندما نتذكر كل منجزات السادات.

فالسادات طرد الخبراء السوفيت وجاء بالأمريكان واليهود.. وطهر البلد من مصانع المعدات الثقيلة وأدخل بدلا منها صناعات اللبان والشيكولاتة والشيبسى.. وسمح باستيراد جميع أنواع اللحوم بدءا من الدجاج الفاسد وانتهاءً بلحوم الحمير والكلاب.. وملأ مصر بالخير الوفير، فأدخل دجاج تكا وكنتاكى، والهامبورجر، والشاورمة لمصر.. وسمح بزراعة جميع أنواع الفواكه بدلا من الحبوب، فأطعم أبناء شعبه «الجوعى» العنب والتفاح والكنتالوب والفراولة والمنجة، بعد ما فطن - ببصيرته الحادة - إلى عدم جدوى زراعة القمح والأرز والذرة، فهى موجودة فى أمريكا، وهى ليست سلعا ضرورية، والأهم منها الفاكهة التى «تطرى» قلوب أبناء شعبه.

وعمل على توسيع الرقعة «العمرانية» فترك الناس تزرع خرسانة فى الأراضى الزراعية حتى تآكلت، ولا يهم ذلك مادام كل مصرى بنى له بيتاً.. وشجع القطاع الخاص الذى أفرخ أكثر من ٣٠٠ ألف مليونير مصرى.. ورفع كل القيود عن كبار الموظفين العموم ففتحوا أيديهم يأخذون الإكراميات وعاشوا مستورين يحمدون الله ثم أنور السادات.. ولم ينس السادات «مزاج» شعبه، فامتلأت البلد بالمخدرات والمزاج بقى عال العال.. كل ذلك لا يجب أن يُنسينا هذا الإنجاز العظيم الذين قام به السادات فى أواخر أيامه.. وهو تصنيع إبراهيم سعدة رئيسا لتحرير أخبار اليوم.

ورغم أن قرار تعيين إبراهيم سعدة رئيسا لتحرير أخبار اليوم لم يلغ اسم الأستاذ عبدالحميد عبدالغنى - رئيس التحرير وقتها - إلا أن إبراهيم سعدة أصبح له السلطان الكامل على الجريدة، ومنذ أن وضع اسمه فى الترويسة كرئيس للتحرير بجوار عبدالحميد عبدالغنى.

وأول دليل على ذلك أن مقال: «الموقف السياسى» الذى كان يكتبه الأستاذ على أمين فى السالف، ثم خلفه فى كتابته الأستاذ مصطفى أمين، ولم يجرؤ أحد ممن تولوا رئاسة تحرير أخبار اليوم على كتابته فى وجود هذا أو ذاك، إلا أن إبراهيم سعدة احتله من أول يوم شغل فيه منصب رئيس التحرير، وسماه فى البداية «كلمة من المحرر»، ثم عاد فى العدد التالى إلى اسمه السابق «الموقف السياسى» ليؤكد للناس أن هذا «السعدة» هو خلف على أمين ومصطفى أمين، وأنه لا يقل عنهم فى شيء.. ثم نقله سعدة من الصفحة الثامنة إلى الصفحة الأولى بدءًا من العدد ١٩٧٩ الصادر فى ٩ أكتوبر ١٩٨٢.

أصبح إبراهيم سعدة رئيسا لتحرير أخبار اليوم بدءً من ١٥ ديسمبر ١٩٧٩، وحتى تاريخ كتابة هذه السطور (فبراير ١٩٩٣).. وعلى مدى الـ١٤ سنة الماضية(*) أثبت سعدة قدرته الفائقة على التكيف مع كل مناخ، وكيف يلعب، ومتى يسدد هدفه.. ليؤكد للجميع أن السادات «عرف يربى».

ويلاحظ أن أخبار اليوم تدهورت بشكل حاد منذ أن تولى رئاسة تحريرها إبراهيم سعدة، وهبط بها كجريدة تقدم مادة صحفية عظيمة إلى أسفل مرتبة، ومن التغيرات التى طرأت على أخبار اليوم فى عهد سعدة، أنه ألغى الصفحة الثانية بالجريدة وكانت تزن باقى صفحات الجريدة كلها، نظرا لما كانت تحويه من مادة صحفية دسمة، وأبدلها بصفحة تنقل لنا أخبار الممثلين والمغنيين رغم وجود صفحة فنية داخل الجريدة.. وهكذا بدأت أخبار اليوم منذ العدد ١٨٣٨ الصادر فى ٢٦ يناير ١٩٨٠، تقدم لقرائها صفحتان عن الفن بدلا من صفحة واحدة، بعد إضافة الصفحة الجديدة التى تحمل عنوان «صوت وصورة على الهواء!» وأصبح تبويب أخبار اليوم الجديد كالآتى:

(*) ولازال سعده حتى تاريخ طباعة هذا المؤلف فى أبريل ٢٠٠٠ فى موقعه رغم أنه تعدى الستين منذ أربع سنوات.

ـ صفحتان فن.

ـ صفحتان رياضة، وأحيانا ثلاثة وأربعة.

ـ صفحة ٨ خاصة بمقال جنابه.

ـ صفحة ١١ للوفيات.

ـ صفحة ١٠ للحوادث.

ـ الصفحة الأخيرة «لأى حاجة»!

ـ بقى صفحة (١) ونصفها مخصص لمقال جنابه!، وصفحة (٣) يكون بها تحقيق وأحيانا يكون مادة أرشيفية!، وصفحة (٤) بها أخبار، أو أخبار + تحقيق صغير، وصفحة (٥) بها مقال وشوية كاريكاتير.

ومما يلاحظ على التبويب «السعدوى» أنه:

ـ اختفت أبواب «دنيا جديدة» التى كانت تقدم للقارىء آخر الاكتشافات والاختراعات العلمية فى العالم، وباب «دنيا الأدب» وباب «الفكر الإسلامى» وحلت محلها أبواب للمرأة، والموضة، والأزياء، وكل ما من شأنه «لهو» وعبث لا فائدة منه.

ـ لم يعد لباب «عزيزتى أخبار اليوم» أى وجود، إلا إذا كتب سعدة مقالا كبيرا فتنشق السموات والأراضين عن مئات الرسائل التى تعقب عليه إطراء وثناء وأحيانا «رقصا» و«زمرا»!!

ـ لم يعد لـ«حكمة اليوم» ولا لـ «خبر اليوم» وجود، وحل محلها مادة إعلانية، فالجنيهات التى تكسبها المؤسسة أكثر فائدة لدى سعدة من تقديم آية قرآنية أو حديث نبوى يذكر القارىء بفضيلة.

والخلاصة أن سعدة جلس على كرسى «أعلى» بكثير من قامته، وتولى منصبا أكبر بكثير من حجمه.. فكانت النتيجة أنه فشل فشلا ذريعا، وليس فشله هو المصيبة، لكن الكارثة أنه لا يزال فيه منذ ١٤ سنة(*)، وكأن مصر ليس بها من صحافيين إلا سعدة.

(*) منذ ٢١ سنة

صحف سعده الجديدة

بمجرد أن تولى سعدة منصب رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم، فكر بجدية فى أن يخرج على الناس بإصدارات جديدة، فهى لن تكلفه شيئاً، بل ستزيد إلى دخله ما سيتقاضاه من بدلات نقدية عليها.

وهكذا خرج سعدة لنا بجريدة مهمتها وضع الجرائم تحت الضوء، خرج علينا سعدة بجريدة «أخبار الحوادث» فى ٩ أبريل ١٩٩٢، ويذكر أن هذه الجريدة سبقتها حملة إعلانية أسطورية، لم يسبق أن شهدت جريدة مصرية مثل هذه الدعاية، وكانت النتيجة أن نفذت الكمية المطبوعة من العدد الأول عن آخره، ووصل توزيعها فى العدد الثالث إلى قرابة ثلاثة أرباع مليون نسخة.. ثم هبط إلى «عُشر» هذا الرقم الآن، فهى كإصدار جديد، ونتيجة للحملة الأسطورية الدعائية تكالب عليها القراء فى بداية صدورها.. فإذا بها جريدة صدرت لتصبغ كل الجرائم فى مصر - وخارجها - بالصبغة الإسلامية(!!).. فلما اتضح الهدف منها سقطت، وباتت أكواما لدى باعة الطعمية.

ثم فاجأنا سعدة بإصدار جديد من أخبار اليوم، ذلك أن سعدة تلفت حوله فوجد أن نجوم الفن وراقصات وشواذ مصر ليس لهم صحف ومجلات خاصة تكفى.. فقط حوالى ٤٠٠ مجلة فنية.. وهذا عدد لا يذكر إذا ما علمنا أن مجموع الصحف والنشرات التى تصدر فى مصر حوالى ٥٥٠ صحيفة ومجلة ونشرة.. منهم ٤٠٠ مجلة فنية متخصصة، فضلا عن أبواب الفن الثابتة فى الصحف الأخرى الغير متخصصة.. وأمام هذا الفقر فى الصحافة الفنية.. كان قرار سعدة العظيم بإصدار «أخبار النجوم» فى ١٠ أكتوبر ١٩٩٢، وسبقتها أيضا حملة إعلانية خرافية.. والمجلة أوالجريدة الجديدة مهمتها نشر «مذكرات» النجوم.. فهناك نجوم أصبح عمرهم الفنى حوالى ٢٠ شهراً أو ٢٥ شهراً ولم نعرف شيئا عن مذكراتهم، لم نعرف شيئا عن «الحداية» التى وقفت على بلكونة زوجة خال إحداهن، ولا عن الفأر الذى قرم أحدهم فى كفر البلاليص بلده.. وهكذا خرجت أخبار النجوم لتتفرد بنشر مذكرات رواد الحضارة المصرية.. الساقطة المشهورة، وعشيقة المليارديرالمعروفة.. وصاحبة دكاكين البغاء.. والشاذ اللامع.. و.. و.. كل هؤلاء كان ينقصنا أن نقرأ مذكراتهم.. فكان أن تفرد سعدة وأصدر جريدة تهتم بهم لكى توفيهم

قدرهم.. فمصر ليس فيها نجوم غير هؤلاء(!!) فليس فى مصر نجوم فى الطب.. أو الأدب.. أو الهندسة.. أو القانون.. أو الزراعة أو التجارة.. أو.. أو.. بل نجوم مصر هن هؤلاء (.....) ثم مجموعة الشباب الذين يلعبون بكرة القدم داخل مصر فقط، وليس لهم أدنى وجود خارج حدودها.. والتى سبق وأن أصدرت لهم أخبار اليوم جريدة تسمى «أخبار الرياضة» فى ٢٦ ديسمبر ١٩٨٩.

ألم يكن خليقا به وهو رجل مسلم ـ أن يصدر جريدة دينية ؟.. لا لأن رجال الدين رجال ونساء محتشمون.. ثيابهم متواضعة.. ومعيشتهم على حد الكفاف.. لا يعرفون شيئا اسمه عيد ميلاد.. ولا عيد زواج يتكرر فى السنة ١٢ مرة على الأقل.. ومع ذلك فنحن نحمد الله أولا، ثم نشكر الظروف ثانيا لأنه لم يصدر صحيفة دينية، لأنها كانت ستكون كتلك التى أصدرها الصحفى «محفوظ عجب» ورفع على صفحاتها شعار أن «الفن رسالة»، والدين يسر!!!

ألم يكن خليقا بسعدة أن يصدر مجلة طبية.. أو هندسية؟.. أو قانونية؟.. أو حتى سياحية أو اجتماعية بشرط أن تكون بعيدة عن أهل الفن ـ ألم يفكر فى ذلك؟.. لا.. فأخبار الراقصات.. والماجنات أهم بكثير لدى سعدة من أخبار أى شىء..

ولا حول ولا قوة إلا بالله.



سعده.. وأنور السادات
« جرائم طاغية وفضائح عهد »

ولا خير في امرىء متلــون
إذا الريح مالت مال حيث تميل

• المتنبي •

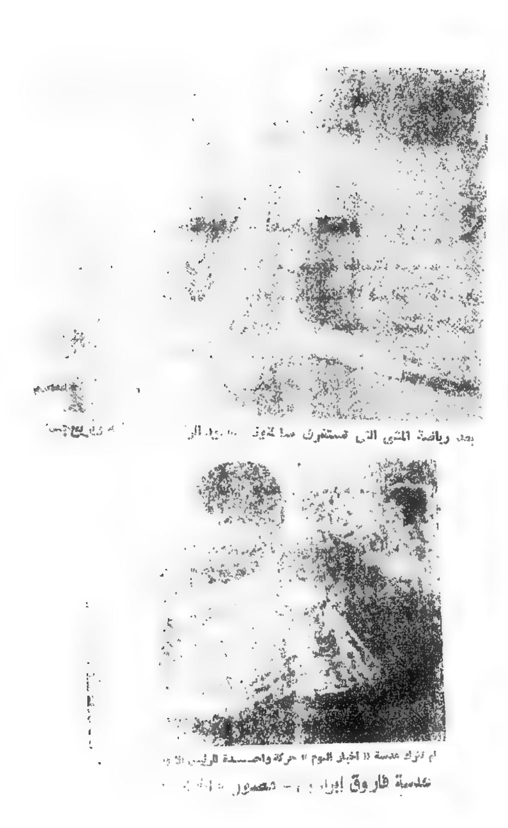
السادات بعدسة أخبار اليوم

فى أول، وأغرب، وأعجب، بل و«أنيل» سابقة من نوعها، طالعتنا صحيفة أخبار اليوم، بعد أن أصبحت صحيفة إبراهيم سعدة، صباح يوم السبت ٢٣ فبراير ١٩٨٠، وفى صدر صفحتها الأولى ثلاث صور لأنور السادات كانت عجبا عجابا.. الصورة الأولى له وهو بملابسه الداخلية داخل الحمام يغسل وجهه على الحوض، والثانية فى الحمام أيضا وبملابسه الداخلية يحلق ذقنه بنفسه، ثم الثالثة وكانت أيضا بملابسه الداخلية، لكنه كان فيها «مُشقلبا» (!!) دماغه فى الأرض ورجليه فى السما.. آى والله..

ونقرأ التفاصيل..

والحقيقة أن سعدة أفاض فى التفاصيل بالشكل الذى يتناسب وقيمة وأهمية الموضوع المعروض.. فلقد باتت مصر هادئة ومنعمة ولم تعد تفكر فى شىء إلا أن ترى رئيسها «المؤمن» و«بطل العبور» و«بطل الأمن الغذائى».. ورئيس «دولة العلم والإيمان» و«دولة سيادة القانون».. و.. و.. إلخ، لم يكن ينقص مصر إلا أن ترى رئيسها يخرج عليها بالملابس الداخلية!!!

رأى هذا السعدة بعد شهرين من توليه رئاسة الجريدة، أن «صانعه» ظهرت له صور فى كل مكان بالعالم، وفى شتى الملابس والمناسبات، فظهرت له صور وهو بالملابس العسكرية.. وبالجلباب والعباءة.. وبملابس البحرية.. وملابس الطيران.. وروب القضاة.. وروب الجامعات.. وبالمايوه.. وهو يقود طائرة.. ويقود سيارة.. ويقود جرار.. ويقود بلدوزر.. ويقود موتوسيكل.. ويقود دراجة.. ويقود حنطور.. وصور وهو يفتح فاه.. وصور وهو يضحك.. وأخرى وهو مكشر.. وثالثة وهى متعصب.. وصور وهو يلوح بيديه..



بعد رياضة المشي التي تستغرق ما لايق ... ـه الر

لم تترك عدسة « أخبار اليوم » حركة واحـــــدة للرئيس الا ...

عدسة فاروق ابراهيم – مصور ...

وأخرى وهو يلوح بيده اليمين، وثالثة وهو يلوح بيده الشمال.. وهو يفكر.. وهو يدخن.. وهو يأكل.. وهو يشرب.. وهو يفك زرار البالطو.. وهو يهرش رأسه.. وهو.. وهو.. وهو.. إلا مكانين لم تظهر له صور فيهما.. الحمام، وسريره (!!).

وكان أن أدرك سعدة بحاسته الصحفية النادرة هذه الجزئية الهامة والخطيرة فى حياة بطل الأبطال.. فابتدع موضوعا صحفيا عالمياً اهتزت له أركان العالم، وتزلزلت له الأرض مشرقا ومغربا.. موضوعا ـ ويحق ـ صعد بمصر إلى مكانة الدول العظمى.

خصص سعدة ثلاثة صفحات من العدد ١٨٤٢ لنشر صور للسادات وهو فى الحمام، وهو فى سريرة، وهو يأكل، وهو يركب دراجة بصحبة حفيده.. ثم وهو يصلى.. وهو يقرأ فى كتاب الله.. ثم وهو يقف على باب بيته فى ميت أبوالكوم يلبس قبعة تذكرنا بالممثل الأمريكى الشهير كلينت استوودو بطل أفلام رعاة البقر.. إلخ من سخافات لا أقل من أن نسميها عبثا ماجنا..

وجاء فى حيثيات هذه الواقعة على لسان السادات موجهاً حديثه إلى المصور فاروق إبراهيم حسبما هو مكتوب:

«لقد وافقت على أن أسجل حياتى بعدستك» إيمانا منى بضرورة تشجيع المواهب المصرية الشابة. إن علينا الا نتأخر أبداً فى إتاحة الفرصة امام كل شاب مصرى ليكشف عن موهبته، ويثبت وجوده، ويحقق إنطلاقة..».

هكذا كان تشجيع السادات للمواهب الشابة أن يخلع ملابسه(!!) ويستدير يمينا، ويستدير يساراً.. ويركض.. ويقفز.. ويتشقلب.. ويتنطط.. أمام كاميرا مصور شاب لم يكن ليفكر أن يفعل ذلك مطلقا، وإنما كان ينفذ رغبة هذا الرجل.. فسجل له عشرة آلاف صورة(!!) كما هو معلن فى ذات الموضوع، وقال عنهم سعدة:

«إنها تعتبر تسجيلا دقيقا لتاريخ مصر»!!!

ياللهول.. ياللهول.. وا مصيبتاه.. وا بلوتاه.. مجموعة صور خليعة لرجل فقد عقله، وركبه جنون العظمة تقول عنها تسجيلا دقيقا لتاريخ مصر؟؟!!.. إنه بئس التاريخ.. وبئس الرئيس.. وبئس من شارك فى هذه المهزلة العبثية التى ألفها أنور السادات وأخرجها إبراهيم سعدة.

وفى العدد التالى من أخبار اليوم، الذى يحمل رقم ١٨٤٣، والصادر فى ١ مارس ١٩٨٠ كتب سعدة فى عموده الأخير يقول:

«............. من حق الرأى العام المصرى أن يعرف كيف يعيش رئيس الدولة فالرجل هو ابو العائلة الكبيرة، ومن حق الأبناء أن يعرفوا ماذا يفعل كبيرهم، وكيف يقضى يومه، وكيف يعيش داخل منزله».

يا سلام!!

فى هذا المضمار، عن موضوع الصور هذه، التى يرى سعدة أن من حق الشعب أن يرى رئيسه كيف يقضى يومه.. كتب سعدة فى العدد ٢٣٨٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٩٠، تحت عنوان «فرصة لا تعوض»، وكان المقال ضد الرئيس العراقى صدام حسين، جاء فيه:

«............ فلن تروا غير صور صدام حسين وهو يفكر، وهو يقرأ، وهو يتحدث، وهو يستقبل، وهو يتريض، وهو يأكل، وهو يشرب، وهو يستعرض، وهو يتفقد، وهو يتعطف، وهو يتوعد، وهو يحيى، وهو يميت.

الصورة الوحيدة التى لن تراها لصدام حسين. فوق شاشة التليفزيون هى صورته عندما يدخل غرفته.. لينام...»

الحمد لله.

كبير العائلة عندنا كان «أجدع» منه.. إتصور فى السرير وهو نائم.. إلا إذا كنت تقصد بكلمة «لينام» وأنت تتحدث عن صدام شيئا آخر.. فى هذه الحالة أعترف لك بهزيمتى.. لأن السادات فعلا لم يظهر لنا كذلك!!.. وعلى كل فالسادات تفرد بصورته وهو يتشقلب يمارس شيئا اسمه «يوجا» ولا أعرف من أى «مسمط» تشترى هذا اليوجا.

ثورة مايو

فى نفس العدد من أخبار اليوم - الذى تضمن فضيحة الصور - الصادر فى ٢٣ فبراير ١٩٨٠م كتب سعدة فى مقاله «الموقف السياسى» تحت عنوان «اتركوها فى حالها» يتكلم

عما فعله السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١، وجاء فيما كتبه:

« .... فالذى يتفق عليه المصريون - المؤيد منهم والمعارض - هو أن من أفضل ما فعله الرئيس أنور السادات قيامه بتصفية مراكز القوى فى ١٥ مايو ١٩٧١، وإنقاذ البلاد من الظلم، والإرهاب، والهوان.

لن يعرف أحد أهمية ما حدث فى ١٥ مايو ١٩٧١، إلا الذين عاشوا فى مصر قبل هذا اليوم، وبعده. الذين شهدوا كيف كان يبطش بهم، وكيف كان الزبانية يتحكمون فى أرزاقهم وأرواحهم، ثم ماذا حدث لهم بعد تصفية مراكز القوى..........................

....

....

....

ثورة مايو انتزعت الخوف من قلوبنا وأطلقت ألسنتنا وأعادت الثقة فى سواعدنا، وعقولنا ومستقبلنا. كنا دولة بلا قانون، فأعدنا للقانون هيبته، سيادته. كنا نظاما بلا ضمان فأعدنا الأمن والأمان لكل مواطن. كنا أقلية تحكم بالحديد والنار، وأغلبية مغلوبة على أمرها لا حول لها ولا قوة، وأصبحنا أغلبية تتمتع بحقوقها، ولا تطغى على حقوق الأقلية الآمنة.

ثورة مايو أعادت للبلاد الديمقراطية التى افتقدناها طويلا، فألغت الحزب الواحد والرأى الأوحد، وسمحت بقيام الأحزاب وتعددها، وتباينها، وبدأنا نسمع الرأى والرأى الآخر. وقرأنا نقدا عنيفا - فى صحفنا - لأولى الأمر فينا، ولم تصادر الصحف، ولم تتكسر الأقلام، ولم تفتح السجون والمعتقلات من جديد...

....

قولوا كل شىء، عن أى شىء فى مصر..

هاجموا كل ما تحققه مصر من إنجازات وانتصارات، واسخروا كما يحلوا لكم من معارك أكتوبر، واسترداد سيناء، واستصلاح الصحراء، والتعمير، وقناة السويس، والانفتاح، والجيش المصرى، فربما ترضى هذه السخرية نزعة الكراهية فى قلوبكم،

وعقولكم.. ولكن أرجوكم اتركوا ثورة ١٥ مايو فى حالها.. فإنها أعظم، وأعز، إنجازاتنا.. إنها أعادت الروح والحياة، لشعب مصر فاتركوها فى حالها..»

ياربّاه..

يقول عما حدث فى مايو إنه أعظم من معارك أكتوبر!!!

وأود هنا أن أسأل سعدة سؤالا: ماذا حصدنا من ما تسميه «ثورة» مايو؟.. فالحزب الواحد بقى كما هو.. والصحف كما هى.. والصحافيون الذين تكلموا عن عام الحسم (١٩٧١) بعد انقضائه بلا حسم دخلوا السجون..

ماذا جنت مصر؟

فمؤامرة مايو التى قام بهاالسادات كان وراءها دافعان: الأول هو إرضاء الأمريكان الذين كان يعمل لحسابهم، والثانى هو التخلص ممن كانوا يريدون أن «يتعشوا» به، فتغذى هو بهم.. دوافع شخصية محضة.. ولم يقل عليها السادات سوى أنها «حركة» التصحيح، ولم يسميها «ثورة» إلا بعد حرب أكتوبر.. ولكننا فى أول ١٥ مايو جاء بعد حرب أكتوبر (١٩٧٤) فوجئنا بشىء اسمه «ثورة» التصحيح.. ثم تلت ذلك ثورات نعجز عن حصرها..

لا مذابح للحريات

فى ١٢ مايو ١٩٨٠، قدمت وزارة الدكتور مصطفى خليل بمصر استقالتها، وشكل السادات الوزارة الجديدة برئاسته، وفى ١٥ مايو ١٩٨٠، دعا السادات الناخبين لإجراء استفتاء على تعديل الدستور، وكان كل همه هو تعديل المادة ٧٧ من الدستور التى كانت تحدد مدة رئاسة الجمهورية بست سنوات بحد أقصى مدتين، فأطلقها بعبارة «مدد أخرى» وكانت نتيجة الاستفتاء - كالعادة - ٩٩,٩٩٩٪ موافقون.

وبدا للجميع أن الرجل قد فقد صوابه، خاصة بعد أن امسك بيمينه العصا «الفرعونية» وجمع كل السلطات فى يده.

فانبرى.. نعم إنبرى سعدة، وقفز علينا فى العدد ١٨٥٦ من أخبار اليوم الصادر فى ٣١ مايو ١٩٨٠، بمقال فى «موقفه» السياسى، الذى يشبه موقف سرفيس العتبة، وكتب

مقالاً «ملتهبا» تحت عنوان «المتشككون» جاء فيه:

«اشاعوا أن الوزارة الجديدة لا هم لها هذه الأيام سوى البحث عن أسرع الطرق للبطش بالمعارضة، وخنق الرأى الآخر، وكسر الأقلام التى تعترض، وقطع الألسنة التى تنتقد!

وقالوا إن البلاد ستشهد قريبا مذبحة للحريات، تعيد إلى الأذهان سلسلة المذابح التى عاشتها مصر فى ماضيها القريب، وقبل ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١.

وكتبوا يترحمون على الديمقراطية، وأكدوا أن البلاد مقبلة على نظام ديكتاتورى لا حدود لظلمه، وقسوته!

والغريب أن هذا كله سمعناه عبر الميكروفونات، فى القاعات والسرادقات، وقرأناه مكتوبا، فى الصحف التى تصدرها الأحزاب المعارضة! وانتقلت هذه الشائعات إلى خارج الحدود، وأذاعتها أبواق دول الرفض، وأبرزتها صحفها، وبالغت فى أهوالها أجهزة إعلامها التى لا هم لها سوى التشهير بكل كلمة تقال، وبكل عمل يتم داخل مصر.................

....

....

إن الرجل الذى أعاد للبلاد حريتها، وللقانون سيادته، وللفرد كرامته، وللحق قدسيته، لا يمكن أن يسمح بإعادة عجلة الزمان إلى الوراء.

إن الرئيس الذى رفع شعار «الديمقراطية.. ومزيدا من الديمقراطية، لا يصلح ديكتاتورا، يخرس الألسنة، ويكسر الأقلام، ويسلب الحرية.

إن الحاكم الذى ألغى الحزب الواحد، والقلم الأوحد، لا يمكن أن يفكر فى خنق الآراء وإرهاب أصحابها، وذبح حناجرها!...».

ومع ذلك صدق من سماهم سعدة «المتشككون».. صدقوا فى كل حرف قالوه.. وحدث أكثر بكثير من كل ما أشار إليه سعدة بالنفى.. ولا تعليق.

●●●



وواصل سعدة سيمفونية الغزل فى سياسة السادات، فكتب فى العدد ١٨٧٠ الصادر فى ٦ سبتمبر ١٩٨٠، فى موقفه السياسى، تحت عنوان «التضامن المرفوض» يقول:

«هل يوافق الشعب المصرى على الإطاحة بنظام الرجل الذى أعاد للقانون سيادته، وللإنسان المصرى أمنه وأمانه، وللبلاد حريتها، وللقوات المسلحة قدرتها، وللسيادة المصرية استقلالها، لا لشىء إلا «ليتنازل» القذافى، والأسد، وصدام حسين، ومن معهم ويوافقون على إعادة العلاقات الدبلوماسية معنا!؟..

...

والتضامن الذى يفرضه مجنون. مثل القذافى. أو حاكم فاسد. مثل الأسد. لا نريده، ولا نسعى إلى تحقيقه. وعملية السلام التى أيدتها الغالبية العظمى من الشعب المصرى لا يمكن التنازل عنها لا لشىء إلا لنعود ونستمتع بمعانقة أبو عمار ومن معه من الأبطال المغاوير، نسور وغربان الثورة الفلسطينية، ونغنى معهم «عائدون.. عائدون!» لمدة ثلاثين سنة أخرى!».

وفى عموده الأخير، بالعدد ١٨٧٧ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٥ أكتوبر ١٩٨٠ كتب سعدة يقول:

«عشر سنوات مرت على تولى الرئيس أنور السادات، رئاسة الجمهورية المصرية، وما أكثر الأحداث التى عشناها خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة وما أكثر ما سجله التاريخ عن تلك الفترة فى حياة مصر والمصريين...

....

وفى رأيى أن أهم ما حققه الرئيس السادات هو ما حدث فى ١٥ مايو ١٩٧١ وبعد شهور قليلة من توليه رئاسة الجمهورية، وفى أعقاب وفاة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.

ولن يقدر أهمية هذا الحدث إلا الذين عاشوا الفترة التى سبقت ١٥ مايو، وقارنوها بما حدث بعدها، هؤلاء فقط هم الذين يمكنهم أن يعطوا للحدث أهميته، وقيمته، وأبعاده......

....

....

وحكام العالم كله يقفون عند حدود معينة لا يمكن لأكثرهم استبدادا وديكتاتورية، أن يتخطوها. ولكن حكام مصر فى عهد ما قبل ١٥ مايو أطلقوا العنان لسلطاتهم، وإرهابهم، وديكتاتوريتهم، فلا القانون يهم، ولا حرية الفرد تحترم، ولا أبسط مبادىء الإنسانية يلتفت إليها!..

....

عهد ما بعد ١٥ مايو ألغى هذا كله..»

آى والله يا أخى..!

حقا.. إذا لم تستح فاكتب ماشئت

الانضباط.. الإنضباط!!

رأى قائد «ثورة» مايو العظيمة أن المواطنين فى حاجة لمزيد من الحرية فقرر أن تغلق المحلات التجارية وجميع محال الرزق أبوابها من الخامسة مساءً، فأى محل تجارى، أو

ورشة، أو حتى صالون حلاقة، لابد وأن يغلق أبوابه من الخامسة مساءً، ولابد أن ينام كل المواطنين بعد العشاء مباشرة - بدون شرب لبن - حتى إذا ما تجولت فى شوارع المدينة بعد هذه الساعة تجدها خاوية على عروشها تنفيذا لأوامر فرعونها!!

وحول هذا «الإنجاز» الساداتى العظيم، كتب عمنا إبراهيم فى عمودة الأخير، بالعدد رقم ١٨٧١ الصادر فى ٨ نوفمبر ١٩٨٠ يقول:

«اليوم يبدأ إعادة الإنضباط إلى الشارع المصرى، ولا أعتقد أن مواطنا واحدا يرضى عما يحدث حاليا فى شوارع القاهرة، كما أتصور أن كل زائر، أو سائح، لابد أن يصاب بفزع، وهلع، فى كل مرة يتجول فيها فى عاصمة أكبر دولة فى العالم العربى!

فالذى يحدث فى عاصمتنا الكبرى لا يمكن السكوت عليه، ولا يمكن قبوله، أو حتى التعود عليه! فالقاهرة لم يكن هكذا حالها قديما. حقيقة أن كل مدينة يزداد عدد سكانها سنة بعد أخرى، لكن زيادة عدد سكان القاهرة لا يمكن أن تكون وحدها هى المسئولة عن فوضى الشوارع، وقذارة بعضها، واستهتار الغالبية العظمى من قائدى السيارات بآداب المرور، وعدم اهتمامهم بالمخالفات والغرامات التى توقع عليهم!.............

...»

وراح سعدة - ذلك الإبراهيم - يتكلم فى بقية مقاله عن الزحام، وكيف أن هذه القوانين «المجحفة» ستقضى عليه!!.. لكن كيف ستقضى عليه بالله عليكم؟!.. فالموظفون يخرجون من مكاتبهم فى الثانية ظهرا، والعمال يخرجون من مصانعهم فى الثالثة ظهرا، وهناك قطاعات أخرى تمتد ساعات عملهم حتى الرابعة والخامسة.. فإذا ما أراد أحد قضاء حاجة له فى السوق فمتى يقضيها؟.. ثم أن هذه القرارات «الفراعونية» تضاعف الزحام لأقصى درجاته، إذ أن ضيق مساحة الوقت أمراً سيضطر معه المواطنون إلى الخروج فى وقت واحد لقضاء حاجاتهم.. والموظف الذى كان يعمل «صبيا» لدى أحد الصناع أو المعلمين بعد الظهر لمقاومة الغلاء قد انقطع رزقه.. والآخر الذى كان «يصلح روادى» بعد الظهر انقطع عيشه.. والعامل الذى يخرج من مصنعه فى الرابعة ترك قطعة القماش التى اشتراها من حصيلة «جمعية» قبضها لتكون له «جلابية» تركها لدى الترزى، لأنه كلما يذهب إليه يجد الترزى قد أغلق أبوابه لأن الساعة تجاوزت الخامسة!!.. فإذا ما دقت

الخامسة فلابد أن تغلق جميع الأبواب، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور لمن يخالف ذلك، فذاك «الساعاتى » إضطر أن يغلق على نفسه الباب وهو بداخل المحل، ونسى أن بالمحل إحدى الآنسات كانت تصلح ساعتها، لكنه آثر أن تبقى لديه من أن يفتح الباب فتختطفه عساكر الدورية، ولما انغلق الباب عليهما وكان الجو باردا فالتصقا يستدفئان.. فوقع المحرم والمحظور.. وصارت الآنسة سيدة.. ثم أضحت أما ولما حاول الساعاتى تصويب خطأه وينسب الطفل إليه وجد أن ذلك لا يجوز شرعا لاختلاف الملل... ولما تعقدت مشكلة نسب الطفل حلوها بأن نسبوه إلى أنور السادات، فأسموه «إنضباط محمد أنور السادات»..

ودقت الساعة الخامسة على عم الحاج وهو فوق كرسى المزين بأحد صالونات الحلاقة، فطرده الحلاق ونصف شعره محلوق والآخر بحاله.. خوفا من أن يطاردهم المدعو «إنضباط أنور السادات»..

كان الرعب يملأ القلوب.. والخوف يطلى الوجوه.. والدعاء إلى الله سيلا لا ينقطع من أعماق قلوب المساكين الذى انقطع عيشهم، بأن يريهم يوما فى أنور السادات..

واستجاب الله لدعائهم..

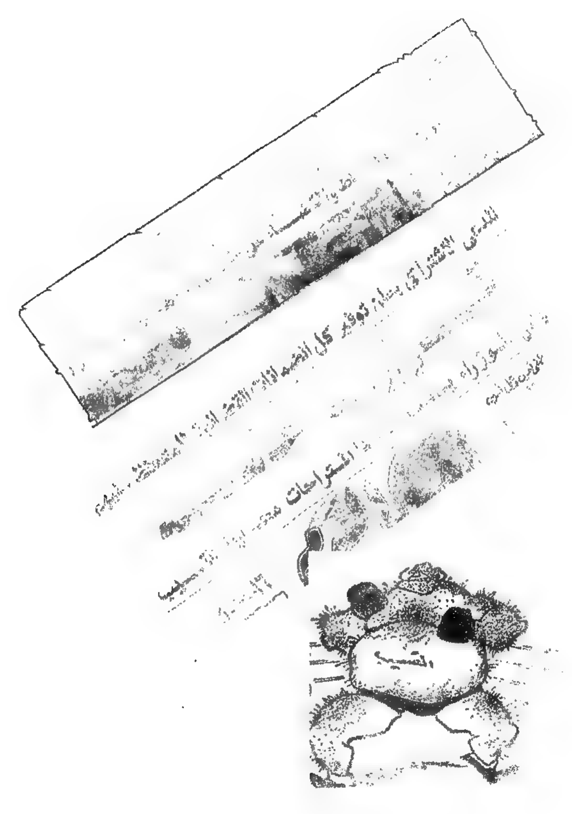
ورأوا - مع كل العالم - يوما فيه مضرجا فى دمائه.

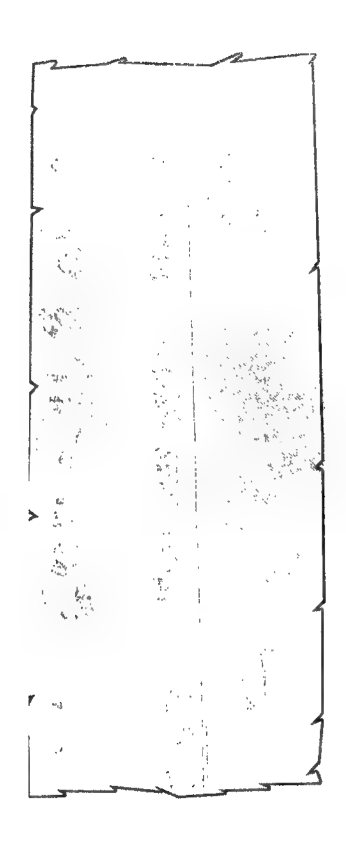
ومرت الأيام.. وجاء اليوم الذى صعدت فيه روح المدعو «إنضباط أنور السادات» إلى الأرض.. نعم لم تصعد روح هذا المخلوق إلى السماء، بل صعدت إلى الأرض.. وانكسر القيد..

وعادت الحرية.. عادت ما كان يسميها سعدة «فوضى» فهل يجرؤ العم سعدة أن يقول عنها إنها فوضى.. هل يجرؤ أن يعارض عودة الحال إلى ما كان عليه من عشر سنوات؟؟..

إنها فعلا فوضى يا سعدة.. فكيف نسمح لأبواب الرزق أن تعمل كيفما تشاء لا كيفما يشاء الحاكم؟؟..

ليتك يا سعدة تأمر قلمك العظيم أن «يتقيأ» شوية حبر أسود - على وشك - لتعارض فيه هذه «الفوضى» حتى نعود ثانيا للإنكماش فى منازلنا مع حلول الظلام ولا نتعرض لإيذاء العفاريت.





أعظم الإنجازات

ولايزال سعدة ينثر حروف الكلم كالورد غزلا فيما أسموه «ثورة» التصحيح، فكتب في «موقفه» السياسي، الذي لا يختلف عن «موقف» أحمد حلمي، بالعدد درقم ١٨٨١ من أخبار اليوم، الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٨٠ يقول:

«..

عشنا في ظل القمع، والردع، والإرهاب، الذين رفعوا رؤوسهم فوجئوا بقطعها وبترها، والذين اتهموا بالسلبية، جردوا من أموالهم، وحرموا من حقوقهم، وطردوا من مساكنهم وأبعدو عن ذويهم!

وعشنا في وهم، وخيال، ومتاهات لا أول لها ولا آخر فالظلم أصبح عدلا: والإرهاب تحول إلى امن! والحرمان صار فخراً! والهزيمة وصفت بأنها نكسة! والعزلة عن العالم كله أكدت إنتشار مبادىء، وشعبية نظامنا في كل مكان! وقد انتهى هذا كله في ١٥ مايو ١٩٧١..

وعندما يكتب التاريخ ما فعله أنور السادات منذ توليه رئاسة مصر، وحتى هذه اللحظة، فإن أروع وأهم انجازاته وانتصاراته سيتركز. أولا . في الثورة التي قام بها في ١٥ مايو.

ولن يستطيع احد ان يقدر اهمية ما حدث بعد ١٥ مايو، إلا الذي عاش فترة ما قبل هذا اليوم. ولن يجرؤ اي معارض لحكم السادات أن ينتقد ما جاءت به ثورة ١٥ مايو لشعب مصر من حرية، وأمن، وأمل، وإلا كان متناقضا مع نفسه، ومتعارضا مع ما ينادي به.

ثورة ١٥ مايو انطلقت الألسنة، وأطلقت الأقلام، وأفسحت الطريق أمام الرأي الآخر، وسمحت بالمعارضة، وشجعت على قيام الأحزاب، بعد أن الغت الحزب الواحد، والرأي الأوحد...

....»

الصحافة الجديدة!!

وفي ذات العدد من أخبار اليوم رقم ١٨٨١، والمشار إليه سابقا، كتب عمنا إبراهيم في عموده الأخير عما أسماه «الصحافة الجديدة»، ومضى يتحدث عن ضرورة وجود صحافة جديدة، وكتب يصف في هذه الصحافة من على لسان شخص آخر، أشار إليه

[illegible] كثيرة ، ومظالم ، أن نسناها أبدا ..

[illegible] وطن . الذين [illegible] (لا [illegible] النظام [illegible] ، والذين حاولوا الاصلاح [illegible] ما وراء الشمس !

[illegible] ذلك القمع ، والردع ، والارهاب [illegible] فوجئوا يقطعوا ويتردا ، والذين [illegible] جردوا من أموالهم ، وجردوا من [illegible] عن مساكنهم ، وابعدوا عن ذويهم !

[illegible] وخيال ، ومتاهات لا اول لها ولا آخر ، [illegible] والارهاب [illegible] ! والحرمان [illegible] بأنها [illegible] ! والعزلة من العالم كله [illegible] في كل مكان !

[illegible] انتهى هذا كله في ١٥ مايو ١٩٧١ ..

[illegible] التاريخ ما فعله الرئيس [illegible] السادات ، [illegible] ومتى هذه اللحظة ، فان أروع واهم انجازات [illegible] في الثورة التي [illegible] ١٥ مايو .

[illegible] يستطيع احد أن يقدر [illegible] ما حدث [illegible] الا الذي عاش فترة ما قبل هذا اليوم ، [illegible]

[illegible] معارض لحكم [illegible] أن [illegible] مايو لتسترد مصر من حرية ، وامن ، وامان ، [illegible] مع أنفسهم ، وتشاورهما [illegible]

[illegible] انطلقت [illegible] ، وأقلام الاعلام ، [illegible] وسمحت بالمعارضة ، وشجعت على [illegible] الحزب الواحد ، والرأى الأوحد .

[illegible] اليوم واضحة ، وحقيقية ..

[illegible] ، [illegible] ، [illegible] الصفحات [illegible] التعارض ، [illegible] ، وتطاول على [illegible]

[illegible] ، ورجال [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ديمقراطية ، [illegible] ثورات شعبية !

[illegible] الحرية ، التي [illegible]

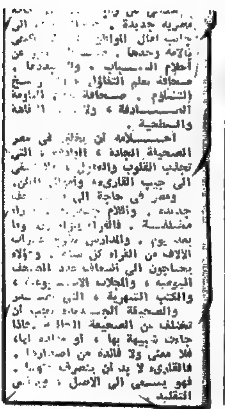
[illegible] للشعب [illegible]

[illegible]

فى مقاله «محدثى» وقال إن محدثه هذا يتمنى أن يخلق فى مصر صحافة جادة وهادفة، تجذب القلوب والعقول، وأنهى مقاله بهذه الفقرة:

«...إن أحلام محدثى فى الصحافة الجديدة تنتهى وإيمانه بضرورة تلك الصحافة لا يتزعزع وثقته فى الجيل الجديد من الصحفيين جعلته يطمئن على قرب ظهور تلك الصحافة، وعلى نجاحها أيضا».

●●●



آخر عمود

الصحافة الجديدة

حدثني عن [illegible] صحافة مصرية جديدة . [illegible] الى جانب امال المواطن [illegible] بآلامه وحدها . [illegible] عن أحلام الشباب . ولا [illegible] بعدها . صحافة تعلم التفاؤل [illegible] التشاؤم . صحافة [illegible] المقاومة الصادقة ، ولا [illegible] التافهة والسطحية .

أحلامه أن يخلق في مصر الصحيفة الجادة ، الهادفة ، التي تجذب القلوب والعقول ، ولا [illegible] الى جيب القارىء وأموال المعلن .

ومصر في حاجة الى صحف جديدة . واقلام جديدة . وآراء مختلفة . فالقراء يتزايدون يوما بعد يوم . والمدارس [illegible] الآلاف من القراء كل سنة . وهؤلاء يحتاجون الى أضعاف عدد الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية ، والكتب الشهرية ، التي [illegible]

والصحيفة الجديدة يجب أن تختلف عن الصحيفة [illegible] فاذا جاءت شبيهة بها ، أو [illegible] فلا معنى ولا فائدة من اصدارها . فالقارىء لا بد أن يتعرف [illegible] . فهو يسعى الى الاصل [illegible] التقليد

ولما جاء العدد التالى من أخبار السادات (أو أخبار اليوم) وكان رقم ١٨٨٢، بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٨٠، اكتشفنا أن «محدثى» هذا هو أنور السادات، وأن الصحافة الجديدة التى يبشر بها هى جريدة «مايو» التى صدرت عن الحزب الوطنى الديمقراطى بعد ذلك بثلاثة أشهر برئاسة تحرير المدعو إبراهيم سعدة.

التسيب .. !!

كانت آخر جرائم أنور السادات، تلك المذابح الدامية للحريات، التى أقامها فى احتفالات مهيبة شهدها الدانى والقاصى، خلال شهر سبتمبر ١٩٨١، ورفع السادات شعاراً لو نطقة «ولى» لأدخله جهنم، ومع ذلك تحول إلى «حكمه»، تزينت بها كل الصحائف والجدران، هذا الشعار هو «لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين»!! وقال إنه لا «تسيب» بعد اليوم..

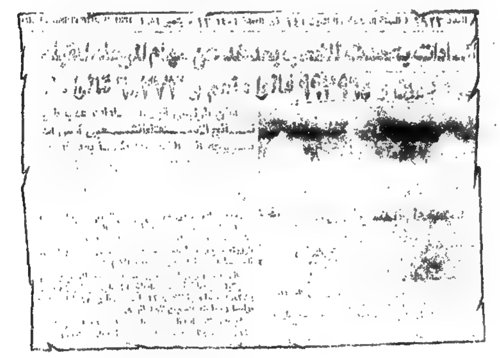
وفى تبرير، وتبجيل، وتعظيم ذلك، كتب «أخصائى» تبرير كافة القرارات والتصرفات التى تصدر عن الحاكم - أى حاكم - فى أى زمن، كتب الصحفى «المؤمن» إبراهيم أبوسعدة فى «الموقف» السياسى، بالصفحة الثامنة من عدد أخبار اليوم رقم ١٩٢٤ الصادر فى ١٩ سبتمبر ١٩٨١، تحت عنوان «التسيب» يقول:

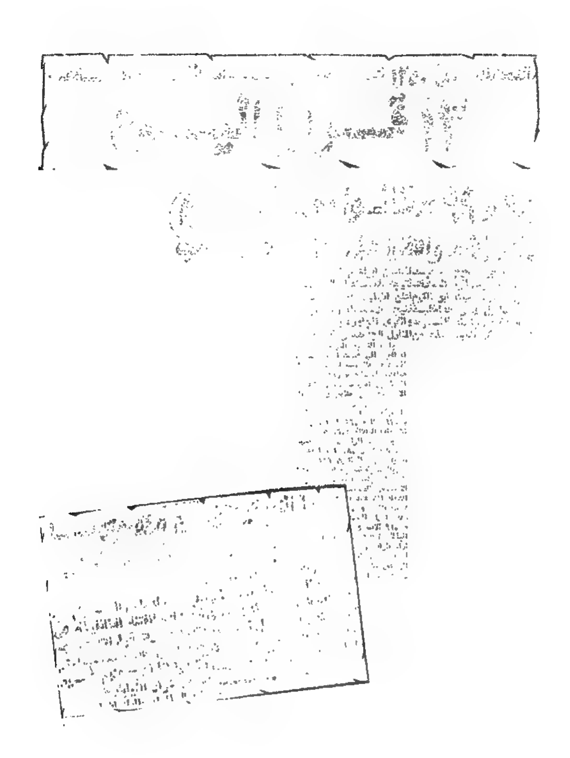
«لا أحد يوافق على حالة التسيب التى عشناها فى الفترة الماضية البعض وصفها بأنها لا مبالاة بأى شىء وكل شىء! والبعض الآخر حددها بأنها فوضى لم نشهدها من قبل! والجميع اتفقوا على ضرورة التصدى لتلك الحالة، وقمعها، وإنقاذ مصر من اخطارها. وهذا يحدث الآن..

بدأت الدولة التصدى، باتخاذ عدد من الإجراءات أحدثت دويا هائلا على المستوى المحلى، وعلى المستوى العالمى، لدرجة أن مجلة فرنسية - بارى ماتش - وصفتها بأنها ضربة لم يسبق للرئيس أنور السادات أن وجهها بمثل هذه القوة، لا فى عام ١٩٧٢ عندما طرد الخبراء الروس، ولا فى عام ١٩٧٣ حينما شن حرب اكتوبر، ولا حتى عام ١٩٧٧ عندما فاجأ العالم كله بزيارته المذهلة إلى القدس.

الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى أيدت تلك القرارات، وجاء هذا التأييد كخطوة لابد منها فى طريق التصدى لحالة التسيب التى ضج منها، وأفقدته الكثير من الحماس والآمال لمستقبل يسعى إليه ويتمناه.........................»

لقد رأى هذا السعدة أن مذبحة الحريات، التى تفرد بها أن السادات عن كل حكام الأرض فى زمنه.. رأى هذا السعدة أن هذه القرارات أعظم من قرار حرب أكتوبر!!.. وهو لا يقول ذلك من فراغ، بل نقلا عن المجلة المنزلة التى تسمى «بارى ماتش»!! أنا أيضا قرأت مثل هذا الكلام..





لكن قرأته فى مجلة «اللى لى.. اللى لى.. لو..».. قرأت أن السادات الذى كان رجل المخابرات الأمريكية سابقا، قد احترق.. أصبح ورقة محروقة بالنسبة لهم كعميل مخابراتى.. وبالتالى لابد أن ينتهى.

وكان أن قالت له الإدارة الأمريكية:

- يا مستر سادات..

- أفندم

- إنت مش عارف تمسك البلد

- إزاى؟!

- البلد فى حالة «تسيب»!!

- إزاى وأنا عندى «النبوى» ماسك البلد باللجام والكرباج؟

- الجيش ها يتحرك ضدك إذا لم تفعل شىء وقائى..

- أعمل إيه؟

- إضرب المربوط يخاف السايب.

- الأمر والطاعة يا مولاى «أثر تون»..

وهكذا استدعى السادات وزير داخليته النبوى إسماعيل وقال له:

- لواء نبوى..

- أفندم

- إحنا هانروح فى الباى باى..

- الباى باى دى فين يا فندم.. عاصمتها إيه؟

- يا نبوى قصدى هانروح فى أبونكلة

- إزاى يا ريس.. دا إنت «حبيبنا»، وإنت «رئيسنا».. ومراتى طول الليل والنهار بتغنى لك بكدة.. أنا ها أروح أجيبها!!

- رايح فين يا نبوى؟

- رايح أجيب الأسطوانة يا فندم..

- باقولك البلد فيها تسيب يا نبوى، تقوللى إسطوانة؟

- بصراحة يا فندم أنا مش فاهم يعنى إيه «تسيب»..

- يعنى «تسيب».. دى مش مهمتك.. دى مهمة سعدة، ومنصور، وأباظة، وموسى، ورجب، ومحسن، وعبدالبارى، والحيوان.. وغيرهم.. وغيرهم.. أما «منع» التسيب.. دى مهمتك يا بطل..

- أنا تحت أمرك يا فندم.. لازم أمنعه.. ولو بالجزمة ها أمنعه..

- إنت قواتك كام يا نبوى؟

- حوالى ٣٥٠ ألف عسكرى بس..

- عندك مصفحات.. مدافع.. طيارات..

- لأه.. بس يا ريت يا فندم يكون عندى الحاجات دى، وياريت يكون معاهم شوية صواريخ كمان علشان ندمر بها «الدواليب» إللى بيختفى فيها الحرامية ولاد الكلب.

- هاتاخذ كل إللى إنت عاوزه م الصبح.. مصفحات.. مدرعات..

- هانعمل «عرض» يا ريس؟..

- لأه.. ها تسجن كل الناس..

- كل الناس؟؟

- كل إللى ما أيدوش ثوراتى..

- الثلاث ثورات؟

- المائة ثورة يا غبى.. إنت نسيتهم ولا إيه؟..

- العفو يا فندم.. أنا ذاكرتى ضعيفة شوية.. ولا أتذكر لجنابكم سوى ثورة ١٩١٩، وثورة ١٩٥٢، وثورة ١٩٧١، وعلى ما أذكر أيضا ثورة المصريين ضد خورشيد باشا عام ١٨٠٥.. دا إنت حبيبنا..

ـ جرالك إيه يا نبوى.. إنت مش ضعيف الذاكرة وبس.. إنت جاى من غير دماغ خالص.. علشان كدا واقف بالشراب بس.. نسيت ثورة طرد الخبراء السوفيت، والثورة الخضراء، وثورة المجتمعات العمرانية، و الثورة الإدارية، وثورة الأمن الغذائى، وثورة الضرائب، وثورة المعاشات، وثورة الفن...

ـ أنا افتكرت دلوقت يا فندم كل الثورات دى، بس كان مخى مشغول فى وثيقة اكتشفتها هيئة الآثار، عبارة عن بردية تؤكد أن جنابكم هو اللى طرد الهكسوس من مصر وغرقهم فى قناة السويس.. دا إنت رئيسنا..

ـ يا نبوى.. قناة السويس ما كانتش موجودة أيام الهكسوس..

ـ أيوه يا فندم.. عارف إن جنابك «فحرتها» بعدما طردت الهكسوس من مصر.. دا إنت حبيبنا..

ـ سيبك من الكلام دا دلوقت يا نبوى.. أنا عاوز ملحمة.. عاوز كل الكلاب ولاد «الـ....» اللى ما أيدوش ثوراتى.. تجمعهم كلهم فى السجن.. عاوز ملحمة يا نبوى.. الشعب عايز «لحمة» وأنا زيهم عاوز «لحمة» ومعاها «م».. ملحمة.. علشان نكمل الثورة الـ١٠٠ قبل التاريخ ما ينام..

ـ السمع يا مولاى.. الطاعة يا حبيبنا..

ـ إنصراف يالوا..

أنا قرأت هذه التفاصيل فى مجلة «السح الدح إمبو» وجريدة «شيك شاك شوك»، والإثنتان نقلتا هذا الحوار العظيم عن وكالة أنباء «زوزو النوزك والزوزو».. وهى مؤسسات لها ثقلها الإعلامى، وتأسست فى عهد الدولة الساداتية، وبالتالى فإن مجلة «البارى ماتش» التى نقل عنها سعدة تعظيمها لمذابح السادات، مجلة مصادرها ضعيفة، ورؤاها للأحداث تكون غير صائبة..

.. وقتل السادات

وراح رجل الثورات.. راح ضحية لآخر ثوراته التى اختلفت الآراء فى ترقيمها، فمنهم من قال إنها ثورته رقم ٧١، ومنهم من قال إنها رقم ٢٠٢ من شبرا الخيمة إلى بولاق

الدكرور يا قلبى لا تحزن. إختلفت الآراء كثيرا بعدد الفارق بين هذين العددين، ٧١ و٢٠٣، لكن المقطوع به إنها محصورة بين الـ١٣٢ من هذه الأرقام!.. ولم يكن لها سوى أثر واحد.. كان الإنفجار هو النتيجة الحتمية لثورة السادات رقم «من ٧١ - ٢٠٣».. كان المقطوع به هو أن يقتل حتى فى أحسن درجات التفاؤل.. كان لابد أن ينتهى هكذا حتى لو راح نصف سكان البلد شهداء فى سبيل ذلك..

لم يقدر حرسه الفولاذى على حمايته.. ولم تحمه قواته المسلحة.. ولم تحمه قوات النبوى.. ولم تتدخل المخابرات الأمريكية لتخبره بخطة اغتياله وهى التى تسمع دبيب النملة فى أى مكان بالعالم.. لم يشفع له أنه كان رجلهم..

ومن كان سيشفع له غيرهم؟!!

رجال الدين؟.. الذى قال على أحد رموزهم - الشيخ المحلاوى - مرمى «زى الكلب» فى السجن؟!

أم طلاب الجامعات الذين أُغلقت جريدتهم، وحُلّت مجالس اتحاداتهم، وجعلوها تخضع لرئاسة عمداء الكليات؟!..

أم أساتذة الجامعات الذين نقلهم لوظائف إدارية.. ثم أدخلهم السجون؟!

أم رجال الأحزاب، وأصحاب الأقلام الشريفة الذين كانوا وقتها أسرى ظلام سجونه؟!

أم نقابة المحامين «المعينة»؟!

أم رجال القضاء الذين خضعوا لرئاسة وزير العدل؟!

أم مجلس الشعب المزور؟!

من كان سيشفع له؟؟ من؟؟!!

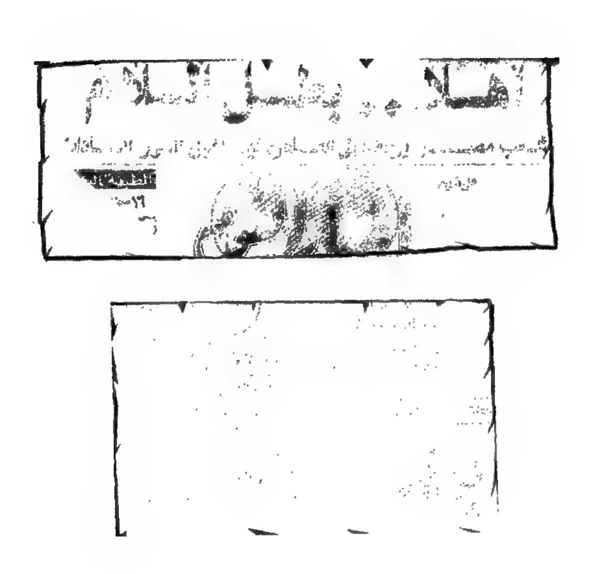
الشعب الجائع؟.. المرعوب؟..

سكان الخيام؟.. أم سكان العشش؟.. أم سكان القبور؟

من كان سيشفع له؟؟

الأمهات الثكالى عن أبنائهم - الصبية - المسجونين؟

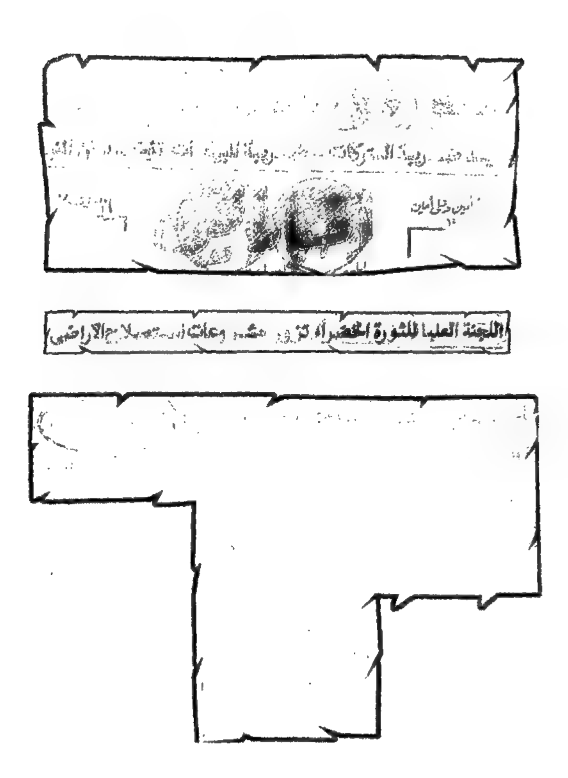
الآباء الذين انتهكت حرمة منازلهم فى ظلام الليل بحثا عن شىء بالمنزل ليصادروه حتى ولو كان علبة مبيد حشرى؟!



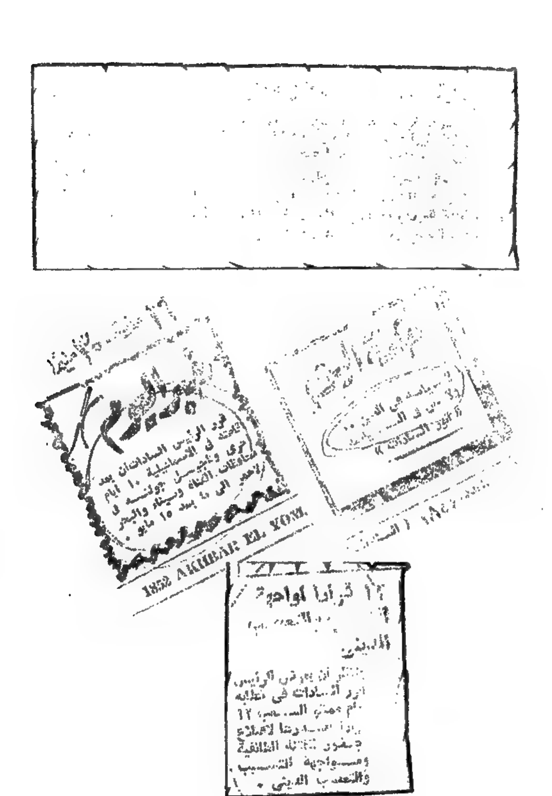


[illegible] ... [illegible] سلام

ازدانت شوارع القاهرة وميادينها [illegible] الاعلام وصور حمام السلام .. للترحيب بالقائد البطل [illegible] عودته من رحلة [illegible] سلام .. وزحفت على القاهرة [illegible] طنين من جميع المحافظات [illegible] السادات وتأييد [illegible]



اللجنة العليا للثورة الخضراء تزور مشروعات استصلاح الاراضي


الرئيس السادات
في الاسماعيلية ١٠ أيام
مفاوضات القناة وسيناء والبحر
الى ما بعد ١٥ مايو
1952 AKHBAR EL YOM
الثقافية
والتعصب الديني

من كان سيشفع له؟؟.. من؟.. من؟..

راح غيرمأسوفا عليه..

راح مخلفا وراءه أكثر من ٣٠ استراحة فى جميع أنحاء مصر. وعدة آلاف من البدل والكرافتات التى حارب وناضل بها ليحصل على لقب «أشيك» رئيس فى العالم، بعدما قالت له «البارى بطاطس» أنه ثانى أشيك رئيس فى العالم، ولا نعرف كم ألف قميص ترك، وكم ألف حذاء، وكم ألف شراب، وكم ألف سروال داخلى تركها ثانى أشيك رئيس فى العالم.. والأهم من ذلك كنا نود أن نعرف كم «غليون» تركها من تلك التى كانت تفوح منها الأدخنة الزرقاء.. التى «سلطنت» مزاج الشعب فجعلته يضحك حتى البكاء.. ثم يبكى حتى الضحك!!..

ونعود لعمنا برهوم..

أول عدد من أخبار اليوم صدر بعد قتل السادات، كان فى ١٠ أكتوبر ١٩٨١، بعد مقتل أنور بأربعة أيام.. وكتب سعدة مقالا «بهلوانيا» يكاد يحسد عليه، كان بعنوان «ليس وفـاء فـــقط..!» وراح يهاجم فيه الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الأسبق أثناء حرب أكتوبر، والذى قاد الجيش المصرى إلى سيناء، ثم اختلف مع السادات، وكان أن «نفاه» السادات عن مصر.. ولما كتب الشاذلى كتابا عن حرب أكتوبر، وشرح فيه أسباب خلافه مع السادات، وكشف حقيقة «الثغرة» للعالم كله.. كان أن غضب السادات عليه، وحوكم غيابيا، وصدر ضده حكما غيابيا بالسجن. بلا أى داعى.. كتب سعدة مقالا «يشتم» فيه الفريق الشاذلى، ووصفه بالصفاقة(!!) لأنه أدلى بتصريح تليفزيونى يطالب فيه الرئيس الجديد لمصر بالإفراج عن كل المعتقلين السياسيين.

ومن بين ما كتبه سعدة عن الفريق الشاذلى نختار هذه السطور:

«...ل

يس مهما هذا كله.. المهم فقط ما قاله الفريق متقاعد سعد الشاذلى فى حديثه إلى مراسل هيئة الإذاعة البريطانية أول أمس وقال فيه: «إننى أطالب حسنى مبارك. إذا تم اختياره رئيسا للجمهورية. أن يبادر بالإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين. وأن يلغى

حالة الطوارىء فى مصر. وأن يجمد جميع القوانين والقرارات القمعية، وفى مقدمتها قانون العيب».

وأضاف الشاذلى: «إننى لا أعتبر حسنى مبارك مسئولا عن أى قرار اتخذه أنور السادات. والفرصة أمام مبارك لتأكيد هذا بإلغاء تلك القرارات!».

واختتم الشاذلى تعليقه مهددا: «أما إذا رفض مبارك، فإنه سيلقى المصير نفسه الذى لقيه السادات!».

الموهـوم..!

ولا أعرف إلى من يوجه الشاذلى حديثه، ولا أحد يعرف من هو هذا الذى يمكن أن يقتنع بكلام الشاذلى؟! . بكل بساطة . يريد أن يزعم أن السادات شىء ومبارك شىء آخر. يريد أن يقول أن نائب الرئيس، الذى إختاره الرئيس السادات ليشاركه المسئولية طوال ست سنوات الماضية، لا علاقة له بأى شىء جرى فى مصر خلال تلك الفترة. يريد أن يوهم نفسه . قبل غيره . أن نائب الرئيس كان فقط منفذا لقرارات لا يوافق عليها، ومراقبا لسياسة يرفضها، وحاملا لرسائل لا يعرف مضمونها، وموقعا على إجراءات لا علم له بها!..».

بالله عليكم.

بالله عليكم يا سادة.. أى جرم ارتكبه الشاذلى فى تصريحاته التى نقلها لنا سعدة؟!.. ما هى الجريمة التى ارتكبها الشاذلى هنا؟!.. على العكس تماماً من تأويلات سعدة.. فهى تصريحات أقل ما توصف به أنها «مثالية» وعلى مستوى مسئولية هذه المرحلة.. كلام زين وزى الفل والله العظيم..

إنه يبرىء نائب الرئيس من مذابح أنورالسادات.. يريد أن يقول أن الخلف أفضل بكثير من السلف.. لكن سعدة يصر على أن حسنى مبارك هو صورة طبق الأصل من أنور السادات.

ومع ذلك لم ينتقده سعدة بـ «أدب» وبـ «إحترام».. بل تطاول عليه، ونسى . أو تناسى . أن هذا القائد المبعد عن وطنه ظلما وعدوانا، كان قائد أركان حرب القوات المسلحة

المصرية أثناء حرب أكتوبر.. وأنه حينما يتحدث إلى المرشح رئيسا للبلاد «ناصحا» إياه.. فلا جرم فى ذلك.. فالإثنان زملاء سلاح.. وكان فى يوم ما يرأس اللواء طيار محمد حسنى مبارك حينما كان رئيسا لهيئة أركان الجيش.

المهم.. أن سعدة كان يراهن على أشياء يظن أنها لن تتحقق.. لكن الرئيس الجديد للبلاد حسنى مبارك خذله.. فأعاد كل الصحفيين المبعدين، وأساتذة الجامعات إلى سابق أعمالهم.. وأفرج عن كل المعتقلين السياسيين. وكتب سعدة بنفسه - صاغراً - خبر الإفراج عنهم فى العدد ٤٤ من الجريدة التى تسمى «مايو» بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨١، وهلل لقرارات الإفراج.. وساق مليون مبرر ومبرر، رغم سخريته وتطاوله على الفريق الشاذلى الذى طالب بذلك.. ورغم تأكيداته بأنهم «مجرمون» ولن يفرج عنهم.. لكن الرئيس مبارك أفرج عنهم.. فدخل سعدة جُحره يهيء نفسه للعهد الجديد.

وفى ٣ يناير ١٩٨٢، قضت محكمة القيم برئاسة المستشار رفعت خفاجي بإلغاء قرار السادات رقم ٤٩٠ لسنة ١٩٨١، الذى كان يقضى بنقل ٣٩ أستاذاً جامعياً إلى وظائف أخرى.

حركة .. أحداث «مايو» ..!

مات قائد المليون ثورة..

رحل قيصرة زمانه.. قُتل فرعون العصر الحديث..

وجاء أول «١٥ مايو» بعد موت قائد ثورة مايو.. جاء أول ١٥ مايو عام ١٩٨٢ وكان فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك.. فإذا الذى تعبد فى محراب «ثورة» مايو.. والذى تغزل فيها مع كل جرة قلم له.. والذى قال عنها أنها أعز ما نملك.. والذى قال عنها إن التاريخ سيقف أمامها طويلا طويلا، ولن يسجل شيئاً فى الإنسانية بعدها.. إذا به يكتب عنها مشيرا إليها بـ «أحداث» مايو ١٩٧١.. كتب سعدة فى «آخر عمود» بالعدد ١٩٥٨، من أخبار اليوم الصادر فى ١٥ مايو ١٩٨٢ مقالا طويلا غريبا.. عجيبا، ثلاثة أرباعه عن ثورة يوليو العظيمة، ثم دخل خجولا صغيرا للحديث عن ما كان يسميه «ثورة» مايو، فقال:

«..إن من حق أى فرد أن يعيد النظر فى رأى أبداه، وأثبتت التجربة خطأ هذا الرأى.. وليس هذا

عيبا، ولا نفاقا، ولا تراجعا.. ولكن.. فارق كبير جدا بين أن أسابق غيرى للتهليل لثورة ٢٣ يوليو، وأصفق لقادتها، وأهلل لقراراتها، سعيا وكسبا لرضاة القائمين عليها، وبين أن أهاجمها وأنتزع منها هويتها، وأرفض تسميتها، لمجرد فشلى فى التقرب منها والتحدث باسمها!

فارق كبير جدا بين أن أنتقد سلبيات ثورة ٢٣ يوليو، وأطالب بتصحيحها، بعد أن أعلنت مبايعتى لها، وبين أمسك بمعول وأحاول أن أهدم به كل ما فعلته الثورة من إيجابيات وسلبيات، بحجة أننى كنت مخدوعا فيها عندما بادرت بتأييدها عند نشوبها!

فارق كبير جدا بين أن أعلن تأييدى لثورة ١٥ مايو، وأتحفظ على تسميتها بالثورة، وأفضل أعتبارها حركة تصحيح لمسار الثورة الأم.. وبين أن أعلن تأييدى لها وأنا نجم من نجومها. وعلم من أعلامها، ثم لا أجد حرجا عندما أهاجمها، وأسلب إيجابياتها وأتندر عليها، وأكذب واقعها، بمجرد إبعادى عن سمائها!

هذا هو الخطأ

وهذا هو العيب!،

والله يا أخى أنت رجل لا تعرف ما هو العيب، فأنت لم تمتدح «ثورة» مايو مدح المتعقلين لكنك وصلت بها إلى أنها أعظم من

حرب أكتوبر!! وقلت فيها ما عجز عن صياغته قيس بن الملوح فى ليلى العامرية. وبمجرد أن يموت صاحبها تجيء بمنتهى السهولة وتكتشف أنها ليست ثورة؟!!

لماذا لم تكتشف ذلك فى حياة صانعها نفسه.. لقد كان صانعها يحس بالخجل من الحديث عنها أحيانا.. لكنك - وأمثالك - عرفت كيف تقنعه بأنها أغلى وأعز شيء قدمه لمصر.. فكانت هى «القنطرة» التى قفزت فوقها لرئاسة تحرير أخبار اليوم، ثم رئاسة تحرير الصحيفة التى حملت إسمها «مايو».. ألا تستحى يا رجل؟؟

●●●

وتعقد الدهشة ألسنتنا عندما نقلب صفحات ذات العدد من أخبار اليوم رقم ١٩٥٨، لنصل إلى الصفحة الثامنة، ونقف على رصيف «الموقف» السياسى، ونشاهد سعدة يدشن ثورة - أو ثورات - أخرى جديدة، وقائدها هنا هو الرئيس الجديد للبلاد محمد حسنى مبارك.

إبتدع سعدة حواراً بين إثنين، إختار للأول صفة محلل سياسى مخضرم، وللآخر صفة رجل مسئول قريب من سلطة إصدار القرار، وهذا جزء مما كتبه:

«..

وازداد حماس المحلل السياسى، وأضاف قائلا:

«نعم.. هذا ما أقصده بالحرف الواحد. فمصر تشهد الآن ثورة حقيقية بكل مواصفاتها، وأبعادها، وأوضاعها. ثورة عسكرية، واجتماعية، ودستورية، وسياسية، واقتصادية. ثورة تتطلع إلى الأمام ولا تنظر إلى الوراء. ثورة!».

وسأل المسئول السياسى القريب من سلطة إصدار القرار: «ومتى حدثت هذه الثورة التى تتحدث عنها، وتنتظر ما تنتظره؟!».

فأجاب المحلل السياسى: «حدثت يوم ٦ أكتوبر الماضى (١٩٨١) وبدأت بعد حادث المنصة الذى قتل فيه الرئيس أنور السادات!

فالذى حدث بعد هذا اليوم يجب ألا يكون له علاقة بما حدث قبله. وهذا ما كنت أعنيه عندما وصفت ما يجرى الآن بأنه ثورة جديدة بالمعنى المتعارف عليه..........................

....»

وازداد حماس المحلل السياسي [illegible]
[illegible] هذا ما نقصده بتعريف [illegible]
الآن ثورة حقيقية ، بكل مواصفاتها ، وابعادها ،
ومقاييسها . ثورة حضارية ، واجتماعية ، [illegible]
وسياسية ، واقتصادية . ثورة تتطلع الى الأمام ،
ولا تنظر الى الوراء . ثورة ! »

وسأل المسئول السياسي القريب من سلطة
اصدار القرار : « ومتى حدثت هذه الثورة التي
تتحدث عنها ، وتنتظر منها ما تنتظره ؟! »

فأجاب المحلل السياسي : « حدثت يوم ٦ اكتوبر
الماضي . وبدأت بعد حادث المنصة الذي قتل فيه الرئيس
انور السادات ! فالذي حدث بعد هذا اليوم [illegible]
تكون له علاقة بما حدث قبله . وعندما كنت [illegible]
عندما وصفت ما يجري الآن بانه ثورة جديدة بالمعنى
المتعارف عليه ! »

ورد المسئول السياسي : « لا اعتقد ان هناك من
يشاركك هذا الرأي . فلو حدثت الثورة التي
تتحدث عنها في يوم ٦ اكتوبر ، لما كان حاكم مصر
الآن هو الرئيس حسني مبارك . فالثورة — اي
ثورة — تأتي بقائدها ، وتسلمه امورها ، ويحقق
اهدافها . وعلى هذا الأساس كان يجب ان يحكم
مصر الآن خالد الاسلامبولي ، قاتل الزعيم الراحل
انور السادات ، او غيره ممن خططوا لجريمة ٦
اكتوبر الماضي ! »

لقد أراد سعدة أن يفتح الباب للحديث عن ثورات جديدة، ظنا منه أن الرئيس حسنى مبارك مثل سلفه، مغرم بالثورات، لكنه اصطدم بواقع كان جديداً عليه.. فدخل جُحره من جديد يبحث عن صيغة جديدة للإندماج بها مع النظام الجديد..

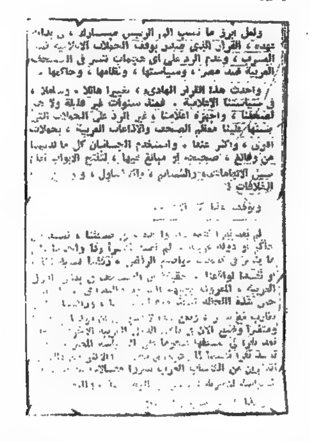
الحملات ضد العرب

قاد سعدة أسوأ وأقذر حملة إعلامية فى التاريخ، ضد حكام وشعوب الدول العربية الشقيقة، وأداها بنجاح يستحق عليه وسام من الجلد.. أو عدة أوسمة من الاستانلس ستيل، فلقد ظل لعدة أعوام لسان أنور السادات «الطويل» الذى ألصق بحكام وشعوب الدول الشقيقة ما هو أبشع مما قاله مالك فى الخمر..

وجاء الرئيس محمد حسنى مبارك..

أصدر ـ بصفة مستعجلة ـ أمرا بوقف الحملات الإعلامية المسعورة ضد العرب، ويحسب له أيضا فى هذا الصدد، أنه فى تلك الأيام أيضا، ألغى «فرقة حسب الله» التى

شكلها السادات من مائة خبير تحت مسمى يقال له «هيئة المستشارين».. ولم يدخل سعدة جُحره، بل خرج يهلل لتعليمات مبارك بوقف الحملات الإعلامية ضد العرب وكتب فى الصفحة الثامنة من العدد ١٩٥٩ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٢ مايو ١٩٨٢، تحت عنوان «المستشارون..» يقول:



ولعل ابرز ما نسب الى الرئيس مبارك في بداية عهده القرار الذي صدر بوقف الحملات الاعلامية ضد العرب، وعدم الرد على اي هجمات تنشر في الصحف العربية ضد مصر، وسياستها، ونظامها، وحكامها.

واحدث هذا القرار الهادىء تغييرا هائلا [illegible] في سياستنا الاعلامية. فمنذ سنوات غير قليلة ولا [illegible] لصحفنا، واجهزة اعلامنا في الرد على الحملات التي شنتها علينا معظم الصحف والاذاعات العربية، بحملات اقوى، واكثر عنفا، واستخدم الجانبان كل ما لديهما من وقائع صحيحة او مبالغ فيها، لتفتح الابواب [illegible] بين الاتهامات والشتائم [illegible] الخلافات.

«الرئيس مبارك ليس فى حاجة لمن ينبهه إلى حتمية التغيير. فهو يؤمن . مثلنا جميعا . بأن الحياة لا يمكن أن تتوقفه وأن عجلة الزمان لا تعود إلى الوراء، وأن الاستمرارية لا تعنى الجحود، وأن بعض ما اتفقنا على الأخذ به بالأمس لا يصلح اليوم أو غداً. ومنذ الأيام الأولى التى أعقبت تولية رئاسة الدولة والرئيس حسنى مبارك يقدم الدليل بعد الآخر على إحداث هذا التغيير فى سياستنا، والذى يسميه البعض تصحيح المسار، ويسميه البعض الآخر تطوير إلى الأصلح.

وما أكثر ما أحدثه الرئيس مبارك..

ولعل أبرز ما نسب إلى الرئيس مبارك، فى بداية عهده، القرار الذى صدر بوقف الحملات الإعلامية ضد العرب، وعدم الرد على أى هجمات تنشر فى الصحف العربية ضد مصر، وسياستها، ونظامها، وحكامها.

وأحدث هذا القرار الهادىء تغييرا هائلا، وشاملا، فى سياستنا الإعلامية. فمنذ سنوات غير قليلة ولا هم لصحفنا، وأجهزة إعلامنا، غير الرد على الحملات التى تشنها علينا معظم الصحف والإذاعات العربية، بحملات أقوى، وأكثر عنفا واستخدم الجانبان كل ما لديهما من وقائع، صحيحة أو مبالغ فيها، لتفتح الباب أمام سيل الاتهامات، والشتائم، والتطاول، وتوسيع هذه الخلافات!

وتوقف هذا كله الآن..

لم نعد نقرأ كلمة نقد واحدة، فى صحفنا، ضد أى حاكم أو دولة عربية، لم نعد نقرأ ردا واحدا على ما ينشر فى صحف عواصم الرفض، رفضاً لسياستنا، أو نقداً لمواقفنا، حقيقة أن الصحف فى بعض الدول العربية، المعروفة بجبهة الصمود والتصدى، مازالت حتى هذه اللحظة تتخذ موقفا متشددا، ورافضا، لأى تقارب مع مصر، ولكن هذا لا يمنع من أن موقفا جديداً ومتغيراً وضح الآن فى باقى الدول العربية الأخرى. فلم نعد نقرأ فى صحفها هجوماً على السياسة المصرية ولم نعد نقرأ نقدا لما يجرى فى مصر. والأكثر من ذلك أن الكثير من الكتاب العرب نشروا مقالات عديدة، عن السياسة المصرية، بكثير من الموضوعية والتفهم.

وهذا كسب حقيقى للطرفين..».

«..»

هكذا كتب سعدة..

بدلا من أن يعتذر عن أقذر حملة إعلامية شنها على الأشقاء العرب، إرضاء لمولاه الفرعون الإله الذى قتل، كتب يعترف بكل «تبجح» بأن الحملات الإعلامية فى مصر كانت أقسى بكثير من حملات الصحف العربية ضد مصر، وبدلا من أن يعتذر.. راح يتغزل فى الحاكم الجديد الذى أمره بالكف عن هذا الهراء.. إنها شهادة رسمية منه على

أنه مجرد لعبة فى يد أى حاكم وأنه لا مبدأ له ولا نهجا، وأنه بهلوان شاطر يجيد «النط» على كل الحبال وفقط!..

ثم واصل سعدة مقاله، مبررا ما فعله السادات من مصائب، بأنه كان بناء على توصية من مستشاريه، وأنهم هم الذين «زنّوا» على ودانه حتى ورطوه فى الهجوم على العرب، وفى قرارات «ثورة» سبتمبر ١٩٨١ فكتب يقول:

«فالرئس الراحل لم يكن راضيا عن تدهور العلاقات بين مصر والدول العربية الشقيقة ولم يكن راغبا فى أن تشن الصحف والأقلام المصرية الحملات الضارية ضد بعض الحكام والزعماء العرب. وعلى الرغم من ذلك كان البعض، مما يفترض فيهم الإخلاص والولاء لمصر أولا وأخيرا، كانوا لا يتورعون عن الاتصال بالرئيس الراحل ويمدونه بمعلومات كاذبة، يبالغون فى خطورة قضايا تافهة، ويثيرون غضبه وحنقه وثورته على أناس لم يخطئوا فى حقه، وحق بلده!

والخطأ الذى ارتكبه هذا البعض - من قصد أو عن جهل - لم يكن مقصورا على زيادة تدهور العلاقات بين مصر وباقى الدول العربية، وإنما من المؤكد أنه امتد إلى مجالات وأبعاد عديدة. فالمشورة الخاطئة التى أبداها هذا البعض لم تتحدد داخل إطار العلاقات العربية المصرية فحسب، وإنما اتسعت دائرتها لتمتد إلى جميع القضايا المحلية وغير المحلية. فمنهم من أدلى بدلوه فى مشكلة التطرف الدينى، ومنهم من قدم النصيحة فى كيفية التصدى للفتنة الطائفية، ومنهم من أعطى حلا لتجاوزات المعارضة، ومنهم من أراد أن يتخلص من خصومه فترك هذه المهمة لرئيس الدولة!».

وما قاله سعدة هنا هو «فضيحة» بكل المقاييس..

فلم يكن فى البلد «رئيس» إذن وإنما كانت هناك «عصابة» تتستر وراء شخص الرئيس ومع ذلك فإن هدف سعدة فى المقال ليس تبرير أفعال أنور السادات المجنونة بنسبتها إلى «المستشارين».. لكن هدف المقال هو امتداح الرئيس الجديد للبلاد، والإشادة به لأنه قرر إلغاء هيئة المستشارين..

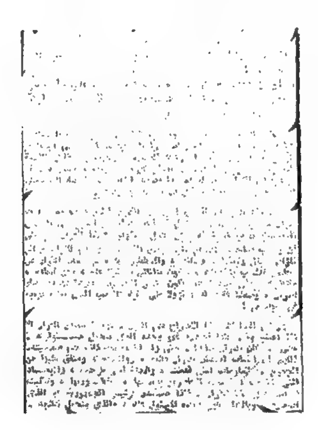
لا قرار إلا بعد إقتناع

ومشكلة عمنا إبراهيم أنه ينسى بسرعة رهيبة، فهو ليس له مبدأ، أوخط، أو منهج، أو حتى نعتا ثابتا.. تراه فوق موجة الحاكم، يصعد معها.. وينزل معها.. ويتجه شرقا وغربا.. وشمالا وجنوبا.. أينما يشير النظام.

فبعدما كتب «يلعن» المستشارين المائة الذين نصبهم أنور السادات مستشارين لجناب فخامته.. وبعدما أرجع سعدة إليهم كل مصائب وبلاوى أنور السادات، عاد يؤكد من جديد أن السادات كان لا يتخذ قراراً إلا إذا إقتنع به!!!

نقل سعدة «الموأف» السياسى من الصفحة الثامنة، إلى أقصى شمال الصفحة الأولى - بجوار الرصيف - وفوق ثلاثة أعمدة.

وتحت عنوان «السادات.. ديكتاتورا» كتب الحاج إبراهيم فى العدد ١٩٧٩ من أخبار اليوم، الصادر فى ٩ أكتوبر ١٩٨٢ يقول:



«عندما تفجرت أحداث الفتنة الطائفية، وكشف الإرهاب الداخلى عن أنيابه عقد الرئيس أنور السادات اجتماعا موسعا. فى المعمورة. حضره جميع المعاونين والمسئولين فى الدولة، واستمعوا إلى ما عرض عليهم من شرح كامل لما وصف بمؤامرة الإرهاب، ومحاولة قلب نظام الدولة بالقوة، والعنف.

وكانت الصورة قاتمة، بل وخطيرة للغاية وفوجىء بها السادات كما فوجىء بها جميع الذين استمعوا إلى أبعادها معه فى اجتماعهم الموسع، والسرى، فى استراحة المعمورة ودارت بعد ذلك مناقشة على جانب موسع من الأهمية وأعطى كل واحد رأيه، وتصوره ثم طرحت فى النهاية وسيلة قمع ما وصف بالمؤامرة، وكيفية التصدى لها وضربها، وخنقها قبل أن تتحرك من جديد.

وفى هذا الاجتماع السرى اتفق على القرار الذى عرف بعد ذلك بقرار ٥ سبتمبر ١٩٨١. وقيل إن أحد الحاضرين اقترح على الرئيس السادات أن يبتعد بشخصه عن تحمل مسئولية هذاالقرار. بمعنى أن يذهب صاحب الاقتراح إلى مجلس، ويقدم للنواب وقائع المؤامرة بكل وثائقها، وأدلتها، والمخططين لها، ثم يصدر القرار عن مجلس الشعب بالإجماع، فيكون بالتالى مسئولا عنه، وعن أبعاده، ونتائجه. وفى هذه الحالة يكون رئيس الجمهورية بعيدا عن إصدار القرار ومنفذا فقط له، نزولا على رغبة الشعب الذى يمثله نوابه فى مجلسهم!

ورفض السادات هذا الاقتراح على الفور فهو لا يصدر القرار إلا إذا اقتنع به. فإذا أصدره فهو وحده الذى يتحمل مسئوليته حتى ولو كان القرارخاطئا. حتى ولو اتضح بعد ذلك عدم صلاحيته فالمهم أن أسباب إصدار القرار قائمة، وواضحة، ومتفق عليها من الجميع. فالمعلومات التى قدمت، والأدلة التى طرحت، والأبعاد التى تكشفت، أقنعت الحاضرين بأهميتها، وخطورتها وتطلبت إصدار مثل هذا القرار فإذا صدر فرئيس الجمهورية هو الذى أصدره، وبالتالى هو وحده المسئول عنه والذى يتحمل نتائجه.

وهذه ديكتاتورية السادات فى تمسكه بالقرار..!»

خلصنا من هذا المقال إلى أن السادات كان لا يتخذ قرارا إلا بعد إقتناع تام، وأن «المستشارين» كانوا مجرد ديكور فقط..

المستشارون .. مرة أخرى!

ثم عاد سعدة - بعد عشر سنوات - بأسلوب من يلعب «حادى بادى» ورأى أن المستشارين كانوا هم وراء كل قرارات السادات «الوحشة» فكتب تحت عنوان «زئير.. الأغلبية الصامتة!» فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٤٩٧ الصادر فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٢، مقالا طوله ٢ كيلو متر جاء فيه عن المستشارين:

«..............................وتاريخنا مع هؤلاء الجهلاء الإرهابيين لم يبدأ اليوم أو الأمس القريب. وإنما يرجع هذا التاريخ إلى سنوات السبعينات عندما تصورنا أن الشراذم الشيوعية يمكن أن تهدد أمن واستقرار مصر، فأشار «مستشارو السوء» بضرورة تشجيع بقايا الإخوان المسلمين المنحلين المنحلين. قانونا - على مواجهة الإلحاد ووثنية كارل ماركس ومنع انتشارهم، وتحجيم تأثيرهم على طبقة العمال والفلاحين! وكان هذا بداية الخطر الذى ساقنا إليه «مستشارو السوء» الذين مايزال بعضهم يعيش بيننا ويعانى كما نعانى من نتائج هذه «المشورة» السوداء! فسرعان ما رحب بقايا الإخوان المسلمين المنحلين قانونا بهذه المبادرة التى كانت بمثابة طوق النجاة الذى أعادهم إلى السطح بعد أن كانوا قد تشتتوا فى مشارق الأرض ومغاربها وعاشوا هناك يجمعون المال بكل وسيلة شريفة أو غير شريفة!..

....».

الحمد لله..

ألف حمد لله يا رب.. ظهر الحق.. وشهد شاهد من أهلها«..

اعترف سعدة بأن السادات هو السبب الرئيسى وراء انتشار هذه الجماعات المتطرفة.. كما اعترف غيره بأن السادات كان وراء انتشار المخدرات، وإنتشار البغاء، وإنتشار الرشوة، وإنتشار الفساد فى البر والبحر والجو، وتحت الأرض وتحت البحر أيضا.

أما أن تقول يا عم سعده ان الذين كانوا وراء ذلك هم مستشارو السوء، فهذا كلام ساذج.. لأنك اعترفت وقدمت كل البراهين - فيما سبق أن عرضنا - بأن السادات كان لا

يصدر قراراته إلا بعد قناعة كاملة.. لقد أخرج السادات هذه الجماعات لتحارب اسم «جمال عبدالناصر» وليس الشيوعيين.. فكان أن قتل على أيديهم.. لأنه «من حفر بئرا لأخيه وقع فيه»..

إعتراف نشكركم عليه.. ويكون لك فى ذمتنا ٧٥ قرش إذا قلت إعترافاً آخر.

سيدة مصر . . رئيسة مصر!

جاء الدور الآن على زوجة أنور السادات الثانية.. السيدة جيهان صفوت رؤوف، الشهيرة بالمسز جيهان السادات، وصاحبة لقب «سيدة مصر الأولى»..

وهى امرأة تركيبتها لا تختلف فى كثير أو قليل عن زوجها.. فكلاهما كانا مريضان بحب السلطان، والتعطش للظهور، والسيطرة، والنرجسية، والعنجهية، وأيضا «الشياكة».. وما إلى آخره.

كانت جيهان السادات هى التى تحكم مصر.. وهذه حقيقة أصبحت غير خافية على أحد، فالسادات كان من الضعف أمامها لدرجة أنها كانت تتدخل فى اختياره الوزراء وكبار رجال الدولة، وتتدخل فى إقصائهم من مناصبهم، وفى تلفيق التهم لهم، تدخلت فى شئون القوات المسلحة، وقوات البوليس.. وفى الانتخابات.. وفى العلاقات الخارجية لمصر بالدول الأخرى.. للدرجة التى يمكن أن نقول إزاءها أن رئيس مصر كان «جيهان السادات» أما أنور هذا فكان ديكورا لوضع دستورى، ويكفيه أن يظهر بالغليون يتصاعد منه الدخان المعطر، وعيناه متورمتان من الشراب (لا نقصد الشراب الذى كان ينام به)، ثم يفتح فاه.. ويرفع عصاه.. ويردد لفظا تميز به هو «ائ.. ائ» ثم يقول «ويل».. ونقصد بها الكلمة الإنجليزية التى تعنى بالعربية «حسنا».. كان يكفى أنور السادات ذلك.. أما أمورالبلد فقد تكفلت بها «الملكة» الجديدة لمصر جى جى..

نعود لعمنا برهوم بوسعدة!!

كتب فى العدد ٢٢٢١ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٣ مايو ١٩٨٧، مقالا فى عموده الأخير بعنوان «رسالة إلى جيهان السادات» جاء فيها:

مشكلة السيدة جيهان السادات أنها تصورت أن وضعها كزوجة لرئيس الجمهورية يعطيها الحق فى أن يكون لها دور سياسى لا يقل أهمية، وفاعلية، عن الدور الذى يقوم به زوجها، وبتأثير هذا الاقتناع فوجئنا بالسيدة جيهان تستغل موقعها . كزوجة لرئيس مصر . وتمارس ما تصورته حقا من حقوقها، وتلعب دورا سياسيا أساء إلى زوجها وأساء إلى شخصها، وأعطى لخصوم الرئيس السادات فرصة كبيرة لنقده، وطعنه، والتشهير به! ولست فى حاجة إلى ذكر نماذج من هذا التدخل الغريب الذى مارسته السيدة جيهان السادات . فى حياة الرئيس الراحل . مما أثار غضب ورفض الغالبية العظمى من المصريين وبالذات الذين أحبوا الرئيس السادات وأخلصوا له وتمسكوا بقيادته وسياسته فكلنا نتذكر ما فعلته السيدة جيهان فى حياة زوجها الراحل، وكلنا أبدينا . همسا . رفضنا لهذه التصرفات، واعترضنا . فى جلساتنا الخاصة . لتدخلها الغريب فيما لا يحق لها التدخل فيه! ويشهد الله أن الرئيس السادات كان رافضاً لهذا التدخل من جانب السيدة قرينته. فطوال السنتين السابقتين على رحيله، كنت أحظى بلقائه مرتين أسبوعيا، المرة الأولى لإجراء حديث يتناول فيه الرد على أهم ما يشغل الرأى العام فى مصر، والمرة الثانية لتسجيل حلقة من حلقات (عرفت هؤلاء) التى كنا ننشرها بقلم أنور السادات فى صحيفة «مايو» أسبوعيا وكانت هذه اللقاءات تتم فى استراحات رئيس الجمهورية فى الاسماعيلية أو الإسكندرية أو أسوان. والمرة الوحيدة التى التقيت فيها مع الرئيس السادات فى منزله المطل على النيل فى الجيزة كانت قبل يومين فقط من يوم ٦ أكتوبر الذى اغتيل فيه يومها سألت السادات قائلا: «هذه أول مرة ألتقى فيها معك فى هذا المنزل وهو أفضل مليون مرة من الاستراحات المتواضعة جدا التى تقيمون فيها! فما السبب من وراء حرصكم على الابتعاد عن هذا البيت الجميل والمريح؟! وضحك الرئيس. رحمه الله. ورد قائلا: «إننى لا أحب البقاء فى هذا البيت الذى لا يعرف الهدوء فمقابلات جيهان لا تنتهى. ولذلك فإننى أفضل الابتعاد عن هذا البيت وضيوفه»! وفهمت الكثير من هذه الكلمات. وأعتقد أن القارىء سيفهم . بسهولة . ما فهمته وقتذاك».

المهم أن السيدة جيهان لم تقتنع بأن ما كانت تقوم به فى حياة زوجها الراحل يجب التوقف عنه بعد رحيله! والدليل على ذلك أنها تركت بلادها بعد إنحسار الأضواء عنها

كان المرحوم كثيراً ... «مايصلى» ولكى
نتأكد نحن أبناء الشعب أن كبير العائلة
«يصلى» أصبح مقررا على القراء أن تتصدر
صورته الصفحة الأولى صباح كل سبت فى
أخبار اليوم وهو «يصلى» ... !!!
صلاة المرحوم كانت خبراً من الأهمية لأن
يعرفه الشعب حتى لايشك فى إسلامه..

السادات ادى صلاة [illegible] بقرية [illegible] ابو الكوم

الرئيس [illegible] ادى صلاة الجمعة بقرية ابو الكوم

ادى الرئيس انور السادات صلاة الجمعة امس [illegible] ابو الكوم .. [illegible] الجماهير : عاش بطل السلام ..

وعقب الصلاة وقف الرئيس [illegible] المصلين ويستمع [illegible]

السادات صلى الجمعة في مسجد ابي العباس

ادى الرئيس انور السادات صلاة الجمعة امس بمسجد سيدي ابي العباس المرسي بالاسكندرية .. وبعد الصلاة توجه الرئيس الى مقر شركة المعمورة للاسكان حيث شاهد [illegible] المشروع ميدان السباق الجديد وتبلغ تكاليفه نحو ٥٠ مليون جنيه .. ويضم المشروع مركزا [illegible] ومعرضا و١٥٠٠ وحدة [illegible] للانشطة التجارية [illegible] ..
وقد [illegible] الرئيس حجر الاساس [illegible] المرحلة الاولى للمشروع

[illegible] صلاة الجمعة بالاسماعيلية

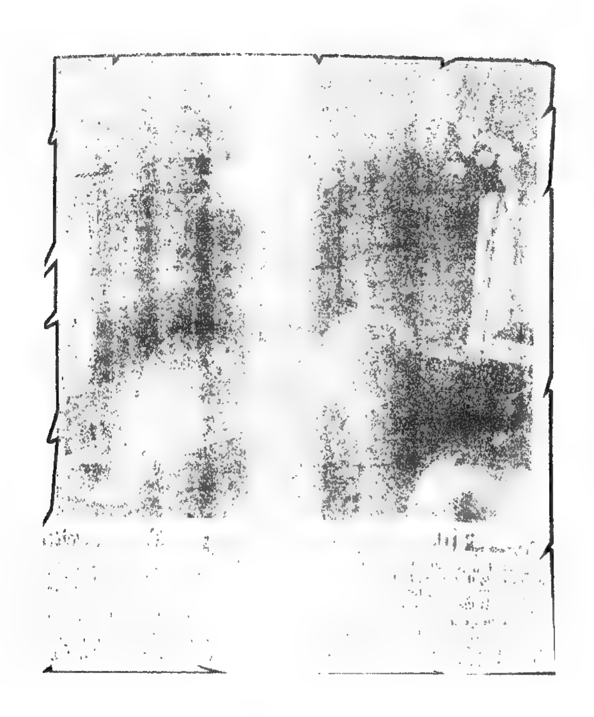
ادى الرئيس انور السادات صلاة الجمعة امس في مسجد الشفاء بالشاطئ رقم ٦ بالاسماعيلية .. ادى الصلاة معه المهندس عثمان احمد عثمان المشرف على مشروعات الامن الغذائي والمهندس مشهور احمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس [illegible] محافظ الاسماعيلية واللواء ابراهيم العرابي قائد الجيش الثاني الميداني .. القى خطبة الجمعة الشيخ

الرئيس صلى الجمعة بمسجد الشفاء بالاسماعيلية

[illegible]

نائب برلماني يقسم [illegible]

السادات هو اتقى [illegible] الحكام في التاريخ الاسلامي



جيهان السادات في [illegible]

[illegible] جيهان السادات [illegible] الامريكي [illegible]

بصحيفة لوس انجلوس ... وقدم لها يوم [illegible]

[illegible] في موسم [illegible]

بالقاهرة والثقافة المصرية وذلك من خلال [illegible]

[illegible]

رسالة إلى جيهان السادات

[illegible]

... السيدة جيهان ...

الجمهورية يعطيها الحق في ان يكون لها دور [illegible] وفاعل [illegible] من الدور الذي يقوم به زوجها ، وبتأثير هذا الاقتناع [illegible] والسيدة جيهان [illegible] موقعها - كزوجة لرئيس مصر - وتجاوزت [illegible] حقا من حقوقها ، ولتعب دورا سياسيا اساء الى زوجها ، واساء الى شخصها ، واعطى لخصوم الرئيس [illegible] [illegible] كبيرة لنقده ، وطعنه ، والتشهير به ! ولست في حاجة الى [illegible] من هذا التدخل الغريب الذي مارسته السيدة جيهان - في حياة الرئيس الراحل - مما اثار غضب ورفض الاغلبية العظمى من المصريين . وبالذات الذين احبوا الرئيس السادات واخلصوا له وتمسكوا بقيادته وسياسته . فكلنا نتذكر ما فعلته السيدة جيهان في حياة زوجها الراحل وكلنا ابدينا - همسا - رفضنا لهذه التصرفات ، واعتراضنا - في جلساتنا الخاصة - لتدخلها الغريب فيما لا حق لها التدخل فيه ! ويشهد الله ان الرئيس السادات كان [illegible] هذا التدخل من جانب السيدة قرينته . فطوال السنتين السابقتين على رحيله . كنت احظى بلقائه مرتين اسبوعيا . المرة الأولى لاجراء حديث معه يتناول فيه الرد على اهم ما يشغل الرأي العام [illegible] والمرة الثانية لتسجيل حلقة من حلقات (عرفت هؤلاء) [illegible] ننشرها بقلم انور السادات في صحيفة ، مايو ، اسبوعيا . وكانت [illegible] اللقاءات تتم في استراحات رئيس الجمهورية في الاسماعيلية أو الاسكندرية أو اسوان . والمرة الوحيدة التي التقيت فيها بالرئيس السادات في منزله المطل على النيل في الجيزة كانت قبل يومين [illegible] [illegible] الذي اغتيل فيه . يومها سألت الرئيس [illegible] هذه هي اول مرة التقي فيها بك في هذا المنزل . وهي [illegible] [illegible] عن الاستراحات [illegible] التي تقيمون فيها ! [illegible] [illegible] وراء حرصكم على الابتعاد عن هذا البيت الجميل [illegible] [illegible] الرئيس - رحمه الله - [illegible] فقال

وأقامت فى الولايات المتحدة الأمريكية بحثا عن الأضواء وأملا فى استمرار القيام بدور سياسى وإعلامى.. وعلى أوسع نطاق! لم تترك قضية سياسية إلا تعرضت لها! مشكلة مصرية داخلية إلا أبدت رأيا فيها! ولم تهتم بأن ما تقوله يمكن أن يحرج بلادها، أو يثير شهية أعداء زوجها الراحل لطعنه بعد موته والتشهير بذكراه الطيبة!

وطوال السنوات العديدة الماضية لم ألتق مع أحد. وجاء ذكر ما تفعله وما تقوله جيهان السادات. إلا سمعت نقدا عنيفا ضد تصرفاتها، واتصالاتها، وتصريحاتها، وببساطة شديدة يمكننى أن أقول إن هذا النقد ينصب أساسا حرصا على ذكرى الراحل العظيم، والتى تتعرض للتشويه والتشهير واستنادا إلى ما تفعله وتقول من كانت أقرب المقربين منه والتى تحمل اسمه، والمفروض أن تبتعد عن أى تصرف يمكن أن يسىء إلى ذكراه العطرة.

إننى أطالب السيدة جيهان السادات أن تعود. فورا. إلى بلادها، وأن تقنع بما حصلت عليه من شهرة ومن أضواء لا لشىء إلا لارتباطها باسم زوجها الراحل العظيم كما أطالب أبناء الرئيس السادات بالاتصال بالسيدة جيهان وإقناعها بالعودة السريعة إلى القاهرة لتقيم بينهم، وتهتم برعايتهم، وتشغل وقتها بمداعبة أحفادها...............................

«..

وأقول..

صدقت يا رجل.. قلت خلاصة الخلاصة..

فإذا كان رجل عاجز عن «لم» زوجته.. و«يطفش» من المنزل بسببها.. هل يستطيع أن يحكم شعبا، وهو عاجز عن أن يحكم بيته وعقيلته؟؟!!



سعد.. وعهد عبد الناصر

يا مصر ما بال الأسى لك حالا
لو أن مفجوعاً يرد سؤالاً
ظلم الزمان بنى فى أحداثه
وعدا عليهم بالخطوب وصالاً

• الشيخ محمد عبد المطلب •

ظل سعدة يهاجم بشدة ثورة يوليو، وقادتها، ورجالها، وكل من له علاقة من قريب أوبعيدبها، طوال فترة حكم السادات، حتى كافأه السادت وجعله رئيسا لتحرير أخبار اليوم،وجريدة الحزب الوطنى المسماة «مايو». وظل سعدة يتغزل فى «ثورات» أنور السادات . اللاتى لا يقعن لا تحت حصر . بدءاً من ثورة القاهرة الأولى، حتى ثورة ٦ أكتوبر ١٩٨١ (!!)

وفى ظل الرئيس مبارك تغير الحال..

فالرئيس الجديد يكن كل تقدير لثورة يوليو ١٩٥٢، ولقائد ثورة يوليوالزعيم جمال عبدالناصر، ولما بدا ذلك واضحا للكل.. رفع سعدة «اسطوانة» الشتائم فى الثورة، ووضع اسطوانة أخرى.. فلا ثورة! إلا ثورة يوليو ١٩٥٢، وما حدث فى مايو ١٩٧١ كان مجرد حركة لتصحيح مسار الثورة الأم.. قال ذلك مراراً..

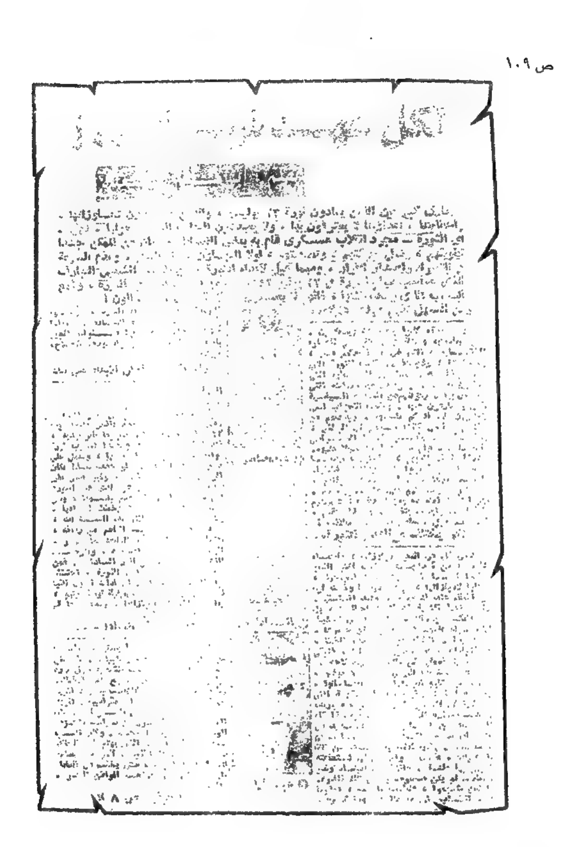
لكنه خرج علينا فى العدد ٢٠٢١ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٣ يوليو ١٩٨٣، بمقال على ثلاثة أعمدة فى صدر الصفحةالأولى، بعنوان «لكل عهد فرسانه..!» قال فيه:

«فارق كبير بين الذين يعادون ثورة ٢٣ يوليو، والذين ينتقدون تجاوزاتها، وأخطاءها.أعداؤها لا يعترفون بها، ولا يصدقون إلتفاف الشعب حولها. فهى . أى الثورة. مجرد انقلاب عسكرى قام به بعض الضباط، وكان من الممكن جدا تطويقهم، وشل حركتهم، وتصفيتهم، لولا التهاون، والتكاسل، وعدم السرعة فى التحرك وإصدار القرار. ومهما قيل لأعداء الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وعن استحالة ضرب الثورة، وقمع الشعب الذى وقف خلفها، فإنهم لا يصدقون، ولا يقتنعون، ولا يبالون! ومن السهل تفهم موقف هؤلاء.

في الذكرى الثالثة والثلاثين لثورة يوليو

ألقى الرئيس محمد حسني مبارك خطابا سياسيا هاما

بمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لثورة



قبل الثورة، كانوا يحكمون، ويتحكمون. كانوا، يملكون، ويمتلكون كانوا هم الصفوة المختارة، التى فى يدها حاضر مصر، ومستقبلها، وفجأة.. قامت الثورة التى أودت بهذا كله. فسلبتهم السطوة التى كانوا يحكمون بها. وحرمتهم من السلطة التى يتمتعون بها. وعزلتهم عن الساحة السياسية التى يتصارعون فيها. وألغت الأحزاب التى يتناوبون على الحكم باسمها. وجردتهم من أملاكهم، التى كانت سندهم فى البطش، والاستغلال، وكسب النفوذ السياسى والاجتماعى. ولم يكن هذا كله سهلا عليهم. وهذا ما ملأ قلوبهم، وعقولهم، رفضا للثورة، وكرها لرجالها، وأملا فى فشلها. فاستمرارها يعنى استمرار عزلتهم، ومحنتهم، وحسرتهم على ما ضاع منهم. ومهما فعلت الثورة، ومهما حققت، فموقفهم منها لم ،ولن ، يتغير وهذا حقهم، كبشر يستحيل التعامل معهم.. كملائكة!

والأمر يختلف مع ناقدى الثورة..

«فليس كل من انتقد تجاوزات، وأخطاء الثورة، من أعدائها، فما أكثر الذين صفقوا لقيامها، وتحمسوا لنجاحها، وهللوا لانجازاتها، ثم انتقدوا ما وقعت فيه من أخطاء عند الممارسة، وعند التطبيق وليس ظلما للثورة أن ننتقد أخطاءها، بل على العكس من ذلك كان لابد من تسليط الأضواء عليها، حتى يمكن حصرها ومحاصرتها.

....

هكذا..

فبعد أن كانت الثورة فى رأى كاتبنا سعدة هى الحكم الشمولى الدكتاتورى، والحزب الواحد، والرأى «الأوحد».. وبعد أن كانت أيام حكم عبدالناصر هى عصر الهزائم، وعهد الانغلاق، والقهر، والذل (٤).. عاد العم سعدة يرفع نظرية الفرق بين العداوة والنقد، وقال إنه ليس عدوا للثورة، ولكنه «ناقدا» لأخطائها، وأعداء الثورة معذورين لأنها سلبتهم سطوتهم وجبروتهم.

ثم يقول سعدة فى بقية مقاله، إن «حركة» التصحيح - ولم يقل «ثورة» كما كان يسميها فيما سلف - هى التى صححت مسارها.. وأن عبد الناصركان له أخطاء قام السادات بتصحيحها، ودفعه إلى قرارات سبتمبر «السوداء».

فقرارات سبتمبر التى قال عنها سعدة أنها «أعظم من قرار حرب أكتوبر» أصبحت الآن «السوداء».. المهم أن الرئيس حسنى مبارك قام بتصحيح كل أخطاء السادات !!

والخلاصة أن سعدة يرى فى عبد الناصر «فارس».. والسادات «فارس»، ومبارك «فارس»..

ويا جماعة «عيب» تقولوا عن عبدالناصر أنه كان «وحش» أو السادات كان «كخة» لأننا بشر، وما حدش معصوم من الخطأ.. وكلنا بنغلط.. وربنا يسامحهم!!

وتحيا مصر..

وبالروح بالدم هانكمل المشوار..

وبالروح بالدم نفديكم يا سكان القصر، فوق رؤوسكم نسرا كان أو صقراً، أو حتى غرابا!!

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ماذا لو اجتمع هؤلاء؟

سيظل هذا الموضوع يحتل المرتبة الأولى فى قائمة «أحط» ما أفرخته الصحافة المصرية على امتداد تاريخها.. خرج علينا هذا «الشجيع» فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٠٢٨ الصادر فى ١٩ نوفمبر ١٩٨٢ـ وهو يوافق الذكرى الخامسة لزيارة سيده السادات إسرائيل ـ خرج علينا هذا السعدة بموضوع على ثلاثة أعمدة بعنوان«ماذا لواجتمع هؤلاء؟»

وحكى فى مقاله ـ الذى امتد لصفحة داخلية كاملة ـ قصة مخترعة من نبت خياله الردىء، ملخصها أنه تخيل السادة أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين «الموقرين» الذين كانوا لازالوا على قيدالحياة حتى وقتها، قد اجتمعوا بناءعلى دعوة من السيد خالد محيى الدين فى منزله ـ وراح هذا الابراهيم يكتب سيناريو وحوار خيالى لقصة قصيرة حقيرة من خياله العفن، كتلك التى اعتاد عليها إبان حكم أنور السادات عن أن هؤلاء قد اجتمعوا وفكروا فى العودة للأضواء من جديد، وكتب شيئا يشبه الملهاة.. لكن أبطالها حقيقيون..

وتوقعت أن يأتى العدد التالى من أخبار اليوم «٢٠٣٩» فيه اعتذار على خجل عن هذه المهزلة، فإذا به تكملة لها، ثم استمرت حتى العدد «٢٠٤٠».. ووقتها قلت لنفسى «لك حق يا سعدة تعمل أكثر من كدا»..

ماذا لو اجتمع هؤلاء؟؟..

ومن هم هؤلاء؟؟..

هؤلاء هم أبطال ثورة يوليو «العظيمة»..

هؤلاء.. حينما كانت البلد يحكمها ملك غيرمصرى، ويتحكم فيها مستعمر أجنبى، لا كيان ولا وجودلها فى المجتمع الدولى، وشعبها يعانى المرارة والهوان.. كانوا يجتمعون..

كان هؤلاء فعلا يجتمعون.. ويفكرون.. ويخططون.. ويدرسون.. ثم نفذوا ما خططوا له.. وأخلصوا لله وللوطن فنجحوا بفضل الله فى كل ما خططوا له.. وحرروا البلاد.. ليحكمها أبناء مصر بعد استعمار دام حوالى ٣ آلاف عام، منذ الغزو الفارسى والفتح المقدونى حتى المستعمر الانجليزى.. حكمها هؤلاء المصريون، وأخذوا بها فى قفزة أسطورية إلى ركب الحضارة والتقدم..

هؤلاء . يا قليل (........) . حينما كنت أنت لازلت تضع فى فمك «بزازة» وتعبث بفضلاتك.. كانوا فعلا يجتمعون.. ولم يرهبهم السجن أو السحل.. ونفذوا أعظم ثورة فى تاريخ مصر منذ بدأ.. .

هؤلاء يا أبو الفوارس . كانوا حكام مصر المخلصين، وأنت لازلت طفلا تجرى وراء عربات الرش.. وتستحم تحت رزاز سيارات المجارى.

وبعدما أدوا دورهم.. وحرروا بلدنا.. وبنوا اقتصادها.. وعلموا أبناءها.. ونهضوا بها من ظلمات العصور الوسطى إلى عصور النور.. إلى حيث العلم والمعرفة، والتصنيع والتنوير..و...و... يكون هذا جزاءهم بعدما جار عليهم الزمان وتجردوا من سلطانهم؟؟

ومن مَنْ؟؟

منك أنت أيها الفسل؟؟

وماذا قدمت أنت - أو مليار مثلك - لمصر؟؟

بل ماذا قدم سيدك - الذى رباك على ذلك - لمصر قبل وأثناء حكمه.

سوف أقول لك ماذا قدم هؤلاء - فى عهد الزعيم جمال عبد الناصر - لمصر، ومن على لسان سيدك أنور السادات نفسه، فى خطابه بمناسبة الذكرى العشرين للثورة، فى افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى، يوم ٢٤ يوليو ١٩٧٢.

للتاريخ سوف أنقل خطاب السادات هذا كلمة كلمة.. وحرفا حرفا.. لنعرف ماذا قدمت الثورة لمصر.. وكيف بدأ السادات حكمه مرتديا زى جمال عبدالناصر.. وكيف تفرعن بعد ذلك.

***

أيها الأخوة والأخوات أعضاء المؤتمر القومى:

فى هذه اللحظة المشحونة بعظمة وجلال تاريخنا الوطنى والقومى.. فى هذه اللحظة التى يبدأ فيها هذا المؤتمر الموقر انعقاده مع مناسبة العيد العشرين لثورة ٢٣ يوليو. فى هذه اللحظة التى نؤكد فيها من جديد، كما أكدنا دائما فى كل الأوقات والظروف قبولا لمسئوليات النضال المصرى العربى، فى هذه اللحظة أتوجه بالحب والإعزاز وبالإجلال والعرفان لروح وذكرى الرجل العظيم الذى فجر الثورة، وقاد مسيرتها، وأعطاها المبدأوالنهج، وجسد فى همته آمال شعبه وأمته، وأعطى بغير حساب، وأعطى بدون انتظار جزاء. أعطى كل شىء.. الفكر، والعرق، والدم أعطى حياته كلها فى سبيل أن تكتب لأمته الحياة.

كان جمال عبد الناصر هو مصمم ومنفذ وقائد ثورة ٢٣ من يوليو، وهذا البلد لا يعرف بالمعنى الحقيقى للثورة إلا ثورة واحدة، هى ثورة ٢٣ يوليو. إن هذه الأمة العربية، وهذه شهادة كل مخلص مجرب فيها - يعرف ثورة أساسية واحدة، هى الثورة الأم لكل التغيرات الواسعة والعميقة، التى تشهدها الأمة العربية.

الأخوة والأخوات

إننى أدعوكم فى هذه اللحظة، وقبل أن نبدأ أعمال مؤتمرنا، إلى الوقوف بإجلال لنضال جمال عبدالناصر، ومبادىءجمال عبدالناصر، والمثل الأعلى الذى أعطاه عبدالناصر.

ماذا لو اجتمع [illegible]

الذين خانتهم الذاكرة [illegible]

[illegible]

●● تكهرب جو الاجتماع غير العادى ، بعد القبلة التى [illegible] محيى الدين أمام ضيوفه ، ورفاق السلاح القدامى ، السادة [illegible] وعبد اللطيف بغدادى ، وحسين الشافعى ، وكمال الدين [illegible] وجاءوا الى منزله ، فسمعوا منه آخر ما كانوا يتوقعون [illegible] ينتظرون مناقشته ! ●●

قبل قيامهم بالانقلاب العسكرى فى يوليو ١٩٥٢ ، كان الضباط الاحرار لا يجمعهم [illegible] موحد ، واحلامهم واحدة ، [illegible] ما يحدث فى مصر ، واهم ما يجرى [illegible] حولهم ، فاختاروا الطريق [illegible] يمكن ان يحدث التغيير الى [illegible] ، لحاضر مصر ومستقبلها ، [illegible] الانقلاب العسكرى الذى نجح [illegible] تأييدا شعبيا جارفا ، تحول بسببه [illegible] ثورة اكتسحت كل ما واجهها ، او حاول [illegible] قصدها ، وهذا النجاح السريع ، [illegible] الضباط الاحرار ان [illegible] ان [illegible] مصر باسمائهم ، وبطريقتهم ، بلا [illegible] مرة أخرى [illegible] اعلنوا فى اعقاب الانقلاب العسكرى [illegible] قاموا به! واتفق اعضاء مجلس قيادة الثورة على ان يتحملوا المسئولية [illegible] الشريعة معا ، ولن يتحقق لهم النجاح [illegible] ما لم تصف نية كل واحد منهم تجاه [illegible] ، وتعاهدوا على ان ينكروا ذاتهم [illegible] احدهم بقرار دون ان يوافق عليه [illegible] ، فالقيادة جماعية ، والقرار [illegible] الا بموافقة الاغلبية .

[illegible] مجلس الثورة الذى [illegible] حتى اليوم [illegible] فى الدور الذى [illegible] اعداد وتهيئة الانقلاب العسكرى [illegible] ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، [illegible] المصرى [illegible] الذين كانوا [illegible] نظهر [illegible] على [illegible]

[illegible]



القادمون من مقابر النسيان

[illegible]

بسم الله:

-أيها الأخوة والأخوات أعضاء المؤتمر القومى:

كانت الصيحة الأولى التى أطلقها جمال عبد الناصر بعد أن تأكد نجاح ثورة ٢٣ من يوليو ٥٢ هى نداءه المشهور: «إرفع راسك يا أخى، فقد ذهب عهد الاستعباد».

واليوم وبعد ٢٠ سنة من النضال الثورى، ومن القتال والتضحيات ومن التقدم والانجاز، ومن ممارسة التغيير والتحول، ومن التجارب الحلوة والمرة فإننى - إستعادة لصدى ذلك الصوت المخلص الجسور - أقول: لتبق رؤوسنا مرفوعة بالعزة والكرامة، لتظل أقدامنا على الأرض، ولتصل أحلامنا إلى السماء. نحن بإذن الله سادة أنفسنا، ونحن أصحاب الأمل والعمل، ونحن حملة المسئولية مهما ثقلت أعباؤها، ونحن النار والنور معا، نقود المعركة، ونحقق النصر بعون الله، وتأكيداً لإرادته الحقة ما بين الصوت الغالى ونداءه العزيز قبل ٢٠ سنة، وما بين استرجاعنا له اليوم ونحن نحتفل بالعيد العشرين للثورة، فإن الحقيقة هى الحقيقة، والدرس هو الدرس. هذا الشعب هو صانع المعجزة على أرضه، وهذا الشعب هو مصدر الإلهام لمن حوله، وهذا الشعب هو القاعدة للتقدم، وهو الدرع ضد الانقباض، ولقد كان ذلك هو جوهر الحقيقة التى توصلت إليها ثورة ٢٣ من يوليو.

إن الثورة لم تكن مؤامرة على السلطة القائمة قبل ٢٣ من يوليو، ولا كانت الثورة إنقلابا يشهد إحلال مجموعة حاكمة مكان مجموعة أخرى حاكمة، ولا كانت الثورة إنفعالا عاطفيا، يتمرد على الأوضاع السائدة أمامه، ويريد تحديها مهما كان الثمن.

وإذا رجعنا إلى فكر عبدالناصر وجدنا أن هناك فكرة واضحة فيه، لن يلحقها أدنى شك، ولم تشبها شائبة فى أى وقت: أنه لا مفر من قيام ثورة تقوم بتغيير الواقع الاقتصادى والاجتماعى، وتصل مصر بالأمة العربية، وتربط هذه الأمة - بما فيها مصر - يقيم أحلام العصر الحديث.

وإن الطلائع الثورية سوف تخرج من القوات المسلحة ، لأن هذه القوات المسلحة وغالبيها من أبناء جماهير الشعب العاملة بقيت بعيدا عن الأحزاب وأصولها الطبقية . وعاء سليماً للقضية المصرية وللفكرة العربية.

وإن الدور الثورى للطلائع ليلة ٢٣ من يوليو يفرض عليها مهمة واحدة رئيسية هى أن تمسك بالسلطة فى الجيش، وأن تأخذ الجيش من طاعة الملك ونظامه القائم على تحالف الاستعمار والإقطاع، وأن تنضم به إلى صفوف الشعب.

وان ذلك العمل وحده ينقل قوة الإجبار فى الدولة من سيطرة الملك وتحالفه المستغل إلى سيطرة الشعب وآماله الواسعة، أى أن هذا العمل وحده يحرر سلطة الشعب من السلاسل والقيود، ويعيدإليها حريتها الخلاقة، ويضع مصيرها فى يده، وذلك ماحدث تماماً فى الفترة ما بين ليلة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ إلى مساء يوم ٢٦ من يوليو ١٩٥٢.

ليلة ٢٣ من يوليو تمكنت الطلائع الثورية فى القوات المسلحة من أن تمسك بالسلطة فى الجيش، وكان خروج جماهير الشعب صباح ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ إلى تأييدها بغير تحفظ يعنى أن الجماهير بحسها ووعيها فهمت الإشارة، وأدركت أن الجيش أصبح لها بعد أن كان أعداؤها يوهمونها أن الجيش عليها، وليس لها.

وفى يوم ٢٦ من يوليو وجهت الثورة انذارها للملك، وقد فعلت ذلك بقوة الشعب وليس بقوة الجيش. فعلته بالولاء الحقيقى للسيد الحقيقى على أرض هذا الوطن، وليس بالولاء المصنوع أو المفروض للأجنبى الجالس على العرض، والذى كان سوس الفساد قدنخر قوائمه.

وكانت صيحة جمال عبد الناصر بعد ذلك: «إرفع رأسك يا أخى فقد ذهب عهد الاستعباد» كانت هذه الصيحة دعوة إلى الثورة، بعد انزياح الكابوس، ودعوة إلى الحرية بعد أن تحطمت السلاسل، ودعوة إلى المسئولية، بعد أن انهارت الحواجز.

من يومها بدأت المسيرة العظيمة لشعبنا ولشعوب أمتنا العربية ومن يومها لم تتوقف المعارك ضد مسيرة شعبنا وشعوب أمتنا العربية. رحنا نتقدم كما تتقدم الأمم العظيمة بالتجربة والخوض، كنا نتقد ونصطدم ثم نواصل السير، وكنا نمارس وننجح أحيانا، ولا ننجح أحيانا أخرى، ولكننا فى هذا نضيف رصيد الممارسة إلى تجربتنا الوطنية.

كانت هذه أولى الدروس فى ثورة ٢٣ من يوليو، وقد عبر عنها جمال عبدالناصر فى فلسفة الثورة فى درسين:

أولا: أن الشعب وحده هو السيد، وهومصدر كل قوة، وصاحب كل سلطة،وهو القادر على صنع وفرض التغيير.

ثانيا: أن التلازم كامل برغم اختلاف الضرورات بين الثورة السياسية والثورة الاجتماعية، وعلينا بالمنهج السليم أن نجعل الاختلاف بين ضرورات الثورة السياسية وضرورات الثورة الاجتماعية قوة دافعة للتقدم، وليس عقبة عليه برغم أى مصاعب عملية وإنسانية.

إن الشعب كان عبر قرون طويلة من الظلام والاستعباد يوشك أن يفقد الثقة فى نفسه، مع أنه بأصالته وروحه الوثابة لن يفقد الثقة أبداً، وكان لابد من تعزيز ثقته بنفسه.

وفى حين أن الثورة السياسية كانت تفترض حشد كل القوى داخل الوطن كانت الثورة الاجتماعية تقتضى عزل الطبقة المستغلة، لأن نزعات الاستغلال لديها سوف تضعها ـ أرادت أو لم ترد، وعت أو لم تع ـ فى مصلحة قريبة من مصلحة الاستعمال. وتحت شعار كل القوى الوطنية صورة قانون الإصلاح الزراعى الأول، ووضعت للتنفيذ الفورى كل الأحلام الضائعة، التى تضمنتها خطب العرش قبل الثورة، وفيها كهرباء خزان أسوان والبدء فى برنامج واسع للإنتاج والخدمات.

وتحت شعار كل القوى الوطنية واجهنا قوات الاحتلال البريطانى بطريقة حاسمة أرغمت هذا الاحتلال على أن يحمل عصاه على كاهله، ويرحل، ثم رفضنا سياسة مناطق النفوذ التى أرادت أن تجعل من مصر حلقة فى سلسلة أحلاف الاستعمار الجديد، ثم واجهنا بإصرار وشجاعة، مثل هذه المحاولة فى بغداد، وقد طرحت بل رفضت بمحاولة إنشاء حلف بغداد.

وشاركنا فى إنشاء وتطوير فكرة وسياسة عدم الانحياز، وكسرنا احتكار السلاح، وتعرضنا لاستفزازات لم تتعرض لها أمة مثلنا من الارهاب فى الحملات النفسية، إلى الارهاب بالغارات الوحشية التى أسفرت فيها إسرائيل عن طبيعتها كأداة للاستعمار أقامها وسط أرضنا لتكون مصدر تهديد، وعزلا يقطع وحدة أرضنا العربية مشرقها عن مغربها، ثم لاستنزاف جهدنا ومواردنا.

تحت شعار كل القوى الوطنية أيضا خضنا معركة السويس المنتصرة، التى أعادت تأكيدالبرهان على صحة معتقداتنا الثورية الأصلية، وهى أن الشعب وحده هو القادر على الصمود، وعلى النصر، وأنه مهما بلغ من جبروت القوى المعادية وميل موازين القوة لمصلحتها، فإن الصمودممكن والنصر متاح.

وأن النصر يتحقق أكثر ما يتحقق بحركة الأمة العربية كلها، حتى إن كانت هذه الحركة معنوية.

وأننا بالتعاطف والانتماء جزء من عالم بأسره يعادى الاستعمار، وأن الصلة بين الاستغلال الاقتصادى والارهاب الاستعمارى واضحة لا تحتاج إلى دليل؛ ويكتفى فى الدلالة على أن ذلك أن تأميم شركة قناة السويس أدى إلى حرب بالقوة المسلحة.

وأن بناء القوة الذاتية يجب أن يكون مطلب الساعة وكل الساعة أمام الشعوب المؤمنة بالحرية وبالمستقبل.

هكذا خرجنا من حرب السويس فى فترة من أعظم فترات حياتنا تمصير ثم تأميم كل المصالح البريطانية والفرنسية على أرضنا.

تصد لمشروع أيزنهاور، وكان بديلا جديدا لحلف بغداد.

الاتجاه إلى التصنيع بتركيز شديد لم تكن تعرفه الأمم النامية وقتها. صلات أوثق بالعمل وبالذات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

قبول التحدى مع الشعب السورى جنبا إلى جنب فى مؤامرة غزو أراضيه بقوات حلف بغداد.

تحمل لمسئوليات الوحدة الأولى مع سوريا برغم ما كان يبدو من مصاعبها لأول وهلة.

وانهار حلف بغداد، وهذا حلف لم يسقط فحسب تحت الضربات القوية لحركة القومية العربية التى كان يقودها شعب مصر، ولكن السقوط كان أوسع وأبعد من ذلك، لقد تم فى هذه الفترة تماماً سقوط امبراطوريتين كان لهما الحكم والسيطرة على أرضنا.

الامبراطورية البريطانية فى المشرق العربى، والامبراطورية الفرنسية فى المغرب العربى.

إن الثورة السياسية ضد الاستعمار كان يقرب تحقيق انتصارها، وبدت الثورة الاجتماعية تلح باعتبارها المطلب الذى جاء دوره كاملا.

من هذا المنطلق جاءت عملية التحول الاشتراكى العظيم، متمثلة فى قوانين يوليو المجيدة سنة ١٩٦١. عندئذ تجمعت فلول الاستعمار المنهزمة، وفلول الاستغلال المضروب، وتكاتفت الفلول معاً فى محاولة يائسة، استطاعت فيها تحقيق نجاح جزئى هو انفصال سوريا عن مصر فى سبتمبر ١٩٦١.

ايها الأخوة والأخوات:

فى ضوء هذه التجربة بلور الشعب المصرى خلاصة الممارسة فى وثيقة ثانية، أضافها إلى الوثيقة الأولى. الوثيقةالأولى كانت فلسفة الثورة، والوثيقة الثانية ميثاق العمل الوطنى. كان الميثاق هو المحصلة للتجربة الهائلة من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٦١، وكان أبرز ما فى الميثاق السلطة السياسية لتحالف قوى الشعب العامل، والسيطرة الاجتماعية لهذه السلطة السياسية على وسائل الإنتاج.

ولم تتوقف المعارك إن فلول الاستعمار والاستغلال كانت قد استعادت أنفاسها بعد ضربة الانفصال. وفى الوقت نفسه كانت القوى الثورية قد عززت مواقعها بروح وفكر الميثاق، ودخلنا إلى أعنف مرحلة فى الصراع، وهى أن حرب سنة ١٩٦٧ لم تبدأ فى الحقيقة سنة ١٩٦٧، وإنما بدأت قبل ذلك بسنوات.

إن معارك الأيام الستة بدأت قبل ذلك بكثير، بدأت بمعارك ساخنة ومعارة باردة.. كانت هناك معركة اليمن مثلا ساخنة، وفى الوقت نفسه كانت هناك معركة باردة تدور هنا فى القاهرة، حين طلبت الولايات المتحدة سنة ١٩٦٣ حق تفتيش مصانعنا الحربية، بدعوى التأكد من وجود توازن فى القوى المسلحة بيننا وبين إسرائيل.

كان ذلك فى وقت حكم الرئيس الأمريكى جون كيندى سنة ١٩٦٣، وحين رفضنا، وكان يجب أن نرفض. أعطى الرئيس الأمريكى لإسرائيل صفقة من صواريخ هوك، وبدأت الولايات المتحدة تدخل سافرة موردا للسلاح المباشر لإسرائيل، فى الوقت الذى كنا فيه قد استطعنا أن نوقف سيل السلاح المتدفق عليها من فرنسا، والذى توقف بفعل السياسة

الحكيمة للقائد الفرنسى العظيم شارل ديجول.

حاولت أمريكا أن تعوض إسرائيل عن فقد المطلب الفرنسى فإذا هى تضغط على ألمانيا الغربية لعقد صفقة سلاح مع إسرائيل، تقدم لها هدية بلا ثمن.

واستطعنا بجهود شاقة أن نجعل ألمانيا الغربية توقف تكملة الصفقة وكان الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت ليندون جونوسون، وكان كيندى قد أغتيل، ولم يتورع ليندون جونسون عن إرسال ما يكاد أن يكون إنذاراً لمصر، فقد قرر ليندون جونسون أن تدخل أمريكا مورد سلاح لإسرائيل، وليس مجرد مورد مباشر، ولكن موردا رئيسيا وأساسيا، وبعث وكيل خارجيته «فيليب سالكون » . وكان ذلك فى سنة ١٩٦٥ . رسالة إلى عبدالناصر يقول فيها : إن الولايات المتحدة سوف تعطى إسرائيل بعض أنواع السلاح، وإذا ردت مصر على ذلك بشن هجمات دعائية على الولايات المتحدة، فإن الولايات المتحدة سوف ترد بأن تعطى إسرائيل المزيد .

وبدأ الموقف يتصاعد فى خطر، وأذكر أننى فى هذه الفترة بالذات، وفى سنة ١٩٦٦ أجريت محادثات بنفسى مع الرئيس الأمريكى ليندون جونسون ووزير خارجيته ديك راسك، وحاولت بكل جهد أن أقنعه بمحاذير ومخاطر هذا الاندفاع الأمريكى الأحمق والمجنون إلى تأييد إسرائيل، ولكن العيون كانت لا ترى، والآذان لم تكن تسمع، وكان التصاعد مايزال مستمراً، وكانت هناك أموراً كثيرة بيتت بليل، وظهرت منها التهديدات الموجهة إلى سوريا فى آواخر سنة ١٩٦٦، وأوائل سنة ١٩٦٧ .

كانت العاصفة توشك أن تهب ، أو لعلى أقول: أن الجريمة كانت قد أحكم تدبيرها، وجاءت معارك الأيام الستة، وكانت نتيجتها نكسة لنا، ولكن شعبنا لم يقع من طوله للصدمة، ولقدكان هو الذى تنبه قبل غيره إلى حقيقة ما يراد به، وإلى أبعاد المؤامرة، وهكذا نزل إلى الشوارع فى كل مدينة مصرية، وكل قرية وكل نجع، ونزل إلى الشوارع فى كل عاصمة عربية، وكل مدينة، وكل مخيم، وكانت الجماهير العربية فى كل مكان تطالب عبدالناصر بالصمود، وكانت الجماهير العربية فى كل مكان تطالب بالاستمرار، فى التزامه الوطنى والقومى، وثقة فى قيادته وتجربته، وماضيه، وكانت الجماهير العربية فى كل مكان تطالب بالنضال، وأعادت الجماهير العربية تثبيت جمال عبد الناصر على

القمة من المسيرة، ثقة شعبنا يعبىء للحرب، ويبنى للحياة، ومن خلاصة التجربة صاغ شعبنا جعلته مرة أخرى وثيقة ثالثة هى بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ كان ملخص الوثيقة الجديدة هو الإرادة الشعبية يجب أن تمارس بالحرية عملها سواء فى المعركة أو فى البناء، تجربة تغنى الفكر، والفكر يضىءالطريق أمام التجربة. هكذا تعيش الشعوب الحرة وتنتقد. وهكذا تواجه قضايا الحرب وقضايا السلام. هكذا نقاتل وهكذا نبنى.

أيها الأخوة والأخوات

هنا لابد من نظرة أراها ضرورية فى هذا العيدالعشرين لثورة يوليو سنة ٥٢. نظرة أراها ضرورية على ما استطعنا تحقيقه، حتى يكون السجل واضحا، وحتى يكون السجل أمينا، إن هذه السنوات العشرين غيرت صورة مصر الاقتصادية والاجتماعية، ولابد لنا من إطلالة على هذه الصورة، حتى نستطيع بالحقيقة وبالحقيقة وحدها تجديد إيماننا، وحتى نستطيع بالأرقام أن نقيس تقدمنا.

أيها الأخوة والأخوات

لقد تعرضت ثورة ٢٣ من يوليومنذ السنوات الأولى، وحتى هذه اللحظة، لهجوم ضار من جانب الاستعمار والاستغلال، ولم يكن مرجع هذا الهجوم حقدا على أشخاص القادة، أو خطأ من جانب مصر، وإنما كان سببه الوحيد أن الثورة فتحت أمام الشعب فى بلادنا طريق التقدم الحر والبناء والاشتراكية، فقطع شوطا بعيدا فى تصفية التخلف والتخلص من الاستغلال، وغدا مركز استقطاب لشعوب أمتنا العربية، ومثلا جذابا لكثير من شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، التى عانت ومازالت تعانى من الاستعمار على اختلاف أساليبه، ومن أعوانه على تباين ما يتسترون وراءه من لافتات.

ولعل أكثر ما لجأ إليه الاستعمار والاستغلال فى إطار التجربة المصريةالرائدة فى الفترة الأخيرة على الأخص هو حملة التهوين من شأن منجزات الثورة الاقتصادية والاجتماعية، ونحن كثيرا ما ننسى الأبعاد الحقيقية لما أنجزنا، وجماهير شبابنا وهم أغلبية الشعب، لم يعرفوا مصر ما قبل الثورة، ولذلك فربما كان أفضل طريق لبيان تلك المنجزات هوعدم الاغراق فى التفاصيل، بما يصحبه من فائض الإرباح والاكتفاء برسم

الملامح الرئيسية لمصر فى أوائل الخمسينات، ثم لمصر فى أوائل السبعينات، فليس أجدى من المقارنة بين الصورتين فى التعبيرعن التغيير الكيفى الذى طرأ على صورة المجتمع المصرى، فانتقل بحق من عصر إلى عصر، كيف كانت مصر عشية ثورة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢؟ ماذا كانت صورة مصر الاقتصادية والاجتماعية فى أوائل الخمسينات؟ ماالتركة المثقلة التى تسلمتها القيادة الثورية ليلة أن استولت على السلطة؟.

يمكن فى إيجاز شديد أن نرسم الملامح الأساسية لتلك الصورة على النحوالتالى:

السيطرة الاستعمارية

لم تكن السيطرة الاستعمارية احتلالاً عسكرياً فحسب، بل إن ٨٠ ألف جندى بريطانى كانوا فى الواقع يحرسون عملية استغلال اقتصادى بشع يتولاها الاستعمارالعالمى، على سبيل المثال:

كان النظام المصرفى بأكمله. البنوك ابتداءً من البنك المركزى. الأهلى فى ذلك الوقت. حتى أصغر بنوك الرهونات تحت سيطرة رأس المال الأجنبى، لم يشذ عن هذه القاعدة إلا بنك مصر، وثلاثة بنوك شبه حكومية محدودة النشاط، وحتى بنك مصر نجح الاستعمار مستعيناً بالحكومة فى ذلك الوقت أن يقصى عنه القيادات الوطنية، ويفرض عليه قيادة متعاونة معه، ويربط نشاطه برأس المال الاستعمارى كان كل نشاط التأمين فى مصر بيد وكالات أجنبية، أو فروع لشركات أجنبية، أو شركات مصرية اسماً يسيطر عليها الأجانب فى الواقع، معنى ذلك أن المال عصب الحياة الاقتصادية لم تكن تحكم حركته قرارات مصرية،ومعناه أيضاً أن مدخرات المصريين لدى البنوك وشركات التأمين كانت تحت تصرف الأجانب، كانوا كذلك يحولونها إلى الخارج أو يوجهونها إلى تمويل نشاط الأجانب والتمصرين فى مصر، ولم يكن يحظى بقروض من المصريين إلا الاقطاعيون وكبار الرأسماليين المرتبطين بالمصالح الأجنبية، فقد كان ذلك هو سبيل رأس المال الاستعمارى فى أخذ نصيبه مما يستولى عليه أعوانه، من عرق الفلاح والعامل المصرى.

وهكذا كان طريق التنمية مسدوداً أمام الرأسمالية الوطنية، التى كانت تعانى الأمرين فى الاقتراض من البنوك الأجنبية، بل أمام الدولة ذاتها فلم تكن تملك. حتى لو أردات.

الموارد الكافية لتمويل برنامج إنمائى.. التجارة الخارجية كانت حكراً للأجانب، وقلة من المصريين تدور فى فلكها.

أهم الصادرات وهو القطن نحو ٨٥٪ من الاجمالى له بيد بيوت التصدير، وهذه البيوت كلها أجنبية، تسيطر على المحالج والمكابس، والواردات تمر حتماً بالتوكيلات المحلية للشركات الأجنبية، ووكالات الاستيراد والوسطاء الخاضعين لها.

.. كانت التجارة الخارجية تمثل فى ذلك الوقت نحو ٥٠٪ من الدخل القومى، ومعنى ذلك أن نصف الدخل القومى لا تؤثر فيه يد وطنية ولا سياسة وطنية، وكان من المستحيل إجراء أى تعديل فى اتجاهات التبادل الخارجى، تمليه مصلحة الاقتصاد القومى أو فى هيكل التجارة الخارجية، لزيادة الواردات من المعدات ومستلزمات الإنتاج الضرورية لأدنى جهد إنمائى.

.. مصادر الطاقة المحركة، وهى أساس التصنيع وتطوير الزراع، كلها بيد الأجانب.

.. استخراج البترول احتكار لشركة شل، واستيراد البترول ومنتجاته وتوزيعه بيد شركات البترول العالمية، أو فروعها المحلية.

.. محطات الكهرباء الهامة التى تولد الكهرباء بيد شركات فرنسية أو بليجيكية..

.. شركة المياه التى تعطينا المياه لنشربها شركة فرنسية، والمياه مياه نيلنا، فطاع الماء كان للمصالح الاستعمارية فيه الوزن الأكبر. فقناة السويس كانت دولة داخل الدولة، وشركات النقل البحرى والنقل النهرى يسيطر عليها الأجانب سيطرة كاملة.

.. النقل العام بالقاهرة تحكمه شركة بلجيكية.

.. النقل الجوى يساهم فيه البريطانيون.

الصناعة

الجزء الأكبر من الصناعة برغم نموها المحدود كان فى يد الأجانب أو ساهم فيه الأجانب والمتمصرون، حتى صناعة النسيج المصرية التى أقامها بنك مصر دخلت مرحلة التعاون مع رأس المال الأجنبى، فكان للأجانب والمتمصرين النصب الأساسى فى تجارة

القطن، وفى منتجات القطن التى خضعت لتوجيهات بيوت التصدير الأجنبية والبنوك الأجنبية التى تمولها تجارة الجملة.

.. منتجات الصناعة المصرية. يسيطر عليها أجانب متمصرون، والمحال التجارية الكبرى فى مصر كلها أجنبية،بل صهيونية الاسم علناً كشيكوريل وشملا وجاتينيو وغيرها.

.. الزراعة كذلك، فبرغم اعتماد الاستعمار فى استغلال الفلاحين أساسًا على طبقة كبار الملاك الإقطاعيين دخل بعض الأجانب أيضاً إلى مجالها. سنة ٥٠ (١٩٥٠) كان بين الستين شخصاً الذين يملكون أكثر من ألفى فدان، ويسيطرون على ٥٪ من جملة المساحة الزراعية ١٨ أجنبياً، وإذا أضفنا إلى هذا العدد المتمصرين، والشركات الزراعية التى يسيطرعليها الأجانب اتضح أن ملكية الأرض الزراعية لم تنج من جشع الاستعمار.

.. إزاء ما برز من مظاهر السيطرة الاستعمارية على اقتصادنا وحرصاً على إسقاط محاولات الرأسمالية الوطنية غداة ثورة ١٩ (١٩١٩) فى بناء قطاع وطنى قوى فى الاقتصاد رفعت جماهير شعبنا شعار الجلاء عن مصر عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.

لقد أدرك شعبنا حقيقة الاستعمار كظاهرة استغلال اقتصادى، تختفى وراء القهر السياسى والاحتلال العسكرى، وكان على ثورة ٢٣ من يوليو أن تقوم بالمهمة المجيدة، مهمة تحرير الاقتصاد القومى من السيطرة الأجنبية، مهمة استرداد حرية الإرادة الوطنية فى تشييد اقتصاد البلاد.

الاقطـاع

.. لقد عمل الاستعمار البريطانى منذ احتلال البلاد عام ٨٢ (١٨٨٢) على تأكيد مركز كبار الملاك الإقطاعيين، وعلى زيادة عددهم، فأقطعهم الأراضى المغتصبة، ووزع عليهم أملاك قادة الثورة العرابية، وباع لهم بأبخس الأثمان أملاك الخديوى إسماعيل التى كان اسمها «الدائرة السنية». ومكن لهم فى الاستيلاء على أراضى الحكومة بدعوى استصلاحها، وجعلهم العمود الفقرى للسلطة السياسية والأجهزة الإدارية.

.. ذلك أنهم كانوا أداة للاستعمار فى إرهاب الفلاح واستغلاله.

.. وربما كان من المفيد أن نذكر بأوضاع الريف عشية الثورة. كان عدد من يملكون أكثر من ٥٠ فداناً يزيد قليلاً عن ١١ ألف و٨٠٠ فرد، وكان بيدهم ٣٨٪ من المساحة

المزروعة بمتوسط يقارب ٢٠٠ فدان للفرد الواحد.

.. وعلى قمة هذه الطبقة ٦٠ فرداً يملكون أكثر من ألفى فدان، بمتوسط قدره ٤٨٠٠ فدان للفرد الواحد فإذا أخذنا فى الاعتبار ملكية الأسرة لما هو معروف من أهميتها فى الأوضاع الاقطاعية ـ وصلت أرقام الملكية إلى حدود خيالية، وكان معنى هذا التركيز الشديد فى الملكية الزراعية أن الغالبية العظمى من الفلاحين لم تكن تمارس الملكية أصلاً، أو كانت تمارسها فى حدود لا تذكر، إذ هى أقل من فدان.

.. وعليها تبعا لذلك أن تستأجر من كبار الملاك، ومع تزايد عدد سكان الريف،وثبات المساحة المزروعة فى معظم القرى أخذت الإيجارات ترتفع بشكل جنونى، حتى وصل إيجار الفدان الواحد عند صدور قانون الإصلاح الزراعى الأول ٦٠ جنيهاً.

.. أما العمال الزراعيون الذين لم يكن بوسعهم أن يستأجروا الأرض فقد كانوا فى قاع البؤس، يقل أجر الواحد منهم عن أجر ماشية الحقل.

.. من أجل ذلك كان كبار الملاك الإقطاعيين يسيطرون على الحياة السياسية، فالدستور كان يشترط لعضوية مجلس الشيوخ ملكية أرض لا تقل ضريبتها السنوية عن ١٥٠ جنيهاً.

وانتخابات مجلس النواب، لو لم تزيف، كان يسيطر عليها تماماً أصحاب البيوت، وكان المتعلمون من أبناء هذه الطبقة يحتكرون المناصب العليا فى الدولة، ومنهم من أعضاء البرلمان يأتى الوزراء، ومن بين الملاك وأتباعهم يعين العمد وأجهزة الدولة الإدارية على مختلف مستوياتهم.

.. وكانت تكاليف التعليم فى مختلف مراحله ولاسيما التعليم العالى لا يتحملها إلا المقتدر.

.. أوضاع لابد أن يعرفها شبابنا، يعرفوا كيف كانت مصر ليلة ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢.

.. لقد كانت تلك الطبقة تمثل فى مواجهة الفلاح وفى مواجهة الثورة السلطة التى كانت تملك لقمة العيش ورهبة السلطان.

الرأسمالية الوطنية

.. ولقد حاولت الرأسمالية الوطنية بعد ثورة ١٩ (١٩١٩) أن تبنى الصناعة المصرية، وأن تدعم التجارة المصرية وأن يكون نشاط مصرفى فى مصر، ورفعت شعار تفضيل المنتجات المصرية فى الاستهلاك وتشجيعها، ولكن الاستعمار، مستعيناً بالحكومة، حارب كل تلك الجهود.

.. ثم تلت ذلك الأزمة الاقتصادية الكبرى.. فى أوائل الثلاثينات، فقضت على الكثير من المشروعات التجارية وعلى عدد من مشروعات النقل والصناعية القليلة التى نشأت برؤوس أموال مصرية.

.. ومن ناحية أخرى، أغلق الاستعمار أمام الرأسمالية المصرية أبواب التجارة الخارجية، وتجارة الجملة، وأعمال البنوك، وشركات التأمين، لأنها كلها - كما قلت - كانت فى أيدى الأجانب.

.. كل هذا عشنا فيه، وعاش فيه كثير ممن معنا الآن، ورأينا كيف فتح الاستعمار فى الباب منفذاً ضيقاً، لعدد محدود من كبار الأغنياء، ليشتغلوا بالأنشطة الطفيلية، أو بتلك الأنشطة المرتبطة بعملية الاستغلال الاستعمارى لموارد البلاد، من تجارة الداخل فى القطن والمقاولات، وعقود التوريد لقوات الحلفاء.. إلى آخره.

أمام تصاعد حركة التحرر الوطنى فى الأربعينات، لجأت بعض الشركات الأجنبية إلى استخدام بعض «الواجهات» المصرية، فاحتل عدد من الباشوات مقاعد مجلس الإدارة، واقتنى بعضهم شيئاً من أسهم تلك الشركات، وتحولت فروع بعض الشركات الأجنبية إلى شركات مساهمة مصرية، وسرعان ما رفع شعار حماية الصناعة المصرية، لتفرض الجمارك العالية التى تمكنها من البيع بأسعار مرتفعة، كما دخلت فيما بينها اتفاقات احتكارية لتحول دون أى انخفاض فى الأسعار.

وهكذا كانت الرأسمالية المصرية فى مجموعها على درجة من النمو ضعيفة إلى حد بعيد، كما كان فى داخلها انقسام واضح بين الرأسمالية الوطنية، ضحية القهر والاستغلال، والتى لاتعطى ما يساعدها على النمو، والرأسمالية الكبيرة التى تدين

بالولاء للمستعمر، والتى سلمت ـ وإلى الأبد ـ بأن لا مستقبل لها إلا فى خدمة هذا المستعمر، ولا ربح لها إلا من فتاته، ولذلك لم تكن تتصور مصر إلا دائرة فى فلكه، ولا تنظر إلى المطالب الوطنية إلا نظرة مساومة مع الاستعمار للحصول على شروط أفضل فى اقتسام عرق جماهير الشعب العامل.

أنا فى هذا المجال أذكر هذه الحكاية. أمام التيار الوطنى والقومى فى الأربعينات عملوا حكاية كانت مفضوحة، عملوا شركات مصرية اسماً، وأتوا بحفنه «باشوات» أقاموهم أعضاء مجلس إدارة، أنتم تعرفون إن أول معركة حصلت بيننا وبين إسرائيل كانت فى سنة ١٩٤٨، وكانت الهدنة فى سنة (٤٩ ـ ١٩٥٠) عند ذاك عدت للجيش بعد نحو ٨ سنوات أحببت أن اشترى «راديو» فى بيتى كفيرى من الناس، وكان الراديو فى ذلك الوقت، بالتقسيط، المحال كلها فى أنحاء القاهرة تابعة لتوكيلات الشركات الأجنبية، التى قالو عنها شركات مصرية، وأن أعضاء مجلس إدارتها فيها باشوات مصريون فى ذلك الوقت، كان توكيل شركة «فيليبس» فى المنيل، وكنت أسكن فى المنيل، وكان المشرف على هذا التوكيل عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين، هو حى يرزق حتى الآن، ذهبت إليه اشترى منه راديو سنة ٥٠ (١٩٥٠)، وكنت رجعت إلى الجيش كما قلت ولم أكن أملك ثمن الراديو نقداً وكان لابد من عقد للتقسيط، وأحضرالعقد، وكتبناه، واخترت الراديو، وذهبت إلى مركز الشركة ليصدقوا على العقد، وهناك وجدوا العقد مكتوباً باسم اليوزباشى محمد أنور السادات، وبكل سهولة ووكيل فرع المنيل عضو فى جماعة الإخوان المسلمين والشركة المصرية كما يقال، والباشوات عندنا لهم فيها أسهم وهم أعضاء فى مجلس الإدارة، ظهر أن الشركة يهودية مائة فى المائة، شأنها شأن كل شركة كانت فى مصر، أتعرفون ماذا قال؟ قال: إن مركز الشركة فى شارع قصر النيل لم يوافق؟ وقالوا له عد إلى اليوزباشى محمد أنور السادات إنه ضابط فى الجيش، ضباط الجيش حاربوا إسرائيل سنة٤٨ (١٩٤٨) ولهذا لا تقسيط لهم أبداً.

وهكذا نرى إلى أى حد كان يتحكم فينا هؤلاء الناس، إنها صورة قاتمة للتخلف الاقتصادى، والاجتماعى، واستغلال الشعب، لسيطرة الاستعمار.. والإقطاع.. ورأس المال المستغل على حياة الشعب واقتصاد البلاد،وكانت هذه السيطرة فى يد هذا التحالف ـ كما

أوضح الميثاق ـ وكانت تمثل السلطة السياسية فى الدولة، وكانت له الهيمنة الاقتصادية، وباستخدامها فرض على قوى الشعب العامل أبشع صنوف الاستغلال.

ننظر قليلاً: ماذا كانت محصلة عشرات السنين من سيطرة هذا التحالف البغيض؟ تخلف اقتصادى. تركزت الثروة فى أيدى عدد محدود من الأفراد، يتمتعون بمساندة الدولة الفقيرة. البلاد كانت أبوابها مفتوحة بلا أدنى قيد، وبدون ضرائب حتى سنة ٣٩ «١٩٣٩» أمام رأس المال الأجنبى يدخل ويخرج كما يشاء. الاقتصاد القومى كان فى حالة جمود شامل.

وخير تعبير عن ذلك هو أن زيادة الناتج القومى ـ والأرقام لا تكذب ـ خلال النصف الأول من القرن العشرين من سنة ١ ـ ٥٠ (١٩٠١ ـ ١٩٥٠) وقبل الثورة بسنتين لم تتجاوز ١,٦٪ فى المتوسط.

بل إن الجمود أصاب حركة السكان ذاتهم، فكان نمو السكان ـ نظراً للارتفاع الرهيب لمعدل الوفيات ـ ٢٧ فى الألف ولاسيما وفيات الأطفال التى بلغت ١٦٥ فى الألف، وكان معدل زيادة السكان فى المتوسط خلال نصف قرن ضعف الناتج القومى، ١,٦ طوال الخمسين سنة إلى أن متوسط دخل الفرد الحقيقى كان يكون ثابتاً طوال الخمسين سنة، والأرقام لا تكذب..

فى سنة ١٩١٢ كان متوسط دخل الفرد ٣٦ جنيهاً، وفى سنة ٥١ قبل الثورة ـ وبعد ٣٨ سنة ـ كان متوسط دخل الفرد ٣٧ جنيهاً،أى أنه فى ٣٨ سنة زاد متوسط دخل الفرد جنيهاً واحداً، مع أن السكان لم يكونوا يزيدون بمعدل الزيادة الآن، هذا المعدل الأخير الذى نشكو منه. وإنما معدل الوفيات عالياً، وكانت الزيادة حتى فى السكان بنسبة معتدلة جداً، ١,٧٪.

وكان الاستعمار وأعوانه يصرون على أن يغرسوا فى ضمير الشعب، أن مصر بلد زراعى بطبيعته، لا مجال فيه إلا للزراعة.. وكانت المساحة المزروعة لا تتجاوز ٣٪ من أرضنا كلها.

وكيف لهذه المساحة أن تستوعب إلى الأبد عدد السكان المتزايد، حقيقة أن بريطانيا حرصت على أن تكون مصر مزرعة للقطن، وفى الوقت نفسه تشتريه بأرخص الأسعار،

وحرصت أيضاً على أن تكون مصر سوقاً لمنتجات تلك الصناعة، وكانت الاستثمارات الأساسية التى أجرتها الدولة تنحصر فى الرى والصرف ووسائل نقل القطن، وفى مقدمتها السكك الحديدية، حتى تلك الدرجة من النمو فى قطاع واحد من الاقتصاد القومى، ظلت محدودة للغاية، فالرقعة الزراعية لم تزد من سنة ١٨٩٧، يعنى من أواخر القرن الماضى.. إلى سنة ١٩٥٠.. بأكثر من ٦٠٠ ألف فدان، أى بنسبة ١٢٪ خلال ٥٣ سنة فى حين زاد عدد السكان فى نفس الفترة أكثر من ١٠٠٪.

وكانت الصناعة دائماً القطاع الذى يضحى به الاقتصاد المصرى، بالرغم من أن ظروف الحربين السابقتين كانت تفرض نمو النشاط الصناعى، بالرغم من محاولات الرأسمالية الوطنية المصرية، بالرغم من ذلك ظلت نسبة المشتغلين بالصناعة لا تتجاوز ١٪ من السكان، وظل نصيب الصناعة من الدخل القومى لايزيد على ٩٪، وتميز النشاط الصناعى المحدود بطابع التكامل مع الإنتاج الاستعمارى، وليس بطابع منافسته بقصد الحلول محل المنتجات المستوردة.. وهكذا تركزت فى الصناعات التى تتوافر مواردها الأولية محلياً، ولا يمكن تصديرها إلى الخارج، مع وجود سوق محلية واسعة لها مثل صناعة الأسمنت، وصناعة السكر، والحديد من «الخردة» والصناعات الضرورية لتصدير القطن، كالحلج والكبس، وصناعة المنسوجات القطنية والسجاير، وإذا كان التخلف الاقتصادى يعنى بالنسبة للأكثرية العظمى من أبناء الشعب الفقر فى أسوأ صوره، فإن السلطة الرجعية الموالية للاستعمار لم تكن تعنى بصحة المواطن، ولا بتعليمه، ومن هنا جاء التخلف الاجتماعى.

كانت خطب العرش المتوالية تؤكد عزم الحكومة على مكافحة الفقر والجهل والمرض، ومع ذلك إذ نظرنا إلى مجال الصحة وجدنا أن عدد الأسرة بالمستشفيات لم يتجاوز ١,٤ سرير لكل ألف مواطن، ولم يزد عدد الأطباء عن طبيب واحد لكل ٣٨٠٠ مواطن، وكان عدد الأطباء فى أنحاء البلاد لا يتجاوز ٥٦٦٨.

والآن يتخرج كل سنة أكثر من ١٧٠٠ طبيب كان فى البلد كلها ٥٦٠٠، والآن يتخرج فى السنة الواحدة ١٧٠٠،كانت الغالبية من الأسرة والأطباء بالقاهرة والإسكندرية..أما سكان الريف فأقصى ما كانوا يطمحون فيه، مفتش الصحة فى المركز، ومستشفى متواضع فى عواصم المديريات وبعض المراكز.

التعليم

حكمت التعليم لعشرات السنين سياسة دانلوب المشهورة، وكان أساسها تعليم العدد المحدود اللازم لتزويد الحكومة بالموظفين.

ويجب أن نذكر.. أن الجامعة المصرية نشأت فى مستهل هذا القرن بجهود شعبية، ولم تصبح حكومية إلا سنة (١٩٢٥)، وأن المواطنين أنشأوا بأموالهم الكثير من المدارس حين ضاقت عن أولادهم مدارس الحكومة التى ظلت تتقاضى المصروفات الباهظة حتى قبيل الثورة، وفى التعليم العام وإلى ما بعد قيام الثورة كان تقدم التعليم محدوداً للغاية.

وكان عدد تلاميذ المدارس الابتدائية لا يزيد على ٧٥٠٠ لكل مائة ألف مواطن، وعدد تلاميذ المدارس الثانوية الفنية لا يزيد على ١١٦٠ لكل مائة ألف مواطن، أما التعليم العالى فكان الوصول إليه يكاد يكون مقصوراً على أبناء أغنى أسر الطبقات الوسطى فما فوقها، ولذلك لم يزد عدد الطلاب فيه عن ١٨٩ لكل مائة ألف.

ومع ذلك.. ومع البطء الشديد الذى اتسم به النمو الاقتصادى، انتشرت البطالة بين المتعملين على قلة عددهم، على حين زادت الأمية فشملت أكثر من ٨٠٪ من الشعب.

وأما الخدمات الاجتماعية وكانت مقصورة على بعض الإعانات للجمعيات الخيرية حتى صدر الضمان الاجتماعى المتواضع فى سنة (١٩٥٠)، ولم تكن الدولة تعير الثقافة أدنى اهتمام.

أيها الأخوة والأخوات:

تلك كانت صورة مصر ليلة ٢٣ يوليو، الاستعمار يمتص ثمار عرق الشعب العامل، لتثرى احتكاراته العالمية،وعلى ضفاف النيل بعض مئات من الأجانب والمتمصرين والإقطاعيين وكبار الرأسماليين يكدسون الثروات، ويعيشون فى بذخ وإسراف وتبذير، بعضهم كان يأتى بالعشاء من مطعم «مكسيم» فى باريس، ولا يقنع بجروبى ولا بغيره من المطاعم الكبيرة فى مصر.

وقد خلقت الحرب العالمية الثانية حالة من الرواج المصطنع، مصدره التضخم الذى تم لتمويل نفقات القوات البريطانية فى مصر، ودفع ثمنه الشعب كله، فى صورة غلاء لم

يسبق له مثيل، ولم يستفد منه إلا طبقة أغنياء الحرب، ولما تعاظم نضال الشعب المصرى من أجل الحرية والتقدم، أخذ الأجانب وكبار الأثرياء يهربون رؤوس أموالهم إلى الخارج، وفقدت البلاد عشرات الملايين من الجنيهات خرجت من مصر.

كان الفلاح يتحمل العبء الأكبر من الاستغلال، فهو القاعدة العريضة للهرم الاجتماعى، من عرقه يحصل الإقطاعى على الإيجارالباهظ، وتحصل البنوك العقارية على فوائد قروضها للإقطاعيين، ويحصل تجارالداخل وغيرهم من السماسرة على الأرباح التى تتخم بيوت التصديروالشركات الأجنبية. وكانت الجمعيات التعاونية القليلة القائمة تحت سيطرة كبار الملاك، وكان بنك التسليف لا يقرض إلا مالكاً أو بضمانة مالك، وكان عمال الزراعة محرومين من حق التنظيم النقابى، لا يجمعهم أى تشريع، وأجورهم فى الحضيض، وسيف الفصل التعسفى مشهور على رقابهم.

ولقد ناضل العمال طويلاً حتى حصلوا على الاعتراف بحق التنظيم النقابى فى سنة ١٩٤٢، ولكن حظر القانون عليهم أن يوحدوا صفوفهم فى اتحاد عام. ناضلوا من أجل زيادة الأجور، ولم يحصلوا إلا على حد أدنى للأجور قدره ١٢,٥ قرش فى سنة (١٩٥٠)، مع أن الأسعارقد زادت أكثر من ٣٠٠٪ فى ذلك الوقت عما كانت عليه قبل الحرب.

ولم يكن العمال يعرفون من التأمينات الاجتماعية إلا التأمين ضد إصابات العمل. أما المثقفون فكانوا يعانون من البطالة، ومزاحمة الأجانب لهم، ولا سيما فى قطاعات الصناعة والتجارة والمال والمهن الحرة، وكانوا يعانون أيضاً من ضيق فرص العمل بصفة عامة، بسبب البطء الشديد فى النمو الاقتصادى.

وكانت الرأسمالية الوطنية تختنق فى قبضة البنوك الأجنبية، وفى ظل سيطرة الأجانب على التجارة الخارجية، وهكذا كانت مصر فى ذلك الوقت وليلة ٢٣ من يوليو مجتمع النصف فى المائة.. النصف فى المائة الذى يعيش، ويستمتع بكل شىء (يقصد ٠,٥ ٪).

ننتقل الآن إلى ما بعد ٢٣ من يوليو.. الآن وبعد ٢٠ سنة عانينا فيها مختلف الضغوط والمؤامرات من جانب الاستعمار والاستغلال، وتعرضت البلاد للغزو مرتين، لننظر إلى صورة مصر فى أوائل السبعينيات.. لقد رأينا صورة مصر فى أول الخمسينيات، والآن نرى صورتها فى أول السبعينيات، بعد ٢٠ سنة من قيام الثورة.

اشتراكية حقيقية

لقد أكد الميثاق أكثر من مرة أن الاشتراكية كفاية وعدل، وأنها ليست مساواة فى الفقر، ولكنها تكافؤ فرص فى اقتصاد مطرد النمو، متزايد الانتاج، يسير قدما نحو الرخاء الشامل، ولذلك يجدر بنا أن نوضح باديء ذى بدء ما طرأ على الانتاج من زيادة فى حجمه ـ وتغيير فى هيكله قبل أن نتعرض لتطور الخدمات، وإجراءات العدالة الاجتماعية.

التنمية الاقتصادية والاجتماعية

بعض الأرقام القليلة يمكن أن تصور لنا أبعاد التنمية الاقتصادية والأرقام لا تكذب.

لقد زاد الناتج القومى خلال الفترة من ٥٦ – ١٩٦٦ بمتوسط سنوى قدره ٦,٧٪، وفى السنوات التى تلت العدوان، وبالرغم مما أحدثه من خسائر معروفة، وبالرغم من عبء المجهود الحربى، نجحت البلاد فى تحقيق معدل نمو فى السنوات الخمس الماضية بلغ ٥٪ فى المتوسط، وبلغ حجم الاستثمار الثابت فى السنوات العشر الأخيرة وحدها حوالى ٣٣٠٠ مليون جنيه، مقابل ألف مليون جنيه فى السنوات الخمسين والتى سبقت الثورة، وزاد متوسط دخل الفرد النقدى من ٣٥ جنيها سنة ٥٢ إلى ٧٩ جنيها سنة ٧٠ – ١٩٧١ .

خلال ٣٨ سنة ـ كما قلت من سنة ١٢ـ ٥٠ (١٩١٣ ـ ١٩٥٠) زاد الدخل الفردى جنيها واحدا، والآن وفى عشرين سنة زاد دخل الفرد ٤٤ جنيها، مع ما ينبغى أن يضاف إليه من تقدير الارتفاع الحقيقى فى مستوى المعيشة، وتعاظم الخدمات التى تقدمها الدولة للمواطنين، فى التعليم المجانى، والخدمات الصحية، ومع الاستمرار فى طريق التنمية، فقد نص برنامج العمل الوطنى على ظرورة مضاعفة الدخل القومى فى السنوات العشر القادمة، وتم إعداد خطة عشرية لتحقيق هذا الهدفل.

التقدم الصناعى

لعب التصنيع الدور الأساسى فى هذا النمو السريع الذى يندر أن نجد له مثيلا فى الدول النامية، باعتراف أجهزة الأمم المتحدة ذاتها.

لقد كان الانتاج الصناعى فى سنة ٥٢ (١٩٥٢) لا يزيد عن ٢٨٢ مليون جنيه، وبلغ

سنة ٧٠ ـ ٧١ (١٩٧٠ ـ ١٩٧١) أكثر من ٢٤٢٤ مليون جنيه، أى أن معدل الصناعة من الدخل القومى حوالى ٩٪ سنة ١٩٥٢، ثم وصل إلى ٢٢٪ سنة ٧٠ ـ ٧١ (١٩٧٠ ـ ١٩٧١).

وفى نهاية السنوات الخمس الأولى من الخطة العشرية سيتجاوز نصيب الصناعة من الدخل القومى نصيب الزراعة، وبهذا تعبر مصر خطوة حاسمة لتصبح بلدا صناعياً زراعيا، بعد أن عاشت طويلا بلدا زراعية خالصة، وانتاجية العامل فى الصناعة دائما أضعاف انتاجية العمل فى الزراعة، ولهذا كان الاستمرار فى التصنيع هو السبيل الأساسى لاستمرار الزيادة السريعة من الدخل القومى.

وأهم من الزيادة فى حجم الانتاج الصناعى حدوث تغير شامل وعميق فى هيكل الصناعة المصرية، لقد كانت أهم الصناعات القائمة فى بداية الخمسينيات ـ كما قلت: السكر والغزل والنسيج والأسمنت والأسمدة، ولقد زاد الانتاج منها عدة أضعاف، نتيجة للتوسعات والمصانع الجديدة، فإنتاج الغزل مثلا زاد من ٤٩ ألف طن سنة ١٩٥٠ إلى ١٧٥ ألف سنة ٧٠ ـ ٧١ (١٩٧٠ ـ ١٩٧١)، وإنتاج الأسمدة زاد فى الفترة نفسها من مليون إلى ٣,٨، وإنتاج الأسمدة الأزوتية من ٨٣ ألف طن إلى ٧٦٥ ألف طن، والسكر من ١٩٥ ألف طن إلى ٥٨١ ألف طن.

وتولى القطاع العام إنشاء عدد كبير من الصناعات لأول مرة فى البلاد، وفى مقدمتها صناعة الحديد والصلب، وصناعة المطروقات والصناعات الكيماوية، صناعة محركات الديزل.. السيارات.. الجرارات.. الصناعات البترولية والبتروكيماوية، وهذا بالإضافة إلى الجديد من الصناعات الغذائية والاستخراجية، والمنتجات المعدنية، والأجهزة الكهربائية.

الفارق الكبير بين قيمة الانتاج الصناعى فى سنة ١٩٥٢ وقيمته الآن يوضح أن الدور الأساسى فى التصنيع تولته الدولة عن طريق الصناعات الجديدة، والتوسع فى الصناعات القائمة، والاستمرار فى طريق التصنيع، وقد وضع برنامج العمل الوطنى للصناعة هدف نمو خلال السنوات العشر القادمة ١٢٠٪. وتضمنت الخطة العشرية ترجمة لما جاء بهذا البرنامج ـ التركيز على نمو الصناعة، وبالذات الصناعات الثقيلة، وفى مقدمتها الحديد والصلب، ومجمع الفوسفات، والألومنيوم، والسيليكون، وصناعة الآلات.

الطاقـــة

ولما كان التصنيع، وتطوير الزراعة، وتوفير الكثير من الخدمات يعتمد على الطاقة المحركة، فقد عنيت الثورة عناية خاصة بمصادر الطاقة، وإذا كانت جهود التنقيب عن البترول قد نجحت حتى الآن فى مضاعفة انتاجنا من البترول من سنة ١٩٥٢ إلى الآن إلى نحو تسع مرات، فهى تبشر بإذن الله بالمزيد من النجاح، وأن الجهد قد أثمر فى قطاع الكهرباء بعد كهربة خزان أسوان، وفيه خاض الشعب المصرى معركة رائعة.. ستظل مضيئة فى تاريخه العريق، هى معركة السد العالى بما يوفره من طاقة ضخمة ورخيصة.

هكذا زاد انتاجنا من الكهرباء من ٩٩١ مليون كيلووات ساعة فى سنة ١٩٥٢ إلى ٨١١٣ مليون كيلو وات ساعة فى سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١.

وفى نهاية السنوات الخمس الأولى من الخطة العشرية المعروضة على حضراتكم تكون الصناعة وكهربة الريف قد استوعبت الجزء الأعظم من الطاقة الكهربية المتاحة، ومن ثم فقد بدأت بالفعل الدرسات التمهيدية لتوليد الكهرباء من مصادر أخرى، وفى مقدمتها منخفض القطارة، ومشروع محطة الكهرباء الذرية.

تطوير الزراعـة

لم يكن الاهتمام بالصناعة ليعنى بأى حال أن نهمل الزراعة، إن الدولة استثمرت فى السنوات العشر الأخيرة، وحدها فى قطاع الزراعة والرى ما يقرب من ٥٥٠ مليون جنيه، غير استثمارات السد العالى الصافية وشمل الجهد الإنمائى التوسع الأفقى والتوسع الرأسى، بما يستلزمان من مشروعات الرى والصرف، وخروج الإنسان المصرى لأول مرة منذ آلاف السنين ليغزو الصحراء على نطاق واسع، ولا يقنع باستقطاع أجزاء يسيرة منها تحيط بالوادى والدلتا. زادت المساحة المنزرعة فى ٢٠ سنة بنسبة ١٦٪.

وإن أولئك الذين يحاولون التقليل من قيمة هذا الجهد بدعوى ارتفاع تكاليفه، يجب أن يذكروا أن غزو الصحراء لا يعنى فقط تسوية الأرض، وإنما يشمل أعمال الرى، والصرف، ورصف الطرق، وبناء الطرق الجديدة، وتوفيرالخدمات على مستوى متقدم، كذلك تداول الإدعاء بأن توزيع الأرض على صغار الفلاحين يؤدى إلى تدهور الإنتاج، ولكن بفضل جهد

الفلاح وأعمال التوسع الرأسى زادت إنتاجية الفدان من المحاصيل الزراعية.

فسنة ١٩٥٢ كان متوسط إنتاجية الفدان من القطن ٤,٥ قنطار، وأصبح سنة ١٩٧٠ - ٦,٣ قنطار، وفى الفترة نفسها زاد متوسط إنتاجية الفدان من القمح من ٥,١٨ أردب إلى ٧,٧ أردب.

وإنتاجية الذرة من ٦,٣ للفدان إلى ١١,٣ أردب الفدان فى المتوسط.

وانعكست تنمية الاقتصاد القومى على هيكل التجارة الخارجية، ففيما يتعلق بالصادرات هبط نصيب القطن من ٨٥٪ فى بداية الخمسينيات إلى ٤٨٪، فى حين نصيب الصادرات الزراعية من ١١,٩ إلى ٣٢٪ أما الواردات فقد أصبح المركز الرئيسى فيها ما يلزم الانتاج من سلع استثمارية ووسيطة، وهبط نصيب السلع الاستهلاكية غير المواد الغذائية التى زادت وارداتها نتيجة للزيادة الكبيرة فى عدد السكان - إلى ٥٪، وقد أصبحت صناعتنا توفر كل احتياجاتنا الاستهلاكية تقريبا، وكان ذلك تعبيرا عن استقلالنا الاقتصادى، وإنتهاء سيطرة بريطانيا على تجارتنا الخارجية وتنوع اتجاهات الصادرات والواردات عبر مختلف القارات.

إن الثورة المصرية وهى تعمل على زيادة الإنتاج، كانت تدرك دائما، أن هدفها هو إسعاد المواطن، وقد ترتب على زيادة فرص العمالة والارتفاع فى الدخول، أن الاستهلاك خلال السنوات العشر الماضية قد زاد بمعدل ٨,٣٪، وفى الوقت ذاته قدمت الدولة للمواطنين خدمات أساسية كثيرة، فى مختلف المجالات.

التعليم

أصبح التعليم فى جميع مراحله بالمجان، كما أن الطالب فى التعليم العالى يحصل على الكتب بلا مقابل.

أما ضرورة التوسع فى التعليم فإن نسبة الاستيعاب المدرسى فى حالة الإلتزام قاربت ٧٥٪، وكان معنى ذلك أن ارتفع عدد تلاميذ المرحلة الإبتدائية فى العشرين سنة الماضية من ١,٦ مليون إلى ٣,٨ مليون بمعدل زيادة سنوى قدره ٧,١٪، أى أكثر من ضعفى معدل زيادة السكان.

وارتفع عدد تلاميذ المدارس الإعدادية والثانوية بأنواعها من ٢٥٠ ألف تلميذ إلى مليون ونصف، أى بزيادة تعدل ستة أمثال ما كان. أما التعليم الجامعى فشهد ثورة حقيقية، فإلى جانب التوسع فى الجامعات القائمة، وذلك تحت إنشاءات جامعة أسيوط وتشييد جامعة الأزهر أعرق جامعات العالم، لتعود إلى ما كانت عليه فى عهودها الزاهية، تقدم كل أنواع المعرفة جنب إلى جانب مع الدراسات الدينية واللغوية، وامتدت فروع الجامعات إلى الأقاليم، فتقرر أن يتم خلال الخطة العشرية القادمة استكمال جامعة وسط الدلتا (جامعة طنطا)، وجامعة شرق الدلتا (جامعة المنصورة) وإنشاء جامعة فى أسوان، وبلغ عدد طلبة الجامعات والمعاهد العليا سنة ٧٠ ـ ٧١ (١٩٧٠ ـ ١٩٧١) أكثر من ٢١٣ ألف طالب مقابل ٤٠ ألف فقط عشية ليلة الثورة، أى بمعدل زيادة سنوى ٢٠٪.

.. والخدمات الصحية

ارتفع عدد الأسرة فى المستشفيات إلى أكثر من ٧٣ ألف سرير، أى بزيادة ١٥٠٪ خلال العشرين سنة، وأصبح هناك ٢,٢ سرير لكل ألف مواطن، وبالرغم من التزامات مصر إزاء الدول العربية والأفريقية، من ناحية تزويدها بالأطباء بلغ عدد الأطباء حاليا حوالى ١٥ ألف طبيب، بمعدل طبيب لكل ٢٣٠٠ مواطن، وقد أقر مجلس الوزراء سياسة صحية جديدة لتطوير الخدماتالصحية، والارتفاع بمستواها، وبصفة خاصة تشغيل الأسرة بأعلى كفاية، وتوفير خدمات التمريض على أوسع نطاق، وبدء تقديم العلاج الطبى للعاملين فى الدولة بمساهمة بسيطة منهم فى التكاليف، ويضيق المجال هناك عن الإفاضة فيما تحقق فى مجال الإسكان الشعبى، والمرافق، والخدمات الثقافية التى أنشأت لها الدولة لأول مرة فى تاريخ البلاد وزارة مستقلة.

ومن أجل الفلاح

الفلاحون هم أغلبية الشعب الساحقة، قد كانوا أول من اتجهت إليهم عنايةالثورة، فقانون الإصلاح الزراعى الأول هو باكورة الثورة، والآن وبعد قانون الإصلاح الزراعى الثانى الصادر فى سنة (١٩٦٩) اختفت فى الريف المصرى تماما الملكية الإقطاعية، ولم

يعد هناك فرد يملك أكثر من ٥٠ فدانا، وإنهارت بذلك سلطة الإقطاع السياسية، ونفوذه الاجتماعى، ونص الميثاق على أن يكون للفلاحين والعمال ٥٠٪ على الأقل من مقاعد المستويات القيادية فى الاتحاد الاشتراكى فى مجاله السياسى، وخص القانون صغار الفلاحين بمالا يقل عن ٨٠٪ من أعضاء مجالس إدارة الجمعيات التعاونية.

وزادت المساحة المملوكة لمن يملكون ٥ أفدنة فأقل من ٣٥٪، من إجمالى الأراضى المزروعة إلى نحو ٦٠٪، يضاف إليها ما حصل عليه الفلاحون بالتمليك والإيجار من الأراضى المستصلحة، ووفرت الدولة للفلاح الإئتمان الزراعى الذى يمنح الحائز الفعلى للأرض وليس المالك غير الزارع، وضمنت الثورة للفلاح الحصول على البذور والأسمدة وغيرها من مستلزمات الإنتاج بالأجل، وبسعر ثابت، وكميات كافية، وأقامت نظام التسويق التعاونى، وأممت تصدير القطن، وأنقذت بذلك الفلاح من شبكة الإستغلال الرهيبة التى كانت تحيط به عبر نشاط تجار الداخل، والبنوك الأجنبية، وبيوت التصدير الاحتكارية.

حياة الفلاح اليومية

وفرت الثورة له مياه الشرب النقية فى كل القرى باستثناء عدد محدود، سيتم تغذيته خلال هذا العام، وقدمت لأبناء الفلاح التعليم بالمجان، وشيدت المدارس الابتدائية فى معظم القرى، ووصلت الخدمات الصحية إلى الريف، فأنشأت الدولة فى السنوات العشر الأخيرة ٨١١٥ وحدة صحية ريفية، فضلا عن ٢٥٧ مجموعة صحية، وعلى الأقسام الصحية فى الوحدات المجمعة وعددها ٣١٨ مجموعة.

ومن ناحية أخرى، تقررت حرية التنظيم النقابى لعمال الزراعة لأول مرة، ووضع حد أدنى للأجور، وجعلت الدولة مشكلات العمال الموسميين فى رأس اهتماماتها، استمرارا من الثورة فى طريق الارتقاع بمستوى معيشة الفلاح وتطوير الزراعة.

واعتمدت مشروعين من شأنهما تغيير وجه الريف المصرى، الذى مازال يحمل علامات من العصور الغابرة، فقد تقرر كهربة الريف، وليس ذلك لأغراض الإنارة وحدها، وإنما لتطوير الزراعة، وتنشيط الصناعات البيئية والصغيرة، وتوفير سبل الثقافة

والإعلام، ثم جاء برنامج العمل الوطنى بأكبر مشروع قومى لخدمة الريف، وهو مشروع إعادة بناء القرية المصرية خلال العشرين سنة القادمة، وقد اعتمدت لهذا المشروع المبالغ التى تسمح بالدراسة وبدء التنفيذ فورا.

كما تضمن مشروع الخطة الاستثمارية اللازمة لذلك، واستيحاءً لهذا الاتجاه الأصيل من اتجاهات الثورة أقرت الحكومة مؤخراً السياسة الزراعية الجديدة التى تقوم على تقديم التيسيرات، ولا سيما لصغار الفلاحين ومتوسطيهم وتطوير الزراعة على الأسس العلمية الحديثة.

مكاسب العمال

لم يكن من المتصور أن تحدث بالبلاد ثورة صناعية حقيقية بدون تحرر الطبقة العاملة من القهر، والاستغلال، وإتاحة الفرصة لها لكى تسهم بكل طاقاتها الخلاقة فى بناء صرح الصناعة.

إن مجرد التوسع فى الصناعة يحمل بذاته الخير للعمال فى شكل فرص العمال المتزايدة التى تمتص البطالة، ولكن الدولة وفرت للعمال ما هو أهم وأبعد أثراً. لقد حظر القانون الفصل التعسفى، ووفر للعامل الحد الأدنى للأجور. الذى رفع فى سنة ١٩٧١، وأتاح للتنظيم النقابى فرص العمل داخل المصانع، ونشأ عندنا لأول مرة اتحاد عام للعمال المصريين، وتقرر مبدأ التفرغ النقابى، ثم تمثيل اللجنة النقابية فى اللجان المختصة بفض منازعات العمل، وكان التأميم واتساع نطاق القطاع العام بالمشروعات الجديدة هو الظرف المواتى لتأكيد حقوق جديدة للعمال.

فقد تقرر مبدأ اشتراك العاملين فى إدارة شركات القطاع العام، بانتخاب نصف أعضاء مجلس الإدارة منهم، وتلعب اليوم لجان الإنتاج التى تضم ممثلى لجنة الاتحاد الاشتراكى، واللجنة النقابية، وأعضاء مجلس الإدارة، وبعض العاملين الممتازين دورا هاما فى حياة الشركات.

كذلك تقرر مبدأ مشاركة العمال فى الأرباح بنسبة يحصلون عليها نقدا، وأخرى تخصص للخدمات المشتركة، بجانب ما أقيم بالفعل من مساكن للعمال.

وتنفيذا لذلك أقر مجلس الوزراء إقامة هذه المجمعات فى ثلاثة مناطق صناعية رئيسية هى: حلوان، وغرب الإسكندرية، وشرق الإسكندرية، بالإضافة إلى منطقة شبرا الخيمة.

وأصبحت مظلة التأمينات الاجتماعية تؤمن العامل ضد كل المخاطر بما فيها البطالة وأخذ التأمين الصحى يوفر للعاملين فى القطاع العام العلاج المجانى الكامل.

وتأكيدا لهذا الاتجاه صدرت التشريعات والقرارات التى تحمل إلى عمال القطاع الخاص عددا من أهم المزايا التى حصل عليها عمال القطاع العام، ويشترك العمال مع الفلاحين فى النسبة المخصصة لهاتين القوتين بين قوى الشعب العاملة فى الاتحاد الاشتراكى، ومجلس الشعب، والمجالس الشعبية، لأن العمال والفلاحين هم - كما جاء فى الميثاق - القوى المكونة للأغلبية، وهى القوى التى طال استغلالها، والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة، كما أنها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان.

الثقافــة

حررت الثورة الثقافية من السيطرة الاستعمارية، وأعادت صلة المثقف المصرى بتاريخه الحضارى الطويل، وكشفت له عن أمته العربية، وثقافتها الغنية وامكاناتها الواسعة، وفتحت أمامه كل النوافذ على الثقافة العالمية، بعد أن كان النفوذ الاستعمارى يحصره فى قنوات معينة.

كما حررت الثورة الثقافة من الطبقية، بعد أن وسعت قاعدة التعليم، وجعلت المدخل الوحيد إليه القدرة الذهنية على التحصيل والدراسة، وهكذا وصل أبناء الفلاحين والعمال إلى أعلى مراحل التعليم، ولم تعد المعرفة احتكارا لأولى الثروة، ولم تعد البلاد تحرم من كفاءات أبنائها لمجرد عجزهم عن تحمل مصروفات التعليم.

وشجعت الدولة التفوق، والدراسة، والبحث العلمى، وهيأت له السبل، وأفردت لذلك الجوائز، وجعلت للعلم عيداً فى كل عام.

وحظى الكتاب، والمسرح، والموسيقى، والسينما، والفنون، والفنون التشكيلية بمختلف أشكال التشجيع، وفى مقدمتها تمويل الأعمال الفنية الهامة، وإنشاء معاهد الفنون،

وتنظيم منح للتفرغ للإنتاج الأدبى والفنى.

ولقد أتاح تحرر الاقتصاد القومى من السيطرة الأجنبية، وتأميم الشركات الرأسمالية الكبرى، وإنجاز مشروعات التنمية الضخمة فرصة نادرة لجيل كامل من الفنيين والإداريين المصريين يتولى أعلى مراكز المسئولية فى مواقع الإنتاج والخدمات، ولقد أداها بكفاية وشرف.

إن مصر من البلاد النادرة فى العالم الثانى، التى يدير اقتصادها كله عناصر وطنية خالصة، وخلف هذا الجيل تنهض أجيال متعاقبة من الشباب المتعلم الذى توفر له الدولة بانتظام فرص عمل متزايدة لتقديم جهود التنمية.

إن احتياجات التنمية فى مصر، والتزامنا الأدبى إزاء شقيقاتنا العربية، والدول الأفريقية، تفرض علينا استمرار التوسع فى التعليم، ولكن فى ضوء تخطيط سليم، يوازن بين العرض والطلب فى مختلف التخصصات.

ولكن الدولة لا تملك فى مجال الثقافة أكثر من أن توفر سبيل التعليم، وتهيىء ظروف البحث العلمى ووسائل نشر المعرفة، ويبقى بعد ذلك أن تطوير الثقافة هو من عمل المثقفين أنفسهم، والمثقفون المصريون مطالبون بمزيد من الجهد من أجل بحث علمى أصيل، يجعلنا نسهم فى تراث البشرية ببعض ما نأخذ منه، وتكنولوجيا مصرية تغنى عن اعتمادنا على الخارج، وتستجيب لظروف بلادنا الخاصة، ومن أجل إنتاج فنى وأدبى يعبر عن نضال شعبنا وأمتنا، وعن قيمنا، ويأخذ مكانا مشروعاً بين الأعمال الأدبية والفنية فى العالمية، وهم أيضا مدعوون للإسهام فى معركة محو الأمية.. وفاء لهذا الشعب ولبعض ما قدم لهم.

الرأسمالية الوطنية

لقد اهتمت الدولة بالرأسمالية الوطنية المعادية للاستعمار، باعتبارها إحدى قوى تحالف الشعب العامل، وكان تحرير الاقتصاد القومى من السيطرة الأجنبية، وضرب إقطاع الرأسمالية الكبيرة، تخليصا لها من شبكة قهر واستغلال طالما حصرتها، بما خلقته من فرص نشاط منتج ومربح لآلاف من الرأسماليين الوطنيين.

إن الملكية الخاصة هى القاعدة العريضة فى قطاع الزراعة ويستفيد الزراع من الاستثمارات الضخمة التى تخصصها الدولة لمشروعات الرى والصرف، لتحسين التربة وتطوير الانتاج.

كما أن القطاع الخاص ينتج حوالى ٣٠٪ من الإنتاج الصناعى مستفيداً من مستلزمات الإنتاج التى ينتجها القطاع العام ومن زيادة القوى الشرائية فى الاقتصاد القومى.

وزيادة الإنتاج وارتفاع مستوى المعيشة يعنيان مزيدا من النشاط وفرص الربح فى قطاعات التجارة، والنقل، والسياحة التى يزدهر فيها القطاع الخاص.

ولقد أوصى برنامج العمل الوطنى بتشجيع تكوين تعاونيات إنتاج للحرفيين، حتى تتمكن الدولة من زيادة معوناتها لهم، وليستفيد المجتمع من دراياتهم الفنية فى زيادة الإنتاج.

وقد عنيت الخطة العشرية، بالقطاع الخاص فى الزراعة والصناعة، والنقل، والسياحة، والتجارة، وستستمر الدولة فى رعاية القطاع الخاص مادام ينشط فى إطار الخطة بعيدا عن انحرافات المضاربة والتجارة غير المشروعة، واستغلال العامل أو المستهلك، تلك كانت فرص مصر الاقتصادية والاجتماعية بالأمس غير البعيد، وهذه هى صورتها اليوم، والمقارنة بين الصورتين تؤكد على الفور المعانى الأساسية التالية التى لابد أن نركز عليها ونعيها:

أولا: أن هذا التغيير الشامل لم يكن ممكنا إلا بإسقاط سلطة تحالف الاستعمار والإقطاع والرأسمالية المستغلة، وإقامة سلطة تحالف قوى الشعب العامل.

وأن الاستقلال السياسى والاقتصادى هو الشرط الأول لكل تقدم، فلا يمكن أن تتم تنمية جادة ومستقلة ولا تحول اشتراكى فى ظل الاستعمار قديمة أو جديدة، واسترداد حرية الإرادة الوطنية، وهو وحدة بنفسة، كما أن قوانين الإصلاح الزراعى، وقوانين يوليو المجيدة وما تلاها من إجراءات التأميم، وقوانين مارس سنة ١٩٦٤ التى ألغت التعويض فى الإصلاح الزراعى، وجددته فى التأميم وتصفية الحراسات، التى استرد بها الشعب أمواله المغتصبة، هى التى مكنت الدولة من تحقيق الموارد اللازمة لخدمة أغراض التنمية

الاقتصادية والاجتماعية. هى فى الوقت ذاته التى حالت دون الاقطاع والرأسمالية الكبيرة، ودون استخدام المال سلاحاً سياسيا ضد الثورة.

وإن دعم السلطة السياسية لتحالف قوى الشعب العام وتطويره على النحو الذى يؤكد المشاركة المتزايدة من جانب الجماهير فى تسيير حياة البلاد السياسية والاقتصادية هو المفهوم السليم للديمقراطية، وهو الضمان الأساسى لاستمرار الثورة.

ثانيا: إن قطاع العلم بما توافر له من وضع قيادى فى اقتصادنا القومى، كان الأداة الفعالة للتنمية بفضله تحققت الزيادة، وهو الذى حقق الصمود الاقتصادى بعد العدوان، وكان التخطيط القومى الشامل الذى بدأ منذ سنة ١٩٦٠ هو الأسلوب العالمى لضمان الاستخدام الأمثل للموارد وتحقيق أعلى معدلات التنمية.

وهكذا ثبت فى الواقع العملى سلامة ما جاء بالميثاق عن حتمية الحل الأشتراكى باعتباره الطريق الوحيد نحو التقدم، وكذلك أكد برنامج العمل الوطنى دعم القطاع العام، ولا عن طريق التأميم، ولكن عن طريق التصدى للمزيد من مشروعات التنمية العملاقة، وفى مقدمتها السد العالى الثانى «مجمع الحديد والصلب» كما دعا البرنامج إلى تطوير التخطيط والإرتقاء بأساليبه، وأعدت بالفعل خطة عشرية جديدة تنفيذا لذلك.

ثالثا: أن ثورة ٢٣ من يوليو، ملك للشعب كله، آماله صارت أهدافها، ومن نضاله استمدت قوتها، ومن عرقه وجهده نبت هذا الصرح الشامخ من المنجزات، وكان تقدمها يستند دائما إلى انفتاحها على الشعب، ونظرتها إليه على أنه المعلم والقائد، وأنه وحده الخالد..

إن الفرق الجوهرى بين الإنقلاب والثورة، يكمن فى حقيقة أن الثورة ظاهرة شعبية أصيلة، لا تدعى الوصاية على الجماهير، بل تلتحم بها، وتتعلم منها، «وتضع نفسها فى خدمتها، ومن هنا كان النضال ضد كل مراكز القوى التى سعت للتسلط على مقدرات الشعب، »ومن هنا أيضا كانت حركة التصحيح فى مايو سنة ١٩٧١، وقد جاءت تأكيدا لما ورد بالميثاق من أن الديمقراطية هى الحرية السياسية، والاشتراكية هى الحرية الاجتماعية، ولا يمكن الفصل بين الإثنين، إنهما جناحا الحرية الحقيقية.

فالحرية الشخصية للمواطن، ومبدأ سيادة القانون لا يتعارضان مع التحول الاشتراكى، ولا ينبغى أن يكونا ذريعة لذلك، لأنهما فى الأصل ضمانا وتأكيداً لهذا التحول، بالاستناد إلى تأييد المواطنين الأحرار وإلى جهد الجماهير الخلاقة.

رابعا: إن ثورة ٢٣ من يوليو، هى فى الجوهر عملية البناء الرائعة التى شهدتها البلاد خلال العشرين عاما الماضية ، إنها لم تكن أبداً مجرد عملية استيلاء على السلطة، فالعبرة هى فيما تستخدم السلطة من أجل تحقيقه، ولم تكن الثورة أبدا أداة بطش، بل حرصت على أعرق تقاليد شعبنا الحضارى فى التسامح واحترام القيم الإنسانية، وهى حين أزاحت الإقطاع والرأسمالية الكبيرة ضمنت لأفراد الطبقتين العيش الكريم، وفتحت أمام أبنائه الفرصة متكافئة فى التعليم والعمل، وكان رائد الثورة دائما هو: إتاحة الفرصة لكل قادر على خدمة الوطن، والعمل الدؤوب على تحقيق الوحدة الوطنية حول الأهداف الأساسية.

خامسا: أن الدرس الأعظم، الذى نستفيده من خبرة العشرين عاما الماضية هو أن الاستعمار وأعوانه من الرجعيين، يتربصون دائما بنضال الشعب ومنجزاته، يريدون الإنقضاض عليه، والارتداد بالجماهير إلى أشكال التبعية والاستغلال.

وإن سلاحنا هو الشعب العامل، هو اليقظة الدائمة والحرص على استمرار الثورة، هو ما أنجزه شعبنا، وهذا رائع وجميل، وأروع ما فيه هو أنه يهىء لنا الظروف المواتية لإنطلاقة كبرى، لنصفى تماما آثار التخلف، ونبنى على هذه الأرض العريقة دولة حديثة تصل بين أمجد ما فى تراثنا وأحدث منجزات العلم.

أيها الإخوة والأخوات:

أشعر أننى أطلت الوقفة بكم أمام هذه الصورة بالحقائق والأرقام، ولكن هذه الإطالة - كما قلت لكم - ضرورة وحيوية فى هذه المناسبة بالذات، مناسبة العيد العشرين للثورة.

وذلك لكى يثبت منا من يريد أن يثبت، ولكى يتذكر منا من يريد أن يتذكر، وأهم من ذلك لكى يعرف منا هؤلاء الذين يجب أن يعرفوا. وأخص منهم بالتحديد شباب مصر، وأملها - وأصحاب المستقبل.

«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

هذا هو «أبلغ» رد على استهزائك برجال الثورة.. ليته يلجمك..

.. إنها شهادة «شاهد من أهلها».. إنها شهادة الرجل الذى قاد الإنقلاب على الثورة، وسار خلفه - ثم أمامه - عددا لا بأس به من الطبالين والزمارين لجنابه.. وكنت أنت «فى المقدمة» منهم أيها السعدة، ها هو سيدك الذى ربّاك ينطق بالحق - وليس سواه - فيقول للعالم كله ماذا قدمت ثورة يوليو لمصر..

لقد ظل السادات حتى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو الرجل «الثانى» فى مصر، وظل يُصدّر اسم عبدالناصر فى كل خطوة يخطوها، فبدا جمال عبدالناصر وكأنه لم يمت، أو كأنه هو الحاكم الحقيقى لمصر، ولاتمر مناسبة قومية إلا واسم عبدالناصر يتصدر كل التهانى والبرقيات فى كافة وسائل الإعلام، قبل اسم أنورالسادات نفسه، ولاتمر اى مناسبة إلا نجد السادات أمام قبر عبدالناصر حاملا باقة ورد وكأنه يستوحى منه قراراته، وفى كل خطابات السادات كان عبدالناصر محل إجلال ورهبة حين ذكر اسمه..

فلما جاء يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣.. وحصد السادات ثمار ما زرعه عبدالناصر وملأ به جيوبه.. انتفخ.. فخلع عباءة عبدالناصر وأمسك بالعصا الفرعونية.. ووجدنا أنفسنا فجأة أمام «الفرعون الإله»!!

داس عليه بشكل سافر.. وأعطى لرجاله «النباحين» الإشارة ليلطخوا صورته وسيرته.. ثم أعطى الأمان لكافة التيارات الدينية - لعلمه بكراهية بعض فصائلها لعبدالناصر - فخرجت من قماقمها، عن ظن منه أنها ستبيد سيرة الزعيم إلى الأبد فكان أن أبادته هو.. فكان مقتله على يديها.. وياعظمة الأقدار.

لقد خرج السادات ليعلن أنه الرجل الوحيد فى مصر على مر تاريخها، فهوالذى قام بثورة يوليو، وحذفت من كتب التاريخ المقررة على تلاميذ المدارس كلمة «جمال عبدالناصر» وأصبحت ثورة يوليو فى كتب التاريخ هى: «ثورة الضباط الأحرار التى أذاع بيانها البكباشى محمد أنور السادات» (!!). والميدان الذى أطلقوا عليه اسم «جمال عبدالناصر» بعد وفاته، عاد لأسمه الأسبق وهو ميدان التحرير، ثم أصبح يحمل اسم

ميدان أنور السادات بصفة رسمية على يد رجل يعرف ما هو الوفاء وكيف يكون ومع ذلك لم ولن ينطق أحد بلسانه اسم أنور السادات عليه، وبحيرة ناصر حذف اسمها من الكتب والأطالس، وأصبح اسمها بحيرة السد العالى، واستاد ناصر، أصبح استاد القاهرة، وفى مقابل بنك ناصر جاء بمرادف له هومعاش السادات، وفى مقابل أكاديمية ناصر العسكرية، جاءت أكاديمية السادات!!.. إنه الجنون.

أصبح السادات هو قائد ثورة يوليو ١٩٥٢، وفى مايو ١٩٧٤ فاجأنا بثورة جديدة.. فأطلق على مؤامرة مايو ١٩٧١ اسم «ثورة»، والتى كان يسميها «حركة» التصحيح - كما قرأنا فى العرض السالف لخطابه فى ذكرى الثورة عام ١٩٧٢ - أصبحت «ثورة» التصحيح بل هى أعظم الثورات فى تاريخ مصر.

وفى سياق «ولعه» بالثورات،أراد أن يحقق الرقم القياسى فى القيام بها وقيادتها، ظنا منه أن الثورة شىء يشترى من عند «البقال»، فأطلق على استصلاح بضعة أفدنة فى منطقة الصالحية مصطلح «الثورة الخضراء»!! رغم أن مشروع الصالحية يذوب خجلا أمام مشروع مديرية التحرير أوالوادى الجديد، أو النوبارية، أو الضبعة.. وكلها مشاريع عظيمة تمت فى عهد الزعيم ثم أهملت بعد وفاته.. أهملوا هذه المشاريع التى انتهى استصلاحها وزراعتها دون تكلفة تذكر، وراحوا يغنون لمشروع الصالحية، ولمهندس المشروع صهر أنور السادات.

وحينما فتح السادات باب استيراد الدواجن الفاسدة، ولحوم الكلاب والحمير ليأكلها الشعب «المطحون»، قال عن ذلك إنها ثورة، وسماها «ثورة الأمن الغذائى»!!.

وعندما «فكر» فى إنشاء عدة مدن، قالوا «الثورة العمرانية»!! ثم تفتق ذهنه عن ضرورة وجود «أكاديمية» تحمل اسمه على نمط أكاديمية ناصر العسكرية فأنشأ «كلية تجارة» جديدة وأسماها «أكاديمية السادات للعلوم الإدارية».. ثم قالوا إنها «الثورة الإدارية»!!. ولما تقرر بضع جنيهات كمعاش شهرى لفئات الشعب التى ليس لها أى مورد رزق، وبحد أقصى ١٢ جنيه شهريا، أسموه «معاش السادات» ثم غنوا لذلك، وقالوا إنها «الثورة الاجتماعية»..

حتى قوانين الضرائب، عندما تغيرت بعض ألفاظ بموادها قالوا عن ذلك «ثورة الضرائب»!!!

حتى ذكرى ميلاده (٢٦ ديسمبر) كان يتم الاحتفال بها وكأنها هى أيضا «ثورة»!!. وأخيرا كانت أعظم ثوراته، تلك التى تفجرت يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٨١، حينما بلغ مرضه مبلغا خطيرا، ووصل وهمه إلى درجة اليقين بأنه «الفرعون الإله» الذى لا يعصى له أمراً، وكان لديه بدلا من «هامان» مائة «هامان» زينوا له الباطل طريقا ورديا.. وحاول الكثيرون - داخل وخارج مصر - أن يقنعوه بأنه محمد أنورالسادات ابن قرية «كفر».. «ميت».. «أبو».. «الكوم»!!.. إلا أن محاولاتهم كلها باءت بفشل ذريع أمام صلفه وغروره المهووس، حتى انطلقت رصاصات الحق والعدل ونجحت فى اختراق عالمه لتضع حدا لهذا العبث الماجن.

والمفروض أن يعود «الجمع الهامانى» إلى رشده، لكن بعضهم ظل كما هو، يبحث عن «فرعون» جديد أو حاكم يفرعنوه، مؤملين أن يتمخض الوجود عن هذا الفرعون «الجاهز» أو ذاك الحاكم القابل للفرعنة، فبعضه لا يستطيع أن يكون سوى «هامان».

وكان علىٰ رأس هذا البعض ذاك السعدة..

تدنى سعدة إلى أسفل مستوى، وسمحت له نفسه أن يسخر بهذا الشكل «الفاجر» بهؤلاء الرجال العظام الذين صمموا.. ونفذوا.. وقادوا.. أعظم ثورة فى تاريخ مصر، توصف بأنها رائدة ثورات العالم الثالث فى العصر الحديث.

إنهم لم يقطعوا خطوط التليفونات.. ولم يضربوا عن أعمالهم.. ولم يحرقوا الترام. ولم يرفعوا صورا على قوائم، ويافطات تقول «الاستقلال التام أو الموت الزؤام»، لكنهم زلزلوا النظام.. وأسقطوه.. ورفعوا الشعب المصرى فوق أعلى سارية بالمجتمعات المتحضرة.

وبعدما انقض عليهم السادات، واضطهدهم.. رغم أنه كان «زبالتهم» ولكل كيان فضلات، وهو كان هذا الشيئ بالنسبة لرجال الثورة، ولهذا عمد إلى محاولة إذلالهم، لكنه عجز.

تجيء أنت يا أيها الفسل لتسخر منهم بهذا الشكل؟!.. وتصورهم خارجين من القبور؟!!..

هؤلاء «يابنى» لا يُقبروا.. لأن أعمالهم خالدة.. ولسوف يبقون رغما عنك وعمن ربوك.

وأخيرا أقول لك العيب مش عيبك برضه.. ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

فى العيد ٣٢ للثورة

جاء العيد رقم ٣٢ لثورة يوليو العظيمة، وقرر الرئيس مبارك أن يلقى خطابا فى ذكراها يوم ٢٢ يوليو ١٩٨٤، بقاعة الاجتماعات الكبرى بكورنيش النيل، وهو المقر السابق للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى، هب سعدة يشد الحزام، ويضع «الطبلة» بين فخذيه، وكتب مقالا رصينا بعنوان «الثورة المفترى عليها» بالعدد رقم ٢٠٧٢ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢١ يوليو ١٩٨٤، قال فيه:

«تحتفل مصر. هذا الأسبوع. بالعيد الثانى والثلاثين لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، ومنذ قيام الثورة وتقليد الاحتفال بذكراها لم ينقطع، ولم يفتر، ولم يتوقف، فطوال عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، كان عيد الثورة يشكل أهمية بالغة تميزه عن باقى أعيادنا القومية، وفى عهد الرئيس الراحل أنور السادات، احتفظ عيد ٢٣ يوليو بقدر عظيم من الاهتمام، والحفاوة، ويحظى من الشعب والحكومة بنفس القدر من اهتمامها بعيد انتصارنا العسكرى الباهر فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣، وهو نفس الاهتمام الذى يحظى به العيدان فى عهد الرئيس حسنى مبارك.

وكان من الطبيعى أن يعطى جمال عبدالناصر اهتمامه كله بأعياد ثورة يوليو.. فهو الذى خطط لها، وهو الذى اختار الضباط الأحرار للقيام بها، وهو الذى أعطى إشارة بدء تنفيذها، وهو. أخيرا. الذى تزعمها، وتحمل مسئولية قيادتها لسنوات طويلة، لقد ارتبط اسم جمال عبدالناصر بثورة يوليو، كما ارتبطت ثورة يوليو باسم جمال عبدالناصر، فكان الاحتفال بعيدها، هو احتفال بعيد الناصر فى نفس الوقت.. لقد واجهت ثورة يوليو أكبر، وأخطر تهديد لها فى أعقاب الهزيمة السياسية، والعسكرية التى لحقت بمصر فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ وهى الهزيمة التى وجد فيها أعداءالثورة فرصتهم الكبرى. والتى قد لا تتكرر. لطعن الثورة، والدعوة إلى تصفيتها، والسعى إلى التنكر لها، ولم يكن هذا الخطر

خافيا على الرئيس جمال عبدالناصر وقتذاك. فكان همه الأول. والأخير. أن يسترد لمصر كرامتها، ولجيش مصر قدراته، وللثورة تأييدها الشعبى الكاسح، عن طريق التخطيط والإستعداد لمعركة الثأر التى لا يقبل منها غير النصر وحده..».

●●●

ولا تعليق..... !!!



عبد الناصر — السادات — مبارك

الثورة المفترى عليها

بقلم : ابراهيم

تحتفل مصر — هذا الاسبوع — بالعيد الثاني والثلاثين لثورة ٢٣ ...
١٩٥٢ . ومنذ قيام الثورة وتقليد الاحتفال بذكراها لم ينقطع ...
يتوقف . فطوال عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، كان عيد ...
أهمية بالغة تميزه عن باقي أعيادنا القومية . وفي عهد الرئيس ...
السادات ، احتفظ عيد ثورة ٢٣ يوليو بقدر عظيم من الاهتمام ...
ويحظى من الشعب والحكومة بنفس القدر من اهتمامها بعيد انتصار ...
الباهر في ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ . وهو نفس الاهتمام الذي يحظى به ...



سعده.. والرئيس السورى حافظ الأسد

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

• السموءل •

معارضة للمعارضة المصرية

تسببت تصرفات أنور السادات الرعناء فى أن تقاطعنا الدول العربية، ولم تكن قطيعة الدول العربية لمصر لتتخطى شخص أنور السادات فقط، وكان الكل يعلم ذلك بما فيهم أنور السادات نفسه.. وبالتالى فكان لا حرج أن يذهب أى مواطن مصرى إلى أى من تلك الدول، أو أن تستقبل مصر رعايا تلك الدول الشقيقة.

وحدث أن زار وفد من أحزاب المعارضةالمصرية سوريا الشقيقة لعمل محاولة لتصفية الأجواء بين البلدين، ومثل هذه الأمور تدخل فى صلب العمل الحزبى كقوى سياسية لها وجودها الشرعى. لكن العم سعدة لم يعجبه ذلك..!!

كتب فى نشرة الحزب الوطنى المسماه مايو - جريدة الخبر الصادق والرأى الحر - بالعدد الثانى عشر، الصادر فى ١٨ مايو ١٩٨١، صفحة ٧ يقول:

«...

وعندما أتجاهل كل ما يقال عن بلدى، بألسنة بذيئة، وناكرة للجميل، ثم أوافق على قبول ضيافة أصحاب تلك الألسنة، وأستمع إليهم، وآكل من طعامهم، فهذا مالا أعتقد أن أشد المعارضين الوطنيين يسمح به، أو يوافق عليه!.

لا أتصور أن هناك من لا يجد أى حرج فى أن يترك القاهرة ويقبل دعوة حافظ الأسد الذى يشتم بلدى، ويتهجم على رئيس حكومتى، ويعذب الشعب السورى، ويطارد الإخوان المسلمين، وينسف منازل اللبنانيين، ويهدد الآمنين، وأقابله وأستمع إليه، وأشاركه

فى مواقفه! الذى لا أتصوره حدث بالفعل! والذى لا نقبله أقدم عليه البعض! إنها مأساة حقيقية، مأساة تستحق وقفة، وتستحق الدراسة. فهى فى الواقع تمثل تياراً لا يعبر عن مصر الحقيقة، تبرز اتجاها مرفوضا من أى مصرى، مؤيداً أو معارضا لسياسة بلده.

المعارضة القوية ـ والحقيقية ـ هى التى تعارض الحاكم فى أحد مواقفه السياسية، لا أن تذهب لتصافح اليد الملوثة بالدماء، وتتباحث مع الذين شتموا مصر، وتهجموا على زعامتها الشرعية، وأرسلوا عملاءهم لمحاولة إثارة الفتن وإشاعة الإرهاب داخل البلاد!

المعارضة كما أفهمها أن تقول (لا) لأنور السادات إذا رأيت رأيا غير رأيه، وليست المعارضة أن تذهب إلى الأسد أو إلى عرفات وتتفق معهما، وتصفق لهما وهما يتنافسان، ويتسابقان على شتم مصر، وشتم رئيسها الشرعى: أنور السادات!

حقيقة لقد إحترت فى اختيار الوصف المناسب لتلك المعارضة!»

بلطجة سوريا ..!!

وفى العدد ٢١١٧ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٥ مايو ١٩٨٥، كتب سعدة بالموقف السياسى، مقالا طويلا بدأه من الصفحة الأولى كان عنوانه: «البلطجة العربية» واعتلى المقال صورتان للرئيسين السورى حافظ الأسد، والليبى معمر القذافى.

وجاء بالمقال عن سوريا ما نصه:

«..

فالنظام السورى ـ مثلا ـ وراء كل كوارث، ومصائب، وخرائب لبنان، هو الذى بذر الشقاق، هو الذى أشعل نيران الحرب الأهلية، وهو الذى فرق بين فئات الشعب اللبنانى، فتحالف يوما مع المسلمين ضد المسيحيين، ثم صادق المسيحيين وضرب بهم المسلمين، لينتهى بتجنيد هؤلاء وأولئك لضرب اللاجئين الفلسطينيين تمزيقاً لصفوفهم، وتشريدا لقواهم، وتصفية لقياداتهم ليعود بقضيتهم عشرات السنوات إلى الوراء!

والشعب اللبنانى يعرف هذا كله، ويؤمن بأن النظام السورى لن يهدأ إلا بعد أن يجلس متربعاً فوق أطلال لبنان وجماجم سكانه والعالم العربى كله ـ من المحيط إلى الخليج ـ يعرف جريمة النظام السورى فى لبنان، ورغم هذا فإن أحدا لن يعارض، أو يرفض، أو

يثور! والأدهى من ذلك أن حكام لبنان يتجاهلون هذه الحقيقة. خوفا على بلدهم وحياتهم. ولا يكفون عن الحج إلى دمشق سعيا إلى إرضاء الأسد، وفزعا على بلدهم التى لا تفرق بين صديق الأمس وعدو اليوم!

زعماء الطوائف اللبنانية. من الموارنة والشيعة والسنة والدروز والاشتراكيين والرجعيين و.. و.. إلخ. يتلقون من سوريا الضربة بعد الأخرى، ويملكون الدليل وراء الدليل على تورط النظام السورى فى تخريب بلادهم ومحوها من فوق الخريطة، ولكنهم لا ينطقون بعد أن صمت الجميع وتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم، وحتفهم! فالزعماء العرب. الذين يبكون ليل نهار على ما آل إليه لبنان. لا يجرؤ واحد منهم على إدانة التدخل السورى، أو حتى مجرد التوسط الحميد لدى قادة دمشق رحمة بما أصاب لبنان وأصاب شعبه! فليس هناك من لديه الإستعداد لمواجهة الإرهاب البعثى السورى والبلطجة القذافية، إذا عارض أو ساند أو تعاطف، على عكس رغبة النظامين الإرهابيين. فما أسهل إشاعة الرعب داخل الدول العربية الصغيرة والمسالمة وما أسهل القيام بتصفيات جسدية لا تترك كبيرا أو صغيرا اعترض، أو رفض أو تحدى..».

الإرهاب السورى

فى العدد ٢١١٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ١ يونيو ١٩٨٥، الذى وافق ١٣ رمضان سنة ١٤٠٥هـ. كتب سعدة مقالا بعنوان «السلام على الطريقة السورية» قال فيه:

«يحتفل النظام السورى. هذه الأيام. بذكرى انتصار العاشر من رمضان وتلقى الرئيس السورى حافظ الأسد برقيات التهنئة من قيادات وكوادر حزب البعث الحاكم، تقديرا منها واعترافا «بالنصر» الأسطورى الذى حققه فى تلك الحرب ضد إسرائيل، وضد الإمبريالية الأمريكية، وضد الصهيونية العالمية! وليست هذه هذ المرة الأولى التى يحتفل فيها النظام السورى بانتصاره المذهل الذى يصفه البعض بأنه «أعظم انتصار حققه العرب فى تاريخهم، لولا التخاذل المصرى الذى جاء طعنة فى ظهر السوريين منعهم من الوصول إلى تل أبيب ودكها فوق رؤوس سكانها اليهود».

....

....

إن المخطط السورى واضح للعيان. والهدف من تصفية المقاومة العسكرية الفلسطينية فى لبنان لا يختلف عليه إثنان فسوريا تعهدت لإسرائيل بضمان حدودها مع لبنان عقب انسحابها فى الشهر القادم! والشيعة. بأمر من دمشق. تولت تنفيذ المذبحة وإبادة كل فلسطينى يقدر على حمل السلاح! والموارنة اللبنانيون أسعد الناس بالتخلص من الفلسطينيين المسلمين الذين كادوا أن يحكموا لبنان دونهم فى زمن مضى! والطوائف والأقليات المتعددة فى لبنان قد تستنكر المذبحة فيما بينها، ولكنها. بالقطع. لا تجرؤ على رفع صوتها خوفا من سوريا وخوفا من مذبحة أخرى تدبر ضدها!

وإسرائيل فى النهاية. راضية كل الرضا عما تقوم به سوريا نيابة عنها، دون أن يمسها من وراء ذلك أدنى شبهة من بعيد أو قريب!

إذا لم يكن هذا هو الإرهاب السورى بأبشع صوره، فماذا يكون إذا!؟ وإذا لم يكن هذا خوفا، ورعبا، وتخاذلا من جانبنا كعرب، فماذا نسميه إذن!؟ لقد رفض حافظ الأسد السلام على الطريقة المصرية الذى استردت به مصر أرضها المحتلة بلا دماء، واتهم أسلوبنا بأنه السبب وراء الكوارث التى حلت بالأمة العربية منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد! ولهذا السبب فإن سوريا تحقق الآن السلام الحقيقى على طريقتها وبأسلوبها وكان خراب لبنان، وإبادة الكفاح الفلسطينى المسلح، هما ثمار هذا السلام على الطريقة السورية.

.. وهنيئا لإسرائيل».

الحاكم الطاغية

وفى العدد ٢١٥٧ من أخبار اليوم، الصادر فى ١ مارس ١٩٨٦، كتب سعدة تحت عنوان «هناك فرق» مقالا طويلا بدأه من الصفحة الأولى جاء فيه:

....

«....وما أفظع الحياة التى فرضها حاكم دمشق على الشعب السورى، وما أبشع الإرهاب والقهر الذين يتعرض المواطن السورى لهما بأيدى الجبابرة الطغاة الذين يحكمونه

ويتحكمون فيه! نظام حكم بشع يؤمن بحقه . وحده . فى أن يأمر فيطاع، وينطق فينصت الجميع، ويمنح ويمنع، ويقتل ويرهب، ويرفع من يشاء ويهبط بمن يريد، وحاكم طاغية أوهم نفسه . ومن حوله . بأنه لا يخطىء أبداً! فقراراته يوحى بها من الشيطان! وهزائمه . الواحدة بعد الأخرى . تنقلب بالأقلام والخناجر إلى انتصارات كبرى لن تهملها أبرز صفحات تاريخ الطغاة! وقمع الشعب السورى وإرهابه وسجنه داخل الحدود، يصوره حكام دمشق كدليل على تمسك المواطنين بتراب أرضهم، وبعدالة حكامهم، وبكل الحريات المتاحة لهم والتى يحسدهم عليها جيرانهم وجيران جيرانهم!

....

....

ويقرأ الشعب السورى المنكوب بالعصابة التى تحكمه ما تنشره صحف النظام، فيتحسر على حاله وعلى المصير الذى ينتظر بلاده بأيدى الفاسدين، واللصوص، والمنافقين، والطغاة، الذين تحولوا . بقدرة الإعلام السورى . إلى أطهار، وشرفاء، وشجعان، ووطنيين رحماء ببلادهم ومواطنيهم، ما من سورى واحد إلا ويعرف حقيقة ما يجرى، وما يقال، داخل بلاده، وما من سورى واحد إلا سمع القصص والروايات عن فضائح وجرائم السفاح رفعت الأسد . شقيق القائد الأعظم حافظ الأسد . ولكن المعرفة والغيظ والغضب والاعتراض شيء، فى الدول الديمقراطية، وشيء آخر مختلف تماما فى دولة تحكمها الديكتاتورية بأفظع مظاهرها.. مثل سوريا ....

....

أسد من ورق..!

فى العدد ٢٢٠٥ من أخبار اليوم، الصادر فى ٣١ يناير ١٩٨٧، كتب سعدة تحت عنوان «أسد من ورق..!» مقالاً فى صدر الصفحة الأولى، وتتمته فى الصفحة الثامنة، جاء فيه:

«...

فقضية النظام الحاكم السورى واضحة للعالم كله! ومواقف حكام سوريا تثير السخرية، والاستهجان من رجل الشارع العربى وداخل سوريا ذاتها! وكان يكفى أن يعدد الرئيس مبارك بعض هذه المواقف وبعض تلك السقطات. محدداً أسماء أبطالها من أسود وقطط

سوريا. ليتوارى ويتدارى حافظ الأسد فى مقعده حتى لا تقع عيناه على وجوه الملوك والرؤساء، الضاحكة، الساخرة، والمتشفية!..

لقد انتهت أسطورة القوة القاهرة لحافظ الأسد وانتهى. بالتالى. الإرهاب السورى الذى نجح لسنوات طويلة ماضية فى إجبار حكام معظم الدول العربية على تبنى وجهة النظر السورية ضد مصر، ورفض وجودها فى الجامعة العربية، وحظر الاتصال بها على مستوى القمة، ووأد أية محاولة لإعادة مصر إلى العرب أو إعادة العرب إلى مصر.

لقد اقتنع. أخيرا. حكام الدولة العربية، بأن حافظ الأسد لم يعد النمر الذى كانوا يتصورونه! أو. على الأقل. أصبح مجرد «نمر من الورق» كما يقول الصينيون! لقد انكشف حافظ الأسد أمام العالم كله فهو «زعيم الأمة العربية» بأقلام المرتزقة وبأصوات الإذاعيين الذين يقولون ما يملى عليهم، وبتصريحات الحكام الذين لا حول لهم ولا قوة!..».

المعترضون!

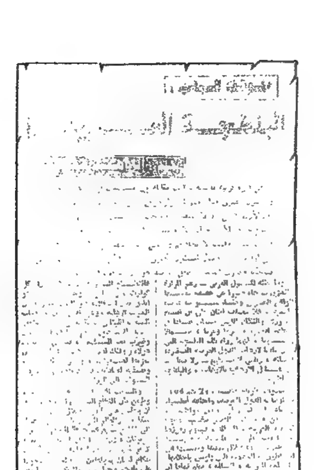
ويواصل سعدة تهكمه، وبذاءاته، وشتائمه ضد نظامى الأسد والقذافى، كلما لاحت له فرصة..

فى العدد ٢٢٥٦ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٣ يناير ١٩٨٨، كتب سعدة فى «موافه» السياسى تحت عنوان «المعترضون الثلاثة..!» مقالا بدأ من صدر الصفحة الأولى. جاء فيه:

«...

....

ولم تحقق جبهة الصمود والتصدى شيئا واحداً مما وعدت بتحقيقه، ولم تتحرك قوات الجبهة خطوة واحدة إلى الأمام! كل ما حققته، وكل ما أنجزته هو حربها الإعلانية الضارية ضد مصر، وسياستها، وقيادتها، وشعبها! حرب لا هوادة فيها ولا رحمة! حرب الكلمات النارية تمتلىء بها أعمدة الصحف، وتزأر بها عبر إثير إذاعاتها التى تبث إرسالها ليل نهار، وتصب حممها من خلال شعاراتها التى أرعبت أعداء الأمة العربية وزلزلت الأرض من تحت أقدامهم.



وتحقق النصر الكبير..!

وازداد عددا الأبطال المنتصرين!

وأصبح الرئيس السورى حافظ الأسد زعيم الأمة العربية من المحيط إلى الخليج! وتقمص الرئيس الليبى شخصية الزعيم القائد الذى لم . ولن . تعرف البشرية مثيلا او نظيرا له! فهو وحده الذى يستطيع أن يحقق آمال وأحلام الأمة العربية، وهو وحدة الذى يقدر على إنتزاع حقوق العرب من أيدى المعتدين الغاصبين!

وتوالت الانتصارات فى كل مكان عندما أعلنوا عزل مصر عن الأمة العربية.............

....

لقد كانت زيارة الرئيس حسنى مبارك لدول الخليج فرصة لكشف هذاالتحالف الرخيص والمريب الذى جمع بين رئيس سوريا ورئيس ليبيا وحكام طهران ضد الأمة العربية التى تواجه . فى هذه الأيام . أخطر التحديات التى تستهدف أمنها وسلامة حدودها ومستقبل أجيالها!.



[illegible]

جريمة الإعلاميين!!

فى ٢ مايو ١٩٩٠ قام الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك بزيارة رسمية لجمهورية سوريا الشقيقة، منهيا بذلك قطيعة عمرها ١٣ عاما بين البلدين..

وسافر مع من سافروا بصحبة الرئيس - ضمن الوفد الإعلامى - إبراهيم سعدة رئيس تحرير أخبار اليوم..

وخرج علينا سعدة فى العدد ٢٣٧٤ من أخبار اليوم، الصادر فى ٥ مايو ١٩٩٠، بمقال عنوانه: «أفراح الأسبوع» جاء فيه:

«...

لماذا حدث ماحدث بيننا وبين أشقائنا فى سوريا؟!

خلاف فى الرأى؟! خلاف المواقف؟! خلاف بين الزعماء والقادة؟! خلاف بدأ عاما ثم أصبح خلافا بين الأشخاص؟! يجوز أن السبب هذاكله أو أكثر منه، ولكن الغريب. والمدهش فى نفس الوقت. أن يتحول هذاالخلاف المحدود إلى قطيعة طويلة تستخدم فيها اجهزة الإعلام كل أسلحتها، كل براعتها، وكل تناقضاتها من أجل الإيحاء بأن القطيعة دائمة، والكراهية راسخة، وتربص كل جانب بالجانب الآخر قضية حياة أو موت بالنسبة لهما معا!

....

....

المهم الآن فى تصورى أن ما حدث وما رأيناه فى دمشق يدفعنا دفعا. نحن رجال الإعلام وحملة الأقلام فى العالم العربى. إلى إعادة النظر فى أسلوبنا الإعلامى فى معالجة قضايانا العربية وفى الخلافات التى يمكن أن تحدث بين حكوماتنا..

الذى حدث. وبالذات بالنسبة لموقف الشعب المصرى والشعب السورى. أكد أننا كنا فى واد وكانت شعوبنا فى واد آخر! نحن نجسم الخلافات، ونفجر الصراعات، ونخلق الكراهية والحقد فى العقول قبل القلوب، والشعب. هنا وهناك. يقرأ لنا ويستمع إلينا ولكنه لا ينفعل ولا يتأثر بما نكتبه وما نقوله!

ملايين الكلمات كتبناها ونطقنا بها ونحن نحارب فى حربنا الإعلامية المقدسة(!) وتصورنا أن كلا الشعبين: السورى والمصرى قد انتهى وتلاشى! لكن ما إن يعلن عن زيارة يقوم بها الرئيس المصرى لدمشق تلبية لدعوة من الرئيس السورى حتى تتفجر الفرحة من كل بيت فى دمشق ويخرج سكانها لاستقبال الرئيس مبارك فى المطار وعلى طول الطريق حتى مقر إقامته! ويكفى أن تعود العلاقات الرسمية بين القاهرة ودمشق ويزور المصريون العاصمة السورية لعدة ساعات حتى يجدوا من الحفاوة والترحيب من رجل الشارع السورى ما ينسف كل ما كنا. ونحن فى أبراجنا العاجية. نتصوره ضربا من المستحيل!

درس تعلمناه وحقيقة كانت غائبة وتجربة يجب الا نكررها مرة أخرى»

●●●

هكذا..!!!!

هكذا.. بمنتهى السهولة؟؟!!

أصبح حافظ الأسد - الديكتاتور.. السفاح.. الطاغية.. المجرم.. المقامر.. العميل.. الخائن - حبيباً لإبراهيم سعدة، رغم أنه هو نفسه الذى نعته بكل هذه الصفات وأكثر.

وبكل بجاحة، ودون خجل، يعترف سعدة بأنه واحد من الذين عملوا على اتساع هوة الخلاف بين البلدين.. وبكل بجاحة يعترف بأنه واحد من الذين جسموا الصراع بين البلدين.. وبكل بجاحة يعترف بأنه شارك فى زرع الكراهية بين الشعبين.. بكل بجاحة يعترف - أيضا - أن ما يكتبه لا يجد صدى عند أحد!!!

يالها من جرأة يحسد عليها.

يعترف هكذا بجريمة - لا أقل من الإعدام رجما عقابا عليها - بمنتهى السهولة.. ويعد بأنها لن تتكرر.. لكنها تكررت.. وتكررت بمنتهى البشاعة مع العراق، والأردن، واليمن، وفلسطين، والسودان.. وغدا ستعود الأمور لطبيعتها، ومع نفس هذه الأنظمة.. ترى ماذا سيكون موقفه..

ومع ذلك فلن أترك «تهليله» بعودة العلاقات بين البلدين، دون أن أذكره بشىء كتبه منذ سنوات طويلة.. لنرى أن عودة العلاقات بين أى شعبين عربيين له عند سعدة رؤى شتى..

فلاش بــاك

العدد: ١٨٥٠ من أخبار اليوم

بتاريخ: ١٩ أبريل ١٩٨٠.

فى «المواف السياسى» كتب سعدة:

«اثارتنى صورة غريبـة نشرت منذ أيام فى بعض الصحف العربية، الصورة التقطت فى مـدينة طرابلس بليبيا، وتسجل عناقاً حارا بين الرئيس الليبى مـعمر القـذافى، والزعيم الفلسطينى ياسر عرفات!

....

....

وينسى الزعيمان خلافاتهما، وشتائمهما..

وتعاد العلاقات، وتسجل العدسات القبلات والأحضان الحارة، والمتبادلة، بين الشقيقين العـدوين! وتصـدر الأوامـر بوقف الحـملات الإعلامية، وتبـدأ مرحلة جـديدة من حـملات التأييد والصداقة إلى ابعد حدودها...

....

إن مـا حـدث فى طرابلس، يعتبر مهزلة كبرى...

....

فهم يتخاصمون ثم يتصالحون..

يتآمرون، ثم يتعانقون...».

هكذا كان سعدة..

لمجرد أن «تصالح» زعيمان عربيان، قال إنها «مهزلة» كبرى..

صح.. صح وألف صح..

المفروض أن يظلا متخاصمين.. عدوين.. إلى الأبد..

لكن إذا كان أحد هذين الرئيسين مصرى.. فالأمر مختلف..

ثم يكرر الجريمة

لقد اعترف سعدة بأن أجهزة الإعلام تجسم الخلافات العربية.. وأنها تبذر بذور الكراهية بين الشعوب.. وعاهد نفسه أمام القراء - بالمقال الذى تعرضنا له بعنوان «أفراح الأسبوع» - بأنه لن يكرر هذه الجريمة..

«لكنه - وهو من لا كلمة له ولا مبدأ ولا منهج - عاد وكرر جريمته عام ١٩٩٢، عاد سعدة ليمارس هوايته، وكأنه يعمل «بياع مسامير».

فهو لا يعجبه أن تبدى أى دولة «عربية» رأيا يخالف نظام الحكم فى مصر، فلا يهمه سوى إرضاء النظام عنه - من وجهة نظره هو - وبالتالى فأى جرائم يرتكبها فى سبيل ذلك فهى تهون وإذا ما استشعر أن النظام فى مصر غير «ميال» لأى نظام عربى آخر.. لا يلزم الصمت.. ولا يكتب كلمة تقرب وجهات النظر.. لكنه يزرع المسامير على طرق التقارب بين هؤلاء ومصر.

وهو فى هذه الحالة لا يعجبه أى شئ تقوله هذه الأنظمة، حتى ولو كان إشادة بمصر، ما دام النظام القائم لم يفتح لهم ذراعيه. والأنظمة العربية فى كل من الأردن، واليمن، والسودان، وفلسطين، كان لها رأيا مخالفا فى حرب تدمير العراق، وانتهت الكارثة، وكان أحد آثارها السيئة إنتشار الفرقة بين الدول العربية، فرأت هذه الدول أن يتجمع الشمل العربى من جديد.. فهل فى ذلك عار؟؟ فالعراق احتلت الكويت.. نعم.

ومن أيدوها أو عارضوها نحن لا سلطان لنا عليهم.. فهى دول مستقلة ذات سيادة.. فما يضيرنا نحن؟.. ومع ذلك ينادى زعماء الأردن واليمن والسودان وفلسطين بالتغاضى عما مضى.. وعودة الشمل العربى مرة أخرى.. لكن سعدة «الآمر الناه» فى الوطن العربى يرفض هذه الدعوة، وقال عنهم «عصابة الأربعة»..

وكتب مقالا فى العدد ٢٤٩٦ من أخبار اليوم الصادر فى ٥ سبتمبر ١٩٩١ بعنوان «لا جديد تحت الشمس».. جاء فيه:

«..

والأهم من هذا كله ان عصابة الأربعة التى اعتبرت مصر عدوها الأساسى. طوال أزمة الخليج. عادت الآن تتحدث عن مصر بكل الحب، والود والاكبار!



□□□

الآن في تصوري أن ما حدث وما رأيناه في [illegible] يدفعنا دفعا - نحن رجال الإعلام وحملة الأقلام في العالم العربي - إلى إعادة النظر في أساليبنا الإعلامية في معالجة مشاكلنا العربية وفي الخلافات التي يمكن أن تحدث بين حكوماتنا.

الذي حدث .. وبالذات بالنسبة لموقف [illegible] والشعب السوري - أننا كنا في واد [illegible] وادٍ آخر! نحن نجسم الخلافات، ونفجر [illegible] ونطلق القذائف والحقد في المقاول قبل [illegible] هنا وهناك - [illegible] ويستمع إلينا [illegible] بما نكتبه وما نقوله.

[illegible]

ومصر الكبيرة تعودت من «الأشقاء» الصغار على هذا التناقض بين الحب والكراهية، وبين الإقبال والإدبار! لم نعد ندهش من الشقيق الصغير الذى يقبل علينا فاتحا ذراعيه ليأخذنا بالأحضان، ونسى أنه تسلل. بالأمس. قابضا بيده على الخنجر ليحاول طعن ظهرنا به! الصغير سيظل صغيرا.. مهما كبرسنا ومهما شاخ قلبا وعقلا.

وللأسف الشديد.. لم تستمر هدنة الخداع طويلا. فأزمة الخليج لم تنته. وجهل ديكتاتورية بغداد لم يتوقف. لقد نجح فى الاحتفاظ بنظامه وسلطته حتى هذه اللحظة، على الرغم من هزيمته ومن تقزيم قدراته العسكرية، ومن خراب وتدمير بلده، ومن الإذلال الذى ما بعده إذلال.

وبدلا من أن يراجع صدام حسين حساباته الخاطئة، وبدلا. أيضا. من أن يتوارى وينزوى بعيدا، رأيناه ينتقم من شعبه البائس والمنكوب به أبشع انتقام(...).

●●●

ولا تعليق لدينا سوى أن نقول:

حسبنا الله ونعم الوكيل



سـعده.. والرئيس الليبى معمـر القـذافـى..

أترك مجاراة السفيه فإنها
نـدم وغب بعد ذلك وخيم
يا أيها الرجل المعلم غيـره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

• أبو الأسود الدؤلى •

بلا مبادىء ..!!

قال سعدة فى الزعيم الليبى معمرالقذافى ما نعجز عن حصره فى حجم أو مساحة أو رقم.. شن عليه حربا فاقت فى ضرواتها حروب اليهود القديمة على أنبيائها.. نعته بكل الصفات البذيئة فى اللغة العربية بجميع لهجاتها.. ونسب إليه كل الجرائم على الكرة الأرضية، سواء تلك الحاضرة، أو حتى تلك التى وقعت فى زمن سابق على مولده.. ثم تلك التى لم تقع بعد..

ونحن بيننا وبين ما ننسبه إلى سعدة كتاباته الباقية - حتى بعدما يموت - كى لا يظن أحد أننا نفترى عليه، رغم أنه أصغر بكثير من أن يكون محل إفتراء منا.

فى العدد ١٨٧٧ من أخبار اليوم الصادر فى ٢٥ أكتوبر ١٩٨٠، كتب سعدة على ناصية «موقفه» السياسى بصفحة ٨ مقالا عن العقيد القذافى تحت عنوان «رجل المبادىء» قال فيه:

«...

فالقذافى ليس بالرجل ذو المبادىء كما يتصور..! فهو - فى الواقع - بلا مبادىء على الإطلاق! ويغيرها كما يغير أحذيته. بدأ عدوا لدودا للاتحاد السوفيتى، فأصبح الآن الحليف الأول له فى المنطقة! تصالح وتحالف مع السودان، ثم أرسل السلاح والمرتزقة للإطاحة بحكم الرئيس نميرى! اتهم النظام البعثى السورى بكل كبيرة وصغيرة، ثم عقد معه - أخيرا - وحدة لا يغلبها غلاب! مد يد الصداقة والتحالف مع النظام البعثى العراقى، ثم هاجمه، وانحاز انحيازا كاملا إلى إيران فى حربها الدائرة حاليا فى العراق! حاول أن يغتال الملك حسين - بعد مذبحة الفلسطينيين فى الأردن - ثم استقبل حسين فى



طرابلس بالأحضان، فتح بلاده لمنظمة التحرير الفلسطينية وأغدق على رئيسها ياسر عرفات، ثم هاجمها، واتهمها بالخيانة، والعمالة، والصهيونية! وصف ملوك وشيوخ العرب بالفساد، والرجعية، والإنحلال، ثم زارهم فى عواصمهم، وتحالف معهم ضد مصر وضد أنور السادات الذى كان يزوره فى بيته ويطلب معاملته كأحد أبنائه!........................
....».

.. وبلا عقل!

وفى العدد ٢٠٦٠ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢١ أبريل سنة ١٩٨٤، كتب سعدة فوق رصيف «موافقة» السياسى تحت عنوان «همجية القذافى» يقول فيه:

«..

.إن ما يفعله العقيد القذافى ليس بالغريب عليه، ولا بالعجيب. إنه يواصل. فقط. أسلوبه الهمجى، الإرهابى، الذى لا يعرف غيره، ولا يحيد عنه، والمدهش. بل والمذهل. أن هناك فى مصر من لا يزال يأمل خيرا وصلاحا من القذافى، ويطالب بالتقارب معه، وينادى بالاستماع إليه.

لقد اثبت العقيد معمر القذافى. المرة بعد الأخرى. أنه رجل بلا منطق، وبلا مبدأ، وبلا عقل، فهدفه الأوحد هو إرهاب العالم كله، إقتناعاً بصلاحيته، وإيمانا بمواهبه، وإصراراً على زعامته، وتمسكا بآرائه فى أن يحكم الدنيا كلها!

.. وكان الله فى عون الشعب الليبى الذى ابتلى بمثل هذا الحاكم، وبإرهابه، وجنونه، وجرائمه».

مريض بالإنفصام

وفى العدد ٢٠٧٥ من أخبار اليوم، الصادر فى ٤ أغسطس ١٩٨٤، كتب الطبيب دكتور، أو الدكتور طبيب إبراهيم سعدة مقالا فى «موقفه» الطبى كان عنوانه «الإنفصام..!» قال فيه:

«..

وهذا الموقف. العجيب. يحتاج إلى بحث ودراسة من جانب أساتذة علم النفس، بعد أن احتار السياسيون فى تفسيره، وتفهم أهدافه وأبعاده! فلم يحدث أن سعت القاهرة إلى


السياسي

طرابلس، ولم يحدث أن طلبت مصر عقد اتصالات سرية أو علنية مع ليبيا . ولم يحدث أن أرسلت القيادة السياسية المصرية مبعوثا لها إلى طرابلس لينقل إلى القذافى رغبتها فى أن تبدأ صفحة جديدة فى العلاقات بين البلدين، ووقف الحملات الهجومية ضدها من أبواق ليبيا المقروءة، والمسموعة. القذافى هو وحده الذى طلب عقد اتصالات سرية . لا يعلن عنها . مع بعض المسئولين المصريين. وهو الذى طلب. ويلح . فى بدء الصفحة الجديدة، التى يبشر بها . وهو . أخيرا . الذى أعلن، المرة بعد الأخرى، عن قراره بوقف كافة حملات الهجوم والتطاول والتشكيك، التى تشنها أجهزة إعلامه ضد مصر! وكان دور مصر . من هذه المبادرات كلها . مقصورا على حسن الانصات وهز الرأس ترحيبا بالكلمات الحماسية الطيبة، التى لا يبخل بها مبعوثو القذافى بين الحين والحين، رغم اقتناعها بأن الكلمات الطيبة شىء، والتنفيذ شىء آخر مختلف تماما!

وكم أتمنى أن أجد تفسيرا واحداً لهذا الإنفصام فى موقف القذافى من مصر، لقد احترت فى تفسيره، ومن المؤكد أننى لست الوحيد الذى يعانى من هذه الحيرة، ويتمنى أن يسمع تفسيرا، أو تحليلا لشخصية القذافى، ينجح ويبدد الحيرة!».

إرهاب القذافى

وكتب سعدة فى العدد ٢٠٩١ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٤ نوفمبر ١٩٨٤ تحت عنوان «إرهاب القذافى» يقول:

«منذ سنوات طويلة ماضية، ونحن نتعامل مع القذافى كإنسان لا يتمتع بكامل قواه العقلية ويبدو أننا ارتحنا من هذا الوصف، وأصبحنا نكتفى بالسخرية من القذافى، ومن قراراته، ومن تصرفاته، ومن تهديداته. كنا . ومازلنا . نضحك عندما نرى صورته وقد أطال شعره! ونضحك عندما يعلن عن اعتكافه داخل خيمة وسط الصحراء! ونضحك عندما أصدر الكتاب الأخضر الذى يريد أن ينافس به كافة الكتب السماوية ويلغى كل دساتير وقوانين العالم! ونضحك عندما أحاط نفسه بحراسة قوية من الفتيات اللائى أشرف بنفسه على اختيارهن وتدريبهن! ونضحك عندما يعلن تأييده لأية حركة إنفصال، ولأية جبهة معارضة، ولأية فتنة طائفية، ولأى إرهاب دولى، ولأى اغتيال سياسى! ونضحك . أيضا . عندما يسعى إلى الوحدة مع سوريا وتونس والمغرب والجزائر ومصر و.. الصين!

وأعترب أننا أخطأنا فى حق العقيد القذافى، وتعاملنا معه بأقل مما يستحقه. فالرجل ليس مجنونا بالصورة الهزلية التى ارتحنا إليها، وتعاملنا بها مع إرهابه، وتهديداته، ونظرياته، وطموحاته. فقد أثبت القذافى أنه خطير إلى أقصى الحدود، وإرهابى لم يسبق للعالم أو واجه مثل إرهابه. وهذه الحقيقة سبقنى كثيرون إلى تأييدها، وتأكيدها فما أكثر السياسيين والمراقبين العالميين الذين حذروا حكوماتهم وشعوبهم من إرهاب الرئيس الليبى ووصفوه بأنه أخطر رجل فى العالم. وعلى الرغم من هذا الوصف الذى جرى على ألسنة هؤلاء السياسيين العالميين، فإننا سخرنا من سذاجتهم وتندرنا على سطحيتهم، وضحكنا من مخاوفهم!.

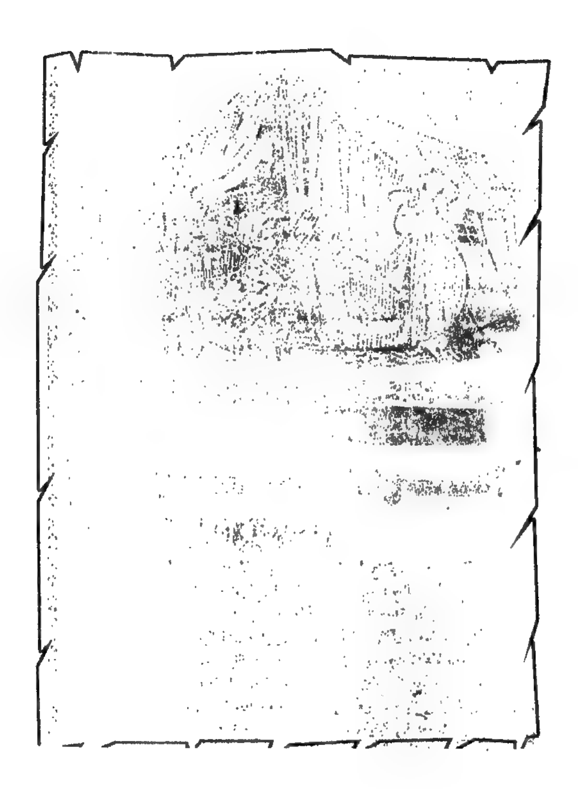
إن كراهية القذافى لمصر، وقيادتها السياسية، وشعبها، ليست خافية على أحد فهى معلنة بكافة وسائل الإعلام الليبية، المرئية، والمسموعة، والمقروء. فالقذافى يكره مصر لأنها أكبر دولة فى المنطقة وأكثرها تأثيرا وأعظمها حضارة، وعجز عن إخضاعها لزعامته، فوصفها - يوما - بأنها شعب بلا زعامة فى حين أن ليبيا زعامة بلا شعب! وهو يكره القيادة المصرية - السابقة والحالية - لأنها أجهضت أحلامه فى حكم مصر، وأحبطت مخططاته من أجل التآمر عليها والإطاحة بها لتفسح الطريق أمامه ليحكم الأمة العربية من القاهرة! وهو يكره الشعب المصرى لأنه لم يسانده فى مخططاته، ولم يتحالف معه من أجل الإطاحة بنظام الحكم فى مصر، ولم تخرج جماهيره إلى الشوارع تهتف بحياة القذافى وتطالب بالوحدة مع ليبيا! ....

....».

صقر العرب

وفى العدد ٢١٢٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٠ أغسطس ١٩٨٥، كتب سعدة مقالا بعنوان «صقر العرب الوحيد!» وبدأه من الصفحة الأولى قائلا:

«لا أعتقد أن حديثا كشف حقيقة العقيد معمر القذافى، وسلط الأضواء الكاشفة على غرابة شخصيته واعوجاجها، مثل الحديث الأخير الذى أجراه القذافى مع الزميلة «الأهالى» فى عددها الأخير واستغرق صفحتين كاملتين!



والحديث كله جملة تناقضات، ومفارقات، لا تنتهى. فهو يشعر بالحزن العميق لأنه لم يستطع أن يحقق أحلامه، ثم نراه ـ فى نفس الوقت ـ يكشف عن مطامعه وعن أوهامه التى لن يتنازل أبداً عن تحقيقها وفرضها فرضا على الكرة الأرضية!».

وبعد أن استعرض سعدة أهم ما ورد بحديث القذافى فى جريدة الأهالى الناطقة بلسان حزب التجمع، اختتم مقاله قائلا:

«صقر العرب الوحيد ـ كما يحب القذافى أن يوصف بهذا الوصف ـ لم يترك مناسبة إلا انتهزها للتبشير بالوحدة العربية، وحتمية رفع الحدود بين الدول العربية، وحق كل عربى فى التنقل والإقامة والتملك داخل أرجاء الوطن العربى من المحيط إلى الخليج. فالقيود والحدود وضعها الاستعمار والامبريالية لتمزيق الصف العربى خوفا من وحدتهم وقوميتهم وخطورة اتحادهم ونفس صاحب هذا الرأى هو الذى قال فى حديثه الأخير ما يتناقض تماما مع رأيه، وفكره، وكتابه الأخضر. ففى الوقت الذى قرر أن يدعو فيه مصر إلى وحدة المتناقضات ـ كما أسماها بنفسه ـ نجده يأمر بطرد أكثر من ١٠٠ ألف مصرى يعملون فى ليبيا! وقال إن هذا الطرد جاء نتيجة لمشكلة خاصة بحاجة ليبيا إلى العملة الصعبة. ثم عاد ونسف هذا المبرر وكشف عن أحلامه فى أن يجبر المصريين وغيرهم من العرب العاملين فى ليبيا على التخلى عن جنسيتهم وطلب الجنسية الليبية! وإذا قيل له إن هذا يثبت جذور الإقليمية، ويتناقض مع وحدة المتناقضات التى يبشر بها، لم يجد أدنى حرج فى الاعتراف قائلا: «العرب كلهم تأثروا بالإقليمية.. ومن بينهم طبعا الليبيون!...

....».

إعرف عدوك

وفى العدد ٢١٢٩ من جريدة أبوسعدة ـ أخبار اليوم سابقا ـ الصادر فى ١٧ أغسطس ١٩٨٥، كتب سعدة مقالا بعنوان «اعرف عدوك..» قال فيه:

«لا أعرف متى يقتنع البعض فى مصر بأنه لا جدوى من أى تقارب، أو تفاهم، أو تصالح، مع النظام الحاكم فى الجماهيرية الليبية؟! ولا أعرف ماذا يمكن أن يقدمه

العقيد القذافى من مبررات كراهيته للشعب المصرى أكثر مما قدم، وأكثر مما أظهر، حتى يعيد هذا البعض النظر فى سعيهم الدءوب لإعادة الجسور بين بلادنا والنظام الليبى؟! حقيقة.. لا أعرف إجابة عن هذين السؤالين وكم أتمنى سماعها من هؤلاء الذين يقبلون الذهاب إلى طرابلس تلبية لدعوة من حكامها، ويوافقون على مقابلة القذافى والتباحث معهم فى كيفية نسيان الماضى وفتح صفحة جديدة يمكن أن تعود بها العلاقات المصرية الليبية إلى الحد الأدنى من حسن الجوار.

سفيه .. ولكن ليس كويتيا!!

يبدو أن سعدة كان قد استنفد كل ما فى قاموسه اللفظى لشتم الرئيس القذافى، فاستضاف على صفحات جريدته كاتب كويتى «أهطل» يعمل «مالكا» لعدة صحف كويتية، اسمه «أحمد الجار الله».

خرج علينا العدد ٢٢٦٩ من أخبار اليوم فى ٢٣ أبريل ١٩٨٨، وفى يمين صدر الصفحة الأولى مقالا فى برواز على ٢ عمود بعنوان «سفيه القرن العشرين..!» كتبه هذا المسمى أحمد الجار الله، كنوع من «النقوط» لإبراهيم سعدة، يساهم به فى «عرس» الشتائم المتواصلة من سعدة إلى طرابلس وحاكمها الزعيم معمر القذافى، وكأن القذافى هذا قاسمه يوما فى رزقه أو فى رزق أهله.

ولأن المقال الذى كتبه الجار كان جميلا.. عفيفا.. رقيقا.. مهذبا.. امتاز ببعد الرؤية، وحدة بصيرة كاتبة، فنحن ننقله حرفيا كما نشرته جريدة «إبراهيم سعدة» والتى كانت تسمى سابقا «أخبار اليوم».

كتب هذا الجار لربه يقول:

«أزمة العقيد القذافى مع مصر، بل ومع العالم العربى كله، أن الرئيس المصرى الراحل أنور السادات قد نعته فى يوم من الأيام بـ «مجنون ليبيا» وليس بـ «مجنون ليلى».

أزمة القذافى أن جيش مصر فى يوم من الأيام كاد أن يقضى عليه، لولا تدخل أمريكا عبر الجزائر، ويومها . وهذا الكلام للتاريخ . توجه الرئيس الجزائرى الراحل هوارى بومدين، رحمه الله، إلى مصر، وقابل الرئيس الراحل السادات فى الإسكندرية، فى هذا

اللقاء طلب الرئيس الجزائرى من الرئيس المصرى إيقاف ضرب ليبيا على أساس أن القذافى تاب وأناب، وأنه لن يتحرش مرة أخرى بمصر، ولن يتدخل فى شئونها الداخلية.

أمريكا يومها كانت ترى فى القذافى رجلا صالحا، فهو يحارب الشيوعية وفق موجات مزاجه المتغير فى ذلك الوقت، وقت السبعينيات، فى تلك الحقبة من السنين كان مزاج القذافى معكراً تجاه روسيا، وضد الشيوعية، فوجدت فيه أمريكا خروفا سمينا يحارب عنها الأيديولوجية الشيوعية بلا مقابل، وبأموال ليبية، لكن مزاج القذافى تحول فيما بعد من عدو للشيوعية إلى صديق لها لكن الحسابات الأمريكية وجدت فى زعيم ليبيا ذات العشرين بليون دولار دخلا سنويا، وجدت فيه أيضا «طليا»، أى خروفا صغيرا يافعاً مفيداً مع الأموال فى «لخبطة» وضع العالم العربى، كما وجدت فيه حالة نادرة فى حب المخالفة، فعندما يقول العالم العربى أن الشمس تشرق من الشرق، كان القذافى يقول إنها تشرق من الغرب. هذا السلوك «الشيزوفرانى» تحكمت فيه أمريكا، بل وإسرائيل واستغلت هذا الجانب فى شخصية القذافى أحسن استغلال. والآن لنسأل سؤالا بسيطا: منذ سنة ١٩٧٠ وحتى هذه اللحظة وصلت مداخيل ليبيا من النفط إلى ما يقارب الأربعمائة بليون دولار. نعم أربعمائة بليون (بالباء وليس بالميم).. أربعمائة بليون دولار، أى بمعدل دخل سنوى يبلغ عشرين بليون دولار.. هذه الأموال الطائلة اين هى أمام الخزانة الليبية الخاوية لإنجاز ذلك المشروع الجنونى المسمى بـ«النهر العظيم» المستمد من آبار يابسة، أو على وشك اليباس.. القذافى دعم عدوان إيران ضد العراق لأنه، كما يقول، يريد أن يركع «بدو» الخليج، فسقوط العراق معناه عنده أن تعبر إيران منه إلى دول المنطقة كلها. وبالطبع ستكون لذة القذافى الشيزوفرانية مذاق خاص عندما يرى جحافل التتار الجدد، أى الإيرانيين، تعبر بوابة العرب الشرقية إلى سائر العرب وبلدانهم.. بعد ذلك كله، وبكل صفاقة، نجد أن القذافى يتحدث عن «الحدود المصطنعة» بينه وبين مصر، بل بينه وبين العالم العربى. لقد بدد القذافى أموال ليبيا، وهى بالتمام تقارب الأربعمائة بليون دولار «بالباء وليس بالميم».. أربعمائة بليون بددها هذا الرجل على حروب عنترية مضحكة، استفاد منها. بالطبع. المجموعة التى اعتاد عناصرها لبس النظارات السوداء، والتجمع حول سفيه القرن العشرين القذافى.. أموال عربية تذهب





باهتمام التجارب الألمانية في ليبيا على الصواريخ

أسسها مصطفى أمين وعلي أمين
سنة ١٩٤٤

حكمة اليوم

الذين يودون أن يوسعوا من
فضل الله ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا ..
« قرآن كريم »

رئيس مجلس الإدارة : موسى صبري
رئيسا التحرير : عبد الحميد عبد الغني - إبراهيم سعده
مدير التحرير : سعيد سنبل

١٦ صفحة - ٣٠ مليما

خبر اليوم

خصصت أمريكا التي طورت
دولاً لإنشاء عدد من القواعد
العسكرية في الشرق الأوسط
... بعض القواعد مقابل
حق استخدامها دون وجود
أمريكي دائم ..

العدد ١٨٩٧ السنة السابعة والثلاثون ... ١٤٠١ - ١٤ مارس ١٩٨١
1897 AKHBAR EL YOM, 14 MARCH 1981

أمريكا ... ليبيا

لقتل العرب، ودعم ثورات فى عالم بعيد عن ليبيا، وبعيد عن العالم العربى.. أموال تهدر لعمليات إبتزاز، وإرهاب، لم تجر علينا كعرب إلا سوء السمعة.

وعندما وجدت الولايات المتحدة ان القذافى قد تمادى قليلا عن الحدود المرسومة له بعثت له بطائرات من نوع خاص، لتقصفه.. وبالمناسبة فهى لم ترد قتله من خلال إجرائها التأديبى هذا، لكنها فقط أرادت ردعه قليلا. وبالفعل وعى القذافى الدرس، فحدوده فقط هى أن يشتم أمريكا لكن دون فعل شىء غير ذلك، فالشتيمة جزء من الخطة الأمريكية، والعواء فيها عواء مدروس، وكما يقول المثل العربى إن الذئب عندما يقرر اللحاق بالنعجة لافتراسها لا يؤثر عليه دلعها أو نرفزتها.

لقد أحسنت مصر صنعاً، عبر قيادة الرئيس حسنى مبارك، عندما أقفلت الباب أمام محاولات المزاج القذافى بالعودة إلى مصر، فمصر هى عقدة العقيد، ويبدو أنه لازال يحلم بعرش ريكاردوس قلب الأسد. فالرجل عبر خيمته الحريرية فى الصحراء ينتظر الفرج.. ينتظر إبتسامة حسنى مبارك أمام موفد ليبى، أو أمام رسالة شفوية ليبية، لعل وعسى أن يعود قائد القوات المظفرة فى عبور بوابة مصر، إلى العبث بها، وليسدد تلك الفاتورة السابقة من حسابها، فالقذافى لازال يشعر بالألم لمقولة الرئيس الراحل السادات رحمه الله عنه عندما قال إنه «مجنون ليبيا» وليس «مجنون ليلى»، الرئيس القذافى هو صورة طبق الأصل من الزعيم العراقى السابق عبدالكريم قاسم، الذى أقلق المنطقة عندما تولى حكم العراق فى الستينات.. صورة طبق الأصل مع فارق بسيط هو أن أموال القذافى أكثر. وأن نشاط القذافى امتد إلى أمريكا اللاتينية، وإلى السودان وأثيوبيا، وحتى إلى السفينة بونتى، التى التحق بثورتها وهو يشاهد فيلما شهيرا عنها اسمه «ثورة على السفينة بونتى»، ويومها طلب من وزير خارجيته أن يصدر بيانا يؤيد فيه هذه الثورة ويعلن إمدادها بالسلاح وإقامة وحدة مع الثوار فيها!!!

لكنه اكتشف مؤخرا أنها قصة لفيلم سينمائى، وأن بونتى سفينة وليست دولة!! وبهذه العقلية امتد نشاط القذافى بعيدا عن عبدالكريم قاسم انتهى بأن سحله الشعب العراقى، أى سحبه فى شوارع بغداد، حتى فارق الحياة فى أسوأ ميتة.

وهذه النهاية لن تكون بعيدة عن أحد فقد ينتهى القذافى إلى ما انتهى إليه عبدالكريم قاسم أو بوكاسا، الزعيم الأفريقى الذى ظن أن نابليون ابن عمه، وأنه من

نفس قبيلة الماوماو الكينية، لقد تلذذ نيرون على احتراق روما، ومن يدرى فقد تحترق طرابلس، ويومها سيسجل التاريخ ميلاد نيرون عربى.

لقد مضى على قيام النظام الحالى فى ليبيا ثمانية عشرا عاما، وكل عام كان يدخل على هذه البلاد عشرون بليون دولار منذ أن قام هذا النظام حتى الآن، ولو أن هذه المبالغ صرفت على شعب ليبيا، أو على برامج تحقيق وحدة العرب الحقيقية، لكانت مصر الآن بخير، وتونس بخير.. أربعمائة بليون دولار يمكن أن تصنع الكثير لشعوب العالم العربى.

.. لكن لماذا نسأل هذا السؤال ونتمنى هذه الأمنيات؟! لقد جاء القذافى لهذه المهمة التخريبية وعندما يتحول إلى مهمة أخرى فإن يد العقاب ستناله، مثلما نالته عندما خرج عن الحدود المرسومة له، ولا نملك إلا أن نقول اللهم لا نسألك رد القضاء وإنما نسألك اللطف فيه!!».

●●●

يا سلام..!!

يا ألفين سلام وسلام!!!

يا ميت مليون سلام عليك يا جار ربنا!!!

عشنا وشفنا.. عشنا وشفنا «كويتى» بيتكلم عن ثروات الشعوب، والتبذير، والدخول و.. و.. و.. ويطلب من حاكم عربى حسن التصرف من موارد بلاده.. مع أن المثل يقول «من كان بيته من زجاج لا يقذف الناس بالطوب».. ورغم أن هذا الجار لربه بيته من زجاج شفاف رقيق، إلا أنه تجرأ - بمنتهى التبلد - وقذف غيره بالزلط، بالرغم من أن بيته هنا أضعف من أن يصد حبة عدس إذا قذف بها!!

نسى هذا الجار أن بلاده هى أغنى بلاد العالم قاطبة..

ونسى أن بلاده لها أكثر من ٢٠٠ بليون «أقول بليون بالباء وليس بالميم أيضا» أكثر من ٢٠٠ بليون دولار فى بلاد الفرنج.. ونسى أن أهل بلده يعيشون عصر وأيام ألف ليلة وليلة، فى نفس الوقت الذى يموت فيه مسلمون وعرب من الجوع فى بلاد أخرى..

ونسى أيضا ـ حينما سأل القذافى فى أى شىء أنفق ثروة ليبيا ـ إن بلاده رغم ثرائها الفاحش.. رغم ثرائها الفاجر.. رغم ثرائها الكافر.. لم تستطع أن تعد لنفسها جيشا أكثر من ٢٠ ألف جندى!! فى حين أن عدد جنود البوليس فيها كان ٦٥ ألف جندى، وذلك لأنها تحمى النظام.

وهل نسيت ـ يا جار ـ الكويتيين «الشمالى» على طاولات القمار والحانات فى أوروبا وأمريكا؟؟.. لياليهم الحمراء؟؟.. جوارى حكام بلادك؟؟!!.

إن كل ذلك يعنى بلايين ـ بالباء وليس بالميم ـ من الدولارات التى تنفق فى غير ما أحله الله تعالى.. تنفق فى حرام ستسأل عنه أمام المولى عز وجل..

وهل نسيت ـ يا أحمد عار ـ أن أموال بلادك فى بنوك سويسرا وأمريكا هى عصب الاقتصاد اليهودى وكيانه المتخذ شكل دولة فى إسرائيل؟ ذلك إن الجهاز المصرفى الغربى كله ملك لليهود.. وتلك حقائق لا تغيب على من «يسجل للتاريخ» حقيقة أن السادات ما كف عن ضرب ليبيا إلا بعد وساطة الرئيس الجزائرى، وهو عار ما كنا لنود أن تكشف عنه «يا سى عار» لأننا كنا نحن المصريين نخجل من ذلك، وكنا نتوارى خجلا وراء «بساطة العملية» فتجىء أنت وتسجل للتاريخ أنها كانت فى الأصل كبيرة لولا تدخل أطراف لتحجيمها.. ومن أذنك أن تقول ذلك؟؟..

تسأل القذافى أين ينفق أموال ليبيا.. وتنسى يا جار المعبود ما تبرع به «شيخكم» لإنقاذ «كلاب» حديقة حيوان لندن!!.

وكم عدد الكويتيين الذين تسموا ـ رغم إسلامهم ـ على أسماء السفاحين: بوش.. وشوارتسكوف.. وبيكر.. وباول.. وتشينى!!! يالحجم عار نظامكم.. ومعيشتكم..

هل تريد أن تسمع منى شيئا ـ أو أشياء ـ أخرى؟..

عندما احتل أشاوس العراق وجنودها النشامى دولتكم عن آخرها فى عدة ساعات، وفررتم أمامهم كالفئران، تطلبون المدد من سيد العالم بوش، ومن رئيس وشعب مصر، استقبلتكم مصر حكومة وشعبا، فتم إخلاء الفنادق والشقق لكم، وأعلنت الأسر المصرية

التى لديها أماكن خالية، أعلنت عن استعدادها لاستضافة الأسر الكويتية بلا أى مقابل، وأعلن الأطباء المصريون على يافطات عياداتهم استعدادهم لتقديم الخدمة الطبية مجانا لأهل الكويت.. وأعلنت الصيدليات عن استعدادها لصرف أى روشتة يحملها كويتى مجانا.. وتعاون معكم كل فئات الشعب المصرى، وترك جنود مصر البواسل أسرهم، وذهبوا إلى مجاهل الصحراء يقاتلون من أجل استرداد بلادكم..

كان كل ذلك يتم.. وجنود مصر فى زمهرير البرد يخوضون حربا ضارية من أجلكم.. وشبابكم.. نعم «شبابكم» ولا أقول أطفالكم أو عواجيزكم.. بل شبابكم كان يتمايل ثملا فى حانات القاهرة.. مداعباً فى شقق البغاء بها، ويسب فى المصريين.. ويردد أنهم ذهبوا يقاتلون بفلوسنا.. وكأن جنود مصر - خير أجناد الأرض - مرتزقة!!

كان هؤلاء الجنود العظام، على خط النار يحاربون من أجلكم، وأسرهم تخدم «الكوايتة» المسلطنون بمصر.. وقادة الكويت جلوس فى قصور نعجز عن وصفها.. كان أبناء مصر يحاربون لأجلكم، وأحد «المنهقين» الكوايتة يردد عبر الميكروفونات «أنا فى وادى وولادى فى وادى.. أنا فى وادى وبلادى فى وادى» وكأنه كان ممنوعاً من الذهاب إليها ليحارب مع من يحاربون «بفلوسهم»!!

ولما تحرر ما تسمونه «دولة» كان أول إحسان قدمتموه لجنود مصر أن قلتم لهم «مع السلامة يا حبايب.. ما نجيلكوش فى وحش»!! وتركتم بلادكم مرعى لجنود الطاغوت..

وماذا تقول - يا فار - الآن فى مشروع النهر العظيم بعد أن تم إفتتاحه أمام العالم كله فى ٢٤ أغسطس ١٩٩١، لقد نجح.. وأكد عظمة من فكر فيه وعظمة من نفذه.. وكفى العقيد القذافى إنشاءه هذا المشروع العظيم؟؟ وماذا تقول بعد أن إبتسم الرئيس حسنى مبارك للقذافى.. وعانقه.. وفتح له ولشعبه أبواب مصر.. ونصب القذافى خيمته ريثما يحل بأرض مصر، ويستقبل فيها ضيوفه أياً كانوا؟.. ماذا تقول بعد أن خابت توقعاتك العظيمة؟..

العيب ليس عيبك يا «ليس» أخينا يا جار.. لكن العيب هنا وعلى من استضافك على صفحات جريدة حكومية، لتشتم رئيس دولة.

عشنا وشفنا.. أحمد العار. أقصد الجار.. يكتب وينتقد مصروفات دولة تستطيع أن تبتلع الإمارة التى ينتمى إليها، فى بضعة كيلومترات من مواسير النهر العظيم، وإن كنت لا أتمنى ذلك حتى لا تفسد مياهه.. روح يا جار.. روح.. روّح.. شوف لك «رقاصة» اكتب مذكراتها، ولا «عالمة» اشتغل لها دلدول.

فإذا ما كنت تصر على أن تتمحك فى السياسة، فابحث عن «رئيس مؤمن» طبل له، وزمر له.. علشان تتصور معه.

المفاجأة..!!

فى يوم ٢٢ مايو ١٩٨٩، بدأت بالمغرب أولى جلسات مؤتمر القمة العربى السابع عشر، وحضرته مصر لأول مرة بعد إنتهاء مقاطعة بعض الدول لها، وكان أول مؤتمر قمة عربى يحضره الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك.

وتحقق فى هذا المؤتمر عكس ما تنبأ به سعدة.. حينما قطع باستحالة عودة العلاقات بين مصر وليبيا الشقيقة أو سوريا الشقيقة، على الأقل فى ظل نظامى الرئيسين حافظ الأسد ومعمر القذافى.. وأقسم برأس أجداده أن ذلك لن يحدث.

لكن الذى حدث كان على غير ما توقع هذا النابغة الفذ.. إلتقى الزعيمان العربيان بأخيهم الرئيس مبارك.. وتعانقوا.. وتبادلوا القبلات الحارة.. وانتهت تماماً - إلى غير رجعة - الخلافات بينهم.

وكتب سعدة - فى أول ما كتب عن هذا الموضوع - بالعدد ٢٣٢٥ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٧ مايو ١٩٨٩، تحت عنوان «التنازلات التى لم تتحقق!» وجاء فيه:

«..

وتبددت الدهشة على الفور عندما أذيع وانتشر خبر نجاح جلالة الملك الحسن الثانى، فى عقد جلسة جانبية - سبقت إفتتاح مؤتمر القمة - حضرها الرئيس مبارك والرئيس حافظ الأسد، والرئيس معمر القذافى واستغرقت ما يقرب من أربعين دقيقة بدأت وانتهت بعناق حار بين الرئيس مبارك والرئيس الأسد، من جانب، وبين الرئيس مبارك والرئيس القذافى، من جانب آخر!

وبهذا العناق والقبلات تحدثت الدنيا كلها عما أسمته بالمصالحة العربية. العربية! وانتعش خيال البعض فأعلن أن عودة العلاقات المصرية السورية أصبحت مجرد وقت يمكن أن يحسب بأيام معدودة قادمة! والبعض الآخر كان أكثر حذرا وأكثر حيطة عندما أعلن أن عودة العلاقات المصرية الليبية تحتاج إلى فترة زمنية يمكن للطرفين خلالها تصفية الكثير من القضايا والمشاكل المعلقة بينهما! ....

....».

ولا تعليق هنا سوى على أن ما ظنه «خيالاً» انتعش فى رؤوس البعض قد تحقق فعلا خلال أيام معدودة.. إزيك بقى!

ليتـه ذبحـك

وفى العدد ٢٤٢٣ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٣ أبريل ١٩٩١، خرج علينا سعدة ـ كعادته ـ بشيء عجيب، خبر فى الصفحة الأولى هذا نصه:

«القذافى لإبراهيم سعدة:

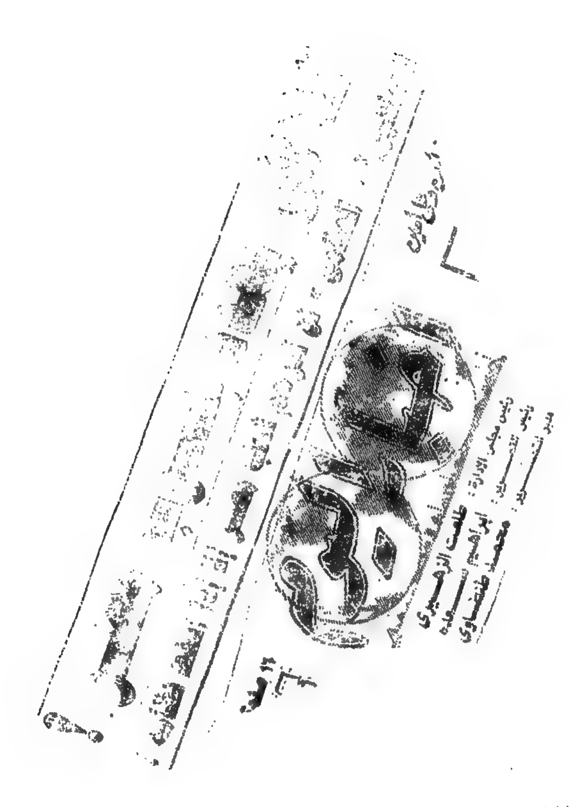
لولا الرئيس مبارك.. لذبحتك!»

وفى الصفحة الثانية من ذات العدد، كتب سعدة مقاله الدورى **«آخر عمود»** بعنوان **«زيارة لا تنسى!»**، وراح يشرح فيها كيف أن مكتب رئيس الجمهورية استدعاه، للسفر مع الرئيس دون أن يعلم إلى أين هو ذاهب (!!) ثم اكتشف والطائرة فى السماء أنه ذاهب إلى طرابلس، ولما رآه القذافى رحب به، لكنه بعدما عرف اسمه وصفته، قال له حسبما ورد بمقال سعدة:

«بينى وبينك خصومة لا تنتهى، وأنت من الذكاء لدرجة أنك جئت ليبيا فى حماية فخامة الرئيس مبارك! ولولا ذلك لذبحتك هنا على الفور!».

ويقول سعدة إنه كان «خائف.. مرتعد»، وظل على حاله يترقب لحظة مغادرة طرابلس بسلام، إلى أن لاقاه القذافى مرة ثانية فى المطار، وكان يضحك، وقال له حسبما «حكى» سعدة فى مقاله:

«لقد انتهت الآن الخصومة بيننا، والفضل يرجع إلى فخامة الرئيس مبارك، ويمكنك


رئيس مجلس الإدارة : طلعت الزهيري
رئيس التحرير : إبراهيم سعده
مدير التحرير : محمود طنطاوي



الكرسي يهتز تحت القذافي

المعارضة في ليبيا تستعد لتوجيه ضربة لنظام العقيد بعد هزيمته في تشاد

مصطفى أمين وعلي أمين
١٩٤٤

ان تبقى هنا فى بلدك معنا».

وأقول لسعدة:

هذا هو معمر القذافى..

أكبر بكثير من أن ينظر لـ«شىء» صغير مثلك..

وضرب مثالا عظيما للتسامح، والشهامة، والكرم العربى الأصيل، الذى لا تعرف أنت عنه شيئاً..

ظللت سنوات طويلة تسب فيه من الشمال لليمين، ومن اليمين للشمال.. ولم تكتف بذلك.. بل أنزلت لعنتك - التى تشبه لعنة الفراعنة - على كل من يجلس مع القذافى، من القيادات المصرية أو العربية..

نسيت ذلك..

الآن عادت الملاقات بين الرئيسين إلى أحسن ما يمكن أن تكون عليه العلاقات بين زعيمين عربيين.. ولا يمر شهر دون أن يشهد لقاء بينهما.. ويتقابلان بالأحضان والقبلات..

هل تستطيع أن تقول هنا ما سبق أن قلته على القذافى، وعرفات عندما تصالحا بعد خلاف بسيط، وقلت عن لقائهما بالأحضان «مهزلة»!!

سأذكرك به من جديد..

- فلاش باك:
- العدد: ١٨٥٠ من أخبار اليوم
- التاريخ ١٩ أبريل ١٩٨٠
- فى الموقف السياسى، كتب سعدة:

«اثارتنى صورة غريبة نشرت منذ ايام فى بعض الصحف العربية الصورة التقطت فى مدينة طرابلس بليبيا، وتسجيل عناقا حاراً بين الرئيس الليبى معمر القذافى، والزعيم الفلسطينى ياسر عرفات!..

.... وينسى الزعيمان خلافاتهما، وشتائمها..

وتعاد العلاقات، وتسجل العدسات القبلات والأحضان الحارة والمتبادلة، بين الشقيقين العدوين! وتصدر الأوامر بوقف الحملات الإعلامية، وتبدأ مرحلة جديدة من حملات التأييد والصداقة إلى أبعد حدودها...

....

إن ما حدث فى طرابلس يعتبر مهزلة كبرى..

فهم يتخاصمون، ثم يتصالحون..

يتآمرون، ثم يتعانقون..».

● ولى سؤال واحد، أريد أن أسأله قبل أن أموت:

لو كتب أى فرد فى العالم، أيا كانت جنسيته أو هويته هذا الكلام تعقيبا على لقاءات الرئيس المصرى بأخيه الرئيس الليبى.. ماذا سترد عليه يا فضيلة الأراجوز سعدة؟ ماذا تقول لكاتب يصف لقاء صلح بأنه «مهزلة» يا فضيلة البهلوان؟.. خسئت يا من يكتب ذلك..

لكن..

أين أنت يا حمرة الخجل؟



٦

ســعده.. والزعيم الفلسطينى ياســر عرفـات..

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق مـا يعتــاده من توهـم
وعادى محبيه بقول عداتــه
وأصبح فى ليل من الشك مظلم

«المتنبى»

قبلة عرفات .. وقبلة السادات

طالعتنا أخبار أبوسعدة فى عددها رقم ١٨٩٢ الصادر فى ٧ فبراير ١٩٨١، بصورة على ثلاثة أعمدة فى صدر صفحتها الأولى للزعيم الفلسطينى ياسر عرفات،وهو يواسى جورجينا سلامة فى الذكرى الثانية لاستشهاد زوجها المناضل الفلسطينى أبوحسن سلامة.

وعلق سعدة على الصورة ومناسبتها فقال:

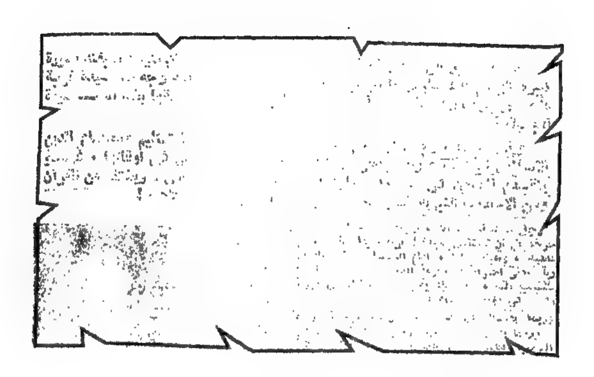
«...

وياسر عرفات رجل مسلم الديانة، وهو لا ينسى أبداً تعاليم الدين الإسلامى الحنيف. وهو أحرص الناس على تأدية الفروض فى أوقاتها فهو يتقدم المصلين فى جميع الصلوات. وهو يخطب فى الناس، ويختار من القرآن ومن الأحاديث النبوية الشريفة، مما يؤكد تقواه، وإيمانه وصلاحه.. رجل. هذه صفاته، ومواصفاته. لا يجد حرجا فى أن يحتضن سيدة لا تربطه بها أدنى علاقة عائلية، ويقبلها علنا، أمام الناس بلا حياء، وبلا أدنى احترام لما يحرمه الدين الإسلامى الذى ينتسب إليه، ويتمسك به.........................

....»

والتعليق المناسب هنا هو أن نقدم لسعدة جزيل الشكر..

نذكره أولا بما حدث ظهر الخميس ٨ مارس ١٩٧٩ فى مطار القاهرة، وأمام كاميرات كل تليفزيونات العالم.. هل تذكر يا سعدة عندما قام الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بلطع «بوستين» على خدى جيهان زوجة أنور السادات، سيدة مصر الأولى (والأخيرة)، ثم قام الحاج أنور السادات - ابن قرية ميت أبوالكوم - بلطع «بوستين» على خد روزالين زوجة كارتر..



هل نسيت ذلك أبوسعدة.. فسيدك له السبق دائما فى أى نقيصة تتحدث عنها، وتنسبها لأى إنسان فى الخلق كله.. لم يكن قد مر وقت طويل بين هذا الحدث «الماجن» وبين مقالك الذى تنتقد فيه عرفات لأنه طبع قبلة مؤاخاة على جبين سيدة فلسطينية.. ومقالك هذا فى حد ذاته أكبر إدانه لسيدك أنور السادات، بدرت منك دون أن تشعر، لأن «اللى على رأسه بطحة بيحسس عليها» وأنت نسيت ذلك تماما.. بل لقد أعماك الله عن ذلك لتفضح فجر أنور السادات وسيدته..

أتحرم على عرفات ما سبقه إليه السادات، وهو كان يذهب فى أحيان كثيرة ليصلى الجمعة فى المساجد لتهتف له جموع المصلين، وينشغلوا به عن الصلاة، ثم تلتقط له الصور ليؤكد - للناس - أنه يصلى؟!

لقد قبل السادات على نفسه أن يقبل كارتر - ابن الفرنجة - خدى زوجته الحمراوان كقشر الرمان، فنحن والله طعنا فى حياتنا يومها.. كنا داخل المنازل نتابع على شاشة التليفزيون نزول المستر كارتر من على سلالم طائرته، ثم رأيناه يحتضن السادات ويقبله،

ماشى.. لكن صعقتنا الدهشة عندما رأيناه «يعكم» جيهان ويقبلها.. ووراءه الحاج محمد أنور «يعكم» هو الآخر المسز رزالين «البيضة» ويقبلها، ثم يلعق شفتيه بلذة غريبة وكأنه كان يقول «قمان..!!».

ألم تجد فى جسمك ذرة حياء واحدة لتحول بينك وبين اثارة هذه النقطة.. ومع ذلك نشكرك.. لأننا عرفنا فظاعة هذا الأمر على المشاعر المسلمة..

سلام على فلسطين

مات السادات..

مات رغم أن مسالكه كانت تؤكد لنا ظنه بأنه لن يموت..

ثم مات مقتولا فى وسط قوات حرسه الحديدية..

وجاء مَنْ بعده بمنهج جديد ومختلف إلى حد كبير.. وأصدر الرئيس الجديد محمد حسنى مبارك أوامره بأن تتوقف فورا الحملات الإعلامية المعادية للعرب، وعلى الفور سابق سعده الزمان.. وبدأ فى إنشاء موشحات الغزل فى نفس أسماء القادة العرب الذين ظل يصرخ شاتما إياهم بأقذع الصفات، وعلى مدى سنوات طوال.

كتب سعدة فى العدد ١٩٩١ من أخبار اليوم الصادر فى ١ يناير ١٩٨٢ الذى وافق الذكرى السابعة عشر لتأسيس منظمة فتح الفلسطينية، مقالا يعد من «أرصع» ما كتبته الأقلام العربية عن النضال الفلسطينى.. فى موقفه السياسى كتب سعده تحت عنوان «سلام على الشهداء» يقول:

«فى مثل هذا اليوم منذ ثمانية عشر عاما، وبينما العالم يحتفل بميلاد عام جديد، خرجوع فى ظلام الليل ومن بنادقهم العتيقة انطلقت رصاصات قليلة تعلن ميلاد ثورة.. اصبحت الآن من أنبل الظواهر فى عالمنا العربى.

كانوا بضعة رجال يمكن أن تعدهم على أصابع يديك، عاشوا فى الأحلام منذ أن وقعت النكبة وفقدوا الوطن، وعاشوا وعيونهم على الوطن السليب، وقلوبهم تحتضن الحلم الذى لا يموت.. حلم العودة لفلسطين المغتصبة.

كانوا كغيرهم من أبناء شعبهم.. غرباء بلا وطن، لاجئين بلا هوية عاشوا على الأحلام حتى اكتشفوا ذات يوم أن الأحلام لا تتحقق وحدها، وأن الوطن لا يعود بترديد الأناشيد، والصراخ صباح مساء بأننا «عائدون» اكتشفوا أن الحلم يحتاج للرجال، وأن الرجال لابد أن يكونوا هم أنفسهم أصحاب القضية، فلقد تركوا قضيتهم طويلا لغيرهم.. فكان ضياع الوطن والعيش فى خيام اللاجئين.

وعندما انطلقت الرصاصات فى بنادق أبوعمار ورفاقه فى مثل هذا الليلة قبل ثمانية عشر عاما(*) كانت صفحة جديدة من التاريخ العربى تفتح، وكانت فلسطين تبعث مرة أخرى من موتها، وكان الحلم يمر من فوهة البنادق ليفرض نفسه على الدنيا كلها.

عادت فلسطين إلى الوجود، بعد سنوات كانت فيها أنشودة حماسية فى الإذاعات، أو خطبا للزعماء، أو أوراقا للمساومة بين الدول، أو وسيلة لقهر الشعوب العربية التى رضيت بالكثير من أجل أن يعود الشعب المطرود إلى وطنه، وأن يعود الوطن السليب إلى أهله.

ولم تكن مسيرة الثورة الفلسطينية سهلة أبداً. حاربتها إسرائيل بالطبع، وحاربتها حكومات عربية، وسارت على الأشواك طويلا. ثم كانت نكسة ١٩٦٧ فإذا بالثورة الفلسطينية هى نقطة الضوء وسط ظلام الهزيمة، وبارقة أمل وسط بحار اليأس.

ومضت القوات الفلسطينية فى طريقها، وطوال السنوات الصعبة كانت مصر هى الحصن والسند، وهى الملجأ والملاذ، وهى الشقيق الأكبر الذى لا يتخلى عن أشقائه وقت الشدة، ومن ملحمة الكرامة، إلى معركة الأردن، إلى حرب لبنان كانت الثورة تقوى وتشتد وتثبت أقدامها وتفرض نفسها على العدو والصديق ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى، وقائدا لمسيرته، ومحاربا من أجل القضية التى لن تموت أبدا ....

....

....

تأتى دعوة ياسر عرفات فى موعدها، ومثلها تأتى دعوة طارق عزيز نائب رئيس وزراء العراق لإعادة العلاقات مع مصر، واستعداده لمقابلة وزير الخارجية المصرى لبحث الأمر

(*) الصحيح هو سبعة عشر، وليس «ثمانية عشر» ذلك أن الثورة الفلسطينية المسلحة بدأت يوم ١ يناير سنة ١٩٦٥، وصدر أول بيان لمنظمة «فتح» فى ذات التاريخ، وعلى سعده أن يصحح معلوماته.

معـه. ويبقى أن يتحـرك الجمـيع فى الاتجاه الصحيح، وأن يدركوا أنه لم يبق الكثير لنضيـعه. ولقـد أضعنا الماضى وجللنا الحاضر بالمهـانة، فلنشـترك جميعا فى إنقاذ المستقبل..

....

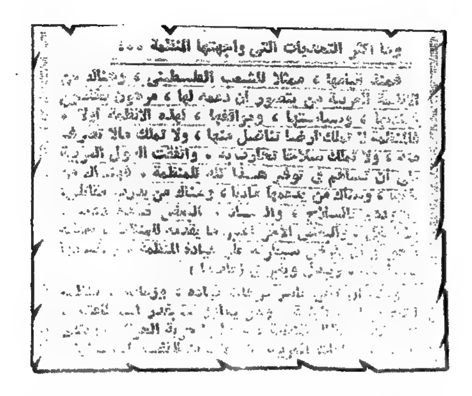
فسلام على شهداء الثورة الفلسطينية فى ذكراها وليكن دمهم هوالنداء الذى لا يموت لكل العرب، إن وحدوا الجهود لإنقاذ المستبقل..».

استقلال المنظمة

وفى العدد ٢٠١٥ من أخبار اليوم، الصادر فى ١١ يونيو ١٩٨٢، كتب سعدة فى موقفه السياسى بالصفحة الثامنة فى أعقاب قرار الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات سحب القوات الفلسطينية من الجنوب اللبنانى ـ يقول:

....

.....................................وما أكثر التحديات التى واجهتها المنظمة..!



هواة السيطرة لم يتحدوا بينهم تجاه المنظمة فمنهم من يطالب عرفات بموقف، ويأتى غيره بموقف مضاد! ومنهم من يحدد للمنظمة خطا سياسيا محدداً فتواجه بآخرين يحملون إليها خطا سياسيا مختلفا، ومتناقضا! وفى مواجهة هذا التخبط، وهذا التنافر، وهذا التنافس، ظل ياسر عرفات فى موقعه يحاول أن يوفق، ويصلح، ويهادن، ويقرب وجهات النظر، بكل حنكته السياسية، ومعرفته الوثيقة بالدوافع الخفية، والمعلنة، التى تحرك كل هؤلاء من الطامعين، والمسيطرين، والمتحكمين! ففى سبيل الحفاظ على تماسك المنظمة، واستقلالها، وحرية حركتها، لم يدخر زعيمها جهدا، أو وقتا، توسطا بين أقصى المتطرفين يمينا، وأقصى المتشددين شمالا! وهكذا تمكن ياسر عرفات من الحفاظ على وحدة المنظمة، منذ تولية قيادتها فى سنة ١٩٦٩ وحتى وقت قريب الآن...........................

....

ملاحظـــة:

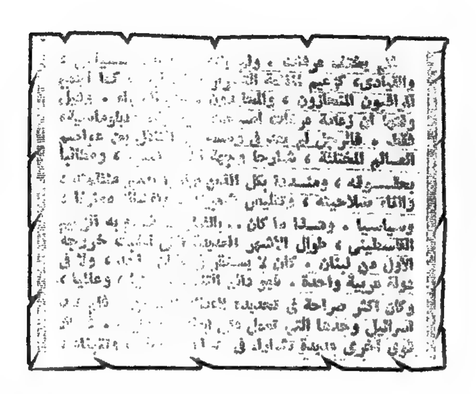
وردت معلومة خطأ فى مقدمة هذا المقال، وهى أن منظمة التحرير الفلسطينية قامت فى يناير سنة ١٩٦٤. والصحيح أن المنظمة ولدت شرعيا فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٤، وأعلن ميلادها فى البيان الختامى لمؤتمر القمة العربى الثانى الذى انعقد بمدينة الإسكندرية، أما الميلاد الواقعى والفعلى لها كان فى ١ يناير ١٩٦٥ وليس ١٩٦٤ كما يقول الشيخ إبراهيم.

■■■

وفى العدد ٢٠١٧ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٥ يونيو ١٩٨٣، واصل سعدة دفاعه عن ياسرعرفات والمنظمة، وهجومه على الرئيس حافظ الأسد، فكتب بموقفه السياسى تحت عنوان «ليس دفاعا عن عرفات» يقول:

«...

فمنظمة التحرير الفلسطينية، المتحدث الأوحد باسم الشعب الفلسطينى، لا تقبل أن تفقد هويتها، وتتخلى عن صلاحياتها، وتتنازل عن حقها فى تقرير مصيرالشعب الذى أعطاها ثقته، وأنابها عنه فى استرداد حقوقه، لتصبح أسيرة لمن يحكمها، ويوجهها تبعا لسياسته، ورهن أوامره، ومخططاته! وبدلا من أن يتفهم المتمردون الفلسطينيون حقيقة



الهدف من وراء الدعم السياسى، والعسكرى، القادم من سوريا، فيرفضونه حفاظا على منظمتهم، وحرصا على استقلالها، إذا بهم يساهمون. عن عمد أو عن جهل. فى المؤامرة الكبرى لضرب منظمة التحرير، وإهدار دماء الفلسطينيين بسلاح سورى فى أيدى الفلسطينيين أنفسهم».

عرفات زعيم لا ينتهى

ويواصل سعدة غزله فى الزعيم ياسر عرفات، وفى مناسبة خروج القوات الفلسطينية من لبنان متجهه إلى اليمن فى أواخر عام ١٩٨٣، كتب سعدة مقالا بموقفه السياسى، فى العدد ٢٠٤١ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٩٨٣، تحت عنوان «الخروج الثانى» يقول:

«بعد أيام يبدأ الخروج الثانى لياسر عرفات من لبنان. الخروج الأول كان منذ سنة تقريبا، عندما نجحت العناصر المعادية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وما أكثرها. فى إجبار آلاف من الفلسطينيين المسلحين على مغادرة الأراضى اللبنانية، وعدم رجوعهم

إليها مرة أخرى. وقتها قيل إن عرفات قد انتهى دوره كزعيم للفلسطينيين، وأنه لم يعد فى استطاعته أن ينجو من هذا المصير، كما فى جميع المحاولات السابقة لإنهاء دوره، وإبعاده عن التحدث باسم فلسطين.

وخابت هذه التوقعات..!

فلم يختف عرفات، ولم ينته دوره السياسى، والقيادى، كزعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية، كما أجمع المراقبون المنحازون والمحايدون على السواء. وقيل وقتها إن زعامة عرفات أصبحت سياسية، ودبلوماسية فقط. فالرجل لم يعد فى وسعه غير التنقل بين عواصم العالم المختلفة شارحاً وجهة نظر شعبه، ومطالبا بحقوقه، ومنددا بكل الذين أرادوا تدمير منظمته، وإلغاء صلاحيته، وتقليص شعبيته، واغتياله معنويا، وسياسيا. وهذا ما كان - بالفعل - يقوم به الزعيم الفلسطينى طوال الأشهر العديدة التى أعقبت خروجه الأول من لبنان. كان لا يستقر فى مكان واحد، ولا فى دولة عربية واحدة فهو دائم التنقل، محليا، وعالميا، وكان أكثر صراحة فى تحديده لأعدائه الكثيرين. فلم تعد إسرائيل وحدها التى تعمل على إبعاده وتحطيمه. فهناك قوى أخرى عديدة تشارك فى هذا المخطط، وتتبناه، وتعطى له الأولوية الأولى فى اهتماماتها الاستراتيجية. وهى قوى - للأسف الشديد - عربية الهوية، وكانت إلى وقت قريب، الأرضية الصلبة التى يقف عرفات فوقها، ويتحرك بدعمها فالعالم لا ينسى كيف كانت العلاقات بين عرفات وحكام دمشق، وطرابلس، طوال السنوات العديد التى سبقت الخروج الأول من لبنان، كانت العلاقات قوية، والتفاهم واضح، والأهداف مشتركة فكل مايقوله عرفات يؤيده حافظ الأسد، وكل ما يعلنه الزعيم الفلسطينى يهلل له معمر القذافى.

وضاع هذا التحالف والتفاهم فى لحظة..

....!

عرفات فى القاهرة

فى ٢٠ ديسمبر ١٩٨٣، بعد حصار إسرائيل دام عدة أشهر، قاسى وعانى وكابد خلالها رجال المقاومة الفلسطينية، خرج ٤٠٠٠ مقاتل فلسطينى بين رجل وامرأة وطفل،

بزعامة ياسر عرفات، فوق سفن يونانية، تحمل أعلام الأمم المتحدة، وفى حماية البحرية الفرنسية، والمقاتلات الجوية المصرية، قاصدين اليمن، عبر قناة السويس والأراضى المصرية.

ودخل ياسر عرفات مصر. واجتمع بالرئيس المصرى محمد حسنى مبارك، يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣، معلنا «العودة» إلى الشقيقة والأم مصرنا الغالية، بعد مقاطعة المنظمة لها منذ زيارة السادات للقدس، وفى هذه المناسبة، خرج علينا سعدة فى العدد ٢٠٤٣ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٤ ديسمبر ١٩٨٣، وكتب فى «موقفه» تحت عنوان «كلمة حق» يقول:

«...

فمن المؤكد أن العواصم العربية «المتشددة» ستسارع هى الأخرى وتشن حملة بالغة العنف ضد الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات» وتطالب بعزله، أو برأسه، لا لشىء إلا لأنه أراد أن يقول كلمة حق فى مصر، وقيادتها اعترافاً منه بالدور الكبير الذى لعبته القاهرة فى حماية المقاتلين الفلسطينيين، وتأمين خروجهم الحزين من لبنان.

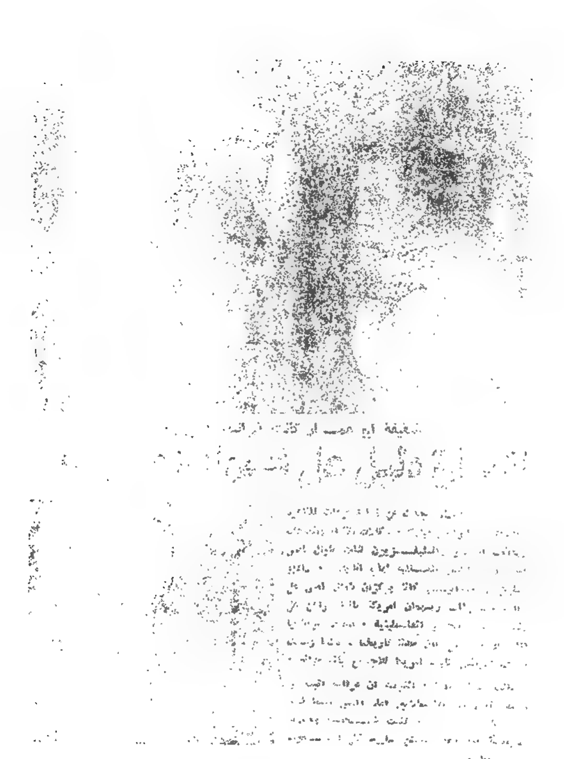
لقد صمد الرجل أمام أعدائه الإسرائيليين، وحاربهم، ولم يركع أمامهم. وخرج سليما، وحرا، من لبنان، ليواصل كفاحه، وجهاده. ولكن المشكلة الآن أن أعدائه هم العرب، وبالذات من الفلسطينيين فهو مطالب بمواجهة أصدقائه قبل أعدائه. وهى مشكلة بالغة الصعوبة، وبالغة العجب، والغضب!

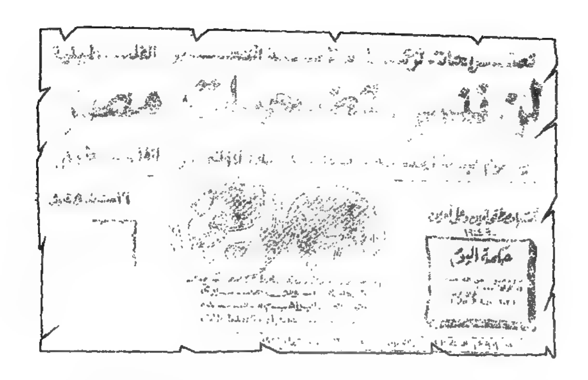
وكان الله فى عون عرفات..».

عرفات .. الوحيد الذى فهم مصر

ويواصل سعدة سيمفونية الإشادة بالزعيم الفلسطينى بعد اجتماعه بالرئيس المصرى محمد حسنى مبارك، فكتب فى العدد ٢٠٤٤ من أخبار اليوم، الصادر فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٣، تحت عنوان «الرافضون.. يتناقصون!» يقول:

«ولم يتجاهل عرفات موقف مصر.. لم يكتف بشكر القيادة المصرية، سرا على ما قدمته له ولرجاله، وإنما صمم على أن يأتى بنفسه إلى القاهرة ليشكر شعبها، بنفسه، وأمام العالم كله من مؤيدين لخطوته، ومن رافضين لها، ومنددين بها وكان عرفات ينتظر





. مقدما . عاصفة هائلة من الاحتياجات، والتهديدات، التى ستهب عليه من عواصم الرفض، وجبهات التشدد، وعلى الرغم من ذلك فإنه استعد لمواجهتها، ولم يقبل أن ينحنى أمامها.

ولم يكتف عرفات بتقديم الشكر، وإعلان كلمة حق، وإنما أعلن أنه يقدر تماما الموقف المصرى، ولا يفكر على الإطلاق فى أن يطالب الحكومة المصرية بإلغاء معاهدة كامب ديفيد . وكان هذا هو أخطر، وأهم ما قاله الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات والذى يعتبر . بشهادة العالم العربى كله . المتحدث الرسمى الوحيد باسم الشعب الفلسطينى فعندما يعلن هذا الزعيم الفلسطينى تفهمه لظروف مصر، ولمواقفها، تجاه اتفاقية كامب ديفيد، فإن كل شعارات الرفض التى يحملها الرافضون، والمنددون، والشاجبون، فى جميع العواصم العربية الشقيقة، لم تعد ذات معنى يلتفت إليه، أو يؤخذ به.

لقد شرحت مصر موقفها للزعيم الفلسطينى. وهى على استعداد لإعادة الشرح لكل من يطلبه من الحكام العرب. وهذا ما أكد عليه الرئيس حسنى مبارك عندما قال لرئيس

تحرير مجلة «الوطن العربي» أنه على أتم استعداد للسفر إلى أي بلد عربي ليرد على أي استفسار يوجه إليه حول معاهدة كامب ديفيد، بكافة أبعادها وكل نتائجها.

وعندما يتحقق هذا فإن ياسر عرفات لن يبقى وحده المتفهم لوجهة النظر المصرية، والواثق في موقفها من القضية الفلسطينية كثيرون غير ياسر عرفات. من الحكام العرب. سيتفهمون كما تفهم، وسيثقون كما وثق».

شجاعة عرفات

وحدث أن تطاول بعض القادة الفلسطينيين، على الحكومة المصرية، وعلى القيادة المصرية السابقة ممثلة في شخص أنور السادات، وحدثت أزمة. عابرة. بين الحكومة المصرية، والقيادة الفلسطينية. وخرجت أخبار اليوم بعددها رقم ٢٢١٧ صباح السبت ٢٥ أبريل ١٩٨٧، وكان ما نشيت الصفحة الأولى الرئيس فيها هو:

«تحذير مصري إلى المجلس الفلسطيني

أي مساس بمصر سيقابل برد فعل رادع من القيادة المصرية».

وامتلأت الصفحة الأولى من العدد المذكور بأخبار تخص الخلافات بين قيادات المنظمة وبعضها، وبين هذه القيادات والحكومة المصرية. وكتب سعدة مقالا طويلاعريضا، بدأه من الصفحة الأولى، وشغلت بقيته الصفحة الثامنة كلها بعنوان «المؤمن لا يلدغ ألف مرة» هاجم فيه بشدة الفلسطينيون جميعاً على مر تاريخهم، ولعن أسلافهم، وأسلاف أسلافهم، وقال إنهم وقضيتهم سبب خراب مصر وتخلفها وفقرها، ونحن لا نناقش ما قاله عن الفلسطينيين وقضيتهم، فقط ما يهمنا هو ما قاله عن ياسر عرفات، فلازال عرفات في نظر سعدة شجاعا تحمل الكثير والكثير بسبب إعادته للعلاقات بين المنظمة ومصر.

ومن بين ما كتبه سعدة عن عرفات

«...

ومن حق الزعيم أبو عمار أن نعترف له أنه كان شجاعاً عندما وقف. وحده. أمام إرهاب الأنظمة التي تصف نفسها بجبهة الصمود والتصدي، وأنه إلتزم بضميره متجاهلا

الأخطار التى تستهدف تصفية قياداته الشرعية، وجاء إلى القاهرة معبرا عن تقدير الشعب الذى يمثله للقيادة المصرية التى وقفت إلى جانبه وساهمت فى إفشال كل المخططات الرهيبة التى تترصده وتتربص به.

....

....

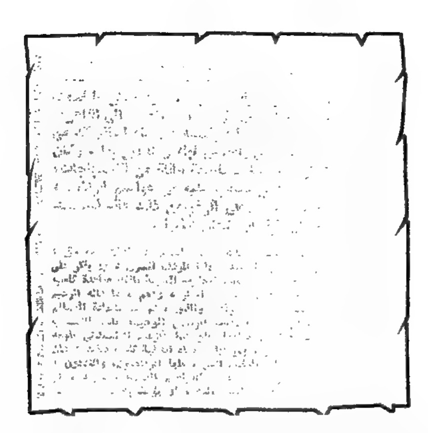
وما أفدح المعاناة التى واجهها أبوعمار. من جانب الأسد والقذافى. بسبب تقاربه مع مصر، لم يترك النظامان الإرهابيان نقيصة إلا ألصقوها بياسر عرفات! لم يتركا وسيلة إلا أخذا بها لضرب قيادته، وتحجيم سلطاته، وتأليب المنظمات الفلسطينية ضده.. سمعنا عن مؤامرات استهدفت سحب الثقة من منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى، واسنادها إلى منظمات أخرى يسيطر عليها النظام السورى، من جانب، أو النظام الليبى، من جانب آخر! وسمعنا عن أجنحه مشبوهة فى منظمة التحرير، تمردت على قيادتها، وتنكرت لمبادئها، وباعت ولاءها لسوريا لا لشىء إلا للإطاحة بياسر عرفات عقابا له على التقارب الذى سعى إليه. إقتناعا واعترافا بالفضل. مع نظام الرئيس حسنى مبارك فى مصر!.

وشهدت السنوات الأربع الماضية تفككا رهيبا فى الوحدة الفلسطينية وتقطعت العلاقات بين كافة المنظمات الفلسطينية، وتربصت كل منظمة بالأخرى. ووسط هذا الصراع الغريب ضاعت القضية الأساسية، وأصبح لا هم لقادة تلك المنظمات غير القضاء على بعضهم البعض. ولم يكن هذا فى صالح الشعب الفلسطينى، ولا فى صالح قضيته، ولا يساعد أى طرف آخر يتبنى موقفه ويسعى إلى استرداد حقوقه..».

● لقد أنصف أبوسعدة هنا الزعيم ياسر عرفات، رغم أن مقاله الطويل العريض للغاية، كان سيلا من اللعنات على الفلسطينيين وقضيتهم.. ومن ذلك نختار هذه الأسطر من ذات المقال:

....«

كفانا ما عانيناه من القضية الفلسطينية ومتاعبها كفانا ما سببته لنا تلك القضية من إرهاق كان السبب الأول فى نقلنا من دولة غنية كانت تساعد غيرها، إلى دولة فقيرة



يسخر من فقرها الأشقاء قبل الغرباء! وكفانا تشتيتا لجهدنا، وتبديدا لمواردنا، وحرمانا لشعبنا من أجل إناس يتطاولون علينا، وينعمون بخيرنا، ويشككون فى أصالتنا، ويتخرجون من مدارسنا وجامعاتنا، ويفرحون لهزائمنا ويسخرون من انتصاراتنا!.

لو كان الأمر بيدى لأعلنت - بلاتردد - أن مصرتقف إلى جانب القضية الفلسطينية، وتساند الشعب الفلسطينى فى استرداد حقوقه الضائعة، عندما يُطلب سماع صوتها، فقط، فى المحافل الدولية، وفيما عدا ذلك فلا شأن لمصر بما يقوله أن يفعله قادة الفلسطينيين من تحرك أوتصرف. فالقضية قضيتهم، والمشكلة مشكلتهم، والوطن الضائع وطنهم، أما مصر فلا شأن لها بهذا كله، ويكفى فقط أن تقول كلمتها عندما تطلب منها، وتعطى لهم صوتها إذا احتاجوا إليه».

● واختتم سعدة مقاله بعدة أسطر «رائعة» أسجلها هنا لحاجتنا إليها فى تعرضنا لمواقف أخرى. يقول سعدة:

«لقد آن الأوان - بعد صبر طويل - لنعطى الاهتمام الأول، والأوحد، للمصريين.. حلا

لأزماتهم، ورفعة لشأنهم، وتخفيفا لمعاناتهم. أما القضايا العربية فيكفى جداً أن نساندها بقلوبنا، ومشاعرنا، ومقالاتنا، وأغانينا، وقصائدنا!

فهكذا تتعامل كافة الدول العربية مع تلك القضايا، وعلينا أن نحذوحذوها. ونكرر اسلوبها حتى لا تكون نغمة نشاز فى سيمفونيتها!».

سذاجة عرفات!!

بعد ثلاثة أسابيع فقط من هذا المقال الغزلى «تشقلب» سعدة ضد عرفات، بعدما أشيع أن المجلس الوطنى الفلسطينى ـ الذى انعقد فى الجزائر خلال تلك الفترة ـ اتخذ قرارا بتجميد العلاقات بين المنظمة ومصر.

خرج سعدة فى العدد ٢٢٢٠ من أخبار اليوم الصادر فى ١٦ مايو ١٩٨٧، وكتب فى موقفه السياسى مقالا بعنوان «عودة.. لابد منها».

وجاء فيه:

«...

وعندما أيقن أبوعمار ان منصبه ـ كزعيم منظمة التحرير الفلسطينية ـ أصبح فى مهب الرياح، لم يتردد فى أن يتنصل من الالتزامات التى إلتزم بها، وبالسياسة التى تحمس لها وبالتحالفات التى ارتبط بها! فالقضية لا أهمية لها! وتحرير الأرض الفلسطينية يمكن تأجيله إلى القرن الخامس والعشرين! أما الذى يحظى بالأولوية الكبرى والذى لا يمكن تهديده، فهو منصب زعيم منظمة التحرير الفلسطينية والتمتع بخيراته فالاتصال مع مصر التى أنقذته من الموت لا جدوى منه إذا كان الاتصال يمكن أن ينسف عرشه! والتهجم على القيادة المصرية التى أعطته دعمها وتمسكها بقيادته. لا بأس به مادام هذا التهجم يطيل من بقائه فوق الكرسى الذى يجلس عليه! والتحالف مع الذين خططوا لاغتياله وسعوا إلى إقصائه، لا غبار عليه ما دام الهدف الأكبر ـ والأعظم ـ هو الإبقاء عليه زعيما للشعب الفلسطينى، ومتحدثا أوحد باسمه، ومتنقلا فى طائرة خاصة بين عواصم العالم كله داعيا للقضية، ومتباكيا على الجحيم الذى يعيشه ملايين الفلسطينيين فى الأرض المحتلة، وفى مخيمات اللاجئين فى لبنان وغير لبنان، أملا فى

مضاعفة أرصدة منظمته واستمرار للنعيمين. السياسى والمادى. الذى ينهل منهما بلا حساب أو رقيب!

ومن أجل هذه المكاسب كلها وافق أبوعمار على المصالحة مع أشد المنافسين له، وأكثر المناهضين لزعامته، وأقوى المخططين لتصفيته! ونجحت هذه السياسة الانتهازية فى جمع الشمل الفلسطينى، وإعادة الحياة إلى تحالف كافة المنظمات الفلسطينية. التى تتربص الواحدة منها بالأخرى. تحت مظلة المؤتمر الفلسطينى الذى عقد أخيراً فى العاصمة الجزائرية!.

وما أفدح سذاجة ياسر عرفات! فلقد توهم أنه من السهل أن يحتفظ بكافة خيوط اتصالاته. عن طريق إصدار تصريحات يبددها الواقع، وتأكيدات تعتمد على سماحة الحلفاء. فى نفس الوقت الذى يتحالف فيه مع الذين نادوا بتصفيته جسديا، وسعوا إلى إبعاده عن النعيم الذى يغرف منه منذ سنوات وسنوات؟!.

فحليفته مصر. شعبا وقيادة. لم تعد تثق فى كلمة واحدة يحاول خداعها بها!

لقد أعطته الفرصة بعد الأخرى ليعود إلى رشده، ومنحته كل الدعم وكل المساندة ليثبت جدارته كزعيم للشعب الفلسطينى ومتحدثا باسمه ومدافعا عن قضيته. ولكنه. للأسف الشديد. أثبت للذين مازلوا يحسنون الظن بمواقفه وتصريحاته أنه لا ينادى بقضية بقدر ما يحرص على هوية، ولا يسعى إلى استرداد أرض شعبه بقدر مسعاه إلى استرداد مكانته!.. وهذا ما أكدته قرارات المؤتمر الوطنى الفلسطينى الأخير فى الجزائر عندما وافق أبوعمار. الذى يؤكد هويته المصرية المرة بعد الأخرى. على قطع العلاقات مع مصر. ومحاولة الفصل بين شعبها وقيادتها، بناء على الأوامر التى جاء بها منافسوه الذين يتحركون وينطقون تبعا لأوامر نظام حافظ الأسد فى دمشق!..»

الحربــاء..!!

ومرت الأيام..

وتغيرت الأحوال..

وأصبح الأسد حبيبا.. والقذافى غاليا..

وأضحى صدام عدوا.. وحسين متآمراً.. وعرفات بهلواناً..

وأمسك «صحفى الساعة» قلمه، وكتب مقالا بعنوان «لماذا كل هذا الحقد؟!».

فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٤٢٠ الصادر فى ٢٣ مارس ١٩٩١.

سطور قليلة نأخذها منه.. فهو يقول عن عرفات:

«.. هو كالحرباء.. يتلون بكل الألوان. المعروفة وغير المعروفة. تبعا للمكان، والزمان».

أنا. والله. أكاد أجن.. فمن يكون «الحرباء»؟.. أنت الذى تتلون بكل ألوان الطيف. وفى يد كل القراء ما يثبت ذلك. أم الذين تتجنى عليهم بلا دليل ثابت، أو حجة مقنعة؟؟ وهم. والله. أصحاب مبادىء ثابتة.

ثم يقول سعدة فى ذات المقال موجها حديثه لعرفات:

«إن مصر. يا ابغض من عرفه شعبها. لا تُطرد من الأسرة العربية».

وأنا أقول له هنا، إنك تستطيع أن تتكلم باسم النظام.. باسم الحكومة أو باسم الحزب الحاكم. الذى نسيت اسمه. فى أى زمان ومكان.. لكنك لست ممثلا للشعب المصرى.. ومن تكون أنت حتى تقطع بأن عرفات هو أبغض من عرفه شعب مصر؟؟!!!!.

إنك لا تملك أن تتحدث باسمك، ومعبرا عن آرائك. إذا كان لك آراء. فكيف تملك أن تتحدث باسم شعب نكب بك بوقا مزريا يصم آذانه صباح كل سبت بكل ما من شأنه أن يمرض النفوس ويعل الأبدان.

إن شعب مصر لا يمكن أن يكن أى كراهية لأى عربى - مسئول أوغير مسئول. لأنهم منا ونحن منهم.. وشعب مصر أيضا لا يمكن أن يحب أى أمريكى أو إسرائيلى أو بريطانى أو فرنسى أو ألمانى.. أو.. أو.. من هؤلاء المجرمون أحفاد الصليبيين، لأنهم أعداؤنا.. أمس واليوم، وغدا.. وما عرفنا يوما أن الذئب يحرس غنماً.. والحدأة ترمى كتاكيت!!

فإذا ما كنت مسيرا بهذا الشكل المهين، فليتك تترك الصحافة، وتحمل على كتفك «مشنة» سميط ساخن وتسرح بها على محطة مصر.

وإنـــى أتســـاءل:

ما هى جريمـة عرفات؟؟.. ما هى الجريمـة الشنيعة التى ارتكبها الرجل فى حق مصر لتدعوك لإنزال هذا الكم من الشتائم فوق رأس الرجل؟؟

هل لأنه جلس مع صـدام حـسين؟ أم لأنه يزور الملك حـسـين؟ أم لأنه لم يجلس مع بيـجين، أو شـامـيـر، أورابين، أو نافون، أو بيـريز.. أو.. أو.. من هؤلاء السفـاحـون أولاد الزانيات.(*)

فى الماضى لعنت عـرفـات لأنه كان يجـالس القـذافى واليوم أصبح الأسـد والقـذافى «حبيبـان» فهل تستطيع أن تقول ما تقوله اليوم عنه إذا تجـالس مع القذافى أو الأسد.. ما أدراك ألا تعود العـلاقـات لطبيـعتهـا بين مصـر والأردن ، وبين مصر والعـراق.. وحـتمـا ستعود رغم أنفك وأنف الفاسدين صناع الفرقة أمثالك.. وقتها، ترى ماذا ستكتب؟؟!!

صدام إحتل الكويت..

والكويت ليس لنا فيها ناقة، ولا بعير.. ولا حتى عنزة.. ومصـر تدخلت عسكريا ضد العراق.. ورغم أنك قبل ذلك كتبت تطالب أن نهتم بأنفسنا ولا نتدخل فى الشئون العربية إلا بقلوبنا وقصـائدنا وأغانينا فقط.. ومع ذلك هللت للقـوات المصـرية الذاهبـة لحرب العراق وكأنها ذهبت لتحرير وإعادة بيت المقدس.

والملك حسين أدان الغزو.. ثم رفض بشـدة التدخل الأجنبى، وهذا والله - عين العقل.. وكان هذا موقف فلسطين، والسودان، واليمين، وتونس..

ما هى جريمة هؤلاء؟؟..

أتريد أن تتحكم فى سياسة الدول الأخرى، وياليت سياستهـا تجاهنا . بل سياسـتها مع أطراف أخرى.. إذن ما الجريمة هنا؟؟.

ليتك ترحمنا - وترحم نفسك - وتروح تبيع سميط «مقـرمش» على محطة طنطا بجوار السـيـد البـدوى.. والله أحـسن لك أمـام الله من كل هـذه السـقطات، وهذه الجـبـال من

(*) كان عرفات حتى تاريخ إعداد هذا المؤلف مازال بعيداً عن مجالسه قادة الأمة النجسة، وبعدها بالطبع عاد عرفات «حبيباً» وغاليا.

الذنوب..

وأنصحك لكى تتطهر من هذه الذنوب، بأن تستحم فى بحيرة «طبرية» لتشفى، ويتسمم اليهود.

قيادة عرفات

ونسى سعدة ما كتبه سلفا عن حنكة عرفات، وقيادته الرائدة، واتزانه، وشجاعته، و.. و.. وما إلى آخره من كلمات المدح والأطراء التى عرضناها فيما سلف.

وكتب مقالا بعنوان «لديهم جولدا.. ولدينا حنان!» فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٤٥٨ الصادر فى ١٤ ديسمبر ١٩٩١ جاء فيه:

«...

لقد كان العالم معذورا فى تجاهله للقضية الفلسطينية، مادام المتحدث باسمها والمتحكم فى طرحها هو عرفات بضحالة قدراته.واختلفت الصورة الآن عندماقدمت القضية نوعيات أخرى مختلفة من الفلسطينيين المثقفين والواعين الذين يدافعون عن القضية بمنطق يسهل استقباله والاقتناع به.

هذه الحقيقة لا يجهلها السيد ياسر عرفات.. إنه يتعذب منها ليل نهار.

إنه يتمنى من قلبه أن تفشل هذه المباحثات حتى تختفى تلك النوعيات الواعدة من القيادات الفلسطينية المحترمة والمثقفة من الساحة ويعود هو وعصابته لمواصلة إضاعة قضية شعبهم كما أضاعوها طوال السنين العديدة الماضية».

وأنا أقول لك يا أبوسعدة:

إنك لا تريد أن تتنازل عن لقب «ملك النبوءات الفاسدة» وليتك تحدد حدًا أقصى لحل القضية الفلسطينية بهذا الشكل، حتى لو كان بعد مائة قرن، وسيذكر لك التاريخ ذلك..

ولعله لا يخفى عليك أن الانتفاضة، على أرض فلسطين هى التى دفعت إسرائيل لأن تتفاوض مع ممثلين لشعب فلسطين.

ولعله لا يخفى عليك أنت هذه الانتفاضة تديرها وتخطط لها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات.

ولعله لا يخفى عليك أن أعضاء الوفد الفلسطينى الذين أشرت إليهم لا يتكلمون إلا بما يمليه عليهم قادة المنظمة..

ولعله لا يخفى عليك أنك لا تصلح «بياع» سميط ساخن ومقرمش، بل لا تصلح سوى «بياع جاز» لأنك أحسن واحد يشعل الفتن.. بين الأفراد وبعضها.. وبين الأفراد والحكومات.. وبين الحكومات وبعضها.. وبين الحكومات والشعوب.. وبين الشعوب وبعضها!!.

الدنيا اتقدمت يا سعدة.. ليتك تترك الجاز، وتبيع «أسفلت» تبنى به جسور الود بدلا من حرق كل روابط المحبة. ولا أظن أنك ستخسر، بل ستربح كثيرا إذا تاجرت فى الأسفلت المصرى، لأن له شهرة عالمية بأنه مثل «المهلبية» فى حنيته..


... ويتلون بكل الألوان المعروفة ... تبعا للمكان والزمان.

عندما اجتاح صدام حسين الكويت، كان عرفات أول المهنئين لمن يحتاج التهنئة.. وأول المتحمسين مع من ينتظر المساندة! فى اجتماعاته مع الرئيس العراقى، كان يشجعه ويحمسه ويؤكد له أن الشارع العربى كله يهتف بحياته وينتظر إشارة من طرف إصبعه ليشعل الدنيا كلها نارا ودمارا وخرابا! وفى اتصالاته السرية مع الملوك والرؤساء العرب - الرافضين لجريمة صدام - كان يصول ويجول نقدا ورفضا لغزو العراق ويؤكد أنه لن يهدأ إلا بعد أن يقنع صدام العراق بالانسحاب من الكويت!

وكان يعنى عرفات أن يخرج من هذه الأزمة - كما سبق له فى كل الأزمات ...

ياسر عرفات

الصحف العربية والأوروبية والأمريكية ...
قرأنا له تصريحا ...



سعده.. وملك الأردن حسين بن طلال..

ومن يجعل المعروف فى غير أهله
يكن حمده ذما عليه ويندم

«زهير بن أبي سلمى»

جرأة الملك حسين

فى أعقاب قرار الأردن بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، قام الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك، بزيارة لأراضى الأردن يوم ١٠ أكتوبر ١٩٨٤، وكتب سعدة فى ذلك مقالا طويلا عريضا، بدأه من الصفحة الأولى فى العدد ٢٠٨٥ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٣ أكتوبر ١٩٨٤، تحت عنوان «النجاح الصعب..!» واعتلى المقال صورة للرئيس يصافح الملك حسين وجاء عن الملك حسين فى هذا المقال ما نصه:

«وكان الملك حسين. ملك الأردن. هو أول ملوك ورؤساء العرب اقتناعا بأهمية عودة العلاقات مع مصر، وتلبية لرغبة شعب الأردن فى إنهاء القطيعة المفتعلة مع الشعب المصرى العربى. لم تطلب مصر من الأردن أن تعيد العلاقات معها. بل على العكس كان من المنتظر الا يقوم الأردن بهذه الخطوة، تبعا لظروفه، وتفهما للصرعات والتحديات المتاخمة لحدوده ولكن الملك حسين بالجراءة التى عرف بها وعودنا عليها. قرر أن يكون البادىء، وأن يعيد العلاقات مع مصر فى الوقت الذى وجده مناسبا، ومتاحاً

لقد ارتفعت أصوات متفرقة تهاجم القرار الأردنى، تهاجم الملك حسين، ونظامه، وتشكك فى وطنيته. ولم يهتز الحسين. فقد تعود على سماعها، ويعلم تماما بعدم جدواها. فالقرار قراره، وليس أبداً قرار الذين يقيمون فى دول أخرى، ويتصورون أن فى استطاعتهم فرض سيطرتهم على قرارات، وسياسات غيرهم!..............................

....».

الشجاع الوحيد

الزمان: السبت ١ ديسمبر ١٩٨٤ ـ القاهرة تستعد لاستقبال الملك حسين فى أول زيارة له بعد عودة العلاقات بين البلدين.

صدر العدد ٢٠٩٢ من أخبار اليوم فى ذات التاريخ ـ ١ ديسمبر ١٩٨٤ ـ وكانت الصفحة الأولى منه مخصص نصفها للملك حسين إشادة به، والصفحة السادسة كلها عن الملك حسين، وفى صفحة ٨ حيث يوجد «موأف» إبراهيم سعدة، نجد فيه مقالا بعنوان «للشجاعة.. ثمن!» وقد تخطى المقال حدود الغزل المألوف، فبدا وكأنه مرافعة عصماء عن الملك حسين فى ساحة قضاء.. يقول سعدة:

«تبدأ ـ اليوم ـ زيارة العاهل الأردنى للقاهرة، كتلبية لدعوة من الرئيس حسنى مبارك، ولا يخفى على احد اهمية هذه الزيارة، وابعادها، ودلالتها. فهى أول زيارة يقوم بها جلالة الملك حسين لمصر منذ سنوات عديدة ماضية. كما أنها أول زيارة يقوم بها حاكم لدولة عربية كانت ضمن الدول العربية التى قطعت علاقاتها مع القاهرة فى أعقاب التوقيع على معاهدة كامب ديفيد. وهى أيضا ـ أول زيارة لأول حاكم عربى أعاد العلاقات الدبلوماسية مع مصر دون الانتظار لقرار جماعى من باقى الأنظمة العربية التى اتفقت على قطع العلاقات مع القاهرة فى مؤتمر بغداد الشهير.

وهذه المبادرات كلها، وغيرها، ليست بالجديد ـ أوالغريب ـ على الملك حسين فحياته السياسية كانت ـ ومازالت ـ سلسلة متصلة من المبادرات، والمفاجآت والتحديات والمصادمات، والحروب. وقد تحمل الملك حسين ـ فى سبيل مواقفه ومبادراته ـ أكثر مما تحمله غيره من الملوك والرؤساء فى معظم دول العالم. فما أكثر الرافضين لمواقف الملك حسين. وما أكثر الاتهامات التى وجهها خصومه. وما أكثر المؤامرات التى دبروها لإنهاء نظامه. وما أكثر الافتراءات التى لاحقوا بها تحركاته واتصالاته واقتراحاته.

ولم يترك خصوم الملك حسين اتهاما إلا لصقوه به! ولم يتركوا وصمة إلا وصفوه بها! اتهموه بالعمالة! ولم تكن عمالته المزعومة مقصورة على معسكر واحد ولا على جبهة واحدة! فبدأوا باتهامه بالعمالة للمعسكر الغربى الرأسمالى، ثم انتقلوا إلى عمالته

وهذه المبادرات كلها ، وغيرها ، ليست بالجديد ـ أو الغريب ـ على الملك حسين . فحياته السياسية كانت ـ وما زالت ـ سلسلة متصلة من المبادرات، والمفاجآت ، والتحديات ، والصدامات ، والحروب . وقد تحمل الملك حسين .. في سبيل مواقفه ومبادراته ـ أكثر مما تحمله غيره من الملوك والرؤساء في معظم دول العالم . فما أكثر الرافضين لمواقف الملك حسين . وما أكثر الاتهامات التي وجهوها إليه خصومه . وما أكثر المؤامرات التي دبروها لاغتياله وقتله . وما أكثر الافتراءات التي ألصقوها به حول [illegible] واتصالاته ، واقتراحاته .

ولم يترك خصوم الملك حسين اتهاما إلا ألصقوه به ، ولم يتركوا وصمة إلا وصفوه بها ! اتهموه بالخيانة ! ولم تكن عمالته المزعومة مقصورة على معسكر واحد ولا على جبهة واحدة ! فقالوا [illegible] عمالته للمعسكر الشرقي الشيوعي ، وانتهوا ـ أخيرا وليس آخرا ـ إلى عمالته للصهيونية العالمية !

للمعسكر الشرقى الشيوعى، وانتهوا ـ أخيرا وليس آخرا ـ إلى عمالاته للصهيونية العالمية!.

وغرابة تلك الاتهامات كلها أن أصحابها لم يصدموا، ولم يلتزموا بمواقفهم المتغيرة من ملك الأردن. فمنهم من كانوا ـ فى فترة أعدى أعدائه، ثم أصبحوا فى فترة تالية ـ أصدق أصدقائه! والإطاحة بحكمه، ثم انقلبوا ـ لسنوات تالية ـ ليشكلوا أقوى جبهات انصاره وأكثرها حرصاً على عرشه وتمسكا بشخصه ومنهم ـ أيضا ـ من كانوا أعلى الأصوات استنكارا لمواقفه وتنديداً بمبادراته، وارتيابا فى اتصالاته، وأصبحوا ـ الآن ـ يزأرون ليل نهار بوطنيته وشجاعته، وعروبته، وزعامته، وحكمته..
....!.

وكما يقال، لا يصح إلا الصحيح، فقد أثبت الملك حسين سلامة سياسته واتزان مواقفه، وصدق إخلاصه لبلاده ولأمته. وأبرز دليل على ذلك، ما حققه الملك حسين فى الأسبوع الماضى. فلسنوات طويلة ماضية ومتصلة، كان خصوم الحسين يركزون فى

هجومهم وعدائهم على الخلاف القديم بين الأردن والفلسطينيين. وحاولوا . بكل ما فى وسعهم استثمار هذا الخلاف، لترسيخ القطيعة بين الشعبين الشقيقين: الأردنى والفلسطينى. وكان نظام معمر القذافى ونظام حافظ الأسد وراء هذا المخطط القديم والجديد. وما أكثر ما سمعنا عن الارتباط الوثيق الذى يربط بين الفلسطينيين ونظامى القذافى والأسد وبمجرد أن حاول ياسر عرفات. رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. أن يستقل بقرار منظمته. الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى. فوجىء بحليفى الأمس يناصبانه العداء ويخططان لتصفيته وإنهاء زعامته، وتمزيق صفوفه! وعندما دعا عرفات إلى عقد المجلس الوطنى الفلسطينى لم يجد دولة عربية واحدة تقبل أن تستضيف المجلس فوق أرضها، ما عدا المملكة الأردنية الهاشمية التى رحب شعبها وحكومتها بعقد المجلس فى عاصمتها! ولم يكتف الملك حسين بذلك، وإنما ألقى خطابا هاما فى الجلسة الافتتاحية تضمن مبادرته الجديدة لكيفية التحرك الأردنى الفلسطينى من أجل تحريك القضية، والسعى إلى حل أزمتها حلا سليما يعيد للفلسطينيين حقوقهم، وأرضهم. وكان الملك حسين واضحا كل الوضوح فى خطابه، وفى طرح مبادرته. فقد أعطى للفلسطينيين حقهم الكامل فى قبول المبادرة أو رفضها فهم. كما قال. أصحاب القضية وأول وآخر من يحق له التحدث باسمها، وتحديد مسار تركها.

ولقى موقف الملك حسين تفهما، وتقديرا، وترحيبا من المجلس الوطنى الفلسطينى، كما وجدوا فى مبادرة الملك حسين الكثير من النقاط التى يجب دراستها، وشرح أبعادها، قبل الموافقة عليها أو رفضها وهكذا نجح الملك حسين فى إعادة الجسور والعلاقات الوثيقة مع الشعب الفلسطينى الذى كان نظاما القذافى والأسد يراهنان عليه كورقة رابحة فى أيديهما للإساءة إلى الأردن، وعزله والتآمر على نظامه.

صاحب الجلالة .. من هو؟

هو حسين بن طلال بن عبدالله بن حسين «شريف مكة الأسبق» ويمتد نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ولد فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٥، وتولى عرش الأردن فى ١١ أغسطس ١٩٥٢ خلفا لوالده الملك طلال بن الملك عبدالله كبير أبناء الشريف حسين كبير العرب وعميدهم فى بداية هذا القرن.

كان الشريف حسين هو حاكم أراضى الحجاز ونجد ومكة وبلاد شبه الجزيرة العربية كلها.. وكانت الأمة العربية وقتها ترزح تحت نير الاستعمار التركى منذ عام ١٥١٦، فلما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، أرادت إنجلترا - وكانت القوة العظمى وقتها - أن تستقطب معها الشريف حسين ضد تركيا، ونجحوا فى إقناعه فقاد الشريف حسين وأولاده عبدالله وفيصل الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦، التى كان لها أثر عظيم فى انتصار الحلفاء ضد تركيا.

لكنه فى الوقت الذى كانت بريطانيا تتفاوض فيه مع الشريف حسين وتعطيه الوعود البراقة، كانت تتآمر مع فرنسا على اقتسام البلاد العربية، فعقدت معها الاتفاق السرى المعروف باسم «سايكس - بيكو» نسبة إلى المندوب الإنجليزى «سايكس» والمندوب الفرنسى «بيكو» اللذان وقعا الاتفاق فى ١٦ مايو سنة ١٩١٦، استكمالا لما بدأوه فى مارس من نفس العام، بشأن تقسيم إرث الامبراطورية العثمانية.

حددت روسيا نصيبها فى الاتفاق الأول بالمضايق والقسطنطينية والولايات الشرقية، بينما انتهت فرنسا وانجلترا فى الاتفاق الثانى إلى تقسيم الهلال الخصيب إلى مناطق مجزاة. فاستولت فرنسا على سوريا ولبنان، بينما استولت إنجلترا على العراق، ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى، وانفصل شرق الأردن وأصبح «امارة» ثم مملكة فيما بعد.

وظل العرب على جهلهم إلى أن قامت الثورة الروسية فى ٧ نوفمبر ١٩١٧، وكشفت جريدة «البرافدا» نص اتفاق «سايكس - بيكو» فى عددها الصادر صباح ٢١ فبراير ١٩١٨!!

كان من الممكن أن تسير ثورة العرب فى طريق سليم، وتؤدى إلى حركة قومية وحدوية تحريرية، لكن تحالف الشريف حسين مع انجلترا وفرنسا هو الذى عكس مسار الثورة لصالح إنجلترا وفرنسا اللتان وعدتاه بتنصيبه ملكاً على العرب جميعاً، لكنه فوجىء بالإنجليز يسحبون البساط من تحت أقدامه، ويساعدوا عبدالعزيز آل سعود فى تنصيبه ملكا على الأراضى الحجازية ثم تأسيس «المملكة العربية السعودية» فى ٢٣ سبتمبر١٩٣٢.

غدر الحلفاء بالعرب، وفتتوا وحدتهم، وداسوا على حلمهم فى الاستقلال واعتدوا على أراضيهم، وأخذوا منها مستعمرات جديدة، وحلوا محل الاستعمار التركى، وحقق الإنجليز والفرنسيون سياستهم التى طالما سعوا إلى تحقيقها منذ زمن بعيد، ثم وقعت كارثة

«الإنتداب» الذى فرض على العراق وسوريا، ولبنان، وفلسطين، بعد مؤتمر «سان ريمو» فى ٢٥ أبريل ١٩٢٠ بين دول الحلفاء.

وقسم الاستعمار الوطن العربى، وأقام الحدود بين أقاليمه، وسعى إلى خلق مناخ إقليمى لكل منطقة به، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل قسموا القطر الواحد إلى دويلات، ففى الشام قسم الفرنسيون تلك البلاد، فأخذت فرنسا الأقاليم الشمالية، وأخذت إنجلترا الأقاليم الجنوبية، وقسم الفرنسيون الأقاليم الشمالية إلى لبنان، وسوريا، وجبل الدروز، وجبل العلويين، ودولة حلب ولواء الإسكندرية. فى حين قسم الإنجليز المنطقة الجنوبية إلى فلسطين وشرق الأردن وكانت هذه المنطقة كلها قبل التقسيم تحمل مسمى واحد هو «سورية».

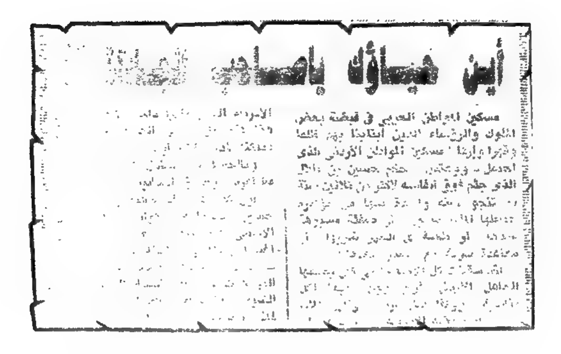
ولم يكتفوا بذلك، بل استخدموا سلاح الأقليات لإثارة القلاقل داخل جسم الوطن العربى.. فطالب الإنجليز عام ١٩٢٢ بإثارة الأكراد، وألمحوا لهم بأحقيتهم فى دولة مستقلة شمال العراق. ونجح الإنجليز فى استثارتهم فعلا وأسقوهم مصطلح «القومية» ورفعوا لفترة من الزمن شعارا أسموه «أمانى الأكراد القومية»!!

وفى سوريا ولبنان استخدم الفرنسيون سلاح الأقليات، فأشعلوا الفتن بين المسيحيين والمسلمين، وفى اليمن أشعل الإنجليز الفتنة بين قبائل الزيدية من جانب والقبائل العدنانية والقحطانية من جانب آخر وفى السودان نجح الإنجليز فى إحداث الفرقة بين سكان الجنوب وسكان الشمال.

وباشر الفرنسيون هذه السياسة فى المغرب العربى، فأثاروا الفرقة بين العرب والبربر.

● وما الداعى لعرض هذا التاريخ المحزن؟..

ذكر هذه الأحداث هنا له أهمية كبرى، فمادمنا سنتحدث عن الملك حسين فلابد أن نشير إلى شجرة عائلته، ومادمنا وصلنا لجده الشريف حسين، فلابد أن نعرض للواقع السياسى الذى كان يعيشه، وكيف أوقعه المستعمر الأجنبى فى الفخ، وكيف ضحك على شيبته، وأوهمه بأنه دخل الأرض العربية ليطهرها من المستعمر التركى، فأخرج بالفعل



المستعمر التركى، لكنه لم يخرج إلا بعد أن قسم الوطن العربى، «وشرح وحدته. ومزق كل شرايين الاتصال بين أجزائه وبذر بذور الفرقة والفتنة فيه.. فلما آن له أن يخرج منه، تركه ترابا ولما أوشك الوطن العربى على التيقظ من سباته، كان المستعمر الجديد قد حط على مراسيه.. وأشعل الفتنة الكبرى، ولا نعرف كيف؟

لكن الأمر الواقع أمامنا كان احتلال دولة عربية هى العراق لدولة أخرى هى الكويت.. فالتخطيط كان صهيونياً.. لكن الذى نفذه هم العرب..

وجاز الأمر على السذج.. ووجد المستعمر الأمريكى بدلا من «الشريف حسين» أكثر من شريف حسين.. وجدهم كثيرون.. وقفوا معه، وقاموا أيضا بـ «ثورة» لتحرير الكويت. فدمروا العراق.. وقسموها إلى ثلاث دول.. ووضعوا جمهورية ليبيا فى «فريزر» المجتمع الدولى.. مستخدمين مايسموه «الشرعية».. ثم اشتعلت الفتنة فى الجزائر.. وانهارت الصومال وانفصلت السودان عن مصر.. وتاهت أوراق القضية الفلسطينية.. والمسلمون يتعرضون للإبادة فى البلقان.. ودولة إيران المسلمة على وشك أن تسحق بـ «الشرعية»

الدولية التى يروج لها كلاب وأذناب أمريكا النباحين!!..

حقا.. التاريخ يعيده نفسه..

والملك حسين أراد ألا يقع فى نفس الفخ الذى وقع فيه جده.. وقال «لا» للغزو العراقى للكويت.. ومليون لا.. لتدخل أى قوى غير عربية.. فكان أن أعلن النباحون خدام أمريكا غضبهم عليه!!

● وسؤالى للأخ سعدة: من هو الشريف حسين الجديد الذى باع العرب لأمريكا وتركها تدمر أكبر قوة عسكرية عربية؟؟.. إنهم كثيرون.

•••

عودة إلى مقالات سعدة:

فبعدما تغزل فى الملك حسين عقب عودة العلاقات بين مصر والأردن عاد وانقلب كعادته بزاوية ١٨٠ درجة ضده، وكل جريمة الملك حسين أنه أدان تدخل أمريكا والدول الغربية فى أزمة الخليج، وقد يكون «انتقد» موقف مصر المؤيد لتدخل أمريكا فى أحشاء الأمة العربية فالرجل لم يتفوه فى حق مصر بأى سوء.. فقط أدان موقف أيده النظام المصرى..

فكان أن أصدر سعدة العدد ٢٤٠٦ من جريدته التى تسمى أخبار اليوم فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٠، وكتب مقالا عنوانه فى حد ذاته «بذىء» إذا كان عنوان المقال «إلعب غيرها.. يا صاحب الجلالة»، وختمه بكلمات أكثر بذاءة فى حق «الرجل الوقور» سليل الملوك والأمراء وتلك حقيقة.. يقول سعدة فى آخر سطور مقاله الطويل:

«ونصيحة لك يا صاحب الجلالة..

إفعل كل ما فى وسعك، وقل كل ما يخطر على بالك، لعلك تنجح فى إعادة تشكيل صورتك أمام الشعوب العربية، ولكننى أرجوك. فى نفس الوقت أن تترك مصر فى حالها ولا تزيد من تطاولك عليها. فأنت. لو سمحت لى. أقصر من أن تطولها، إنها أبعد وأعلى بكثير من مرمى يديك ولسانك.

ومعذرة.. يا صاحب الجلالة».

دعوة للصلح .. مرفوضة!!

انتهت أزمة - أو كارثة - الخليج.. وتم تدمير الكويت.. وتدمير العراق، وتقسيمها دويلات.. وتم أيضا استنزاف ٦٢٥ مليار دولار من دماء الأمة العربية.. واشيعت الفرقة بين جميع شعوب ودول الوطن العربى.. وضربت أمريكا قواعدها الثابتة فى الخليج العربى.

والمفروض أن يتنبه العرب - حكام ومحكومين - إلى تلك الحقائق.. ثم أن الكويت قد تحررت.. فماذا يضير إذن أن يجتمع شمل العرب من جديد ويكون ما حدث درسا وتجربة تفيدهم فى تدارك سلبيات الماضى، لإنقاذ المستقبل.

وكان الملك حسين من أول الزعماء العرب الذين تنبهوا إلى ذلك، إلا أن دعوته النبيلة هذه قابلها المدعو «إبراهيم سعدة» وكأن الملك قد نطق «كفراً».. علق سعدة على ذلك بمقال فى العدد ٢٤٤٤ من أخبار اليوم، الصادر فى ٧ سبتمبر ١٩٩١، كان عنوانه «فى انتظار كتابه الجديد».. وقال فيه:

«.. والأهم من هذا وذلك ان صاحب الجلالة رحب بانتهاء الأزمة، وكان أول من أبرق للشعب الكويتى وللأسرة الحاكمة الكويتية مهنئا ومباركا عودة الكويت إلى أصحابها وعودة آل الصباح إلى شرعية حكمهم! ولم يكتف صاحب الجلالة بذلك وإنما نادى بوقفة عربية شاملة تفتح الأبواب أمام مستقبل عربى واضح المعالم ويحدد العلاقات على أساس من الاحترام المتبادل لكافة الأطراف وحتى لا تتعرض أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أوشكت على الوقوع فى هاويته السحيقة كما حدث خلال أزمة الخليج.. لا أعادها الله أبداً.

كلمات قوية، وشعارات براقة، وأحلام وردية تعود صاحب الجلالة عليها كشىء لزوم الشىء فى كل مرة ينكشف فيها دوره وتورطه لتفتح له لدى الملوك والحكام العرب باب التوبة على مصراعيه - المرة بعد الأخرى. ولكن الغريب والعجيب أن الشعوب العربية لم تتحمس لكل ما يقوله صاحب الجلالة الملك حسين. وضاعت كلمات وشعارات ومبادرات العاهل الأردنى فى الهواء فلا ملك أو حاكم عربى أبدى تجاوبا مع الملك حسين، ولا



عاصمة عربية. وقفت خلال الأزمة إلى جانب الحق وضد الباطل. وافقت على استقباله أو حتى تبادل الرسائل عبر الراسلين أو حتى عبر الأثير..».

فقط أريد أن أقول لسعدة:

هل أجريت استفتاء على مستوى الشعوب العربية بالكامل - ٢٠٠ مليون عربى - وأكدوا لك أنهم يرفضون تصريحات الملك حسين؟؟!!.

كنت أظنك ستؤيد دعوته..

كنت أظنك «كبيرا» وستبارك دعوته..

كان أولى بك أن تؤيده أو تلزم الصمت..

ومع ذلك.. عندما تستجيب القيادة المصرية لهذه الدعوة، ستهلل للملك حسين من جديد.. لن أتعجل «تطبيلك».. فالطبلة على ما أظن يعاد شدها الآن.. وأنت بنفسك ستدق عليها وتعزف بمنتهى الصخب.. نشيد العودة..

والأيام بيننا!!

ومعذرة عزيزى القارىء..

سأخرج من عهدى بالتزامى بالمتن الأصلى للكتاب، إذ أننى مضطر هنا أن أضيف ما تنبأت أنا به فى السطور السابقة من حتمية حدوثه.

فبعد ما ركب الملك حسين قطار التطبيع مع إسرائيل واستسلم لكافة شروطهم عاد سعده بالفعل وأمسك طبلته ومزمارة، وخرج علينا فى العدد «٢٥٩٥» الصادر بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٩٤ تحت عنوان «أنبل الأعداء» كتب سعده يقول:

«لم أندهش من الاستقبال - غير المسبوق - الذى أعده نواب البرلمان الأمريكى - الكونجرس - لجلالة الملك حسين واسحاق رابين، فى أعقاب اللقاء التاريخى الذى جمع بينهما تحت عناية ورعاية الرئيس بيل كلينتون فى حديقة البيت الأبيض بواشنطن. لم أندهش من فترات التصفيق الطويلة التى قاطع فيها النواب خطاب العاهل الأردنى وبالذات عندما أعلن قراره بإنهاء الحرب بين الأردن وإسرائيل. ولم أندهش - أيضا - عندما وجه الملك حسين خالص الشكر والتقدير للولايات المتحدة الأمريكية - شعباً وحكومة - لما حظيت به مملكته من دعم ومساندة منذ عهد المرحوم الملك عبدالله مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية.. وحتى هذه اللحظة...

...

.... ويجب الاعتراف بأن الملك حسين يعتبر من أدهى وأبرع السياسيين فى منطقة الشرق الأوسط إن لم يكن من أذكاهم وأبرعهم على مستوى العالم كله.........

...»

وحفل المقال الذى شغله ثلثى صفحة «٨» من العدد المذكور بذكر مواقف من حياة الملك حسين، وكيف أنه شاهد بنفسه وهو لم يزل صبياً جده الملك عبدالله يقتل أمامه على أعتاب المسجد الأقصى فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥١، وأنه من يومها يكره الحرب والدماء، وأنه أعظم داعية للسلام فى التاريخ.

وقال سعده أيضاً أن الملك حسين كان واقعاً تحت ضغط عندما وقف مع صدام حسين عام ١٩٩٠، وأنه كان معرضاً لأن تحتل بلاده مثل الكويت، والتمس له العذر.

وأنهى سعده مقاله «التاريخى» بهذه الفقرة:

«...

....

لقد ذهل كل من تابع الزيارة - فوق شاشة التليفزيون - من الحفاوة غير المسبوقة التى قوبل بها العاهل الأردنى وبالذات عندما قال جلالته:

- لقد تعودت منذ سنوات عديدة ماضية على أن أدعو الله سبحانه وتعالى - فى صلواتى - أن يلهمنى القدرة على أن أنجح فى تحقيق السلام بين أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام.

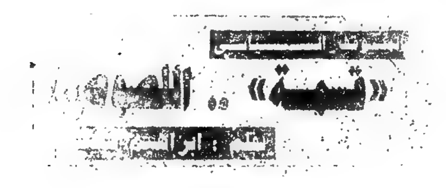
●●●

ومن المؤكد أن العاهل الأردنى يعتقد أن دعاؤه قد تحقق، وأنه على وشك أن يعيد الوفاق والسلام بين أولاد العم - المسلمين واليهود - أحفاد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

لقد أثبتت الأيام أن كل ما خطط له العاهل الأردنى قد انتهى بالنجاح، مهما قوبل بالصعاب والأخطار والتحديات، فلماذا نتشكك - اليوم - فى أن يتوج العاهل الأردنى المحظوظ كل نجاحاته ومخططاته، بتحقيق هذا الذى كنا - ومانزال - نتصوره من رابع المستحيلات؟!».

●●●

ولا تعليق عندنا...!!





ســعده.. والرئيس العراقى صـدام حـسين..

لا خـير فى ود امـرىء متملق
حلو اللسـان وقلبـه يتلهب
يلقـاك يحلف أنـه بـك واثـق
وإذا توارى عنك فهـو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

«صالح بن عبد القدوس»

مدخل لابد منه..

هذه الحملة المسعورة التى يشنها سعدة على النظام العراقى منذ أن حاول غزو الكويت.. هل سببها أن سعدة يحب الكويت؟.. أو يحب الإمارات؟.. أو السعودية؟.. أو أى من الدول التى كانت معرضة ـ كما يزعمون ـ لعدوان العراق عليها..

سعدة لا يعرف أن يحب.. ولا يرى بعينيه.. ولا يزن بعقله.. إنه مجرد «عروسة» رائعة أتقن أنور السادات صنعها.. وبالتالى فهو مجرد «تابع» أعمى للنظام القائم أيا كانت هويته.. يسير على خط موازى له تماما وأصبح من العجز بحيث لا يقدر على أن يبصر ما هو تحت أقدامه.. عيناه التى يرى بها النظام القائم.. وأذناه.. وأنفه.. وباقى حواسه سلبهم منه السادات.. لذلك فنحن نعذره.. لكن هذا لا يمنع من أن نطالب «بطرده» من مكانه هذا.. فالحق أن النظام الحالى لايحب ذلك.. والدليل على ذلك هذه المساحة الشاسعة من حرية الكتابة.. ونحن على يقين من أن النظام الحالى لا يرحب بممالك سعدة العمياء التى تسبق فى أحيان كثيرة خطى النظام نفسه.. فتجلب ضررا وتدفع نفعاً.

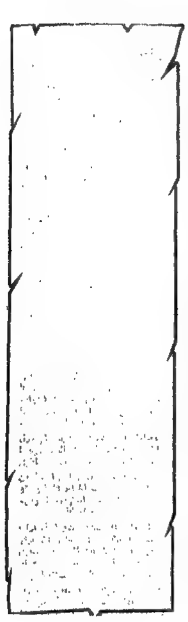
فلاش باك..

إن سعده يتغنى الآن بدول الخليج..

لكن أيام كان يجلس على عرش مصر فرعونها العظيم.. والذى كان يتلفظ ـ بنفسه ـ بأقذع الألفاظ ضد القادة العرب.. وحلت لعنته على كل الدول العربية.. أيامها، ماذا كان يكتب سعده عن هذه الدول..

تهكم على رئيس دولة الإمارات

نشر فى الصفحة الأولى من العدد ١٩٠٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ٣٠ مايو ١٩٨١، خبرا هذا نصه:



«صرح الشيخ زايد ـ رئيس دولة الإمارات ـ بأن على دول الخليج أن تحمى نفسها بنفسها. وطالب بانسحاب جميع الأساطيل البحرية من البحر الأحمر، وأكد أن بلاده قادرة على حماية حدودها، ومنع أى أجنبى من التدخل فى شئونها».

● وعلق سعدة على هذا الخبر قائلا:

«يسعد كل عربى أن يقرأ هذا التصريح لحاكم الإمارات المتحدة. والذى قاله الشيخ زايد يعنى أن قواته المسلحة أصبحت من القوة بحيث تقف على أهبة الاستعداد لمنع أى تحرك عسكرى يهدد أمن البلاد، وأمن باقى الدول المجاورة! ليس هذا فقط بل إن تلك القوات تستطيع الآن أن تضع حدا لاستفزازات إيران المستمرة، ومحاولاتها المتلاحقة لالتهام دول الخليج الواحدة بعد الأخرى! وتستطيع أن تخيف الأساطيل السوفيتية وتمنع اقترابها من الخليج، وتوقف أطماع قادة موسكو فى الاستيلاء على البترول العربى، وإخضاع أصحابه لمخططهم!

القوات المسلحة لدولة الإمارات أصبحت الآن قادرة على أن توفر الأمن والأمان لمنطقة الخليج ـ بدليل تصريحات الشيخ زايد ـ خاصة أن تلك القوات تمتلك سلاحا جويا رهيبا قوامه ١٢ «إثنى عشرة» طائرة مقاتلة، بالإضافة إلى قوة بشرية يقدر عددها بنحو ١٢٠٠ مقاتل مغربى. وضعهم الملك الحسن لحماية دولة الإمارات ضد أى إعتداء خارجى!».

ثم واصل سعدة تهكمه وهجومه على رئيس دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان فى العدد التالى مباشرة رقم ١٩٠٩، الصادر فى ٦ يونيو ١٩٨١، فكتب فى موقفه السياسى تحت عنوان «لا يا شيخ» تعليقا على حديث أدلى به الشيخ زايد لمجلة «المستقبل»، وتعرض للغزو السوفيتى لأفغانستان، وأكد الشيخ فى حديثه أن الاتحاد السوفيتى دخل أفغانستان بناءعلى طلب حكومة كابول الشرعية علق سعدة على ذلك فكتب يقول:

«.. فهو يعطى الاتحاد السوفيتى كامل الشرعية فى غزو دولة إسلامية واحتلال أراضيها وكتم أنفاس شعبها، وقتل عشرات الألاف من سكانها. وسلب حريتها، واستقلالها. كمايبارك كل عمليات البطش، والتنكيل والإبادة التى يقوم بها ٨٥ ألف جندى سوفيتى ضد شعب أفغانستان الأعزل، المسالم!

والشيخ زايد لا يصدق ما يقال عن السوفيت فى أفغانستان.. فهو يتهم «المتباكين على أفغانستان». على حد تعبيره لمجلة المستقبل بالتهويل ومحاولة إخافة دول المنطقةمن الخطر السوفيتى ويؤكد أن الاتحاد السوفيتى لايطمع فى شىء، ولا يشكل أى خطر على شعب أفغانستان، ولا على أى شعب آخر فى الدنيا...

...

ليس هذا فقط، بل ويبارك توطيد وتقوية العلاقات مع الاتحاد السوفيتى، وسخر من الذين يتخوفون أخطار انتشار الإلحاد، والكفر، فوصفهم بالتأخر، والرجعية، وقال بالحرف الواحد: «.. إن تلك المخاوف أصبحت . الآن. مقولة قديمة!..».

●●●

وتمرالأيام..

ويختفى النظام المصرى الذى كان يكره كل العرب..

ويأتى نظام جديد يحب كل العرب، وتحسنت بالتالى العلاقة بين مصر وكافة الدول العربية، ومنهم دول الخليج.

نسى سعدة - كالعادة - ما سبق أن كتبه فى حق الشيخ، وكتب فى عدد أخبار اليوم رقم ٢١٦٥ الصادر فى ٢٦ أبريل سنة ١٩٨٦، تحت عنوان

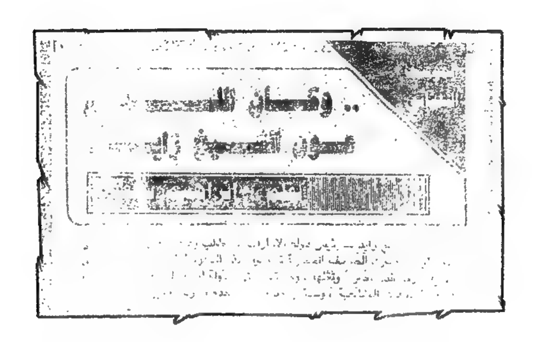
[illegible] الشرعية [illegible]
دولة [illegible] أرضها ، [illegible] أنفاس [illegible]
[illegible] ، وسلب حريتها ،
[illegible] كل عمليات البطش ، والتنكيل ،
والإبادة [illegible] ألف جندى سوفيتى [illegible]
[illegible] الأعزل ، المسالم !
والشيخ زايد لا يصدق ما يقال عن [illegible]

[illegible] (([illegible] على أفغانستان)) [illegible]
[illegible] من الخطر [illegible]
[illegible] لا [illegible] فى شىء ، [illegible]
على [illegible] ، ولا على أى شعب آخر فى الدنيا !
[illegible] دولة [illegible] ، [illegible] الآلاف من الجنود [illegible]
[illegible] لا يرى فيه حاكم دولة الإمارات العربية ، [illegible] على
[illegible] شعب [illegible]
[illegible] بلاده من الغزاة البرابرة !

«وكان الله فى عون الشيخ زايد» يقول:

«تفضل الشيخ زايد - رئيس دولة الإمارات - فطالب بعقد مؤتمر قمة تدعى مصر إليه.. ونشرت الصحف المصرية تفاصيل هذه الدعوة الكريمة من حاكم عربى شجاع يعرف قدر مصر، وثقلها، وقدرتها، فى محاولة لضم الصفوف المتباعدة، وإنهاء الخلافات المتشعبة، وتحقيق حد أدنى للوحدة العربية التى نتغنى بها!.

لم يهتم الشيخ زايد بقرار عزل مصر عن الأمة العربية، وهو القرار الوحيد الذى صدر بالإجماع والتأييد الهائل اللذين لم يتحققا مرة واحدة تجاه القضية الفلسطينية أو ضد إسرائيل. لم يهتم بما يمكن أن يقال عنه - بسبب دعوته الشجاعة - من جانب العديد من النسور والصقور الذين يحكمون بعض عواصمنا العربية. ولم يهتم حاكم الإمارات بما سوف تحدثه هذه الدعوة من حساسية شديدة من جانب جبهة الصمود والتصدى التى مازالت تؤمن بأن كل أخطاء وخطايا الحكام العرب تقع مسئوليتها على كاهل مصر، التى خرجت - كما يقولون - عن الصف العربى.



وعقب زيارة الشيخ زايد لمصر فى ١٢ سبتمبر ١٩٩١، كتب سعدة مقالاﹰبالعدد ٢٤٤٥ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٤ سبتمبر ١٩٩١، كان عنوانه «شجاعة رجل..» بدأه بهذه السطور:

«احترمت الرجل قبل أن التقى به. احترمته لما سمعته عنه وما قرأته منسوبا إليه. احترمت صراحته غير المعتادة وغير المتوقعة فى الزمان والمكان واحترمته. أكثر وأكثر. لمواقفه التى لا تنسى من مصر والمصريين، فى الوقت الذى كان فيه الأشاوس والنشامى. من الذين ابتليت بهم أمتنا العربية. يتنافسون ويتسابقون من أجل التطاول على مصر بمناسبة وبدون مناسبة».

هكذا..

بعد ما كان يسخر ويتهكم عليه إزاء كل كلمة يسمعها عنه، أو يقرأها منسوبة إليه.. أصبح يحترمه.. ويحترمه أكثر وأكثر.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

●●●

ولم تسلم الكويت من بذاءاته

فى عـام ١٩٧٩، تحـدث الإعـلام العـربى والغـربى عن فـيلم «مـوت أمـيـرة» الذى قـام بيطولته فنانون مصريون، عن قصـة حقـيقـية وقـعت فى الأراضى الحـجـازية، عندمـا ضبطت إحدى أميرات الأسرة المالكة تزنى مع رجل غريب، وقدمت للمحاكمة، واعترفت بجريمتها، وقضى القضاة برجمها حتى الموت.

وقد أثار هذا الفيلم غضبـة الأسـرة المالكة فى الأراضى الحـجـازية، وأعدت قـائمة سوداء بكل من له عـلاقة بالفيلم من قـريب أو بعيد، ومنعـوا من دخـول هذه الأراضى، ووصل الأمـر أن طرد السـفـيـر البـريطانى بالرياض احـتجـاجـا على عـرض الفيلم فى تليفزيون بريطانيا.

وموقف حكومة المملكة هنا صائب مائة فى المائة، فهى أصابت حينما أقامت شرع الله فى إحـدى أمـيـرات الأسـرة، وأصـابت عندمـا احتجت على وجـود مـثل هذا الفـيلم، لأنه يسخر من شريعة الله، وأحكامه.



وكتب أبوسعده حول هذا الموضوع كمدخل لشتم الكويت لأنها اشتركت فى دورة الألعاب الأوليمبية بموسكو عام ١٩٨٠. فكتب فى موقفه السياسى بتاريخ ٢٦ أبريل ١٩٨٠ يقول:

(...

أما الكويت، الدولة العربية الإسلامية فإنها فصلت بين الرياضة وبين السياسة الاستعمارية الوحشية التى تطبقها موسكو فى أفغانستان، ووافقت الكويت على الاشتراك فى الألعاب التى ستجرى فى عاصمة الدولة الاستعمارية، وفى نفس الوقت الذى تواصل فيه الدبابات الروسية اكتساح المدن، والقرى، الأفغانية!

إن السعودية اعتبرت الفيلم التليفزيونى، إساءة للإسلام.. أما الكويت فإنها لم تجد فى محاولة سحق شعب أفغانستان المسلم، طعنة للإسلام والمسلمين!

السعودية قررت طرد السفير البريطانى. وربما تقطع جميع العلاقات مع بريطانيا، عقابا لها لأنها لم تفرض رقابة على المصنفات الفنية داخل بلادها. أما الكويت فإنها قررت الاشتراك فى ألعاب موسكو، باعتبار أن الأوليمبيات رياضة، أما غزو دولة إسلامية

شقيقة.. فهو سياسة، ولا يجب أبدا الجمع بين الإثنين!

موقفان، عربيان، متناقضان..

وهنيئا للسوفيت بالموقف الكويتى..!».

***

والكويت ليست «حبيبة» لمصر..

وبالتالى فلا داعى لأن نخسر العالم العربى كله من أجلها..

من قال إن الكويت ليست حبيبة لمصر؟.. إنه سعدة نفسه..

فى العدد ٢١٤٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ٤ يناير ١٩٨٦، كتب سعدة مقالا بعنوان «ماذا يريدون من مصر؟!» قال فيه:

«ماذا تريد بعض الصحف العربية ـ وبالذات فى الكويت ـ من مصر؟!

ماذا تهدف إليه هذه الصحف من وراء نشر هذا الكم المخيف والعجيب من أخبار ملفقة، وكاذبة، ومشوهة، نقلا عن مصادرها غير المحددة فى القاهرة؟! وماذا تسعى إليه هذه الصحف بعد محاولتها الإساءة إلى مصر، وقيادتها، ونظامها، وسياستها، عن طريق نشر ما تتوهمه أخباراً، وما تزعمه من تصريحات، وما تردده من أكاذيب ومن اختلافات، لا أول لها ولا آخر؟!

منذ فترة طويلة ـ تحسب بالسنوات لا بالشهور ولا بالأيام ـ ونحن نقرأ فى بعض الصحف الكويتية كل ما يخطر وكل مالا يخطر على البال، من صفحات سوداء لا هم لها سوى الإساءة إلى بلادنا، وصورتنا، وشعبنا، وقياداتنا، والممارسات الديمقراطية التى نتمتع بها ولا يعرفها معظم الأنظمة والدول التى تصدر عنها تلك الصحف! لم نسمع عن صحيفة واحدة ـ من الصحف العربية ـ تعرضت يوما وبالنقد المباح لخطأ سقطت فيه الدولة التى تنتمى الصحيفة إليها! لم نقرأ مقالا نشر فى صحيفة عربية وتطاول صاحبه فيه على مسئول كبير، أو وزير، أو أمير! وياليت الأمر وقف عند هذا الحد، وإنما المدهش أن تلك الصحف لا تجد من الدول العربية ـ خارج حدودها ـ غير مصر وحدها

لتصب عليها جام غضبها، وشديد إنتقاداتها، كى تفسح صفحاتها لنشر كل ما يصل إلى أسماعها من شائعات مغرضة. وأخبار مضللة، وتصريحات مشوهة، وكأنها حقائق حدثت فى مصر!

....

....

الذى يهمنها فقط. الآن. هو ما تنشره بعض الصحف العربية فى الكويت من أخبار مجهولة المصادر ولا تحقق غير محاولة تشويه ما يجرى داخل مصر أمام أنظار قارىء تلك الصحف. فحقيقة ما يحدث فى مصر، لا تهمها، المهم فقط هو ما تقوله المعارضة المصرية! المهم فقط ما يتردد من شائعات يطلقها باعة البطاطا، كما وصفهم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، ذات يوم! والمهم فقط أن تنشر ما قد يقنع القارىء العربى بأن الوضع الداخلى فى مصر غير مستقر، وأن هناك حالة غليان تحت. وفوق. السطح، وتنذر بقرب الإنفجار، وسقوط مصر فى حرب أهلية أشبه بما يحدث حاليا فى لبنان.

●●●

أما العراق فكان وضعه مختلفا!!

على الرغم من أن العراق هى التى تزعمت «جبهة الرفض» العربى لسلوك السادات المخجل تجاه إسرائيل، واستضافت بغداد إجتماع وزراء خارجية الدول العربية يوم ٢٧ مارس ١٩٧٩، الذى أعلن تجميد عضوية مصر فى جامعة الدول العربية، وقطع الخطوط الجوية معها، احتجاجا على معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية..

رغم كل ذلك كانت العلاقات بين الشعبين العراقى والمصرى تتميز عما سواها من علاقات لمصر بالدول العربية، ولعل أبرز ما يميز ذلك هو تلك الملايين من أبناء مصر التى دخلت العراق ـ بلا أى عوائق ـ تعمل هناك، وعادت لمصر بالخيرات الوفيرة.. وظلت العراق على مدى ١٢ عاما ملاذا لكل أبناء مصر الذين يعانون من البطالة، فذهبوا لا يملكون سوى تذكرة السفر، وعادوا لمصر يشيدون فيها المشاريع العظيمة، ويفتحون بيوتهم التى كانت تعيش تحت خط الفقر. فى زمن أنور السادات. وليس على مستوى

الشعبين فحسب، بل على مستوى الحكومات أيضا، فبعد مقتل السادات مباشرة، حدث إنفراج هائل فى العلاقات بين حكومتى البلدين.

وظلت العلاقات تتطور من أحسن إلى أحسن، حتى تم فى بغداد توقيع ميثاق مجلس التعاون العربى، بين مصر والعراق والأردن واليمن يوم ١٥ فبراير ١٩٨٩. وأصبحت العلاقات بين البلدين سمنا على عسل.

وفى مناسبة توقيع ميثاق مجلس التعاون العربى، أهدى الرئيس صدام حسين سيارة مرسيدس آخر موديل، لكل رؤساء تحرير الصحف المصرية، ومن بينهم إبراهيم سعدة، الذى لازال حتى هذه اللحظة يكيل من داخلها الشتائم له.!!

الوحدة المتأنية

فى ١٥ يونيو ١٩٨٩، إنعقدت بالأسكندرية أولى جلسات القمة الثانية لمجلس التعاون العربى، بين رؤساء مصر والعراق والأردن واليمن. وصدر العدد ٢٣٢٨ من أخبار اليوم فى ١٧ يونيو ١٩٨٩، يحمل مقالا لإبراهيم سعدة بعنوان: «فى التأنى.. السلامة!!» سخر فيه - بكل ما يملك من ألفاظ - من الوحدات العربية السابقة، خاصة التى تمت فى عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر!

ويقدر هجائه للوحدات السابقة، كان إطراؤه للوحدة الحاضرة أعظم بكثير.. وكان متفائلا للغاية.. رغم أن أى متبصر - ومنهم العبد لله - كان يحكم على هذه الوحدة بالفشل الذريع، أو على الأقل يبدى تحفظه عليها، حتى يرى هل سيصدق الفعل ما يقولون، والعمل ما يفنون، أم سيقتصر الأمر على هذه المواكب الأسطورية!!..(*)

وجاء فى مقال هذا السعدة ما يأتى:

«فى تصورى أن ابرز ما يميز مجلس التعاون العربى - الذى يضم مصر والعراق والأردن واليمن - هو أسلوب التفكير فى إنشائه، والخطوات التمهيدية التى سبقت قيامه، والقرارات التمهيدية التى بدأت تصدر عنه، وهذا الأسلوب - الذى أعتقد أن الدول الأعضاء فى مجلس التعاون العربى سوف يتمسكون به - هو أكبر ضمان لنجاح المجلس، ليحقق آمال وأحلام شعوبنا العربية.

(*) انظر فى ذلك ما كتبناه عن هذا المجلس بجريدة «العرب العالمية» فى عدديها المؤرخين ٣٠، ٣١ أغسطس من عام ١٩٨٩.


لتحقيق آمال وأحلام شعوبنا العربية .

لقد سبق لشعوبنا أن جربت قيام الوحدة بين دولتين أو ثلاثة دول عربية شقيقة. سبق أن فوجئنا بإعلان تلك الوحدة فى يوم وليلة! وسبق أيضا . أن رحبت الأمة العربية، من المحيط إلى الخليج، بقيام تلك الوحدة باعتبارها الأمل والحلم والرجاء. وللأسف الشديد فشلت تلك الوحدة الواحدة بعد الأخرى! وأصيب المواطن العربى بصدمة بددت أمله وحلمه فى أن يكتب النجاح لوحدة عربية شاملة، تتحدث بلسان واحد، وتتمسك بقرار أوحد، وتقف أمام القوى الخارجية وقفة رجل واحد!

ولعل أهم أسباب هذا الفشل كان يرجع أساساً إلى التسرع فى إعلان تلك الوحدة الشاملة دون التدرج فى خطوات قيامها، مما أدى إلى وقوع أخطاء . من هنا ومن هناك. ساهمت فى الإسراع بفشل تلك الوحدة تباعاً، رغم التأييد المطلق من الغالبية العظمى من شعوبنا العربية لها!...

....

أسرع من البرق!!

وعندما إحتل صدام الكويت، وإنهار هذا المجلس الذى جاء بعد تأنى كما قال المستر سعدة فى المقال السابق أعلاه، كتب سعدة مقالا بعنوان: «عندما بكى صدام» بالعدد ٢٤٠٠ من أخبار اليوم، الصادر فى ٣ نوفمبر ١٩٩٠، قال فيه:

«..

وبسرعة البرق تم هذا المجلس ، وبإلحاح مستمر من الرئيس العراقى الذى كان يستعجل خطواته وينادى بالمزيد من تحالفات الدول الأعضاء وأهمها التحالف العسكرى وهو الذى رفضه الرئيس مبارك وشكك فى جدواه وأهدافه..............................».

●● لا تعليق لدينا..!!.. لكن يمكنكم أن تضحكوا كما شئتم.

●●●

ضد الحملة المسعورة

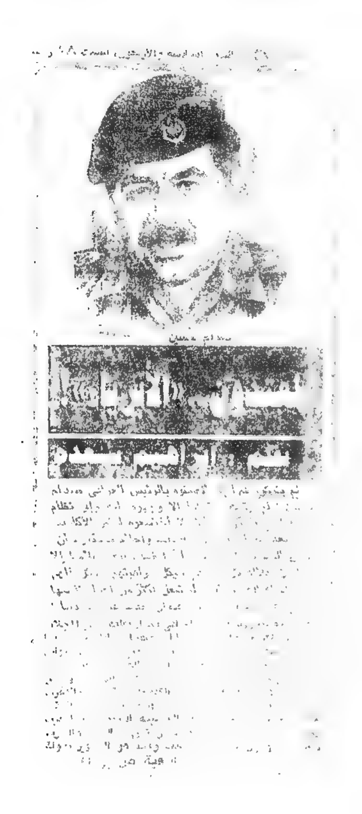
أسجل - بكل فخر - لسعدة ما كتبه عن الرئيس العراقى صدام حسين، فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٣٧١ الصادر فى ١٤ أبريل ١٩٩٠ وكان مقالا طويلا أكثر من رائع، بعنوان «المعتدون.. «الأبرياء»!».

هذا المقال «السعدوى» يعد وثيقة من أعظم الوثائق، التى يجب أن نرجع إليها إذا ما حاولنا تأصيل المؤامرة العالمية ضد العراق.. ولأهمية هذا المقال، فأنا سأنقل منه الكثير..

يقول سعدة:

«..

لم يتركوا شرا إلا ألصقوه بالرئيس العراقى صدام حسين! لم يتركوا إتهاما إلا وجهوه إليه وإلى نظام حكمه ! لم يتركوا خيالا إلا اخضعوه لنشر الأكاذيب والشائعات حول ما أسموه بأهداف وأحلام «جنكيز خان» القرن العشرين! ولم يتركوا - أيضاً - بوقا إعلاميا إلا بثوا من خلاله كل حقدهم، وكل كراهيتهم، وكل غلهم ضد الدولة العربية التى لم تفعل أكثر من إعداد نفسها للدفاع عن بلادها ضد أى عدوان جديد عبر حدودها!.

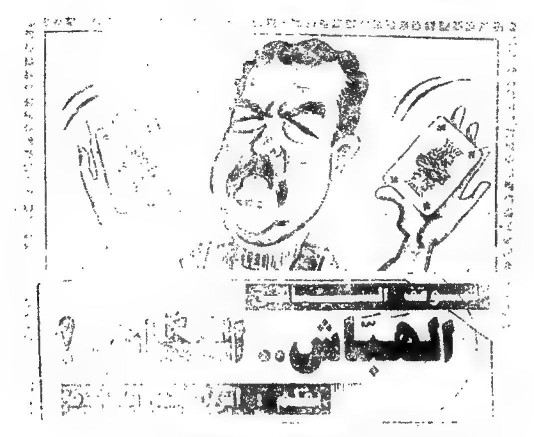


منذ فترة وصورة الرئيس العراقى تحتل أغلفة أشهر المجلات السياسية الغربية وأكثرها انتشارا. صفحات كاملة خصصتها كبريات الصحف الأمريكية والأوروبية للحديث عن الرعب الهائل الذى يهدد البشرية القادم من العراق ! والغريب أن تتفق هذه الصحف والمجلات الكبرى كلها حول نفس الهدف، ونفس الاتهامات، ونفس الأرقام، ونفس الكلمات.. تقريبا! والأغرب من ذلك أن نقرأ فى مجلة يمينية مثل «نيوزويك» نفس ما تكتبه مجلة يسارية لا ننسى مواقفها الإيجابية القديمة مع العرب وقضاياهم مثل مجلة (لونوفيل أوبزرفاتور)! فالشرق والغرب إتفقا معا. ولأول مرة. حول هدف واحد هو التشهير بدولة العراق، بصفة خاصة، وبالأمة العربية كلا، بصفة عامة!

والحملة المسعورة بدأت فى أعقاب تنفيذ حكم الإعدام فى الجاسوس البريطانى. من أصل إيرانى. بعد أن أدانته المحكمة العراقية باعترافه بالتجسس لحساب جهاز المخابرات الإسرائيلية.

رأينا بريطانيا تفقد أعصابها وتهدد وتتوعد! رأينا فرنسا تغلى.. صحافتها تتهم حكوماتها السابقة بأنها مصدر كل القوى التدميرية التى أعطتها لنظام حكم صدام حسين الذى يهدد اليوم باستخدامها لتفجير الكرة الأرضية بأسرها! رأينا الولايات المتحدة الأمريكية تكشف عن المخطط المزعوم الذى أوشك صدام حسين على تنفيذه بامتلاك السلاح النووى القادر على نسف المنطقة كلها من حوله! ورأينا إسرائيل. أيضا. وهى تعلن عن مخاوفها وبالغ قلقها من امتلاك خصومها. العرب. للسلاح التدميرى الشامل الذى يهدد. أول ما يهدد. شعب إسرائيل المسالم والوديع! مئات المقالات تصدرت الصفحات الأولى فى باريس، ولندن، وبون، وواشنطون، وروما، وبروكسل، و.. و.. وغيرها، وكلها تتحدث عن الخطر النووى الذى أصبح فى يد دولة من دول العالم الثالث. هى دولة العراق. ويمكن أن تستخدمه ضد غيرها وفى أى وقت تشاء لتندلع بعدها الحرب النووية الشاملة فى كل مكان!.

صفحات كاملة خصصتها أكبر المجالات العالمية للحديث عن شخص الرئيس العراقى صدام حسين لتظهر للعالم كله فى صورة أخطر رجل فى العالم، وأكثرهم شراهة وبطشا ودموية! تتبعوا حياته منذ مولده وحتى يومنا هذا، وأخضعوا تلك المراحل المتعددة لإقناع



الدنيا كلها بأنه خلق من أجل الدمار والإرهاب ونسف الاستقرار!

قالوا عنه إنه يحلم بإعادة التاريخ القديم جدا ليتقمص دور القادة العظماء الذين ماتوا منذ مئات السنين قبل مولد سيدنا عيسى بن مريم! قالوا إن الرجل يحلم بأن تعود بغداد عاصمة للأمة الإسلامية التى تتلقى عواصم تلك الأمة منها الهدى والأمر! وقالوا أيضاً . إن صدام حسين حدد هدفه منذ صغره، وحقق خطواته . بكل ثقة . الواحدة بعد الأخرى، وأصبح . الآن . مهيأ لتحقيق هدفه الأسمى وهو أن يحقق لنفسه ولبلاده ما عجز كل عظماء وقادة العرب عن تحقيقه طوال مئات السنين الماضية!

والرجل يقرأ ما يكتب عنه، ويسمع ما يشاع عن طموحاته وغزواته، ولا يملك غير الدهشة من حدة هذه الافتراءات، ومن قسوة هذه الاتهامات، ومن هدف هذه الشائعات! وظن الرئيس العراقى أن حملة الكراهية ضده وضد بلاده قد تستمر أسبوعاً أو أى أسبوعين بعد إعدام الجاسوس البريطانى، ثم تنتهى كما سبق أن انتهت كل الحملات المشابهة على مدى السنوات العديدة الماضية.

ولكن ما توقعه صدام حسين لم يتحقق! فلا الحملة ضده وضد بلاده توقفت، ولا العار الذى يطل عليه كل يوم فوق سطور الصحف والمجلات العالمية تلاشى، ولا تصريحات المسئولين الغربيين ضده. بمناسبة وبدون مناسبة. توارت ! على العكس من ذلك فوجىء الرجل بالحملة تتصاعد! وبالتشهير يتفاقم، وبالتهديدات غير المسئولة تتعاظم يوما بعد يوم!

النصر العظيم الذى حققه العراق ضد إيران، شككوا فيه! نجاح الجيش العراقى فى وقف زحف إيران على العالم العربى، نددوا به! انتهاك إسرائيل للسيادة العراقية داخل دورها، وتدمير المفاعل الذرى العراقى مروا عليه مرور الكرام، مرة، وأشادوا به مرات ومرات! إعادة تسليح القوات المسلحة العراقية. بعد حرب السنوات العشر ضد إيران. لم يسلم من النقد والتشهير والتهويل! محاولة العراق تأمين حدودها والدفاع عن شعبها ضد اى عدوان جديد. إسرائيلى أو غير إسرائيلى. ووجه بحملة تشهير واتهام لا أول لها ولا آخر! وتأكيدات الرئيس العراقى عن حرصه على التمسك بالسلام، الذى وضح جليا عندما وافق على وقف إطلاق النار مع إيران رغم انتصار جيشه لم يجد صدى لدى الذين خططوا ونفذوا حملة الكراهية ضده وضد بلاده فى عواصم العالم الغربية وغير الغربية! فرجل السلام أصبح. فى نظرهم. رجل الحرب! والرجل الرافض لاستمرار الحرب. بعد انتصاره. حولوه إلى آلة دمار لاهم لها غير حصد الأرواح، ونسف الديار! والدولة العربية لا هم لها. فى الوقت الحاضر. غير إعادة بناء مدنها وقراها التى دمرتها الحرب الطويلة ضد إيران، تغاضوا عن هدفها الأوحد وأظهروه فى صورة النظام الذى لا يرتوى أبدا من الدماء، ولا يهنأ أو يرتاح له بال إلا على صوت التفجير، وأزيز المقاتلات، وصراخ المصابين، وأنين الجرحى!.

ووجد الرئيس العراقى صدام حسين نفسه فى موقف لا يحسد عليه! أجهزة الإعلام الغربية والإسرائيلية كلها قالت. وتقول. فيه أكثر مما قاله مالك فى الخمر! ليس هذا فقط، بل إن تصريحات المسئولين الغربيين والإسرائيليين ضد بلاده حملت تهديدات مباشرة وصريحة بالإعتداء الوشيك والواضح ضد بلاده، وضد حصونه الدفاعية، وضد أمن وأمان شعبه الذى بدأ يتذوق طعم السلام بعد انتهاء سنوات الحرب الطويلة بكل

معاناتها، وكل أهوالها، وكل فظائعها!

وكان صدام حسين مطالبا بالرد على هذه الحملة، وهذا المخطط أمام الرأى العام العراقى الذى وثق بقيادته، واختاره زعميا وقائداً لبلاده، وقال رئيس العراقى ما كان يجب عليه أن يقوله، وما كان من حق شعبه عليه أن يسمعه منه.

تحدث الرئيس العراقى عن قواته المسلحة القادرة على القيام بواجبها فى حماية الشعب وتحصين حدود البلاد ضد أى إعتداء يأتى من الشرق أو من الغرب، ومن الشمال أو الجنوب، ليس هذا فقط، بل إن الرئيس العراقى اضطر. فى تصورى. إلى أن يهدد إسرائيل باستخدام السلاح التدميرى الشامل ضدها لو أنها بدأت عدوانا جديدا داخل الحدود العراقية فلدى العراق. كما قال الرئيس صدام حسين. من الأسلحة ما يستطيع أن يردع المعتدى وأن يدمره، عقابا على تعديه وعلى عدوانه.

ويا هول ما قاله الرئيس صدام حسين!

كأن الرجل نطق كفرا! كأن الرجل من كوكب آخر! كأن الرجل لا هم له. ليل نهار. غير البحث عن كيفية تدمير الكرة الأرضية بمن تحتها وعن فوقها! أو كأن المفروض على الرجل أن تتعرض بلاده للتهديد بالدمار ويجب عليه. فى نفس الوقت. ألا يدافع عن بلاده، وألا يقابل التهديد بالتهديد، والتحدى بتحد أكبر!

فى تصورى.. أن الرئيس العراقى لم يفعل أكثر مما طالبه شعبه به فالرجل ليس من هواة الحرب ولا من دعاتها. الرجل ليس من أنصار العدوان ولا من مخططيه. الرجل ليس متباهيا بعضلاته ولا من هواتها والرجل. أيضا. ليس باحثا عن معركة جديدة وهو الذى لم ينته من إزالة آثار المعركة الطويلة والدامية مع إيران كل ما أراده الرجل. فى رأيى. عندما قال ما قاله فى خطابه الأخير.. هوتحذير إسرائيل من تكرار اعتدائها على حدود بلاده، وتكرار تدمير ممتلكات شعبه. وهددها بأن العراق أصبح الآن قادرا على رد اللطمة لطمتين، الضربة ضربتين. فهل يستحق هذا التحذير، وهذا التهديد تلك الزوبعة التشهيرية الهائلة التى هبت. ومازالت. ضد العراق، وضد رئيسها، وضد حقها فى أن يعيش شعبها هانئا ومطمئنا داخل حدوده؟!.

المنطق يقول إن العراق لم يخطىء، وأن رئيس العراق لم يتجاوز، ولكن هذا المنطق ليس ـ عادة ـ مقبولا من حكومات الغرب ومن حكومة إسرائيل ـ بصفة خاصة ـ لا لشىء إلا لأن هذا المنطق جاء فى صالح دولة عربية تحاول أن تجد لنفسها مكانا تحت الشمس.

هذه مأساة فى حد ذاتها.

ديكتاتور القرن العشرين!!

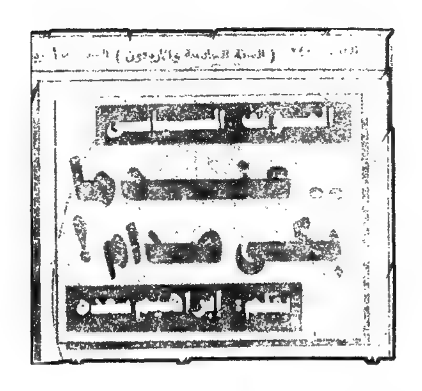
فى ٢ أغسطس ١٩٩٠، دخلت القوات المسلحة العراقية الأراضى الكويتية بغرض احتلالها، وأدانت الحكومة المصرية ـ بشدة ـ هذاالعمل، واستاءالرئيس المصرى حسنى مبارك مما قام به الرئيس العراقى صدام حسين، وكان ضيق الرئيس المصرى من نظيره العراقى ليس بسبب دخوله الكويت فحسب، بل لأن صدام «كذب» عليه حينما كان معه قبل أيام من عملية الغزو، وأكد له أن شيئا من هذا لن يحدث، فكان ضيق وغضب الرئيس المصرى هنا له باعثان: أحدهما شخصى وهو كذب صدام عليه، والثانى يأتى من منطلق كونه رئيس أكبر دولة عربية وطلب من صدام أن يتراجع فلم يتراجع.

لما تأكد سعدة تماما من ذلك، وإطمأن إلى غضبة النظام المصرى على صدام حسين.. خرج علينا يوم ١١ أغسطس ١٩٩٠، فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٣٨٨ بمقال تحت عنوان «فرصة.. لا تعوض!» نشر فى الصفحة الثامنة، جاء فيه عن صدام حسين:

«...

انظروا إليه كيف يمشى، وكيف يستقبل ملوك ورؤساء العالم الأكثر علما وفهما وخبرة وتاريخا منه. انظروا إليه عندما يتحدث فى مؤتمرات القمة العربية وكأنه الأستاذ وهم التلاميذ، أوكأنه المعلم وهم الصبيان. انظروا ـ أيضا ـ إلى صوره ومقتطفات من أقواله وأشعاره ونظرياته التى رفعت فوق كل شارع، ولصقت فوق كل جدار، وتصدرت كل مبنى، وداخل إطار فوق كل مكتب، فى طول العراق وعرضه.. شماله وجنوبه، انظروا إلى شاشة قنوات التليفزيون العراقى طوال ساعات الإرسال الطويلة واليومية فلن تروا غير صور صدام وهو يفكر، وهو يقرأ، وهو يتحدث، وهو يستقبل، وهو يتريض، وهو يأكل، وهو يشرب، وهو يستعرض، وهو يتفقد، وهو يتعطف، وهو يتوعد، وهو يحيى، وهو يميت.





عندما

بكى صدام!

بقلم: إبراهيم سعده

الصورة الوحيدة التى لن تراها لصدام حسين. فوق شاشة التليفزيون. هى صورته عندما يدخل غرفته.. لينام. رجل هذه نرجسيته، لا يستبعد عليه أبدا أن يفعل ما فعل، ولا نتوقع منه إلا ما وعد بتنفيذه وهدد بارتكابه، والإقدام عليه.فهو من طراز كنا نتصور أنه إندثر بعد هولاكو وجنكيز خان وهتلر وموسولينى، ولكنه أثبت. بكل وضوح. أن التاريخ يعيد نفسه، وأن عُقد النقص يمكن أن تتحول إلى جنون العظمة لبعض الذين ابتليت الشعوب والدول بحكمهم وإرهابهم ونرجسيتهم.

صدام حسين هو الديكتاتور الوحيد فى نهاية القرن العشرين الذى يمكنه أن يغزو جاره لبلاده لم يلق منها غير كل الكرم والمحبة والمساعدة..........................

....».

● وتعليقا على «حكاية الصور» هذه، فأنا أحيل القارىء إلى عدد أخبار اليوم رقم ١٨٤٢، الصادر فى ٢٣ فبراير ١٩٨٠ . والذى أشرنا إليه من قبل ـ حين أظهرت لنا جريدة سعدة، «أبونا» أنور السادات وهو فى «غرفة نومه متمددا على السرير» ثم وهو فى

الحمام» ثم وهو «مشقلب» يلعب يوغا.. يوجا؟.. «يوجا» تك ستين نيلة؟

فصدام إذن لم يصل إلى ما وصل إليه أنور السادات، لأنه - كما قلت - لم يظهر للجمهور فى غرفة نومه.. لكن السادات كان «أجدع» منه، فظهر علينا بملابسه الداخلية فى الحمام!!..

وعلق سعدة على هذه «المهزلة» فى عدد أخبار اليوم التالى (١٨٤٣)، قائلا:

«إن من حق الرأى العام المصرى أن يعرف كيف يعيش رئيس الدولة، فالرجل هوأبوالعائلة الكبيرة، ومن حق الأبناء أن يعرفوا ماذا يفعل كبيرهم، وكيف يقضى يومه، وكيف يعيش داخل منزله»!!!

● هل نسيت ذلك يا سعدة؟؟

كل نقيصه قبل أن تفكر فى نسبتها لأى إنسان، تأكد أن السادات كان له السبق فيها.. كان - رحمه الله - بروفيسور، وتخرج فى مدرسته كل الأسافل فى شتى المجالات.

الحرب الخاسرة

وواصل سعدة هجومه الشرس، وشتائمه ضد الرئيس العراقى صدام حسين، فكتب فى العدد ٢٣٩٠ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٥ أغسطس ١٩٩٠، مقالا بعنوان «روبين هود.. المزعوم!»..

وبدأ سعدة مقاله بهذه السطور:

«غضب مرتزقة الرئيس العراقى صدام حسين من وصف العالم بأنه صورة من مصاصى دماء الشعوب من أمثال: جنكيز خان، وهولاكو، وموسولينى، وهتلر! وارتفعت أصوات هؤلاء المرتزقة - فى بعض العواصم العربية، وداخل مقار منظمة التحرير الفلسطينية - تندد بهذه الأوصاف وتدافع عن ولى نعمتها ومضاعف أرصدتها ومتخم جيوبها، وتؤكد - فى نفس الوقت - على أن صدام حسين هو خليفة اللص الشريف «روبين هود» الذى كان يسرق الأغنياء فى العصور الوسطى، ويوزع أموالهم على الفقراء.. كما تروى الأساطير الإنجليزية القديمة!.

● وعن حرب العراق مع إيران، التى سبق أن أشاد بها سعدة، وندد بالعدو الإيرانى الذى كان - كما قال - يزحف نحو الوطن العربى.. وعن النصر العظيم الذى أنشد فيه سعدة عبارات غزلية - كما سبق وعرضنا - قال سعدة عنه فى ذات المقال:

«وقبل أن يخطط ديكتاتور بغداد لاستخدام هذه القوة الهائلة ضد الشعوب العربية الشقيقة الملاصقة لحدوده، أراد أن يستعرضها أمامها فى حربه الحمقاء التى افتعل شرارتها الأولى ضد إيران، والتى استمرت لأكثر من ثمانية أعوام أنفق عليها - من دخل الشعب - نحو ٥٠٠ مليار دولار، وراح ضحيتها أكثر من مليونى قتيل وجريح ومعوق، إلى جانب وقوع أكثر من ١٠٥ ألف عراقى فى الأسر الإيرانى».

أما الشعب العراقى، الذى سبق أن قال عنه سعدة أنه إختار صدام رئيساً وزعيماً، فقد قال عنه فى ذات المقال:

«لو أن شعبا تحمل من حكامه أبشع أنواع البطش والردع والتعذيب والتنكيل، فمن المؤكد أنه الشعب العراقى الشقيق الذى حكمه - ومازال - ديكتاتور بغداد بالحديد والنار ولو أن هناك دولة نجح مغتصب حكمها وقيادتها فى نهب ثرواتها، وإفقار وتجويع شعبها، على مدى السنوات العديدة الماضية والمتصلة، فهذه الدولة هى - بالقطع - العراق الشقيق.

ويخطىء من يتصور أنه فى استطاعة الشعب العراقى وحده أن يطيح بمصاص الدماء الذى يجثم فوق أنفاسه، ويبدد ثرواته، وهو يعبد ذاته، ويرجع نسبه إلى سيدنا على بن أبى طالب، كما قال ضمن رسالته المفتوحة التى وجهها - بالأمس - إلى الرئيس حسنى مبارك!! فبدون مساعدة ومساندة من كافة الشعوب العربية، أولا، وكافة حكومات العالم كله، ثانيا، فإنه من الصعب جدا على الشعب العراقى المنكوب أن يحرر إرادته ويستعيد حريته وثرواته وحياته ذاتها».

ماذا ينتظر؟

وفى مقال بعدد أخبار اليوم ٢٣٩٢، الصادر فى ٨ سبتمبر ١٩٩٠، الذى كان عنوانه «السلام.. الذى يحلم به!»، كتب سعدة ضمن ما كتب:

«ماذا ينتظر الرئيس - صاحب الستة ملايين مقاتل - ليصدر قراره بضرب وإبادة القوات



المتعددة الجنسيات والتى تحاصر بلاده من كل جانب؟ ماذا يمنع صاحب أكبر جيش فى العالم من إطلاق صواريخه لإغراق كل حاملات الطائرات الأمريكية وما يحرسها من مدمرات وكاسحات الغام وفرقاطات وزوارق وحاملات جنود ومستشفيات عائمة تمتلىء بها كل بحارنا القريبة منا والبعيدة عنا؟ وماذا يؤخر قرار الرئيس العراقى الذى يصدر لمئات من قاذفاته ومقاتلاته، وللآلاف من دباباته لشن الحرب الشاملة ضد هذه الترسانة المسلحة المتعددة الجنسيات والمنتشرة على طول منطقة الخليج وحتى المملكة العربية السعودية؟

....

....

كل مايطمح فيه الرئيس العراقى صدام حسين. من خلال اتصالاته بقادة الشرق والغرب والشمال والجنوب. هو إقناع العالم كله بأنه لا يريد الحرب، ولا يريد أن يقتل جنديا واحدا أمريكيا أو إسرائيليا أو بريطانيا أو استراليا! تماما كما أنه أصدر أوامره إلى

المرتزقة من حوله. ياسر عرفات وحسين بن طلال والبشر وزين العابدين وعلى بن صالح. بالسعى فى طول البلاد وعرضها من أجل الدعوة إلى حل الأزمة عربيا وبعيدا عن التدخل الأجنبى...

.«...

الجاسوس البرىء

ونسى العم سعدة ما كتبه مدافعا به عن حق العراق فى إعدام «إيرانى» يحمل الجنسية البريطانية الذى اعترف بأنه كان يتجسس لحساب إسرائيل داخل العراق.. نسى ما كتبه مشيدا بموقف العراق. وهو ما أشرنا إليه سلفا. وظهر علينا فى العدد ٢٣٩٣ من أخبار اليوم. هذا العدد كتب عليه بالخطأ ٢٢٩١ الصادر فى ١٥سبتمبر ١٩٩٠، بمقال عنوانه «**بأموالهم.. يخطط لغزو بلادهم**» تعرض فيه لنشر تقاريرالصحف الغربية عن القوة المسلحة العراقية.

وما يهمنا فى هذا المقال هو هذه الفقرة التى يقول فيها:

«وقامت ثلاث قلاع صناعية كبرى فى العراق لتحويل الحلم إلى حقيقة، هناك مصنع (سعد/٩) فى جنوب بغداد، وهناك مصنع (العنبر) على بعد ٨٠٠ كيلو متر غرب العاصمة العراقية، وهناك. أيضا. مصنع (الإسكندرية) الذى دمر جانب كبير منه بسبب حريق هائل فى العام الماضى، وهو الحادث الذى كشف عنه مراسل صحيفة «الأوبزرفر». البريطانية. فألقت المخابرات العراقية القبض على الصحفى الإنجليزى ووجهت تهمة التجسس لحساب إسرائيل وبريطانيا وإيران وحكمت عليه المحكمة الصورية بالإعدام شنقا ونفذ فيه الحكم بالفعل رغم الضغوط والتوسلات التى مارستها حكومات عديدة على الرئيس صدام حسين؟؟!!».

اغتيال المحجوب

فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ اغتيل الدكتوررفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصرى، اغتاله تنظيم مسلح على سبيل الخطأ، لأن المستهدف الحقيقى كان وزير الداخلية اللواء محمد عبدالحليم موسى، ليثأروا لمقتل أحد زملائهم على يد قوات الأمن فى منطقة الهرم.

إهتزت - بحق - مصر كلها لبشاعة الجريمة التى راح ضحيتها العلامة الدكتور رفعت المحجوب، وعدد من ضباط الشرطة. ونظرا للظروف السياسية العصيبة التى كانت تمر بها البلاد وقتها، ظن الكل أن هناك أيدى أجنبية وراء الجريمة بغية نشر الفوضى فى مصر، وأشارت أصابع الاتهام بصفة خاصة إلى «العراق» لكن بعد مرور يومين أو ثلاثة على الجريمة، بدا لأى إنسان له «ربع عقل» أن الجريمة مصرية مائة فى المائة، فالجناة تشبثوا بسلاحهم لآخر رمق، وتركوا وراءهم قنابل صناعة يدوية من تلك التى تعبأ فى علب المبيدات الحشرية، والحادث جاء بعد مقتل أحد أفراد التنظيمات المعارضة الخفية، ويدعى «د. علاء».. وكلها امارات لو تم ربطها ببعضها لتأكد للجميع أن الجريمة مصرية الهوية.. والجناه مصريون أبا عن جد..

وعندما خرج سعدة فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٣٩٧ الصادر صباح اليوم التالى للجريمة (١٣ أكتوبر ١٩٩٠)، وكتب مقالا بعنوان «جبناء الجريمة» وأشارإلى أن الجريمة وراءها النظام العراقى، ونفذتها أيادى فلسطينية(!!) لم يلمه أحد، فكلنا ظننا للوهلة الأولى أنها قد تكون كذلك، لكن بعدما تشرب الجميع معطيات ووقائع الجريمة، تأكدنا جميعا أنها - والحمد لله - صناعة محلية.. بلا فخر!!

ولكن كان الغريب.. والعجيب حقا.. أن يؤكد سعدة بعد ذلك بأسبوع أنها جريمة عراقية، فخرج علينا فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٣٩٨ الصادر فى ٢٠ أكتوبر ١٩٩٠، وكتب مقالا عنوانه «يكاد المريب يقول خذونى..!» جاء فيه:

«حقيقة أن الغالبية العظمى من آراء الخبراء أكدت على أن الجريمة ليست مصرية الهوية - على ضوء تخطيطها وتنفيذها - ولكن حقيقة أيضاً أن الدليل الدافع على هذا الاتجاه لم يظهر بشكل قاطع وثابت.

وتمشيا مع المثل المصرى القائل بأن الذى على رأسه «بطحة» يتحسسها، قرأنا تصريحات للحكومة العراقية يقول:

(تناقلت بعض التصريحات فى أجهزة الإعلام المصرية عن اتهام العراق باغتيال رفعت المحجوب. وهذه التصريحات والتقارير أطلقت وفقا للنهج الإعلامى المصرى الذى يتعمد



الاتجاه لم يظهر بشكل قاطع وثابت.

وتمانسايع العمل المصرى الفاشل بان الذي على رأسه بطحة يسارع بتحسسها. أرانا تصريحاً للحكومة العراقية يقول:

- (تناقلت بعض التصريحات في اجهزة الإعلام المصرية عن اتهام العراق بالقيام بالأحداث وأن هذه التصريحات والتقارير انطلقت وفقاً للنهج الإعلامي المصري الذي يختلق الأكاذيب وقلب الحقائق ويحاول التغطية على ما يدور داخل مصر من تيار رافض للنظام. إن الأجهزة المصرية المتورطة بالمؤامرة الإمبريالية الصهيونية على مصر والأمة العربية تحاول بكل الوسائل دفع كل ما تتعرض له على جبهة تقف ضد نهجها الخياني الذي تواصل منذ كامب ديفيد وحتى اليوم، إن تلك الحملة تذكرنا بما تعرض له عبد الكريم قاسم على أيدي شباب العراق في عام ١٩٥٩ عندما تصدوا فيه لحكم الشعوبي وعبروا عن إرادته وكيف أن أجهزة الإعلام المتواطئة في حينه اتهمت جمال عبد الناصر، ونفات في ذلك الأجهزة الأوضاع في العراق لكي تحاول التغطية عليه! إن على الأجهزة الإعلامية المصرية أن تقف على الغضب الجماهيري داخل مصر ولا تتهم عشوائياً أي نظام. إننا نرفض هذه الاتهامات، فهي ليست من شيم أبناء العراق!).

وما أعجب وأطرف ما قالته الحكومة العراقية..!

الأكاذيب وقلب الحقائق ويحاول التغطية على ما يدور داخل مصر من غليان رافض للنظام! إن الأجهزة المصرية المتورطة بالمؤامرة الإمبريالية الصهيونية على مصر والأمة العربية تحاول بكل الوسائل دفع كل ما تتعرض له على جهة تقف ضد نهجها الخيانى الذى تواصل منذ كامب ديفيد وحتى اليوم، إن تلك الحادثة تذكرنا بما تعرض له عبدالكريم قاسم على أيدى شباب العراق فى عام ١٩٥٩ عندما نفذوا فيه حكم الشعب وعبروا عن إرادته، وكيف أن أجهزة الإعلام العراقية فى حينه اتهمت جمال عبدالناصر، وتناست تلك الأجهزة الأوضاع فى العراق لكى تحاول التغطية عليه، إن على الأجهزة الإعلامية المصرية أن تقف على الغضب الجماهيرى داخل مصر ولا تتهم عشوائيا أى نظام، إننا نرفض هذه الاتهامات، فهى ليست من شيم أبناء العراق).

وما أعجب وأطرف ماتقوله الحكومة العراقية..!

فأبسط وصف له هو المثل القائل: «يكاد المريب يقول خذونى»! فهذا المريب يسارع بنفى تورطه فى هذه الجريمة قبل أن تعلن أجهزة الأمن التحقيق هذا التورط! ولا يكتفى المريب العراقى بهذا النفى وإنما يتطوع ويؤكد أن الجريمة خططها ونفذها الشعب المصرى الذى يغلى.. حسب وصف المتحدث باسم الحكومة العراقية!

ولا أعرف لماذا يذكرنا صدام حسين بمحاولته الفاشلة لاغتيال عبدالكريم قاسم وهو يحدثنا عن المحاولة الناجحة التى اغتيل بها الدكتور رفعت المحجوب ورفاقه الشهداء الخمسة؟! هل يريد أن ينبهنا إلى أن الأسلوب كان واحد فى المحاولتين؟! أو لعله يريد أن يبرهن على نجاح هذا الأسلوب فى سنة ١٩٩٠ بعد فشله فى سنة ١٩٥٩؟!).

ومع ذلك اكتشفت أجهزة الأمن أن الجناة مصريون، والجريمة مصرية، فهل يسمح لنا سعدة أن نقول له: «إزّيك بجى؟؟» أونقولها له بالعراقى: «إيش لونك يا زلمة..؟!».

بابا نويل

وكتب سعدة مقالا فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٤٠٠ الصادر فى ٣ نوفمبر ١٩٩٠، بعنوان «.. عندما بكى صدام!»، أكد فيه ـ للمرة الثانية ـ أن إيرانن «شلفطت» العراق أثناء حربها معها، ناسخا بذلك ما كتبه من قبل عن النصر «العظيم» الذى حققه العراق ضد

إيران، وقال سعدة:

«عندما نجحت إيران فى إحتلال آلاف الكيلو مترات من الأراضى العراقية وعلى رأسها مدينة البصرة، وعندما نجحت القوات الإيرانية فى غزو واحتلال الفاو، وعندما كانت القنابل والصواريخ تدك العاصمة العراقية بغداد ليل نهار، كان الرئيس صدام حسين يرتعد خوفا وهولاً ويتوقع الموت بين لحظة وأخرى..».

●● وللتاريخ..

فإن هذا الكلام كاذب، ومحض إفتراء..

فمنذ أن بدأت الحرب العراقية ـ الإيرانية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠، والقوات العراقية متوغلة داخل حدود إيران فوق أراضيها، بل وظلت بها حتى بعدما انتهت الحرب، ولم تبرحها إلا بمحض ارادتها بعدما بدأت أزمة الخليج، وبالتحديد يوم ١٥ أغسطس ١٩٩٠.

ولكن حدث أن دخلت قوات إيرانية لبعض الوقت فى شبه جزيرة الفاو، وبعض المناطق التابعة لقطاع البصرة ـ وليس المدينة ـ ثم تم تحرير الفاو من خلال عملية «رمضان المبارك» يوم ١٧ أبريل سنة ١٩٨٨، وتم تحرير قطاع البصرة بالكامل يوم ٢٥ مايو ١٩٨٨، وتكبدت الجيوش الإيرانية أثناء ذلك خسائر فوق حدود الحصر.

أما الصواريخ الإيرانية التى يدعى سعدة أنها كانت تسقط على بغداد ليل نهار فهى لا تكاد لا تكمل أصابع اليدين عداً.. وصدام كنا نراه ـ وذلك ليس بخافى على أحد ـ على الجبهة يوميا، يقود بصفة مباشرة العمليات العسكرية بنفسه، ومصدرنا فى كل ذلك الصحف المصرية.

ومن الجائز أن تقول على صدام حسين أى شيء.. إلا أن تقول عنه أنه «خائف.. مذعور» أو تدعى أنه «يبكى..!!».. على العكس تماما.. فقد يكون «عيب» صدام أنه من النوع الذى لا يعرف البكاء.. وكل كُتّاب وصحفىّ العالم كان ينتقدون ابتسامته وهو يتفقد الدمار الذى حل ببغداد على يد أمريكا.. فمن مميزاته أيضا أنه أشجع مما ينبغى..

● نعود لنقطة أخرى فى مقال سعدة «عندما بكى صدام»، حيث يعترف سعدة بأنه تلقى سيارة «زلاموكة» هدية من صدام حسين، ويعترف أيضا بأن السيارة التى أهديت

للمهندس إبراهيم شكرى من صدام حسين كانت ضمن عشرات السيارات التى أهداها صدام لرجال الإعلام والسياسة فى مصر. «رغم أنه اتهم الزعيم إبراهيم شكرى، كما سنرى فيما بعد، بأنه تلقى سيارة من صدام على سبيل الرشوة.. يقول سعدة:

«تصور صدام حسين أنه نجح فى اختراق كل الصحف المصرية كما نجح فى قبل اختراق الصحف الأردنية الفلسطينية واليمنية وغيرها. فى مناسبة الإعلان عن قيام مجلس التعاون العربى أصدر الرئيس صدام حسين قرارا بإهداء عشرات من أفخر السيارات لكل من حضر هذا الاحتفال فى بغداد من وفود مصرية وأردنية ويمنية. وكان معظم رؤساء تحرير الصحف القومية والحزبية المصرية فى صحبة الرئيس مبارك فأهدى صدام حسين سيارة مدسيدس آخر موديل لكل واحد منهم، كما أهدى سيارات أخرى. أكثر فخامة أو أقل لكل عضو فى الوفد المصرى. ووصلت هذه السيارات إلى القاهرة، وكانت مفاجأة لكل من جاءت باسمه ولكل من سمع بها. فهذه أول مرة نسمع فيها عن هذا البذخ وهذا الإسراف من دولة خرجت من الحرب مفلسة لدرجة أن رئيسها يحرم أطفالها من الحليب لقلة ذات اليد فى الوقت الذى يشترى فيه سيارات بملايين الدولارات ليوزعها كهدايا على أعضاء جميع الوفود الأربعة التى شاركت فى الاحتفال الكبير؟!».

تنبؤات سعدة!!

نلاحظ من خلال استعراضنا لكتابات سعدة، أنه يحقق أرقاما قياسية فى النبوءات الخاطئة، وتقريبا يتمتع غالبية الكتاب السياسيين بحس مرهف، يمكنهم من توقع الأحداث، باستقراء وقائع الماضى ومعطيات الحاضر، وتقاس براعة أى كاتب بمدى قدرته على استقراء المستقبل تأسيسا على حجج موضوعية، وبعيدا عن التخمين وضربات الحظ، لأننا نقول عنه فى هذه الحالة أنه «بعيد النظر».. لكن العم إبراهيم سعدة أثبت بما لا يدع مجالا للمناقشة أنه «عديم النظر».. وأثبت أنه «أراجوز».. وأنه «عروس متحركة».. وأنه «بهلوان شاطر».. وأنه ضحل. إن لم يكن عديم. الثقافة.. وأنه يصلح «بياع».. أو أى «شىء».. لكن أبداً لا يصلح كاتبا..

لقد ظل سعدة يسب ويلعن فى سوريا.. ونظام سوريا.. ورئيس سوريا حتى الأسبوع السابق لعودة العلاقات بين البلدين، فترك القوس والكنانة.. وحمل الطبلة والمزمار



راديو لندن يقطع اذاعته ليعلن :

والصاجات!!.. وظل يشتم فى الرئيس الليبى بكل معانى الكلم البذىء فى اللغة العربية بكافة لهجاتها، ويشتم فى كل من يقابله.. أو يسافر إلى ليبيا.. أو حتى من يفكر فى السفر إلى القرب من مصر.. وحط جام غضبه ولعناته على كل من قابل القذافى بالأحضان.. وأقسم بأغلظ الإيمان أنه من المستحيل المستحيل أن تعود العلاقات بين مصر ونظام هذا الرجل الذى - على حد تعبيره - لم ولن تعرف البشرية مثله!!.. ثم عادت العلاقات مع هذا وذاك، وحمل نفس القلم، ومدح وأطرى نفس النظام، وفى نفس المكان، ونفس المساحة، من نفس الجريدة!!.

كل كتاباته - بلا أى استثناء - تؤكد أنه كاتب عديم النظر، ومنعدم البصيرة، لا يعرف - ولا يريد أن يعرف - أى شىء سوى من بيده أمر وظيفته المرموقة كرئيس تحرير.. وبس!!

وفى مجال أزمة الخليج، تنبأ سعدة - بشكل جازم - أو بشكل «جازمة ميرى» أن الرئيس العراقى سيعلن إنسحابه من الكويت، قبل إنتهاء المهلة التى أعطاها له مجلس الأمن بساعات.. ونسج سعدة حول ذلك قصة من بنات خياله وفشره، لو كانت قد تحققت.. من يدرى ماذا كان سيفعل سعدة.. فهو منذ أن أمسك بزمام جريدة، ومنذ أن تهيأ له أن يكتب فى مكان بارز، منذ ذلك الزمان البعيد الطويل وهو «يرمى» لكن لا تصيب رمياته، وكأن هناك «نحسا» يلازمه.. ومع ذلك خابت رمية الرامى الأعمى، كسابق رمياته، ونسجل له للمرة المليون أنه فاشل.. فاشل.. فاشل!!

كتب سعدة فى العدد ٢٤٠٧ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٠، مقالا عظيما وسمينا بعنوان «الهباش.. البكاش!». جاء فيه:

«لن أفاجأ عندما يعلن الرئيس العراقى صدام حسين قراره المنتظر بالإنسحاب الكامل أوالجزئى من الأراضى الكويتية. لن أدهش عندما يؤكد صدام حسين أنه قرر الإنسحاب حفاظا على السلام العالمى وحماية للشعوب العربية، والغربية، والآسيوية، والهنود الحمر، والأسكيمو، من ويلات حرب الدمار الشامل التى كادت أن تندلع! ولن أصدم - أيضاً - عندما تخرج أبواق صدام حسين - بعد إعلان الإنسحاب والتقهقر - لتزف الرئيس العراقى بطلا قوميا وعالميا لم يأت الزمان بمثله من قبل!..

...

قبل ساعة الصفر التى حددها مجلس الأمن. فى منتصف يناير القادم. يضرب «بكاش» العرب الكبير ضربته الكبرى المنتظرة والمتوقعة من كثيرين.. وأنا أحدهم. سنفاجأ بالرئيس العراقى صدام حسين فوق شاشة شبكات التليفزيون الأمريكية ويدلى ببيان تاريخى يوجه إلى الشعوب المسالمة فى قارات الدنيا الخمس ويعلن عن انسحاب قواته الغازية من معظم الأراضى الكويتية ما عدا آبار البترول فى «الرميلة» والجزيرتين الكويتيتين «واربا» و«بوبيان»!.

وحتى يقطع الحديث على أى معارض، يسارع «الهباش» البكاش» العراقى فيعلن عن استعداده الفورى للدخول فى مباحثات. تحت إشراف الأمم المتحدة. لإيجاد التسوية السلمية لمستقبل الجزيرتين وآبار بترول «الرميلة»!..».

● الغريب .. الغريب حقا أن نبوءة سعدة التى بشرنا بها هذه، أتت فى الوقت الذى كانت فيه كل الصحف ووكالات الأنباء وشبكات التليفزيون والإذاعة العالمية، تتحدث عن المجهود الأسطورى الذى تقوم به القوات العراقية فى إنشاء الحصون والموانع العسكرية على الجبهة عند خط المواجهة، وعلى طول الحدود الكويتية ـ السعودية، والتى كانت تتكون من خط أسلاك شائكة مكهربة، وحواجز ترابية مرتفعة، ثم نفق بطول الجبهة يحتوى على مئات الآلاف من براميل البترول الجاهزة للاشتعال، ثم حقول الألغام المضادة للأفراد والدبابات، ثم.. ثم.. إلى غيره من الموانع التى وصفت بأنها أعظم خط دفاعى فى تاريخ العسكرية، والذى اخترقه الأمريكان باستخدام سلاح محرم دوليا، وهو قنابل التفجير الحجمى، وهى قنابل لها نفس قوة القنابل الذرية لكن لا ينبعث منها إشعاعات..

المهم.. أن صدام كان يبنى هذه الدفاعات، وينفق عليها الملايين، تحت سمع وأبصار الإعلام العالمى، ثم يجىء سعدة «ببصيرته الحادة» ويؤكد أن صدام سينسحب فى آخر لحظة!!

ومضطر هنا للمرة الثانية ـ ودون حاجة لاستئذانة ـ لأن أقول له:

«إزيك بجى..» بالعراقى «إيش لونك يا زلمة؟!».

الملف السرى لحرب الخليج

فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٩٠، صدر فى فرنسا كتاب عن أزمة الخليج تحت مسمى «الملف السرى لحرب الخليج»، كتبه إثنان من كبار الصحافيين فى العالم، هما: «بيير

سالينجر» وهو صحفى أمريكى عمل سكرتيرا صحفيا للرئيس الأمريكى لسنوات طويلة داخل البيت الأبيض، ثم عمل مراسلا لشبكة التليفزيون الأمريكية «إيه. بى. سى» فى أوروبا، والثانى هو «إريك لوران» وهو صحفى فرنسى شهير.

وفى سابقة - ليست غريبة على سعدة - تعد «فضيحة» للصحافة المصرية، تناول سعدة نشر مادة هذا الكتاب الخطير، فى حلقات تحت عنوان «الكداب بالصوت والصورة» بدء من العدد ٢٤٠٩ الصادر فى ٥ يناير ١٩٩١، وعلى مدى ١٣ حلقة متصلة!!

ولم يشر سعدة إلى اسم الكتاب إلا إشارة هامشية ضعيفة فى الحلقة الرابعة فقط، وعرضها بطريقة تجعل أى قارىء لها لا يداخله أدنى شك فى أنها منقولة عن الغير، وإعادة ترتيب مادة الكتاب أثناء تناول سعدة لها بالنشر يؤكد نيته السيئة فى محاولته نسبة هذه المعلومات الخطيرة إلى نفسه. وهذا الكتاب «الملف السرى لحرب الخليج» بجزأيه، يعد من أخطر الكتب التى تكشف ما وراء الكواليس.. ولذلك قامت عدة دور نشر عربية بترجمته ونشره فى الأسواق العربية، لكن العم سعده لم يخطر بباله ذلك.

كان المفروض أن يذكر سعدة اسم الكتاب، واسم مؤلفيه، ثم اسم الذى ترجم الكتاب من الفرنسية، ثم بالكاد يكتب «عرض: إبراهيم سعدة» لكن أن يكتب فوق مادة كتبها غيره «بقلم إبراهيم سعدة» (!!) لمجرد أنه اختار لها «عنوانا» آخر.. فهذه فضيحة.. وجريمة تعاقب عليها مواد القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤.

ولأنها ليست كتاباته.. فلا داعى للتعرض لها.

أخبار كاذبة

وفى معرض الحديث عن أزمة الخليج، لابد أن نشير إلى الأخبار الكاذبة التى انفردت بها جريدة «إبراهيم سعدة» المعروفة بين الناس باسم «أخبار اليوم»..

- ولنبدأ بأول عدد منها صدر بعد أن اشتعلت أتون الحرب بين العالم كله من ناحية، والعراق من ناحية. وكان يحمل رقم ٢٤١١، صدر بتاريخ ١٩ يناير ١٩٩١.

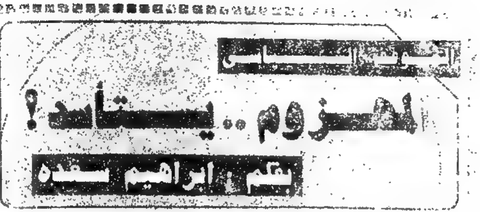
كان المانشيت الرئيسى لهذا العدد الذى كتب باللون الأحمر، وبأكبر بنط، وعلى ٨



«الكذاب» بالصوت والصورة (٢)

كان «الباشا» ... «البكاش» ... «الكذاب»

سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد



المهزوم .. يتأسد!

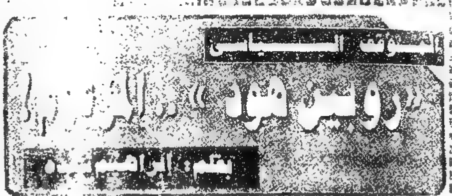
بقلم : ابراهيم سعده

[illegible] أخطىء عندما وصفته – قبل إندلاع الحرب – بالهبّاش البكّاش. [illegible] أبالغ عندما قلت إنه لايهمه غير زعامته الوهمية، ونظامه الإرهابي، وكتم انفاس شعب يحكمه بالحديد والنار! ولم أبعد عن الحقيقة [illegible] عندما تنبأت بأن البكّاش لن يحارب وانه سيظل يحاور ويناور حتى آخر لحظة ثم يخرج علينا بزعم انه قبل الإنسحاب – [illegible] خوفاً من قوات التحالف – وإنما حفاظاً على الأمة العربية، من [illegible] وتجاوباً مع مبادرات الأصدقاء من جهة أخرى!



[illegible] ان الحرب إشتعلت، ولكن حقيقة – [illegible] ان صدام حسين فوجىء بهذه الحرب [illegible] الذي بنى كل حساباته على [illegible] فشجبوا انه لاهور البكاش، ان [illegible] التي ورطته من كل زعماء [illegible] ان العالم لايريد الحرب، ولكن [illegible] التي إندلعت في [illegible] العواصم [illegible] بالحرب [illegible]

[illegible] ان صدام خاض [illegible] قوات التحالف.. الشعب العراقي [illegible] ضحية هذه [illegible] العرمان [illegible] بعشرات [illegible] على بلاده، ولم [illegible]



غضب مرتزقة الرئيس العراقي صدام حسين [illegible] العالم [illegible] بأنه صورة من [illegible] دماء الشعوب من [illegible] وهولاكو وموسوليني، وهتلر! وارتفعت أصوات [illegible] في بعض العواصم العربية، وداخل [illegible] الفلسطينية ـ تندد بهذه الأوصاف، وتدافع [illegible] وتضاعف أرصدتها ومتخم جيوبها، وتؤكد [illegible] على ان صدام حسين هو خليفة اللص الشريف روبين [illegible] كان يسرق الأغنياء ـ في العصور الوسطى ـ [illegible] على الفقراء.. كما تروي الأساطير الإنجليزية [illegible]

[illegible] مرة أخرى أقول: ما أسخف هذا الوصف، وما أبعده عن حقيقة حاكم العراق. فالفارق كبير بين اللص الشريف روبين هود واللص غير الشريف صدام حسين. اللص الأول كان [illegible] [illegible] لا يجد ما [illegible] فاضطر إلى أن يعتمد على نفسه في [illegible] إلى بيوت الأغنياء ويسرق [illegible] [illegible] على [illegible] والبؤساء. أما اللص الثاني [illegible] العربي في نهاية القرن العشرين [illegible] [illegible] سرقة [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

أعمدة من سطرين هو:

«هروب زوجة صدام وأولاده».

«طائرة خاصة من بغداد تنقل أسرة صدام وزوجات كبار المسئولين إلى موريتانيا».

وجاءت تفاصيل الخبر العظيم الذى تفرد سعده به، فى سطور قليلة جدا، ملخصه أن السيدة «ساجدة» زوجة الرئيس صدام حسين، قد هربت من العراق إلى موريتانيا، وكان الخبر منسوبا إلى راديو لندن، وكذلك لم نقرأه فى صحيفة أخرى صدرت فى نفس اليوم، أو فى الأيام التالية، أما المدهش جدا جدا.. هو أن تفاصيل هذا الخبر المانشيت كانت معدومة، ولم تضف على كلمات «المانشيت» سوى اسم زوجة صدام «السيدة ساجدة»، بدون تفاصيل، فتفاصيل الخبر لم تزد عن عنوانه!!

● ثم جاء العدد رقم ٢٤١٧، من أخبار اليوم الصادر فى ٢ مارس ١٩٩١، وكان المانشيت الرئيسى «الأحمر» هو:

«صدام حسين يطلب اللجوء للجزائر».

«ديكتاتور العراق قرر التخلى عن السلطة والهروب من بغداد».

وبالطبع.. عرفنا أن ذلك لم يحدث.. ولم يكن له أى أساس من الصحة.. وانتظرنا أبوسعدة أن يأتى لنا بـ«مانشيت» أحمر جديد عن:

«هروب شعب العراق»

لكنه لم يكتبه بسبب أزمة الحبر الأحمر.. فقلنا قد يكتب مانشيت أسود «على وشه» يقول:

«هروب أرض العراق».

أو: «هروب دجلة والفرات».

لكن اتضح أن هناك أزمة فى الحبر الأسود أيضا..

ومع ذلك.. فللمرة الثالثة مضطر لأن أقول له:

«إزيّك بجى..» وبالعراقى «إيش لونك يا زلمة..؟!».



سعده.. وزعيم المعارضة إبراهيم شكرى..

أعرض عن الجاهل والسفيه فإنما
كل ما قاله هو فيه
ما ضر بحر الفرات يوماً
أن خاض بعض الكلاب فيه

«الإمام الشافعى»

مدخل لابد منه ..

فى ٧ مارس ١٩٨١، خرج علينا إبراهيم سعدة فى عموده الأخير، «بالعدد ١٨٩٦ من أخبار اليوم، بكلام كثير عن رجل له نفوذ كبير، وأطلق عليه «المحظوظ» وأشار إلى أنه جاهل، ومنحرف، ويتاجر فى المخدرات، وأنه يضع الإسكندرية كلها فى قبضته، لأنه نائب الحزب الوطنى عنها فى مجلس الشعب.

ثم واصل الكتابة عنه فى نفس العمود، بالعدد التالى لأخبار اليوم رقم ١٨٩٧، ثم العدد ١٨٩٩ الصادر فى ٢٢ مارس ١٩٨١، وكشف عن مخالفات وجرائم رهيبة وبشعة يقوم بها هذا الرجل، وعرفنا أن الرجل هو «رشاد عثمان»، وبدأت قضيته - أو فضائحه - تطفو بشكل واضح على الملأ حينما نشرت الصحف المصرية يوم الأحد ٢١ يونيو ١٩٨١ تفاصيل ما دار فى جلسة مجلس الشعب يوم ٢٠ يونيو ١٩٨١، بخصوص رفع الحصانة عن رشاد عثمان، ولم يوافق نواب الحزب الوطنى على ذلك، بالرغم من اتهامه بالاستيلاء على ٥٠٠ فدان من أراضى الدولة، وبالرغم من التأكد من وجود ملف له - زى الزفت - لدى إدارة مكافحة المخدرات!!

الرجل الوقور «حقا»

أطلق المدعو إبراهيم سعدة أول سهم فى حربه ضد الزعيم إبراهيم شكرى وحزبه، يوم الإثنين ٥ مايو ١٩٨١، فى افتتاحية جريدة الحزب الوطنى المسماه «مايو»، وكانت المرة الأولى التى كتب فيها افتتاحية الجريدة فى الصفحة الأولى، فكتب تحت عنوان «الرجل الوقور» مقالا طويلا قال فيه:

«عقد حزب العمل. يوم الخميس الماضى. مؤتمرا فى مصر القديمة لتأييد مرشح الحزب فى انتخابات مجلس الشعب عن تلك الدائرة.. وألقى المهندس إبراهيم شكرى. رئيس الحزب. كلمة أيد فيها مرشحه، ثم انتقل. بلا مناسبة. وتهجم على شخصى فقال:

«إن إبراهيم سعدة كتب فى أخبار اليوم ثلاث مقالات عن نائب الحزب الوطنى بالاسكندرية وأشار فيها إلى الجرائم التى ارتكبها هذا النائب واسمه رشاد عثمان، وقد سمعته يتحدث فى مجلس الشعب مع أحد كبار المحامين ويطلب منه رفع دعوى قضائية ضد إبراهيم سعدة. إلا رشاد عثمان جاء بعد ثلاثة أيام وقال للمحامى:

لا داعى للقضية، فقد تصالحنا وانتهى الموضوع»!

وعلق الرجل الوقور المهندس إبراهيم شكرى على تلك الواقعة التى ذكرها وأكد أنه كان شاهداً عليها، فقال مواصلا حديثه للعشرات الذين جاءوا لتأييد مرشحهم فى دائرة مصر القديمة:

- «هل تعلمون ماذا كان يقصد رشاد عثمان عندما قال للمحامى إنه تصالح مع رئيس تحرير أخبار اليوم؟ كان نائب الإسكندرية يقصد. بكل بساطة. أنه دفع لإبراهيم سعدة ثمن سكوته، وثمن عدم الكتابة عنه مرة أخرى! وهذا. يا إخوانى. نموذج لأصحاب الأقلام المسئولة عن الصحف القومية!».

انتهى كلام الرجل الوقور، رئيس حزب المعارضة. والحقيقة أننى فوجئت بما قاله. ولم أصدقه فى بادىء

الرجل الوقور .. !

عقد حزب العمل - يوم الخميس الماضى - مؤتمرا فى مصر القديمة لتأييد مرشح الحزب فى انتخابات مجلس الشعب عن تلك الدائرة . وألقى المهندس ابراهيم شكرى - رئيس الحزب - كلمة أيد فيها مرشحه ، ثم انتقل - بلا مناسبة - وتهجم على شخصى ، فقال :

- « ان ابراهيم سعده كتب فى اخبار اليوم ثلاث مقالات عن نائب الحزب الوطنى بالاسكندرية واشار فيها الى الجرائم التى ارتكبها هذا النائب واسمه رشاد عثمان . وقد سمعته يتحدث فى مجلس الشعب مع احد كبار المحامين ويطلب منه رفع دعوى قضائية ضد ابراهيم سعده . الا ان رشاد عثمان جاء بعد ثلاثة ايام وقال للمحامى : لا داعى للقضية ، فقد تصالحنا وانتهى الموضوع » !

وعلق الرجل الوقور المهندس ابراهيم شكرى على تلك الواقعة التى ذكرها واكد انه كان شاهدا عليها فقال مواصلا حديثه للعشرات الذين جاءوا لتأييد مرشحهم فى دائرة مصر القديمة :

- هل تعلمون ماذا كان يقصد رشاد عثمان عندما قال للمحامى انه تصالح مع رئيس تحرير اخبار اليوم ؟ كان نائب الاسكندرية يقصد - بكل بساطة - انه دفع لابراهيم سعده ثمن سكوته ، وثمن عدم الكتابة عنه مرة اخرى ! وهذا - يااخوانى - نموذج لاصحاب الاقلام المسئولة عن الصحف القومية ! »

انتهى كلام الرجل الوقور ، رئيس حزب

الأمر، فقد تصورت أن الرجل كان يقصد غيرى، أو أن الذاكرة خانته، ولكن أكثر من شخص حضر هذا اللقاء ونقل كلمات المهندس إبراهيم شكرى بدقة..»

وفى ذات العدد من جريدة مايو (العدد ١٣) نشر بالصفحة الثالثة تحقيقا صحفيا بعنوان «كيف نبنى معارضة قوية»، وتناول التحقيق شخص الزعيم إبراهيم شكرى بالتجريح من على لسان أحد رجال السلطة فى ذلك الوقت، هو محمد رشوان وكيل مجلس الشعب (المزور) وقتها، وكان العنوان الرئيسى للتحقيق فى سطرين على أربعة اعمدة هو «إبراهيم شكرى رفض إدانة الغزو السوفيتى لأفغانستان!!».

وأيضا فى ذات العدد المشار إليه من الجريدة، الصادر فى ٢٥ مايو ١٩٨١، كتب سعدة فى الصفحة السابعة، ولكن بتوقيع «مايو» وتحت عنوان «تحالف غير مقدس!» يقول:

«موقف حزب العمل وجريدته فى الأيام الأخيرة يثير عدة تساؤلات هامة. تحولت المعارضة فى رأى الحزب إلى محاولات التجريح والهجوم وافتعال مواقف لا يقصد بها شىء سوى الاستفزاز والتهييج، وتحولت الصحافة فى رأى جريدة الحزب إلى مجرد إثارة.. بعيدة كل البعد عن الموضوعية وعن محاولة البحث عن الحقيقة..».

هكذا..!!

لمجرد أن تعرض الزعيم إبراهيم شكرى للمدعو إبراهيم سعدة. إذا كان فعلا حدث ما قاله، أو إذا كان لم يحدث ما نسبه إليه شكرى. شن سعدة عليه وعلى حزبه حربا مسعورة، فى جريدة المفروض أنها جريدة «الحكومة» وليست جريدة سيادته، أو والد سيادته..

الغريب أن سعدة حينما يتعرض لعهد عبدالناصر، فإنه يصب جام غضبه على ما شهدته تلك الفترة من كبت للحريات، وقصف للأقلام المعارضة.. ورأى أن «رب العائلة المصرية» و«بطل الحرب» و«بطل السلام» و«الرئيس المؤمن» و«كبير العائلة المصرية» و«بطل العبور»، رئيس دولة العلم والإيمان، ورئيس دولة القانون و.. و.. وغيره من ألقاب خلعها الرجل على نفسه، رأى سعدة أن«هذه المجموعة المسماه أنور السادات» قد أعاد لنا حريتنا السليبة.. وبالتالى فلابد أن نتكلم ونتحرك فى إطارها.. لكن ذلك أيضاً لا يعجب سعدة..

لا يعجبه الكبت.. فإذا ما كان هناك انفراجاً فلا يعجبه أن يستغله أحد!!..

أيهما أفضل إذن؟ الكبت بكرامة؟ أم تعطنى حرية وأمامى «شتام» يرد على كل كلمة أقولها أو أكتبها، وينتقد كل تصرف فى إطار الحرية المزعومة هذه؟ أيهما أفضل: أن تضعنى فى السجن بكرامتى؟ أم تسرحنى ويسير خلفى وأمامى من يتمرضون لى فى كل صغيرة وكبيرة، ويشهروا بى بمناسبة وبدون مناسبة؟..

هل السجن أرحم؟ أم تطلقنى وورائى كلاب مسعورة؟؟..

السجن هنا أرحم مليون مرة من أن تنهشنى الكلاب المسعورة، ومع ذلك إختار السادات أن يسرح الجميع ويطلق وراءهم كلابه، ثم أدخل الجميع السجون وأدخل عليهم كلابه.. لكن كلابه كانت أضعف وأصغر من أن تنال منهم..

القنبلـــة!!

فى العدد ٢٣٦١ من أخبار اليوم الصادر فى ٣ فبراير ١٩٩٠، فاجأنا سعدة بمقال فى قصة، أو قصة فى مقال، بعنوان «قنبلة مبارك!»، وتصدر المقال خبر «افتراضى» يقول:

«أصدر الرئيس حسنى مبارك قراراً بإقالة وزارة الحزب الوطنى برئاسة الدكتور عاطف صدقى! كما أصدر قراراً ثانيا بتكليف المجاهد الكبير المهندس إبراهيم شكرى. زعيم حزب العمل. بتشكيل الوزارة الجديدة!

رحبت كافة الأحزاب المصرية. ماعدا الحزب الوطنى الديمقراطى. بهذه الخطوة العملاقة التى خطاها رئيس كل المصريين فى طريق الديمقراطية الحقيقية، بعيداً عن هامش الديمقراطية الضئيل الذى كان الحزب الوطنى يتفاخر به ليل نهار..»

وكعادة سعدة - فى تأليف وإبداع واختلاق أغلب ما يكتب! - راح ينسج قصة سينمائية، ذات سيناريو مشوق، وحوار أكثر من رائع، سخر خلاله من كل قيادات الأحزاب المصرية بلا استثناء، فبعدما وضع سعدة هذا «الفرض» راح يتصور رد فعله على كل القيادات السياسية المصرية، ورسم لكل قيادة منهم «مشهداً» دراميا فى مقاله القصصى، عبارة عن حوار تليفونى بين سكرتير الرئيس للمعلومات، وهذه القيادات كل واحد على حدة،

وكل واحد كان يبدى أسفه وتذمره لأنهم تجاهلوه واختاروا إبراهيم شكرى رئيسا للوزارة.

ولم يكن بالموضوع شيئا غريبا، فهو إعتاد التهكم على تلك القيادات بمناسبة وبدون مناسبة، وخاصة الزعيم إبراهيم شكرى، الذى كان نائبا لرئيس حزب مصر الفتاة، ونائبا بالبرلمان فى عصر ما قبل الثورة، ووقتما كان سعدة لازال فى طور «التهشيك»، ثم وصل إلى أن أصبح محافظا للوادى الجديد، ووزيرا للزراعة واستصلاح الأراضى، وأيضا لا يخفى على سعدة أن إبراهيم شكرى «ابن الذوات» كان أول نائب «اشتراكى» فى برلمان ما قبل الثورة، وأنه هاجم الملك مرارا وتكرارا حتى اعتقل بسبب ذلك، وأفرجت عنه الثورة... إنه يا «سيدى سعدة» له تاريخه المشرف.. الناصع البياض..

نعود إلى موضوع سعدة..

كان الغريب فى الموضوع حقا، هو تطاول سعدة على السيد كمال الشاذلى، الأمين العام المساعد للحزب الوطنى «الديمقراطى» جدا..

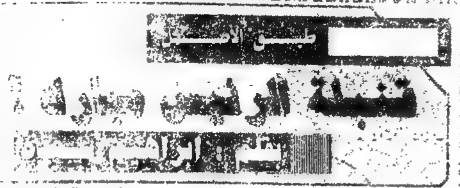
كان للمقال بقية..

لكنى قطعت وقتها بأن الموضوع «مش ها يعدى على خير» بسبب تطاوله على الأمين العام المساعد للحزب الحاكم.. بالفعل صدر العدد التالى من أخبار اليوم رقم ٢٣٦٢، فى ١٠ فبراير ١٩٩٠، وجاء فى صدر الصفحة الأولى «شىء» مكتوب بعنوان «شكرى يفشل فى تشكيل الوزارة!» ونقرأ التفاصيل:

«فشل المهندس إبراهيم شكرى فى تشكيل الوزارة الجديدة! أعلن غريمه الأستاذ أحمد مجاهد انه هو الذى يتزعم حزب العمل وبالتالى فهو وحده الذى يحق له تشكيل الحكومة القادمة.

تأزم الموقف داخل حزب العمل بشكل مخيف، واستخدم الجانبان المتصارعان كل الأسلحة من قنابل حارقة وقبضات حديدية وجنازير فى معركة الاستنزاف التى يؤكد الخبراء أنها معركة لن يكسبها جانب ولن يخسرها الجانب الآخر، وإنها معركة طويلة يصعب التنبؤ بنهاية قريبة لها.

ونظرالهذه التطورات الجديدة، وما صاحبها من تصعيد مخيف فى الصراع الدموى



أصدر الرئيس حسني مبارك قرارا بإقالة وزارة الحزب الوطني برئاسة الدكتور عاطف صدقي ! كما أصدر قرارا ثانيا بتكليف المجاهد الكبير المهندس ابراهيم شكري - زعيم حزب العمل - بتشكيل الوزارة الجديدة .! وحيت كافة الأحزاب المصرية - ماعدا الحزب الوطني الديمقراطي .. هذه الخطوة العملاقة التي خطاها رئيس كل المصريين في طريق الديمقراطية الحقيقية ، بعيدا عن ملمش الديمقراطية التمثيلية الذي كان الحزب الوطني يتفاخر به قبل انهار ..



ولم تمض فرصة لعزاب الاغلبية طويلا : فسرعان ماأمسك الاستاذ فؤاد سراج الدين بقلمه وكتب مقالا ناريا تصدر الصفحة الاولى في الزميلة (الوفد) قال فيه بالحرف الواحد :

- (بداية .. فإن حزب الوفد يوجه الشكر العميق لفخامة الرئيس حسني مبارك الذي انهى - الى الابد - سيطرة الحزب الواحد ، والحكومة الواحدة ، واقتنع - اخيرا - بأن الشعب هو صاحب الحق في اختيار نوابه وفي اختيار حكومته ، ولكن .. مايحزن حزب الوفد - حقيقة - هو أن الرئيس حسني مبارك تجاهل حزبي الاغلبية الشعبية الكاسحة واختار - للأسف الشديد - حزبا لايمثل الشعب ، بل انه يمثل قطاعا ضئيلا منه عرف بالانعزالية ، وعرف اكثر بالتطرف في الاراء والتعصب الفكري) .

ولم تكتف الزميلة فؤاد سراج الدين بذلك وأضاف ...

[illegible] في تشكيل الوزارة الجديدة [illegible]

[illegible] له بتشكيل الحكومة القادمة [illegible]

[illegible] التي يؤكد [illegible] أنها [illegible]

[illegible] الجديدة ، [illegible] الدخل [illegible]

[illegible] الحكومة [illegible] وعد بنشره [illegible]

[illegible] حزب الأحرار [illegible] تشكيل الوزارة الجديدة

[illegible] مقال [illegible] في الأسبوع الماضي [illegible]

[illegible] من كمال الشاذلي

إبراهيم سعده

تناولت في مقالك السبت الماضي حوارا من خلاله تناولت فيه [illegible] العمل الوطني في مصر من أحزاب المعارضة والأغلبية .

[illegible] القيادات السياسية [illegible] تعرضت لها في مقالك المشار إليه [illegible] تؤدي دورها [illegible] على الساحة السياسية .

[illegible] أيضا أن الحزب الوطني [illegible] الذي أتشرف بالانتماء إليه [illegible] يتولى مسئولية الحكم هو حزب [illegible] .. وقد كنت عضوا في الحزب [illegible] الديمقراطي فلا شك أنك تعلم [illegible] الحزب الوطني الديمقراطي [illegible] المتغيرات السياسية [illegible] على عميق بما أطلقته ثورة يوليو [illegible] من قيم ومبادىء ، وتجسيدا [illegible] كفاح طويل خاضه الشعب المصري [illegible] خلال ثوراته المتواصلة .

[illegible] فمن الطبيعي أن غالبية [illegible] أعضاء وقيادات الحزب الوطني بل [illegible] وأعضاء أحزاب المعارضة هم من أبناء ثورة يوليو ، وعايشوا قيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وشاركوا في مسيرتها ، واستمروا في [illegible] ، واستكمالا للمسيرة الوطنية بقيادة الرئيس الراحل أنور السادات مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي الذي اختاره رئيسا لتحرير جريدة [illegible] ، جريدة الحزب الوطني الديمقراطي ، وفي تواصل مستمر وفي إطار فكر وفلسفة ثورة يوليو المستمر في أداء رسالته التاريخية بزعامة السيد الرئيس محمد حسني مبارك .

لذلك فإنه يشرفني أن أكون ابنا من أبناء ثورة يوليو الذين شاركوا وعملوا في تنظيماتها السياسية نائبا في البرلمان لأكثر من (٢٥) عاما متصلة .. ومن أجل ذلك [illegible] الرئيس مبارك [illegible] تحقق من الدرجة الأولى [illegible] لعطائي الوطني المتواصل . هذا التقدير هو خير رد على ما [illegible] من مغالطات أرفضها شكلا وموضوعا .

وأنت تعلم [illegible] أن حصول الحزب الوطني الديمقراطي على الأغلبية إنما هو نتاج عمل [illegible] جميع قيادات [illegible] [illegible] على كل [illegible] [illegible] للحرب [illegible] من [illegible] الرئيس مبارك [illegible] .

واليوم [illegible] [illegible] والأخرى [illegible] [illegible] في مصر [illegible]

يؤيدون على طول الخط . كما يعلم ويشهد شعب مصر كله أنني من خلال موقعي ممثلا للهيئة البرلمانية للحزب الوطني الديمقراطي في مجلس الشعب أمارس دوري ، [illegible] بحق عن الحزب مدافعا عن قراراته وتوجيهاته .. وفي نفس الوقت لا أتردد لحظة عن النقد الموضوعي البناء حينما يكون هناك داع للنقد (اقرأ ما كتبته أخبار اليوم التي تولى تحريرها عن ردي على بيان الحكومة مؤخرا) الذي يعكس رأي الأغلبية ومشاكل الجماهير تحت قبة البرلمان بكل الصراحة والوضوح لا أخشى في الحق لومة لائم .

ومن حق الحزب الذي [illegible] [illegible] حكومته على ما تقوم به [illegible] إنجازات تستهدف [illegible] بأسره . فأيدنا [illegible] التزاما ببرنامج الحزب [illegible] مرة أخرى بالأخ [illegible] [illegible] والانتماء إليها [illegible] [illegible] ليس [illegible] [illegible] مقومات ثورة يوليو [illegible] الدستور الذي يحكم [illegible] كله ، والثابت على المبدأ [illegible] وإنك [illegible] عبرة و [illegible] بكلمة تحرير [illegible] الديمقراطي على مدى [illegible] [illegible]

● كمال الشاذلي

الدائر حول زعامة حزب العمل، يؤسفنى أن أعتذر عن عدم كتابة الحلقة الثانية من مقالى بعنوان «إبراهيم شكرى.. رئيسا للحكومة» وعلى وعد بنشره فور انتهاء هذا الصراع واتفاق أعضاء حزب العمل على اختيار رئيسهم وزعيمهم القادر على تشكيل الوزارة الجديدة.

وأرجو ألا يطول انتظارنا».

ونقلب فى صفحات هذا العدد حتى نصل إلى الصفحة الثامنة..

كانت ملأ عن آخرها بتعليقات على هذا المقال، قام محرروا أخبار اليوم - المتفرغين لحساب سعدة - بسؤال عدد من الشخصيات العامة عن انطباعهم عن مقال سعدة العظيم، وادعى سعدة أنها تعليقات وصلته!!

وأيا كان الأمر، فأنا لا أظن أن الدولة قد أسندت لسعدة رئاسة تحرير جريدة قومية كبرى، ليخصص صفحاتها لسب وقذف وتجريح من هم على خلاف شخصى معهم، ثم يخصص باقى الصفحات لنشر تعليقات «طلبها» من القراء على ما يكتب.. إنه يؤكد للمرة المليون أنها ليست جريدة الدولة، لكنها إرث خاص به.

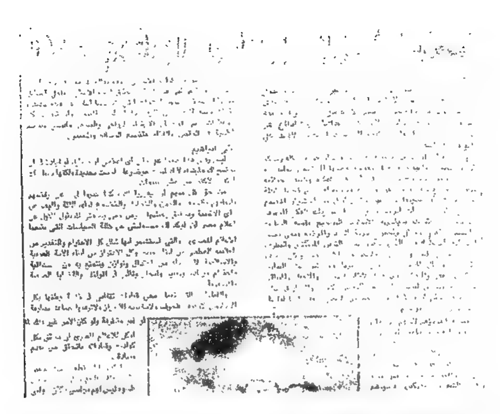
فى وسط التعليقات التى نشرها سعدة لتغطية ماء وجهه، كانت هناك مساحة كبيرة. عبارة عن رد السيد كمال الشاذلى على ما كتبه، كان هو الوحيد - من بين القيادات التى سخر منها - الذى «استعناه» وكتب له ردا. أستطيع أن أقول إنه «علمه الأدب».. وأستطيع أن أجزم بأن كمال الشاذلى - كشخصية قريبة من السلطة - هو الذى أعاق سعدة عن تكملة القصة، لدرجة أن سعدة عجز عن إبراز أى شىء يحفظ ماء وجهه.

وأنقل هنا رد السيد كمال الشاذلى على سعدة بالحرف الواحد:

«إبراهيم سعده:

تناولت فى مقالك السبت الماضى حواراً من خيالك تناولت فيه رموز العمل الوطنى فى مصر من أحزاب المعارضة والأغلبية.

- بداية أقول إن القيادات السياسية التى تعرضت لها فى مقالك المشار إليه هى رموز وطنية شريفة تؤدى دورها الوطنى على الساحة السياسية. وأقول أيضا إن الحزب الوطنى



الديمقراطى الذى أشرف بالانتماء إليه والذى يتولى مسئولية الحكم هو حزب الأغلبية..
ومادمت عضوا فى الحزب الوطنى الديمقراطى فلاشك أنك تعلم أن الحزب الوطنى الديمقراطى قام استجابة للمتغيرات السياسية تعبيرا عن إيمان عميق بما أعلنته ثورة يوليو الخالدة من قيم ومبادىء، وتجسيداً لكفاح طويل خاصة الشعب المصرى من خلال ثوراته المتواصلة.

لذلك فمن الطبيعى أن غالبية وأعضاء وقيادات الحزب الوطنى بل قيادات وأعضاء أحزاب المعارضة هم من أبناء ثورة يوليو، وعاصروا قيادة الرئيس الراحل عبدالناصر، وشاركوا فى مسيرتها، واستمروا فى عطائهم، واستكمالا للمسيرة الوطنية بقيادة الرئيس الراحل أنور السادات مؤسس الحزب الوطنى الديمقراطى الذى اختارك رئيسا لتحرير جريدة مايو «جريدة الحزب الوطنى الديمقراطى» وفى تواصل مستمر وفى إطار فكر وفلسفة ثورة يوليو المستمر فى أداء رسالتها التاريخية بزعامة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك.

لذلك فإنه يشرفنى أن أكون إبنا من أبناء ثورة يوليو الذين شاركوا وعملوا فى تنظيماتها السياسية نائبا فى البرلمان لأكثر من «٢٥» سنة متصلة.. ومن أجل ذلك كان تكريم الرئيس مبارك بمنحى وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى تقديرا لعطائى الوطنى المتواضع.. هذا التقدير هو خير رد على ما أثرته من تليمحات أرفضها شكلا وموضوعاً.

وإنك تعلم علم اليقين أن حصول الحزب الوطنى الديمقراطى على الأغلبية إنما هو نتاج عمل مخلص من جميع قياداته وأعضائه على كل بقعة من أرض مصر.. وتعلم أيضاً أن رصيد كبير وعظيم للحزب الوطنى مستمد من زعامة الرئيس مبارك له.

واليوم أتساءل ويتساءل معى كثيرون: ما هو الدافع لهذا التشويه والتجريح والغمز واللمز لرموز العمل السياسى فى مصر. معارضة وأغلبية. وكل يحاول جاهدا وفقاً لبرنامج حزبه أن يؤدى دوره الوطنى فى ظل الأحزاب الشرعية التى تشكل النظام السياسى فى مصر؟.

لمصلحة من هذا التشويه والتشكيك فى مسيرة الديمقراطية التى تعيشها مصر؟ أية مصلحة يخدمها هذا المقال والأحزاب كلها بدأت مرحلة جديدة للتفاهم والتنسيق والتحاور فى هذا الأونة الهامة؟.

الأخ إبراهيم سعده

لعلك تعلم جيدا من متابعتك وكثير من مناقشاتنا معاً أننى لست ممن يؤيدون على طول الخط، كما يعلم ويشهد شعب مصر كله إننى من خلال موقعى ممثلا للهيئة البرلمانية للحزب الوطنى الديمقراطى فى مجلس الشعب أمارس دورى، معبرا بحق عن الحزب مدافعاً عن قراراته وتوجيهاته.. وفى نفس الوقت لا أتردد لحظة عن النقد الموضوعى البناء حينما يكون هناك داع للنقد (إقرأ ما كتبته أخبار اليوم التى ترأس تحريرها عن ردى على بيان الحكومة مؤخراً) الذى يعكس رأى الأغلبية ومشاكل الجماهير تحت قبة البرلمان بكل الصراحة والوضوح لا أخشى فى الحق لومة لائم.

ومن حق الحزب الذى أمثله أن أؤيد حكومته على ما تقوم به من انجازات تستهدف صالح الشعب بأسره.. تأييداً لسياسات حققتها التزاما ببرنامج الحزب الذى تمثله.

مرة أخرى يا أخى إن تأييد ثورة يوليو والإنتماء إليهاوتقدير كل زعمائها ليس نقيصه يدافع عنها، فمقومات ثورة يوليو تمثل مقومات الدستور الذى يحكم أفراد المجتمع كله. والثبات على المبدأ الوطنى الديمقراطى على مدى ما يقرب من ١٠ سنوات، وكنت حريصا ومتشرفا بهذا الموقع، ولا أدل على ذلك أنه حين تولاه غيرك لمدة عامين، سعدت بالعودة مرة ثانية، ولم نعيب عليك ذلك بل أكبرناه واعتبرناه أنه إيمان صادق بمبادىء حزبنا أم ان لك تفسيراً آخر؟ وأيضا ليس عيباً أن يكون رئيس حزبنا أبعد نظراً. كما أن إكبار وتقدير قيادات المعارضة للسيد الرئيس عيباً أيضاً.

واخيرا سوف أظل انطق كلمة الحق واضحة جليلة دون لف أو دوران أو تلاعب بالكلمات.

كلمة حق: الصادقون يعتبرونها صدقا والمنافقون يعتبرونها نفاقا.

مع خالص الشكر

كمال الشاذلى

الأمين العام المساعد وامين التنظيم

بالحزب الوطنى الديمقراطى

كان هذا الرد على سعدة، بصفته صادراً من أحد رجال السلطة، يمثل «قلما» على «قفا» سعدة ألزمه الصمت فوراً.

وبصراحة بصراحة.. (لو) كنت أنا مكانك.. لا يكون أمامى سوى سبيلين: إما تكملة القصة العظيمة «قنبلة الرئيس مبارك»، أوتقديم استقالتى فوراً.

لكن!!!..

منين أجيب ناس لمناة الكلام «يفهموك».. ومنين أجيب سلاطين لمناة «الكرامة» يعلموك.. وعجبى!

السيارة المرسيدس!!

وحينما احتلت العراق الأراضى الكويتية، كان لحزب العمل موقفا مخالفا لكل القوى السياسية فى مصر، وكان موقفاً اتسم ببعد النظر.. موقفا سجله التاريخ لحزب العمل، حينما عارض بشدة التدخل الأجنبى فى الشئون العربية، وهو نفس الموقف الذى اتخذته



دول عربية أخرى كثيرة، سيشهد لها التاريخ بالحنكة السياسية، واليقظة القومية، وبعد الرؤية.

وأغضب سعدة أن يكون لحزب العمل موقفا معارضاً للحكومة إزاء القضية التى تشرد بسببها حكام الكويت.. فكتب مقالا بالصفحة الأولى من عدد أخبار اليوم رقم ٢٣٩٣ (نشر خطأ على أنه رقم ٢٣٩١) الصادر فى ١٥ سبتمبر ١٩٩٠، بعنوان «إبراهيم شكرى.. يريد حلا !!»، وجاء فى نهاية المقال:

«لماذا أنت وحدك يا مهندس حزب العمل.. تقف فى «محراب» صدام حسين.. الذى إمتلأ بجثث العرب. وأشلاء المبادىء والأخلاق.

نحن نعلم أنك حصلت فى العام الماضى من صدام حسين على سيارة مرسيدس ٢٣٠.. آخر موديل.. فما هى مطامعك بعد غزو الكويت.. ونهب ثرواته واغتصاب السيارات الفاخرة من شوارعه.. هل تطمع فى موديل آخر أحدث وأغلى من السيارات.. «المستوردة» من الكويت؟!».

واللا معقول هنا هو أن سعدة لايزال يحتفظ بسيارة مرسيدس ٥٠٠ تلقاها هدية من صدام حسين!!!

كلام من ذهب

أدلى الزعيم إبراهيم شكرى بحديث صحفى حول أزمة الخليج لمجلة أردنية تصدر بالإنجليزية تسمى «ستار» وتحدث فيها حديثا طويلا صريحا، كان على مستوى الأحداث، والتاريخ لن يهمله..

وفاجأنا سعدة بمقال له فى العدد ٢٤٠٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٩ ديسمبر ١٩٩٠، بعنوان «رفقا بنفسك.. يا شكرى!» جاء فيه:

«قال رئيس حزب التحالف مدافعا عن الموقف الشائن لحزبه من الغزو البربرى للكويت عن طريق اتهامه للقيادة السياسية المصرية بأنها خضعت للضغط الأمريكى فاتخذت موقفها الحالى. الذى يرفضه المجاهد الكبير. من العدوان الوحشى العراقى على شعب الكويت الشقيق! وبنفس الشجاعة التى عرفت عن المجاهد الكبير قرأنا اتهاما له يقول إن الرئيس حسنى مبارك يصالح الولايات المتحدة الأمريكية ووافق على تدفق القوات الأجنبية على المملكة العربية السعودية! كما انتقد. مخاطبا العراقيين والأردنيين والفلسطينيين وتمنى الا يسمعه المصريون. مواقف الرئيس مبارك فى القمة العربية الاستثنائية بالقاهرة قائلا: (إن سياسة الرئيس مبارك كانت مطابقة مع سياسة أمريكا! وهذا خطأ كبير من الرئيس مبارك لأنه منذ متى كانت مواقف أمريكا عادلة تجاه العرب والمسلمين؟! انظروا إلى فلسطين، وإلى الاحتلال الإسرائيلى للبنان وممارسات إسرائيل فى الأرض المحتلة!.

وأضاف شكرى قائلا وموجها قلبه وعقله. فى نفس الوقت. تجاه بغداد وعلى أمل أن يسمعه الرئيس العراقى صدام حسين: إن الرئيس مبارك ومن حوله من المساعدين اتخذوا هذا الموقف لأنهم يخشون أن يفقدوا المساعدات والمنح الأمريكية إذا رفضوا السياسات الأمريكية، وبالطبع فإن اقتناعهم هذا هو اقتناع أبله ولا يشاركهم فيه الشعب المصرى)!

هكذا.. يتقمص المجاهد الكبير الذى سلم قيادة حزبه. الذى لم يسمع عنه أحد إلا من خلال الصحيفة التى يصدرها. إلى جماهير الإخوان المسلمين لعله يكسب بهم شعبية ما، ويتقمص شخصية المتحدث الأوحد باسم الشعب المصرى بدليل أنه يؤكد أن الشعب المصرى يرفض موقف الحكومة المصرية تجاه أزمة الخليج!..»

والآن..

لعل الأستاذ الجهبز. أو المتجهبز. إبراهيم سعدة، قد اقتنع فى ضوء الوقائع الجديدة، بأن السياسى الوطنى الكبير إبراهيم شكرى كان كلامه من ذهب لا يصدأ ولا يتآكل، عندما قال «منذ متى وأمريكا عادلة تجاه العرب».

لعلك يا سعده:

. بعدما رأيت ما حدث فى «البوسنة والهرسك»، وكيف داست «الصرب» على الأمم المتحدة، وكيف سحق هؤلاء أمة مسلمة على مرأى من هذه الأمريكا..

. وبعدما شاهدت أمريكا تقسم العراق لثلاث أقاليم، وتحكم على شعبه بالجوع.

. وبعد ما شاهدت أمريكا تضرب بصواريخها مدن العراق بلا مبرر فى أواخر أيام فترة تولى الرئيس جورج بوش..

. وبعدما شاهدت كيف طردت إسرائيل ٤١٨ من خيرة أبناء فلسطين إلى الحدود اللبنانية وسط جبال الثلوج، وكيف صدر قرار من مجلس الأمن يحمل رقم ٧٩٩ بعودتهم، ولم تستجيب إسرائيل..

. وبعد ما تأكدت أن أمريكا لا تسمع ولا ترى هذا أو ذاك..

فعلك الآن تكون قد تأكدت من أن عبارة الزعيم شكرى «منذ متى كانت أمريكا عادلة تجاه العرب» كانت فى محلها.. ولعلك أيضاً تكون قد اقتنعت بأنك «تلميذ»، ولازلت، وستظل «تلميذا» لا تعرف أى شيء عن أى شئ، أو أنك كـ«الأطرش» فى الزفة.

أما أخطر ما ورد فى ذلك المقال المشار إليه هى هذه السطور:

«هل قطعت مصر لسان المجاهد الكبير فلم يجد إلا صحف النظام الأردنى الذى

تكشفت مؤامراته وفضح تورطه مع حاكم العراق كراهية من الاثنين لشعوب الخليج؟! هل قصف قلم المهندس إبراهيم شكرى فى مصر حتى يبرر سعيه إلى أعتاب الملك حسين والبهلوان ياسر عرفات والديكتاتور صدام حسين، ويصرح لأبواقهم المسعورة بما قاله عن رئيس البلد الذى ينتسب إليه ويتحدث باسم أحد أحزابه السياسية المعارضة والتى يصفها الرئيس مبارك بأنها جزء من النظام؟!

وهل قيدت الحكومة المصرية تحركات واتصالات ورحلات حزب التحالف، حتى يمكن له أن يبرر حقده عليها ومحاولته الانتقام منها عن طريق مجاملة الملك حسين، فيصف مؤامرته بأنها افضل المبادرات السلمية لحل أزمة الخليج. فى نفس الوقت الذى يتهم رئيس مصر ورمزها بأنه أحد القلاة التى شجعت الولايات المتحدة على حتمية ضرب العراق؟!».

وما قاله سعده فى السطور السابقة شىء خطير للغاية.. أنه يدق طبول الحرب على المعارضة.. إنه يدق الطبول لـ «سبتمبر ١٩٨١» من جديد.. فهذه السطور ما لها من غرض سوى إثارة الرئيس مبارك ضد الزعيم شكرى. وكلاهما يحترمان بعض شديد الاحترام.

وهل نسيت ياسعده أن حزب العمل كان أكبر حزب معارض وافق على بقاء الرئيس مبارك لفترة رئاسة ثانية فى أكتوبر ١٩٨٧، فى وقت عارض فيه ذلك حزب التجمع والوفد الجديد بقاء الرئيس لمدة ثانية؟.. وأيامها قلت ما قلت من إطراء فى الزعيم إبراهيم شكرى، وشتماً فى حزب التجمع والوفد الجديد، ولولا أننى لا أريد التعرض لهذه النقطة كنت أفردت لها «فصلاً» خاصاً.

وأنى أتساءل: ما هو الذنب الذى ارتكبه إبراهيم شكرى؟ هل أن يقول رأيه بصراحة يكون ذلك جريمة؟ لا يوجد ـ والحمد لله ـ قانون فى مصر يجرم ذلك..

وإنك ـ أيها السعده ـ تلعن فى عهد عبدالناصر لأنه لم يكن هناك «رأى حر»، وتهلل وترقص لهذا العهد على أساس أنه يتسع للرأى الحر، ثم تلعن من يقول رأياً حراً.. وتحرض رئيس الدولة عليهم.. فإذا ما تعرض لهم أحد بالإيذاء ستقول ما قلته عن قرارات سبتمبر

السوداء، حينما قلت أنها أعظم من قرار حرب أكتوبر بشهادة مجلة اسمها «الديلى إدّى»!!.. ثم تعود وتعلن عهد عبدالناصر لأنه قيد الحريات وقصف الأقلام.

إيه حكايتك؟.. مش عارف!!

إرحم نفسك «يابنى» شوية.

صابر يامم صابر؟!

وحدث أن دعى السودان لعقد مؤتمر «شعبى» إسلامى عربى، لمناقشة الوضع الراهن فى العالم الإسلامى، بعد أن دمرت أمريكا وحلفاؤها العراق الشقيق. وذهب ضمن من ذهبوا للمؤتمر، الزعيم إبراهيم شكرى، بصفته أحد القيادات السياسية البارزة فى مصر.. ولا نعرف لماذا «إغتاظ» سعده من ذلك.. ولماذا كان «محروقاً» بهذا الشكل!!..

كتب سعده معلقاً على ذلك، فى العدد ٢٤٢٦ من أخبار اليوم الصادر فى ٤ مايو ١٩٩١، تحت عنوان «من الذى باع مصر؟!» مقالاً طويلاً جداً، بدأه قائلاً:

«للصبر حدود.. كما يقولون.. فالذى حدث فى الخرطوم - فى الأسبوع الماضى - لا أعتقد أنه من السهل قبوله أو إحتماله. رجل بلغ من العمر أرذله، وعلى الرغم من ذلك لا يحترم سنه ولا يحترم - أيضاً - الشعب الذى ينتمى إليه، والبلد الذى ينسب له. والأعجب من هذا أن الأستاذ إبراهيم شكرى - رئيس حزب العمل الرأسمالى الإسلامى الشيوعى - لا يترك مناسبة إلا انتهزها من أجل التشهير بمصر، والإساءة إلى شعب مصر، والتطوع بالوقوف إلى جانب كل من يعادينا.. وكل من يحقد علينا! صبرنا أكثر مما يجب على تصرفات الأستاذ إبراهيم شكرى، صبرنا عليه عندما أعلن تأييده لغزو واحتلال الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠!!

صبرنا عليه عندما زار بغداد - المرة بعد الأخرى - خلال شهور من أزمة الخليج، للأرتماء بين احضان خائن العرب الرئيس العراقى صدام حسين مؤيداً مباركاً، مصفقاً، ومتحدياً!

صبرنا عليه عندما طار إلى العاصمة الأردنية - فى أكثر من مناسبة - للاشتراك فى المهرجانات التى استضافها الملك حسين ليعلن المشاركون فيها تأييدهم للعدوان العراقى على الكويت، والمناداة بلص بغداد «إمام أكبر» للمسلمين فى قارات الدنيا الخمس!

صبرنا عليه عندما إنفرد مع بعض قيادات حزبه بموقف معاد لموقف الشعب المصرى تجاه العدوان العراقى على الكويت، سمعناه خطيباً يندد بهذا المواقف ويتهم الحكومة المصرية بالخيانة، ويتهم الرئيس المصرى بالتآمر على العرب وعلى المسلمين!

وصبرنا عليه - أيضاً - عندما سارع بتغيير جلده والدوران حول نفسه ١٨٠ درجة بمجرد هزيمة زعيمه القابع تحت سابع أرض فى العراق وأخذ يبتعد عن «كعبته» فى بغداد بحثاً عن صنم آخر يملك المال، ويحكم بالدكتاتورية، ليضع نفسه تحت إشارته، ويكون بوقاً لأطماعه، ومبرراً لأخطائه، ومبشراً بجرائمه فى حق العرب من المحيط إلى الخليج.........

...

والله ياأخى إنت «عداك العيب»!!، وكتّر ألف ألف خيرك!!!

صبرنا كتير على إبراهيم شكرى، صبرت كتير «خالص»، وهو رجل لم يقدر صبرك الجميل عليه، فسافر هنا وهنا «دون إذن جنابكم»، وخطب فى المؤتمرات أيضاً دون إذن فخامتكم(!!!)، ويحضر مناسبات قومية فى بلاد عربية وإسلامية أيضاً دون إذن عدالتكم!!!

ولأننا فى زمن «اللى اختشوا ماتوا» وزمن «إذا لم تستح أفعل ما شئت» وزمن قال عنه رسول الله ﷺ «يحكم القوم صغيرهم، ويسود كل سوق فجارها».. لأننا فى هذا الزمن، فلا تثريب عليك أن تنصب لإبراهيم شكرى «مقصلة» فوق برج القاهرة، ومشنقة فوق هرم الجيزة، وكرسى كهربائى فوق القلعة!!

لقد ذهب الرجل إلى بغداد، وقابل صدام حسين، وبالبشاعة ما فعل شكرى(!!) إنه يستكمل خطه القديم «الثابت» فى الالتواء على النظام.. فقديماً ذهب للقذافى وتباحث معه.. وللأسد وتباحث معه.. وقابل عرفات فى لبنان والموت من حولهم قاب قوسين أو أدنى.. إلتقى بهؤلاء فى وقت القطيعة ولم نحاكمه!!.. وبعد أن عادت العلاقات بيننا وبين هؤلاء ليس لنا أن نكافئه، ولا أن نقول له كنت الوحيد الذى أصبت، بل لابد أن نحاكمه، لأنه يسير ضد النظام، فلابد أن يكون زعيماً معارضاً لنفسه وليس للنظام، فهذه هى المعارضة «الأوريجينال خالص».. ولذلك فلابد أن نحاكمه عن جرائمه السابقة.. والحاضرة.. والمستقبلية أيضاً .. ونضع فى اعتبارنا «صبر» سعده عليه!!

أما جرائمه السالفة فأقترح أن نقطع رأسه على مقصلة فوق برج القاهرة، ثم نعلق رأسه بعد ذلك على باب أخبار اليوم، عقابا له على ما سبق وارتكبه من جرائم.. وجرائمه الحالية فيستحق بسببها الشنق فوق الهرم الأكبر.. أما جرائمه «العظمى» وهى عدم الذهاب إلى إسرائيل ليلتقى مع رابين، وتعابين، وشامير، وكشمير، وأشكول، وأشفول، والياهو بشكول، وإيسترن بلونسكى.. هذه الجريمة الكبرى يستحق عليها شكرى الإعدام بالكرسى الكهربائى!!.. وعجبى!!

هل جريمة ياابن عمنا «على سعده»، ياراجل يا عربى، ياراجل يامسلم.. أن يذهب مواطن مصرى لمقابلة قائد عربى لمجرد أن بينه وبين نظامنا خلاف مؤقت وبسيط؟!.. وأنت تعرف أن شكرى أكثر منى ومن «مليار» مثلك وطنية ومصرية، وتعلم أصله الأسرى، وتعلم أنه وطنى شريف، وتعلم أنه لم يؤيد غزو العراق للكويت، وتعلم أن من يذهب إليهم لم يؤيدوا الغزو، وإنما رفضوا التدخل الأجنبى، وتعلم أن شكرى زعيم يتمتع بحب قطاع عظيم من الشعب.. وتعلم أيضاً أن غالبية الشعب المصرى كانت ترفض تماما التدخل العسكرى الأمريكى والغربى فى الخليج.. ورأيت بنفسك كيف اندلعت المظاهرات الشعبية التى رفضت ذلك.. وتعلم أن الجامعات المصرية ظلت مغلقة حتى انتهت الحرب منعاً لاشتعال المظاهرات الطلابية التى ترفض تدمير العراق.. تعلم.. نعم تعلم تمام العلم.. ومع ذلك تدور حول نفسك بزاوية ٣٦٠ درجة، تبحث عن نفسك.. أين أنت؟ لا تدرى.. فى الزمن الضائع ستجد نفسك فى سلة مهملات.. فى «مزبلة» التاريخ.. وقد لا تقبلك مزبلة التاريخ.

سخافات .. انقلبت جداً!!

فاجأنا سعده ـ كعادته فى المفاجآت ـ فى العدد ٢٤٩٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٩ سبتمبر ١٩٩٢ بهذا المانشيت:

«هذا هو إسلامهم..».

«منظمة تسمى نفسها الاتحاد الإسلامى تحاول تخريب السياحة فى مصر».

ثم نقرأ تفاصيل الخبر المثير للغاية الذى كتبه سعده، وجاء فى مقدمته: ·



هذا هو إسلامهم..!

منظمة تسمي نفسها الاتحاد الاسلامي تحاول تخريب السياحة في مصر

أسسها مصطفى أمين وعلي أمين
سنة ١٩٤٤

الطبعة الأولى

١٨ صفحة • ٢٥ قرشا

رئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير إبراهيم سعدة

مديرا التحرير ... كمال عبد الرؤوف

«تلقت مكاتب وكالات الأنباء - فى القاهرة - بيانا موقعاً باسم منظمة الاتحاد الإسلامى، تحذر فيه السياح الأجانب من السفر إلى مصر! هددت هذه المنظمة باغتيال أى سائح أجنبى يظهر يوم الأربعاء القادم فى مدينتى الأقصر وقنا! إهتمت وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ) بما جاء فى هذا التحذير وطيرته إلى صحف بلادها ونشر التحذير. بالفعل - فى بعض الصحف الألمانية».

وعلق سعده على الخبر الذى لم نعرفه إلا منه قائلاً:

«ليس مهما سخف هذا المنشور. ليس مهماً تفاهة هذا التحذير.. وليس مهماً - أيضاً - أن يصدق بعض السياح ما جاء فى هذا التحذير فيحجم عن السفر إلى مصر. المهم - فى رأيى - هو مدى كراهية بعض الذين ينتسبون لمصر وتمتلىء قلوبهم حقداً وكرهاً لها. تصوروا مصريين لا هم لهم غير ضرب مصالح بلدهم، وإرهاب كل من يريد زيارتها، وتهديد كل من يبحث عن السلام والأمن فوق أرضها. والمذهل أن هذه الجماعة تزعم أنها ترفع شعار الدين الإسلامى وتسمى نفسها منظمة الاتحاد الإسلامى».

وفى الصفة الخامسة من ذات العدد أكمل سعده تعليقه على الخبر فقال:

«..

لدينا حزب نشأ تحت اسم «حزب العمل الاشتراكى» فجأة أصبح هذا الحزب آخر من يهتم بالعمل وآخر من يلتفت إلى الاشتراكية! لقد سقط فى أيدى كل من يدفع له! وفى سبيل ما يأخذه لم يعد يهتم بصالح أو ضرر البلد الذى ينتسب إليه! رأيناه يقف إلى جانب كل جهة أجنبية تتربص بمصر! عندما غزا العراق الكويت وقف إلى جانب المعتدى وضد المعتدى عليه! عندما سارعت مصر إلى المساهمة فى إعادة الحق إلى أهله، شن هجوماً عنيفاً على هذا القرار وندد بإرسال قوات مصرية إلى جبهة القتال من أجل تحرير الكويت! إتهامات الديكتاتورية العراقية لمصر - حكومة وشعباً - كانت «نشرة» هذا الحزب حريصة على نشرها وفى صدر صفحاتها وكأنها تتشفى فى بلدها ونظامها! أقذر الاتهامات التى تختلقها ابواق صدام حسين وتبثها فى صحفها وإذاعاتها كانت صحيفة هذا الحزب تلقفها وتعيد نشرها وكأنها تكتب عن إسرائيل وليس عن البلد الذى تنتسب إليه ....».

فتح أبو سعده النار على حزب العمل هنا بدون مناسبة.. لمجرد أن هناك حزازات شخصية، استغل منصبه كرئيس تحرير صحيفة تمتلكها الحكومة - وليس والده - وأراد أن يقحم حزب العمل فى قضية - بالغة الخطورة - لا ناقة له فيها ولا جمل.. ولا يوجد اى عاقل أو حتى مجنون يصدق أن أى حزب يمكن أن يساند أو حتى يؤيد عملاً إرهابياً، فالأحزاب المصرية كلها لا تشكك فى وطنيتها. أما أن يأتى هذا السعده ويحاول أن «يلبس» حزب كبير مثل حزب العمل «مصيبة» كبرى كهذه.. فذاك فى حد ذاته جريمة.. ولولا الحصانة التى يتمتع بها سعده كعضو «معين» فى مجلس الشورى. لكان الحزب قد حاكمه.. وهو فعلاً يستحق المحاكمة.. لكن محاكمة التاريخ له فهى قائمة ونكتفى بها.

أما تعليق سعده على المنشور الذى أشار إليه. بأنه «سخيف» وبأنه «تافه» فنحن كنا نتمنى ذلك.. لكن أن تقول عليه ذلك فى جريدة يقرأها ٥ مليون قارىء.. فهذا أمر من شأنه أن يدفع أصحابه بدافع «المعاندة» وإثبات التواجد. إلى أن يؤكدوا أن هذا ليس «سخفاً».. فسخرية سعده من هؤلاء كان دافعاً أساسياً إلى أن ينقلب سخفهم هذا جداً.. فلو كان قد تجاهل الموضوع من أصله كما فعلت كل صحف مصر، لما كان قد «انكمش» التوافد السياحى على مصر، ولو لم يسخر من أصحاب المنشور هكذا لما كان قد حدث ما حدث من حوادث مؤسفة تعرض لها السياح فى مصر.. وبالمناسبة!! إذا كان هؤلاء يقولون «سخفاً» وتفاهات.. لماذا لا تتخلى عن الحراسة الحديدية التى تحيط بشخصك.. فرغم أنك مجرد «صحافى» إلا أن هناك حراسة من حولك كما لو كنت رئيس وزراء!! ولو كنت كاتباً تعبر عن الشعب، ومحبوباً لما أحطت نفسك بحراسة من حديد.. فالكاتب الشريف المخلص يسير ويتنقل فى أى مكان وهو فى حماية المواطنين.. لكن لأنك «مكروه» ولأنك تطلق قلمك ضد «تيار» الشعب المطحون، فلابد أن تكون هكذا.. منبوذاً.. مكروهاً.

إن ما كتبه سعده يعد مرحلة تالية للمرحلة التمهيدية فى الطريق إلى «سبتمبر ١٩٨١» من جديد.. وفى هذه المرة لا نعرف إن وصلنا إليها كيف سنخرج منها.. نعم هذا «الفسل» قد يكون سبباً فى مذابح كبرى نعجز عن وضع تصور لحجمها.. ولنهايتها.. هذا الفسل - وأمثاله - يستحق الاقصاء من موقعه، فهو ينثر بذور الفرقة بين القوى المصرية وبعضها.. ويسكب الجاز فوق نار الفتنة بمصر.. هذا «الفسل» المجهول - وأمثاله - فتح الطريق لـ «سبتمبر ١٩٨١».. ونكررها للمرة المليون.. إن سعده يفتح الطريق إلى سبتمبر جديدة.

شكرى رئيساً للوزارة

ثم عاد سعده يمارس «ظُرفه» وكأنه يتسلى.. ويفرد صفحات كاملة من جريدة «أبوه» ليسخر من السيد إبراهيم شكرى زعيم حزب العمل فى مصر.. فظهر العدد ٢٥٠١ من أخبار اليوم، صباح ١٠ أكتوبر ١٩٩٢، وكان المانشيت على ثمانية أعمدة يقول: «عودة إلى قنبلة الرئيس حسنى مبارك.. بقلم إبراهيم سعده، ص٣».

وفى الصفحة الثالثة فوجئنا بإبراهيم سعده يسوق إلينا أنه انتهى من رواية بعنوان «القنبلة» لإعدادها فيلماً سينمائياً، وهذه أول مرة نسمع فيها عن رواية أشخاصها حقيقيون، وأحداثها خيالية (!!!) فما معنى أن تنسب إلى شخصية موجودة بالفعل - اسماً وصفة - أحداثاً لم تحدث. فهذه سابقة أولى من نوعها فى التاريخ.. فنحن قرأنا روايات لأحداث حقيقية، لكن بأسماء مستعارة.. أما العكس فهو كذب وافتراء، وجريمة كبرى.

ومع ذلك فما دمنا فى الزمن الذى تعاقب فيه مديرة مدرسة للبنات بدولة مسلمة، لأنها طلبت من تلميذاتها أن تتحجبن (!!!).. الزمن الذى أصبح فيه «شخص» مثل إبراهيم سعده رئيساً لتحرير صحيفة قومية كبرى منذ ١٤ سنة، وكأن البلد ليس فيها من صحافيين غيره.. ما دمنا فى هذا الزمن فمن المتوقع أن يفعل أكثر وأكثر.

وهكذا استمر سعده على مدى ثلاثة أعداد فى نشر روايته الخيالية.. السخيفة.. المقيتة.. وعلى مساحة صفحتان بكل عدد من جريدة أبوه، حتى انتهت فى العدد ٢٥٠٣ الصادر فى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٢.

دعوة إلى الإباحية

من الموضوعات - أو السقطات - التى انزلق إليها إبراهيم سعده، نذكر ما كتبه فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٤٩٧، الصادر فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٢، تحت عنوان «زئير.. الأغلبية الصامتة!».

والموضوع خلا من ذكر حزب العمل، لكنه كان هجوماً شديداً عليه، ولكن بطريق غير مباشر، فالمقال كان يتحدث عن الجماعات الإسلامية، والكل يعلم أن حزب العمل أصبح

هو المنبر «الرسمى» الوحيد الذى يبث من فوقه الصوت الإسلامى عالياً مجلجلاً.. وبالتالى فالكلام حينما يوجهه سعده عن الجماعات الإسلامية، يكون عن حزب العمل.. وأيا كان المعنى بهذا المقال، فإنه يحسب «سقطة كبرى» للقلم الذى تقيأه!!

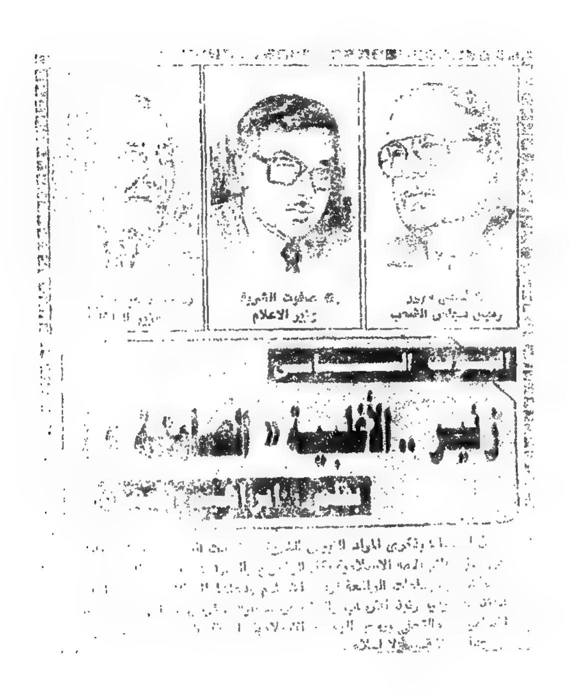
قد لا يخص حزب العمل، لكننا نرى أنه شيئاً تفور له دماء كل المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة.. أنه يدعو إلى الإباحية.. ويسخر من تعاليم الإسلامى.

يقول سعده عن الإسلاميين فى مقاله:

«..

رأيناهم يفرضون جهلهم على الإعلام المصرى. رأيناهم يتدخلون فيما يذاع وفيما يعرض! رأيناهم يرهبون الرقابة على المصنفات الفنية لترفض كل ما يتفق مع أفكارهم وإرهابهم وجاهليتهم من نصوص مسرحية أو سينمائية أو تليفزيونية أو إذاعية! رأيناهم يتدخلون فيما لا يعنيهم، وإن كانوا قد نجحوا فى أن يستقطبوا الغالبية العظمى من العاملين فى الرقابة على المصنفات الفنية فأصبح لهم اليد الطولى فى أن يفرضوا رأيهم، وألا يسمحوا إلا بما يتفق مع جهلهم وعنجهيتهم سواء بالكلمة المطبوعة، أو بالكلمة المسموعة، أو بالصورة المرئية!

رأيناهم كيف فرضوا على المسئولين عن الإعلام المصرى ـ المسموع والمرئى ـ أن يلتزموا برأيهم، وأن ينفذوا أوامرهم! وما أعجب وأغرب ما نجحوا فى تحقيقه. إعلانات التليفزيون تظهر فتيات بملابس غير لائقة، وبالتالى فلابد من منع هذه الإباحية، وعلى الفور يوافق المسئولون عن التليفزيون على هذا القرار! الأفلام التى يعرضها التليفزيون بعيدة ـ كما يزعمون ـ عن «الإسلام» وبالتالى لابد من بتر معظم مشاهدها، وعلى الفور يوافق المسئولين عن التليفزيون على هذا البتر! المسلسلات الأجنبية العالمية ـ مثل مسلسل دالاس وغيره ـ لا تتفق مع وجهة نظر عملاء وعميلات الجماعات المتطرفة فى الرقابة على ما يسمع وينشر ويعرض على أكثر من ٦٠ مليون مصرى، وبالتالى فلابد من وقف وحظر عرضها، وعلى الفور يوافق المسئولون عن التليفزيون على هذا الوقف وهذا المنع ترضية لآراء عشرات وضد رغبة الملايين! البرامج الرياضية التى تظهر فيها الرياضيات «بالشورت» لابد من منعها لأنها تثير غرائز الشباب، وعلى الفور يوافق



رئيس مجلس الشعب

صفوت الشريف
وزير الاعلام



إنتشى المجاهد الكبير من موصلة تطاوله على مصر، فسارع عرفات الفلسطيني [illegible] العراقي لاحتضانه وتهنئته ومطالبته بالمزيد والمزيد!



من الذى باع مصر ؟!

[illegible] يقولون. فالذى حدث فى الخرطوم [illegible] السبيل [illegible] احتماله رجل [illegible] ايضاً [illegible] والاعجب من هذا أن الأستاذ ابراهيم [illegible] الشيوعى [illegible] إلى شعب مصر [illegible]



المسئولون على التليفزيون على هذا الرأى وينبهون مقدمى هذه البرامج للإقلال من عرض الشورت الحريمى إن استحال عرضه بالمرة! وعملاء الجماعة من بين عضاء مجلس الشعب تركوا مصالح ومشاكل أبناء دوائرهم الذين جاءوا بأصواتهم إلى الجلوس تحت القبة، وتفرغوا للمطالبة والإصرار على ما يصلهم من أوامر ومن قرارات تسلب من الإعلام المصرى حرية حركته وحرية إستقلاله! فما أكثر الجلسات الخاصة التى دعا إليها هؤلاء وحضرها المسئولون عن الإعلام المصرى وفرض الداعون إلى هذه الجلسات آرائهم مشيعين بالتحية والتقدير تعويضا لهم عن سخط ولعنات وغضب عشرات الملايين من المشاهدين الذين يشكون لطوب الأرض من الإظلام الإعلامى الذى فرض نفسه على كل ما يعرضه التليفزيون ويتزايد إظلاماً يوماً بعد يوم ....

....

وفى نقابة الأطباء تجاهل المجلس التردى المخيف فى أداء الأطباء وتفرغ لقضايا تافهة تسيء إلى المهنة ولا تتقدم بها! سمعنا عن رغبة مجلس النقابة فى فرض دراسة علوم الطب باللغة العربية ....

....

............وفى نقابة المحامين بتاريخها الحافل فى الدعوة إلى فرض سيادة القانون واحترام حرية الإنسان، تعرضت هذه الأخرى إلى هجوم «التتار» من الجماعات المتطرفة الذين استغلوا بطالة الآلاف من شباب خريجى كليات الحقوق ـ نتيجة أكذوبة مجانية التعليم ـ بما لا تستطيع ـ بالقطع ـ تحقيقه لهم أملاً فى كسب أصواتهم والفوز بها بمقاعد مجلس إدارة النقابة.

لقد نشرت الصحف بعض ما جاء فى منشورات الدعاية لممثلى هذه الجماعات المتطرفة. وجاء فى بعضها أن المجلس القادم ـ فى حالة فوز أصحاب هذه المنشورات ـ لن يسمح لمحامية بالتواجد فى قاعة المحكمة إلا إذا إرتدت الحجاب! لقد صعقت عند قراءتى لهذا المنشور، ولكننى سرعان ما سعدت به كدليل على مصداقية ضرورة التصدى لهذا التيار الجاهلى الذى زحفت جحافله على معظم نقاباتنا المهنية تحت سمع وبصر حزبنا الوطنى الديمقراطى الحاكم! فلقد آن الأوان ـ الآن ـ ليثبت حزب الأغلبية حقيقة

انه يمثل الغالبية العظمى من الشعب عن طريق فضح جهل وجاهلية هذه العناصر التى تريد إعادة مصر إلى عصور ما قبل التاريخ، من جهة، ولاسقاطنا - تنفيذاً لمخطط خارجى شيطانى - فى نفس الهاوية التى سقطت فيها الجزائر وتونس والسودان ومن قبلها إيران! ....

....

....وفى العدد التالى من أخبار اليوم رقم ٢٤٩٨، الصادر بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩٩٢، جاءت ردود على هذا المقال، من السيد رئيس مجلس الشعب، والسيد وزير الإعلام، والسيد نقيب الأطباء.

قال الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب المصرى فى تعقيبه على هذا المقال:

«هذا المقال يثير قضيتين:

القضية الأولى:

هى الديمقراطية وحرية إبداء الرأى والاستماع إلى الرأى الآخر ولا ينكر أى منصف أن أعضاء مجلس الشعب والمنصة حريصون على الالتزام بالديمقراطية والاستماع للرأى الآخر، إيماناً منهم بأن الرأى للجميع والقرار للأغلبية ولا حجر على رأى أو إتجاه.

وتحت قبة البرلمان تعرض كافة الآراء بحرية تامة، فهذه هى الديمقراطية التى نعتز بها ....»

وقال السيد صفوت الشريف وزير الإعلام فى تعقيبه على مقال سعده:

«..

نفرق تماماً بين الفكر المتطرف والدعوة إلى التمسك بمبادىء الإسلام الصحيح بقيمه السامية، والتمسك بمكارم الأخلاق واحترام حرية الفرد والمجتمع، ونعنى بحس المسئولين الخيط الرفيع الذى يفصل بين التدين المستنير والتطرف المظلم، وبين النور والظلام، ولا نصنف الأشخاص، ولكن نصنف الكلمات، ونحلل المضمون، ونقوم بدورنا محافظين على التوازن محكمين العقل والمنطق، وفى هذا الإطار المتوازن والمتعقل

والمنطقى نتعرض للتأييد من البعض والنقد من البعض الآخر، ولا غبار على هذا. ولكن يظل بحكم أداء الإعلاميين الضمير الوطنى، وقد اسقطوا كل عقد الخوف من نفوسهم

....

....

.... إن ما يعنينى فى هذا الرد هو أن يعرف الرأى العام أن إلتزام أجهزة الإعلام بالقيم ليس انصياعاً لقلة فليس لدينا من يرتعش أو يخضع لابتزاز، ولن يفرض كائن من كان جهلاً أو إظلاماً على الإعلام المصرى، ولم يحدث يوماً على مدى سنوات ممتدة أن تدخل فرد أو قلة أو جماعة فى تحديد ما يذاع وما يعرض كما أنك أشرت إلى رؤيتك إرهابهم للرقابة على المصنفات الفنية لترفض ما لا يتفق مع أفكارهم من نصوص مسرحية وسينمائية، ولعلك تعلم أن الرقابة على المصنفات الفنية ليست ضمن أجهزة وزارة الإعلام.

إذا كنا نحاول أن نتفق على المبادىء التى أوضحتها فإننا لن نخلط بين الحفاظ على حق المجتمع وقيمة الاجتهاد فى الالتزام بالقيم والمبادىء وبين الخضوع والخوف والتخاذل.

إن الرقابة سوف تظل صارمة فى حذف كل ما يخدش حياء الأسرة المصرية أو إثارة غرائز أفراد المجتمع، ولعله ليس من المناسب أن أذكر هنا نماذج لما يتم حذفه من مشاهد.

وإذا كنا نحترم حرية الإعلام، فإن ذلك الاحترام يجب أن يكون فى إطار مبادىء ميثاق للإعلام تلتزم وسائل الإعلام به شكلاً ومضموناً، ومن هنا لا عيب أن يطلب المسئولون من شركات الإعلان أن تنوع فى الشكل وأن تبدع فى استخدام أشكال وفنون الإعلان وأن يبتعدوا عن الخلاعة والإثارة والألفاظ النابية، ومظاهر العنف والتصرفات التى تستهدف النيل من كرامة الإنسان. وهم بذلك ملتزمون فى الحفاظ على المبادىء والقيم التى هى أساس شرف الإعلان. ولعلى أتساءل هل تقبل أسرة أن تكون الكلمات التى يتضمنها إعلان عن فيلم جديد، كلمات نابية لا يصح أن تتردد داخل البيت المصرى وأن تتدارى كل الإعلانات حتى فى مجال الإرشاد الزراعى والصحى والبيئى وتنظيم الأسرة فى الرقص والغناء فتضيع الرسالة والمضمون ....

.........................وجاء فى رد نقيب أطباء مصر الدكتور حمدى السيد ما يلى:

....

لقد نجح التيار الإسلامى فى الاستئثار بأغلبية مقاعد مجالس إدارة عدد من النقابات المهنية فى ظل انتخابات ديمقراطية حرة وهو بذلك يجنى ثمار سياسة طويلة النفس بدأت منذ أوائل السبعينيات عندما شجعت الحكومة هذا التيار وبدأ نشاطه بين شباب الجامعات وقدم لهذا الشباب نموذجاً جديداً من العمل العام يجمع ما بين العقيدة والممارسة الجادة فى احتواء مشاكل الشباب الاجتماعية والثقافية وإتاحة فرص عمل وتلبية احتياجات مادية عاجلة، وشباب السبعينيات والثمانينيات هو الآن قوة مؤثرة ومنظمة وملتزمة داخل النقابات المهنية، وهى التى تصر على ممارسة حقها فى التواجد وفى إنجاح كوادرها فى النقابات المهنية فى الوقت الذى اكتفيت الأغلبية بعدم المبالاة..

....

.... أما القول بأن نقابة الأطباء قد أهملت مسئولياتها واهتمت بتوافه الأمور مثل تعريب الطب. أو عدم ردع طبيب رفض إسعاف مصابة بحجة أن والدته غير محجبة فهذا لا يتناسب مع خطورة ما تناولته المقالة من قضايا، وأبادر بأن أقرر بأن تعريب الطب ليس قضية مثارة من الإسلاميين فقط فهى قضية قديمة حديثة، كان للنقابة فيها رأى قبل وجود التيار الإسلامى، وكان لمنظمة الصحة العالمية رأى، وكان لاتحاد أطباء العرب رأى. وكانت ثمرة الجهود المشتركة هو صدور قاموس عربى إنجليزى فرنسى بالمصطلحات العلمية، ويكفى أن أذكر أنه عندما يجتمع الأطباء العرب فى مؤتمر يتحدث أطباء المغرب بالفرنسية ويتحدث أطباء المشرق بالإنجليزية ويتحدث آخرون بلغة عربية مختلطة ويصبح التجمع العربى فى مأزق، قضية تعريب الطب ليست من توافه الأمور، ولكنها على جانب كبير من الأهمية علمياً وتربوياً وقومياً ولا أريد الاستطراد فى بعض جوانب هذا الموضوع ....

....

أما نقابة الأطباء التى اتهمها الأستاذ إبراهيم سعده بالاهتمام بتوافه الأمور فإنها على العكس من ذلك تهتم «بكبار الأمور وعظائمها» ويدل على ذلك النقد الموجه لها من بعض الأقلام فى أنها تبالغ فى بعض الأحيان فى الاهتمام بالقضايا العامة مثل مشاكل المسلمين وإعانتهم فى البوسنة والهرسك والصومال.. وعلى القائمة مسلمى كشمير وكازاخستان والملايو.. إلخ. أما ما تقدم من خدمات مباشرة لأعضائها فإن التيار الإسلامى أكثر الفئات مهارة فى ذلك وأضرب على ذلك أمثلة بنظم العلاج ومشروعات التكافل وتوفير السلع المعمرة وتقديم خدمات مادية مباشرة... إلخ........................

انتهت الردود..

بقى أن نعرف «أصل الحكاية».

أصل الحكاية أن أحد أعضاء مجلس الشعب «المحترمين» وهو النائب فتحى فضل عبدالواحد، تقدم باقتراح بتخصيص قناة تليفزيونية للقرآن الكريم والبرامج الدينية وبث القيم والتعاليم الدينية، وأحيل الاقتراح للجنة المختصة التى نظرته يوم ١٢ يوليو ١٩٩٢، وانتهت اللجة إلى رفض الاقتراح.

ومع ذلك استشاط سعده غيظاً، لأن اللجنة المعنية قبلت ـ مجرد قبول ـ أن تناقش مثل هذا الاقتراح بتخصيص قناة تليفزيونية لبث القيم الإسلامية فى نفوس المسلمين، وتحارب البدع المستحدثة، وكتب مقاله الذى لو نُسب إلى «نبى» لأدخله جهنم.

يدافع سعده عن «الشورت»، فهو يضايقه ألا تظهر البرامج الرياضية التى تظهر فيها النساء بالشورت (!!!) ويرجع ذلك ـ بشكل استفزازى ـ إلى أن هناك ضغطاً إسلامياً على أجهزة الإعلام، ويضايقه أن الإعلانات «محتشمة» ويطالب بأن تظهر فيها الفتيات بالمايوه، حتى لو كان الإعلان عن أسمدة للأراضى الزراعية (!!).. ويضايقه، ويعكر مزاجه ثم يصاب بالاكتئاب حينما تحذف الرقابة هذه المشاهد الخليعة!!!

يا ـ ليس سيدى ـ ويا ـ ليس أبداً أخى ـ إذا كنت تحب الشورت والمايوه، ومشاهدة السيقان المرمرية والتمتع بالنهود المنتفخة ـ أو المنفوخة ـ فلك أن تشاهد هذا المجون فى أفلام الفيديو الخاصة، وهى موجودة فى كل محلات الفيديو بمصر، لكن أن تطالب

الدولة بإذاعة وبث مثل هذه الخلاعات.. فهذا ليس حقك.. وليس حق أى فرد مهما كان، لأن المستقبل «بكسر الباء» هنا هو جموع الشعب، ورأى الأغلبية لابد أن يسود.. والأغلبية ترى حذف كل هذا العبث الأسود الماجن.

ثم من قال لك أن برامج التليفزيون محتمشة!! وهل لو لم يكن هناك رقابة.. ماذا عساها أن تكون إذن؟!

والأستاذ «المسلم» إبراهيم بن على بن سعده «صعق» عندما قرأ أن مجلس نقابة المحامين الإسلامى سيطلب من المحاميات التحجب، ووصف ذلك بأنه جهل وظلام وأظلام!!

وأقول:

يارب.. يارب إرفع غضبك ومقتك عنا..

يارب لا تؤاخذنا بما يفعله السفهاء منا..

يارب نحن مؤمنون بك وبكتابك العظيم.. ويقولك: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى».

قال ملك الملوك سبحانه وتعالى أن التبرج هو الجهل.. أما سعده ـ قبح الله وجهه ـ يرى أن الحجاب هو الجهل والإظلام.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

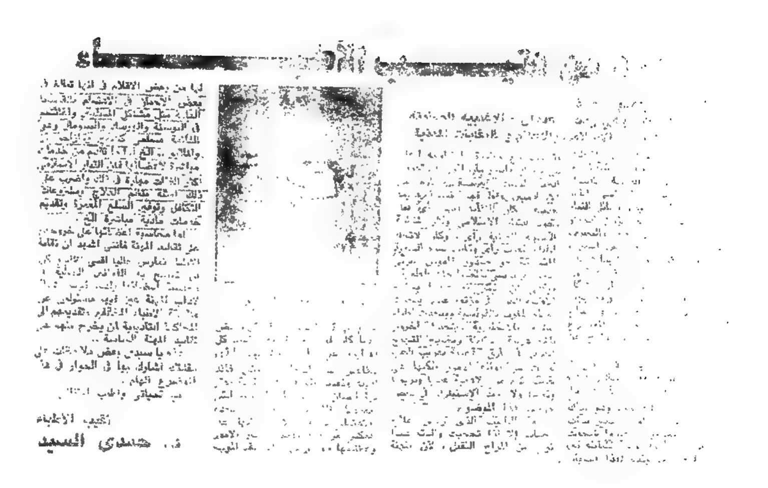
ويا ـ لست ـ سيدى.. أن تترك زوجتك، أو ابنتك، أو شقيقتك.. أو أى من محارمك تظهر بلا حجاب أو حتى بلا ثياب فأنت حر، وأنت وحدك تحمل وزرهن.. وأن تقبل على نفسك أن تسير إحدى محارمك تصول وتجول وهى ترتدى اللاثياب المسمى بـ «الاستريتش» فأنت أيضاً حر.. لكن «تصعق» عندما تقرأ أن مجلس نقابة المحامين سيطلب من المحاميات أن تتحجبن لتكونن أكثر وقاراً وهيبة.. فهذا هو الأمر «المصعق» لنا جميعاً.. ومع ذلك فهو ليس أقل من قرار وزير التعليم المدعو حسين كامل بهاء الدين بإحالة مديرة مدرسة للتحقيق لأنها طلبت من تلميذات مدرستها التحجب!! رغم أن وزارته اسمها «التربية» والتعليم، ومدير المدرسة قامت بأداء رسالتها التربوية العظيمة فى فرض التحجب عليهن، فأحالوها للتحقيق(!!) وقالوا أنها تعتدى على الحرية الشخصية. وإذا كانت هذه الأمور تسمى «حرية شخصية» فتعاطى المخدرات أيضا «حرية



الدكتور … سرور

قيادات حزب العمل

الأستاذ



خدمات مادية مباشرة الخ .

نقيب الأطباء

د . حمدي السيد

شخصية».. ومحترفة البغاء «حرية شخصية» ذلك أن متعاطى المخدرات يشتريها من ماله، ولا يضر أحداً غير نفسه.. ومحترفة البغاء لا تضر بالغير وشرفها هى حرة فيه!!

نترك من يلبسن ربع ثياب.. ومن يلبسن هذا الشىء المسمى «الاستريتش» فى زمن تحول فيه الأيام الصعبة والظروف الاقتصادية الشباب عن الزواج والتحصن، يثيروا بالطبع هؤلاء.. فتقع الجرائم وتنتشر الفوضى.. ومع ذلك نحارب من تلبسن الحجاب.. ونمنع من تلبسن النقاب، ونهاجم من يتمسكن منهن بالفضيلة؟!..

فى مقالك ياسعده.. أرجعت كل شىء «حلو» فى هذه البلد إلى أنه تم بضغط من الجماعات الإسلامية، وغفلت الواقع الذى يدحض ما تقول.. فكل النقابات فى يد المخلصون لإسلامهم.

ووصلوا إليها عن طريق انتخابات حرة بعيداً عن كمبيوترات وزارة الداخلية، حتى توبة بعض النقابات أرجعتموها إلى تعرضهن لضغط من هذه الجماعات.. ولو كان ما يقال فيه شىء من المنطق، لكانت كل الفنانات تبن إلى الله تعالى.

لكن - بكل أسف - لاتزال غالبيتهن تمارسن المجون، وتتاجرن بأجسادهن فى الدول العربية، وتقولون «بملو الفم» أن الفن رسالة.. والدين يسر.. وساعة لقلبك وساعة لربك.. وقول ياباسط.. وكله ماشى..

ها وقد علمت أن تعريب الطب مطلباً قديماً وراءه دوافع علمية، وليس بضغط من الجماعات الإسلامية، وها قد علمت أن الإعلام لا تتحكم فيه هذه الجماعات، ولكن القائمين عليه مازالوا يحافظون على القيم والفضائل.. وها قد علمت أن الجماعات الإسلامية تعمل بنظام.. فماذا تقول؟!!

يا - لست سيدى - أضف إلى معلوماتك:

ما حدث فى إيران أو فى الجزائر أو فى غيرها من الدول التى وصل فيها الإسلاميون إلى الحكم، هو نتيجة لخطط صهيونية محكمة.. فعندما نجحت الثورة الإسلامية فى إيران دفعتها الصهيونية العالمية فى حرب مع العراق استمرت ٨ سنوات، وساعدوا العراق بقدر ما استطاعوا لينتصر على إيران، وقد حدث، ولما انتهت الحرب

وجدوا أن العراق أضحى قوة تهدد أمن الصهاينة.. فدمروه، وما حدث فى الجزائر أيضاً هو نتيجة فتنة صهيونية، لأن الإسلاميون لا يسببون مشاكل إذا حكموا، لكن المشاكل تأتى من الخارج عن طريق عملاء الداخل.

واضف إلى معلوماتك أيضاً ياسى إبراهيم، أن الحرب بيننا وبين الغرب ـ ويمثلها إسرائيل ـ هى حرب عقائدية فى المقام الأول والأخير.. فهى ليست صراع على أرض أو مياه أو أمن، بل حرب عقائدية فى المقام الأول والأخير.. فهى ليست صراعاً على أرض أو مياه أو أمن، بل حرب عقائدية محضة، ولابد أنك قد عرفت أنه بعد انتهاء حرب تدمير العراق خرجت المظاهرات فى أمريكا وأوروبا ترفع شعار «الآن انتهت الحروب الصليبية»، وهى نفس العبارة التى قالها اللورد اللنبى حينما دخل القدس عام ١٩١٧ وأضاف بعدها «... وغداً تصل رأس الحية لذنبها».

الغرب قد يساعدنا على إقامة وحدة عربية، وأمامك الجامعة العربية، فالذى شجع على إقامتها هم الإنجليز ذاتهم، ذلك أن الوحدة العربية فى النهاية ستخضع لمنهجهم، لكن الوحدة الإسلامية فهى لها منهجها المستقل، الباقى منذ ١٥٠٠ عام.. ولذلك فمن الطبيعى أن يسدوا كل الطرق التى تؤدى إلى هذه الوحدة.. ويملأوها بالمتفجرات.. وعندما أقول أن السادات أصاب لأنه تفاوض مع اليهود كأمر واقع، أقول لك أن الصليبيين مكثوا فى القدس ٨٨ سنة من سنة ١٠٩٩ إلى سنة ١١٨٧م، ولم يتعامل معهم صلاح الدين كأمر واقع، رغم أنهم عاشوا بها قرناً من الزمان، وأقاموا بها المدن والمستعمرات، حاربهم بإيمان قوى بالله أن ينصره، فنصره، ودحرهم..

وغداً.. سوف يأتى «صلاح» جديد ليحرر بيت المقدس من دنس هؤلاء، أحفاد القردة والخنازير.



سـعده.. والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل..

شردوا أخيارها بحراً وبراً
واقتلوا أحـرارها حراً فحراً
إنما الصالح يبقى صالحاً
آخر الدهر ويبقى الشر شراً

• خليل مطران •

الصحفى الأوحد

فى العدد ١٨٩٨ من أخبار اليوم الصادر فى ٢١ مارس ١٩٨١، كتب سعدة عن أستاذ الأساتذة، الصحفى الفذ العملاق محمد حسنين هيكل، تحت عنوان «اللهم لا شماته» يقول:

«............................ ويأتى حاكم جديد لا يؤمن بالصحفى الذى يتعدى حدود مهنته! ولا يسمح بوجود «الصحفى الأوحد» فى الدولة ولا يوافق على أن تنفرد صحيفة معينة بأخبار الدولة، ويمنع غيرها من النشر! ولا يقبل أن يتطوع أحد الصحفيين بكتابة خُطبة، ورسائله، أو يحدد إتصالاته ومقابلاته! فهو - أى الحاكم - يتعامل مع الصحفيين بنفس المعاملة.. ولا يسمح لواحد منهم بإبعاد غيره ليبقى وحده فقط!

عندما يحدث التغيير، فإن صاحبنا يصاب بالشلل. ويصاب بالخبل! ويفقد سيطرته على تصرفاته، وعلى كلماته! ولا يستطيع أن يعمل كما يعمل غيره! ولا يستطيع ان يكتب كما يكتب باقى

[illegible]
خطبه ، ورسائله [illegible]
[illegible] الحاكم - يتعامل مع الصحفيين بنفس المعاملة . ولا يسمح لواحد منهم بإبعاد غيره ليبقى وحده فقط !

عندما يحدث هذا التغيير ، فإن صاحبنا يصاب بالشلل . ويصاب بالخبل ! ويفقد سيطرته على تصرفاته وعلى كلماته ! ولا يستطيع أن يعمل كما يعمل غيره ! ولا يستطيع أن يكتب كما يكتب باقى الزملاء ! [illegible] « الرأس الأوحد » بعد أن سلب منه منصب « الصحفى الأوحد » [illegible] وكل الامتيازات التى تمتع بها من سابق [illegible] وكل مكاسب الماضى [illegible] العهد الجديد !

[illegible] ما ارتكبه فى حق نفسه ، وحق الزملاء الذين أبعدهم ، وبطش بهم [illegible] وأبعدهم عن مهنتهم . وفى رأيى أن الرجل مسكين [illegible] والذى [illegible] الزمن [illegible] باصله [illegible]

[illegible]

الزملاء! فتسوء أحواله، وتطيش تصريحاته، ويملأ قلبه الحقد، ويصبح «الرافض الأوحد» بعد أن سلب منه منصب «الصحفى الأوحد»! فكل ما يراه أمامه يرفضه! وكل الانجازات التى تحدث، من سابق تفكيره! وكل سلبيات الماضى، يسأل عنها الحكام الجدد.

البعض يتشفى فى صاحبنا. والبعض الآخر يحمله مسئولية ما ارتكبه فى حق نفسه، وحق الزملاء الذين ابعدهم، وبطش بهم، وخرب بيوتهم، وقصف أقلامهم، وأبعدهم عن مهنتهم.

وفى رأيى أن الرجل معذور، فالذى شهده، والذى عمله، والذى وصل إليه. فى غفلة من الزمن، والقيم، والقانون. افقده الصلة بحاضره، كما سبق وأفقده الصلة بأصله الذى تنكر له! إنه يحتاج إلى العطف، أكثر من أى شىء آخر!

●●●

هكذا.. جاء زمن وتطاول فيه هذا السعدة على أستاذ أساتذة من علموه..

فهيكل ـ كما سنعرف فيما بعد ـ كان هو الصحافى الأول بمصر قبل قيام ثورة يوليو التى ينسب الحاقدون نجاح هيكل إليها.. كان هيكل صحافى له شأنه، فى وقت كان فيه هذا الابراهيم يلبس «الشورت» ويلعق «المصاصات» فى طور «التهشيك»!!

وهو ينسب إلى الاستاذ هيكل أنه كان وحده ـ وصحيفته ـ منفرداً بأخبار الدولة عما سواه من صحافيين وصحف، وردنا على ذلك هو أن نحيل القارىء للجريدة التى أصدرها السادات باسم «مايو» لنرى كيف كانت تنفرد بنشر أدق الأسرار المتعلقة بشئون الدولة فى الداخل والخارج، وما كانت تنشره يعجز أى مخبر صحفى عن الحصول عليه أو نصفه أو حتى ربعه!!.. راجعوا «مايو» منذ عددها الأول الصادر فى ٢ مارس ١٩٨١ حتى عددها الثانى والثلاثين الصادر فى ٥ اكتوبر ١٩٨١.. طالعوا هذه الأعداد.. ستجدون عجبا.. فى كل عدد هناك حديث لرئيس الجمهورية مع رئيس التحرير المدعو إبراهيم سعدة.. ستجدون فى كل عدد أخباراً تنفرد بها الجريدة عن كل الصحف.. ومن ذلك على سبيل المثال، ما انفردت به مايو فى عددها الرابع الصادر فى ٢٣ مارس ١٩٨١، حينما نشرت خبر الافراج عن على صبرى، ومحمد فايق، وفريد عبدالكريم، الذى كان سيتم فى ١٥

مايو ١٩٨١ ، انفردت هى بنشره قبل موعده بشهرين.. كما كانت تنفرد بنشر أخبار تحركات «الرئاسة» قبل موعدها بمدد زمنية واسعة.

لقد صنع السادات هذا الابراهيم، ووضعه على حجره، وجعله أحد رجاله الذين «يداديهم» و«يهشكهم».

ونعود إلى كتابات هذا السعدة عن الأستاذ هيكل.

حكاية هيكل

فى العدد ١٩٢٣ من أخبار اليوم، الصادر فى ١٢ سبتمبر ١٩٨١، كان مانشيت الصحيفة الرئيسى كلمة واحدة فقط هى:

«نعــــم»

وكان السطر الثانى للمانشيت هو:

«٩٩.٤٥٪ من الشعب يؤيدون قرارات الرئيس لحماية الوحدة الوطنية».

ونشرت الصحيفة كل ما أملته عليها سلطات النظام الحاكم، والأرقام المحبوكة التى كان يخترعها كمبيوتر وزارة الداخلية، عن ما أسموه «استفتاء» فى عهد أسوأ وزير داخلية عرفته مصر، وهو النبوى اسماعيل، الذى كان أحد أضلاع هذا النظام الفاسد الذى ابتليت به مصر فى تلك الفترة، والذى حكم الجبهة الداخلية بالحديد والكرباج، وزور شهادة الملايين من أبناء مصر، فى استفتاءات وهمية، وانتخابات مسرحية، سيسأل عنها أمام الحق سبحانه وتعالى عندما يلقاه.

فى هذا العدد «التاريخى» من أخبار اليوم، كتب سعده مقالاً عن العملاق الكبير محمد حسنين هيكل، رداً على الصدى الإعلامى العالمى الذى حدث فى أعقاب إعتقاله، وحرص سعدة على أن يقول أنه «متحفظ عليه» ولايريد أن يستخدم اللفظ الذى يعبر عن الحقيقة، وهو «اعتقال» لأن هناك فرق كبير بين التحفظ والاعتقال، فالتحفظ أجراء بمقتضاه أن يبقى الشخص داخل نفس المكان المقيم به دون السماح له بمغادرته، أما الاعتقال فهو إلقاء القبض على أى إنسان واتهامه بدون دليل، ووضعه فى السجن، ثم

... المشى أن أعثر على مقال واحد لحسنين هيكل ، هاجم فيه أحد حكام مصر ، منذ أن بدأ يحترف الصحافة ، وحتى اليوم الذى طرد فيه من رئاسة تحرير صحيفة « الأهرام » . أقول أخشى أن أعثر على مثل هذا المقال ، وذلك لأننى أثق فى أن الصحفى الكبير لم يجرؤ طوال حياته الصحفية المديدة — والمريرة — على أن يهاجم مسئولا فى الدولة ، أو ينتقد — مجرد النقد — أحد الذين يملكون تقديم المكافأة وتوقيع العقاب ! حتى فى سنوات ...

[illegible]

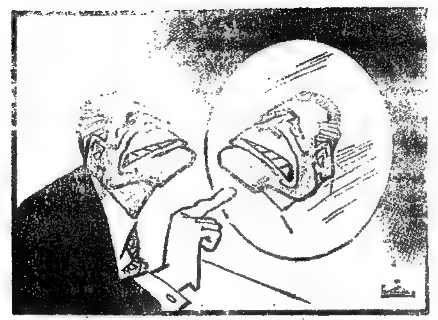
ولهذا ... [illegible] ... من بين زملائه ... [illegible] ... بمستوى ... [illegible] ... الصحفيين الذين ... [illegible]

الموقف السياسى

[illegible]

... الأحداث التى تعلق ، بزعيمه ، ورئيسه ... والفرحة التى ملأت ... !

... لا يجد — الآن — من يصدقه ... انكشفت شعاراته ، وانكشفت نزاعته ، وتهاوت ... موقف صعب ، لا يحسد عليه ! مصر كلها ... بعد سنوات طويلة ... باليوم الذى عادت فيه سيناء الى ... والضياع ، ومريرة ، من الاحتلال ، ... عادت سيناء سلما ، بعد أن ... عادت ارضنا دون أن نفقد فيهما قطرة ... الى طوفان الدم الذى سال فى ... حرب ١٩٦٧ .



هيكل : أنا لا كلبت ولا شنصت ولا اختلفت .. أنا بصيت في المراية ووصفت اللي شفته بالضبط .. !

ماذا جرى بعد التحفظ على هيكل ؟!

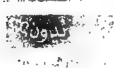
الاسكندرية من محمد شاكر :

ماذا حدث لحظة ابلاغهم بقرار التحفظ .

دخل ضابط الشرطة الى منزل محمد حسنين هيكل في العشاطئ بالاسكندرية وابلغه بقرار ضبطه واحضاره .. فاستفسر عن التفسير فابلغ انه قرار بإحالته الى المدعي العام الاشتراكي للتحقيق .



أبو العزا



النظر فى أمره فيما بعد، وهذه الاجراءات تشكل فى مجملها إنتهاكا صارخا للشرائع السماوية، وللقوانين المستقاه منها، وللأعراف السياسية..

إعتقلوا هيكل ضمن عشرات الآلاف التى إعتقلها جهاز الأمن الساداتى الذى كان يرأسه اللواء نبوى اسماعيل، لدرجة أنهم لم يجدوا أماكن فى السجون تسع المقبوض عليهم، فكان يترك بعضهم فى العراء وبعضهم كان يقضى اليوم بليلة داخل سيارات نقل الجنود الخاصة بما يسمى «الأمن المركزى» ذات الشكل المرعب والمنفر.. عشرات الآلاف قال عنهم سعدة أنهم ١٥٣٦ معتقل !!!

اختص سعدة من بين كافة المعتقلين - الأستاذ هيكل، وتحت عنوان «حكاية هيكل» كتب فى موقفه السياسى - بالعدد المشار إليه سلفا - يقول:

«...... لن يبقى مذنب بلا تحقيق، وبلا محاكمة، ولن يظلم برىء، ولن يفلت مذنب هكذا أكد رئيس الدولة أكثر من مرة، فى أكثر من مناسبة ويومها سيعرف الشعب ماذا فعل كل مواطن من هؤلاء الذين شملتهم الاجراءات الأخيرة، التى أيدها الشعب فى الاستفتاء الأخير.

قريبا جدا سيعرف الشعب ماذا فعل احد هؤلاء، محمد حسنين هيكل، الذى اهتم بعض الصحفيين فى الخارج بقرار التحفظ عليه، وتصوروا أن ظلما قد وقع عليه! ولا أريد أن أسبق الأحداث، وأستعجلها.

كما لا أريد أن أختار هيكل وحده، ومن بين ١٥٣٦ متحفظ عليهم، لأكتب عما فعله، وانقلب ضده.. فاننى لا أعرف. حقيقة. ماذا لدى مكتب المدعى العام الاشتراكى من وقائع تدين محمد حسنين هيكل، كما أن من الظلم لباقى المتحفظ عليهم، أن نتركهم، ونكتفى بالحديث عن هيكل، وكأن القضية قضيته هو.. فهذا يعطيه حجما أكبر من حجمه بكثير.

إخترت الحديث عن هيكل، لا لشىء إلا لكى أرد على تلك القلة من الصحفيين الأجانب الذين كتبوا يستنكرون التحفظ على هيكل، ويتساءلون: كيف يقبض على صحفى كبير، لا لشىء إلا لأنه رفض العمل مع الرئيس السادات، وأعلن رأيه المضاد لسياسة الحكومة المصرية؟!

ومن حق هؤلاء الدفاع عن هيكل كما يحلو لهم.

تماما كما من حق الرأى العام أن يعرف حقيقة رفض هيكل للعمل مع الرئيس السادات! فلم يحدث أن رفض هيكل العمل مع الرئيس السادات.. لم يحدث أن أصدر الرئيس قراره بإبعاد هيكل عن «الأهرام» بسبب انتقاداته لسياسة الحكومة المصرية.

فمحمد حسنين هيكل ليس بالشخص الذى يرفض التقرب من صاحب القرار.. أى قرار.. بل على العكس من ذلك كان يحرص - طوال حياته - على أن يتقرب من صاحب القرار، ويستحوذ عليه، ويستأثر به، ويبعد الآخرين عنه.. تقرب من السيدة فاطمة اليوسف، واستطاع أن يكسب ثقتها، وعندئذ عمل على ضرب كل من تصور أنه يزاحمه فى تلك الثقة، حتى إحسان عبدالقدوس - ابن فاطمة اليوسف - لم يسلم من دسائسه! واختلف احسان مع والدته، واضطر إلى أن يترك «روز اليوسف» ويبحث عن عمل فى صحيفة أخرى!

وتقرب هيكل من مصطفى أمين، وعمل تحت رئاسته.. وعندما اكتشف مصطفى أمين كذب الأخبار التى كان هيكل يكتبها، أبعده، وصمم على فصله من «أخبار اليوم» لولا على امين الذى أنقذه وألغى قرار الفصل!

وبعد الثورة، فعل هيكل كل ما فى وسعه للتقرب من جمال عبدالناصر، وكان عبدالناصر يتصل بكبار الصحفيين المصريين، وبسرعة استطاع هيكل أن يتقرب من عبدالناصر، ليصبح رجله الأوحد فى الصحافة المصرية.. فهو كاتبه، ولسان حاله، وقلمه السريع فى تبرير الأخطاء، وتضخيم الإيجابيات، وانكسار السلبيات!

لم يترك هيكل قلما غيره يقول رأيا أو يقدم فكرا.. لم يترك هيكل زميلا له يخشى على نفسه من منافسته إلا وعمل على قصفه.. ولم يترك هيكل كاتبا غيره يحرص القراء على قراءاته إلا وأبعده عنهم.. فهو المسئول الأول - والأخير - عن جميع المصائب التى إنهالت على الصحافة المصرية، والصحفيين المصريين، وكان وراء كل إجراء إتخذه عبدالناصر ضد الصحافة ورجالها.

وما فعله أيام عبدالناصر، أراد تكراره أيام السادات..!!

اراد أن يشارك الرئيس فى مسئولية اتخاذ القرار، أراد أن يستشيره الرئيس فى اى قرار يصدره، وأية سياسة يقدم عليها، وأى إتصال خارجى يفكر فيه!

افزعه أن السادات يتصل بباقى رؤساء التحرير، ويوافق على أن يلتقى بهم، ويسمع إليهم.. ويقرأ لهم! افجعه أن تنشر الصحف المصرية ما ينشره هو فى «الأهرام» من أخبار الدولة التى تعود أن يحتكرها لنفسه ولصحيفته وأرعبه أن يصدر رئيس الدولة قراراً ما، ولا يعلم به قبل اعلانه، ونشره!

ووصل الغرور بهيكل إلى درجة أنه توهم أن لا صحافة بدونه، ولا سياسة من غيره.. ولم يفهم أبداً أن السادات غير عبدالناصر، فى تعامله مع الصحافة والصحفيين، ولم يقبل أن يكتفى بمهنته. كصحفى.. ولا يجمع معها مهنة المشاركة فى كل قرار سياسى! واضطر الرئيس السادات أن يخيره بين العمل الصحفى، أو ترك الصحافة ليسند إليه وظيفة حكومية، سياسية! ثم اضطر الرئيس إلى إبعاده عن الأهرام بعد أن أمهله طويلا، وصبر عليه كثيراً.

ولم يترك هيكل مسئولا، إلا وطلب منه التوسط لدى الرئيس السادات، ليعيده إلى «الأهرام» ولم يترك هيكل مناسبة إلا وإنتهزها ليبدى فيها الندم، على ما فعله،ويطلب العودة إلى قلعته!

ورفض الرئيس أن يعود هيكل الى «الأهرام»..

واقترح عليه أن يعيده إلى العمل بالصحافة.. ويسند إليه مسئولية إصدار المجلة الجديدة التى كان يفكر فيها، والتى صدرت بعد ذلك باسم «اكتوبر» ورفض هيكل الاقتراح، وألح فى العودة إلى «الأهرام» على وهم أن وجوده فى «الأهرام» يعيده ليصبح حكومة داخل الحكومة!.

وهنا تأكد الرئيس السادات من أن هيكل لم ولن يتعلم أبداً من الدرس الذى أعطاه له.. فهو لايستطيع أن يكون صحفيا مثل غيره، ولا يقبل أن يعامل كما يعامل باقى زملائه.. ولا يقنع بالحصول على الخبر،وانما لابد أن يشارك فى صنع هذا الخبر! وفشلت جميع المحاولات التى بذلهاهيكل ومعه جميع من توسطوا له..

أما ماذا فعل هيكل بعد يأسه، فهذا ما سوف يقوله المدعى العام الاشتراكى.. قريباً.

وبعد ذلك بيومين - الاثنين ١٤ سبتمبر ١٩٨١ - صدر العدد ٢٩ من جريدة «مايو»، وانفردت الجريدة بعرض جبال من الأكاذيب لتبرر أفعال السادات الجنونية، نذكر منها هنا ما يخص هيكل: حيث ورد فى صدر صفحتها الأولى عنوان على ثلاثة أعمدة من سطرين هذا نصه:

«لماذا تم التحفظ على هيكل وسراج الدين».

وفى تفاصيل الخبر.. نبحث عن إجابة «لماذا» الواردة فى العنوان، علنا نعرف سبب اعتقاله.. اعتقدنا أن هيكل كان يتآمر لقلب نظام الحكم فاعتقلوه لذلك.. أو كان يخطط لثورة.. أو يتجسس.. أو.. أو.. فإذا بنا عندما نقرأ تفاصيل الخبر نجد هو:

«علمت «مايو» أن محمد حسنين هيكل منسوب إليه أنه إشترك فى إشعال نار الفتنة الطائفية.. كتب هيكل عن التنظيمات والجماعات الاسلامية وتنبأ بأن المستقبل لها..».

!! نعم كانت هذه كل الجريمة العظمى التى ارتكبها هيكل، والتى تتلخص فى ثلاث كلمات تفوه بها: «المستقبل للجماعات الاسلامية»، وخروجا عن الموضوع، فاننا لا نملك إلا أن نُحى وبمنتهى الوقار رؤية هذا الكاتب ذو النظرة الثاقبة.. فنحن الآن - فى عام ١٩٩٣ - بدا لنا واضحا أن المستقبل سيكون لهم بحق..

مواهب هيكل

بعد أن هلل سعدة.. وطبل..وزمر.. وزعرد.. وتراقص.. ودق الصاجات، أثناء حملة السادات التتارية لاعتقال كل الشرفاء بمصر - ومنهم صحافيون زملائه -!!، وجد أن الأمور قد انحرفت على غير ما كان يتوقع.. فلقد قتل السادات.وتولى مقاليد الحكم الرئيس محمد حسنى مبارك.. أفرج فوراً عن كل المعتقلين، وكانوا من صفوة السياسيين ورجال القانون والصحافة والجامعات.. إلخ.

وكان محمد حسنين هيكل فى مقدمة من أفرج عنهم.. وتردد فى ذلك الوقت أن هيكل سيشغل منصبا سياسيا رفيعاً.. ولم يتيقن أحد مما سمعه.. هل له أصل فى الحقيقة؟ أم

مجرد شائعات؟.. لكن المعلم ابراهيم نهض فوراً، وسن قلمه، وكتب مقالا طويلا شغل الصفحة الأخيرة من العدد الرابع والأربعين من جريدة «مايو»، الصادر فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨١، وتحت عنوان «أسئلة إلى محمد حسنين هيكل..!» كتب سعدة يقول:

«.. والأستاذ هيكل كفاءة صحفية واعلامية يشهدها له الجميع.. الذين يحبونه.. والذين لا يحبونه.. فهو صاحب قلم.. يجذبك إلى كتاباته.. حتى ولو كنت ضدها!

وجاذبية قلم هيكل ليست وحدها التى قربته من عبدالناصر فى بادىء الأمر، فعندما قامت حركة دول عدم الانحياز، وكان عبدالناصر أحد أقطابها مع نهرو وتيتو، عقد أول إجتماع لدول تلك الحركة فى مدينة باندونج. ورافق عبدالناصر فى تلك الزيارة عدد من رؤساء تحرير الصحف المصرية.. ولاحظ رؤساء التحرير أن زميلهم هيكل كثيراً ما يستقبله عبدالناصر فى المقر الذى خصص لاقامته.. أثناء المؤتمر، وتصوروا أن عبدالناصر يخص هيكل وحده بالأخبار، فقرروا أن يذهبوا إلى عبدالناصر ليفسر لهم سبب هذا الموقف منهم!

وتولى الاستاذ حسين فهمى هذا المهمة، فسأل عبدالناصر:

- لماذا تخص سيادتك الزميل هيكل وحده بأخبار المؤتمر؟!

واندهش عبدالناصر من السؤال ورد عليه ساخراً: أخبار إيه اللى أنا با أقولها لهيكل؟ دا هيكل هو اللى بييجى يقولى على أخبار المؤتمر! هذه القصة رواها الاستاذ احسان عبدالقدوس، وكان أحد الذين ذهبوا مع عبدالناصر لتغطية مؤتمر باندونج.. وهى قصة تعطى توضيحا سريعاً لجانب من مواهب الأستاذ هيكل التى قربته إلى عقل جمال عبدالناصر، وأفسحت الطريق أمامه إلى قلب عبدالناصر.

والذين تابعو العلاقة التى ربطت عبدالناصر بهيكل، اجمعوا على قدرات هيكل غير المحدودة لخدمة رئيس الدولة إعلاميا، وجماهيريا، وسياسيا، فكتابات هيكل عن عبدالناصر، تمثل قطرة من بحر الخدمات التى كان يقدمها له، وهى خدمات عديدة، ومتنوعة، قل أن تتاح لرئيس الدولة - أى رئيس - من جهاز اعلامى كبير.. فما بالكم اذا قام بها شخص واحد!

....

....

.... كثيرون هاجموا هيكل، بسبب هذا الوضع المميز للغاية الذى تمتع به لسنوات عديدة، وكثيرون انتقدوا الزعيم الراحل عبدالناصر، بسبب ابعاده جميع الصحفيين، مكتفياً بهيكل.. ولكن الذين عرفوا أبعاد الصلة بين عبدالناصر وهيكل، وعرفوامواهب هيكل المتعددة، وعرفوا نجاحه فى إقناع مصادره الاخبارية، وجدوا تبريرا معقولا، وتفسيرا مقبولا لهذه المكانة التى احتلها.

ومن الظلم ان نحمل هيكل مسئولية اختياره لمنصب الصحفى، والكاتب، الأوحد..!

فالصحفى لا يستطيع ان يفرض نفسه، ويختار موقعه بالقرب من مصدر أخباره، إلا إذا وجد قبولا من هذا المصدر أولا.. والكاتب لا ينجح فى احتكار فكر رئيس الدولة، بحيث يكون معبراً عنه، ومفسراً لقراراته، وشارحا لسياسته، ومنبها لطموحاته، ومبررا لأخطائه، مالم يعطه رئيس الدولة هذا الحق أصلا.

....

....

....

هكذا..!!

هكذا، وبكل بساطة انقلب رأى سمعدة فى الأستاذ هيكل بزاوية ١٨٠ درجة، لمجرد أن ترددت إشاعة بأن هيكل سيتولى منصبا رفيعا فى الدولة!!

ففى أخبار اليوم ١٢ سبتمبر ١٩٨١كان هيكل متملقا.. متزلفا.. دساسا.. غير كفء.. أخباره مفبركة.. المسئول عن كل المصائب التى حلت بالصحافة المصرية.. إلخ مما هو منشور سلفا.. أصبح هيكل فى «مايو» ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ . وبعد شهرين ونصف فقط. أصبح رجلا يغنى عن جهاز اعلامى بالكامل.. ورجلا لا يمكن أن يستغنى عنه «أى رئيس» وهو لم يكن ليفرض نفسه على عبدالناصر لولا كفاءته النادرة..!

يا رياه..!!



لمجرد أن ترددت إشاعة بأن هيكل سيعود لممارسة عملا سياسيا فى ظل النظام الجديد.. إنثنى قلم سعدة على نفسه.. فنثر الكلم وردا فى جيد صحيفته غزلا فى هيكل.. ورسم بالأحرف والفصلات أجمل صورة يتمناها أى صحافى فى العالم لنفسه!!

صاحب الكلمات الطائشة

ومرت الأيام..

واتضح أن ما تردد كان مجرد اشاعة لا أساس لها، وتأكد سعدة من أن الاستاذ هيكل لن يدخل فى عباءة النظام الجديد.. فعاد يشتم من جديد فى الأستاذ هيكل.

● صدر العدد ١٩٤٨ من أخبار اليوم فى ٦ مارس ١٩٨٢، وجاء هذا الخبر فى الصفحة الأولى:

«هيكل.. كالعادة!

سألت مجلة الحوادث اللبنانية محمد حسنين هيكل. الموجود فى لندن الآن. هل قابل أنور السادات بعد رحلته التاريخية إلى القدس، فقال هيكل بالحرف الواحد: «أبداً.. وأثناء تقبل العزاء فى وفاة شقيق سيد مرعى، وقف السادات يتقبل التعازى باعتباره واحداً من أفراد العائلة، فانسحبت أنا، ولم أقدم تعزيتى لأننى كنت أرفض أن أصافح اليد التى صافحت بيجن!»

● وتحت هذا الخبر علق سعدة عليه، ولكن باسم «أخبار اليوم» فقال:

«الذى نعلمه أن هيكل كان يلح فى مقابلة الرئيس الراحل أنور السادات، وهناك شهود أحياء وسطهم هيكل لدى السادات ليقبل مقابلته.

والأغرب من هذا أن هيكل الذى يزعم أنه لا يصافح اليد التى صافحت بيجن، نشرت صوره. أخيراً. وهو يصافح العديد من المسئولين المصريين الذين صافحوا بيجن، وشد هيكل على أيديهم بحرارة!»

● ولم يكتف سعدة بذلك بل كتب فى نفس العدد (١٩٤٨) بموقفه السياسى، فى الصفحة الثامنة عن الأستاذ هيكل يقول:

«.......... واختلف الأمر مع ما قاله هيكل..!

فالزميل الأستاذ محمد حسنين هيكل أدلى بحديث لصحيفة صنداى تايمز. البريطانية. تحدث عن رأيه فى قضايا مصرية، وعربية، وعالمية وهذا حقه.

ولكن الذى لا حق له فيه أنه تعرض لمحاكمة قتلة السادات، فأدلى بآراء لا أعرف كيف غابت عن فطنته، ولا أدرى كيف سكت عنها الذين ثاروا، وغضبوا على الأستاذين أنيس منصور وموسى صبرى عندما اتهموهما بالتدخل فى القضية، ومحاولة التأثير على المحكمة، وطالبوا بالتحقيق معهما!

فببساطة منقطعة النظير أفتى الأستاذ محمد حسنين هيكل بأن الرأى العام المصرى يتعاطف مع قتلة الزعيم الراحل أنور السادات، وأنه ينظر إليهم كأبطال وطنيين، ثم كانت الطامة الكبرى عندما أصدر هيكل «قراراً جمهورياً» يجعل اليوم الذى سيعدم فيه قتلة السادات يوماً أسوداً، حزيناً، فى مصر كلها!

ولم ينزعج المنزعجون لهذا القرار الهيكلى..!

ولم يهب واحد ويطلب من المحكمة العسكرية ان تأمر بالتحقيق مع محمد حسنين هيكل الذى لم يكتف باصدار الفتاوى، والقرارات الجماهيرية، والجمهورية، وانما أراد أن يرهب المحكمة، فحذرها من ان تصدر حكمها بإعدام من تثبت جريمة القتل ضده، حتى لا يغضب شعب مصر كله، فتنكس الأعلام، ويخرج الناس إلى الشوارع يبكون، ويلطمون الخدود، فى هذا اليوم الحزين، على حد تعبير الأستاذ هيكل!

ولم يحدث أن أعارت النيابة العسكرية أدنى أهمية لتصريحات هيكل.. فما قاله. على الرغم من انه يوقع به تحت طائلة القانون. لا يستحق مجرد الاهتمام، أو اضاعة الوقت فى استدعائه والتحقيق معه.. فلدى المحكمة امور أخرى أكثر أهمية وأكثر مسئولية، من كلمات طائشة، لا يمكن أن تصدر عن مواطن يقدر مسئولية الكلمة التى ينطقها، والقرار الذى يصدره!»

.. هكذا !!



هيكل ـ انا مسوش عارف الناس زعلوا قوى ليه المرة دى مع انى طول عمرى باكتب بالحبـــــر ده او او الحبر ده .. !



هيكل ـ انا [illegible] في القلم اللي باكتب [illegible] .. !

نعم هكذا.. !! عاد سعدة للتطاول على الاستاذ هيكل، وينعته بأن كلماته طائشة، ويلمح إلى النيابة العسكرية لأن تستدعيه وتحقق معه.

وأصل الحكاية.. أن الزمارين الكبيرين أنيس منصور - وهو حى يرزق - وموسى صبرى - وقد إنتقل إلى الأمجاد السماوية - كانا قد تطاولا على قتلة السادات وهم قيد المحاكمة، واعتبرت هيئة الدفاع عنهم أن ذلك تدخلا فى شئون القضية المعروضة على القضاء.. ويؤثر على خط سيرها الطبيعى.. وهذا عرف معمول به فى كل أنحاء العالم.. لكن العكس امر مقبول، بمعنى أن يتكلم الاعلام لصالح متهم، والا فماذا يقول فى الاعلام العالمى الذى انحاز الى الفدائية الجزائرية جميلة بوحريد، أو الذى انحاز الى المناضل الأفريقى نلسون مانديلا؟!

ومع ذلك ، فان ما أقدم عليه الأستاذ هيكل لا تمتد اليه مظلة الحظر المعنى فى القضية المذكورة، لأن هذه التصريحات نشرت فى جريدة أجنبية، تصدر بلغة أجنبية، وفى دولة بقارة أخرى، ومن الصعب أن تقع تحت أيدى هيئة المحكمة، فى حين أن الحظر المفروض يشمل الصحف ووسائل الاعلام المحلية فقط.

ونستطرد ونقول:

أن المدعو سعدة يعلم جيدا أن مقتل السادات كان رد فعله لدى الشارع المصرى والعربى أن قابله بالافراح، والزغاريد، واطلاق الرصاص فى الهواء، وهو يعلم ذلك جيداً .. وهو وكل كائن بمصر - والعالم - يعلم أن يوم مقتل السادات كان فرحاً اسطوريا فى مصر لم يخمله الا القرارات التعسفية باغلاق دور السينما واللهو، والحدائق العامة، ليفرضوا الحزن فرضاً على جماهير الشعب.

إن فرحة أفراد الشعب بمقتل السادات انعكست على سلوكياتهم، فهذا زوج راح يسترد طليقته ليلم شمل اسرته فرحة بالحدث، وهذا أب اشترى لابنه جهاز فيديو فرحاً بالحدث، وذاك ميسور تصدق بالآلاف فرحا بالحدث، وصاحب كشك مثلجات فقير سقى ما لديه من زجاجات المياه الغازية للجماهير مجانا فرحاً بالحدث.. إلخ.

وأيضا - يا أيها السعدة - فأنت تعلم ان العالم العربى كله كان متعاطفا مع قتلة

السادات، تماما كما تعاطف الاحرار فى كل العالم مع سليمان الحلبى، قاتل كليبر.. تعاطف الكل مع قاتل السادات، وقالوا «خالد قتل مسيلمة».

تعلم ذلك جيداً يا سعدة.. وستقف يوما بين يدى الحق لتشهد بأن مصر كانت على غير ما تكتب.. كانت «فرحة» بمقتل الطاغية.

خريف الغضب

وجاء عام ١٩٨٣ ...

واستقبل الوجود قنبلة هيكل التى هزت العالم العربى.. «خريف الغضب»، الكتاب الذى كتبه الاستاذ محمد حسنين هيكل، عن أيام السادات الأخيرة، وتناول فيه جذور السادات البيئية التى دفعته لأن يتصرف وكأنه «رقّاص» وليس حاكم دولة، يرتدى البنطلونات الفوشيا، والقمصان الشفتشيه، ويتنقل بين أكثر من ٣٠ قصر فى شتى أنحاء مصر، ويبيع فى مصر وكأنها ضيعة ورثها عن أبيه، ثم يجرجر صفوة أبناء مصر الى السجون.. كان يلعب بمصر «ملك ولاً كتابة»، فخرق كل الشرائع والقوانين والأعراف..

وتضايق الرئيس مبارك من كتاب هيكل، نظرا للعلاقة الشخصية التى كانت تربطه بالسادات، ولم يكن مثل السادات الذى أطلق لنباحيه الحبل، ينهشون فى جمال عبدالناصر.. بل كان وفيا ـ ومازال ـ له، رغم أنه لا يستحق منه هذا الوفاء..

ولما إستشعر سعده أن الرئيس مبارك غير راض عن كتاب هيكل.. لم يضيع الفرصة، فهب مزمجراً.. متعنترا.. وأمسك سيفه متعدد الجنسيات، وخرج علينا فى العدد ٢٠٠٨ من أخبار اليوم، الصادر فى ٣ أبريل ١٩٨٣، بمقال على ثلاثة أعمدة فى صدر الصفحة الأولى، كان عنوانه «شجاعة هيكل».. كتب فيه:

«كم أتمنى أن أعثر على مقال واحد لمحمد حسنين هيكل، هاجم فيه أحد حكام مصر، منذ أن بدأ يحترف الصحافة، وحتى اليوم الذى طرد فيه من رئاسة تحرير «الأهرام».. أقول أتمنى أن أعثر على هذا المقال، وذلك لأننى أثق فى أن الصحفى الكبير لم يجرؤ طوال حياته الصحفية المديدة . والمريرة . على أن يهاجم مسئولا فى الدولة، أو ينتقد . مجرد النقد . أحد الذين يملكون تقديم الثواب، وتوقيع العقاب! حتى فى سنوات إزدهار

محمد حسنين هيكل. خلال فترة حكم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر. لم يكن فى استطاعة هيكل أن يهاجم وزيراً، أو حتى نائب وزير إلا إذا طلب منه ذلك، وبموافقة مسبقة من عبدالناصر شخصيا!

ولهذا السبب كان هيكل الوحيد. من بين زملائه. الذى لم يقبض عليه، ولم يسجن، ولم يرفت من وظيفته! جميع الصحفيين عملوا معه، ذاقوا عذاب السجن، وتعرضوا للجوع والحرمان، نتيجة لمواقفهم، ومقالاتهم، ورفضهم، ونقدهم.. هيكل هو الأوحد الذى كان بعيداً عن هذا كله، نتيجة لحيطته، وخوفه، ومهادنته لكل من يحمل سيفا، وكل من يملك جولا أو طولا!

واختلف الأمر مع الرئيس الراحل أنور السادات.. فبمجرد أن أصدر الرئيس السادات قراره بطرد هيكل من قلعته «الأهرام» أمسك الصحفى الشجاع بقلمه، وحوله إلى خنجر مسموم يهاجم به السادات، ونظامه، وسياسته، فى الصحف الأجنبية التى كانت ترى فى شخص السادات خطراً على مصالح بلادها، وتهديدا لمخططاتها فى مصر والمنطقة بأكملها! لم يترك هيكل فرصة أتيحت أمام خنجره المسموم إلا إنتهزها ليمارس شجاعته، ويطاحن بها الرجل الذى استطاع بجرة قلم أن ينتزعه من «الأهرام» ليصبح فى الطريق، عاريا، ضعيفا، وضئيلا! لم يترك نقيصه إلا ألصقها بالرئيس الراحل.. لم يترك جريمة ارتكبت فى حق مصر، إلا اتهم بها السادات، ولم يترك مصيبة لحقت بالأمة العربية، إلا أكد مسئولية السادات عنها!..

....

«..

عاد هيكل ثانيا فى قلم أبوسعدة إلى صورة زمان.. الصحفى المطرود.. المنافق.. الذى لا يتحرك إلا بالاشارة..

ألا يستحى؟؟.. ألا يرى نفسه وكيف ينقلب بزاوية ١٨٠ درجة فى كل «البلاوى» التى يتعرض لها؟؟!!

إن صاحب هذا القلم «سبة» فى جبين الصحافة منذ أن عرفها الإنسان، ولم يعرف

تاريخ الصحافة من لعق بلاط بالدرجة التى انحنى بها سعدة.. وهو شخصيا يعلم ذلك.. واعترف بهذه الحقيقة فى عددى أخبار اليوم ١٩٦٣ و١٩٦٤ وبرر ذلك بأن لكل جريدة خط يجب أن يلتزم به الصحفى..

إستحى يا رجل.. وتذكر ما كتبته سلفا، قبل أن تنقاد كالأعمى تنفذ أوامر أسيادك.

ومن هو السادات الذى كان يهدد مصالح الدول الأجنبية ويفسد مخططاتها؟؟!!.. أضحكتنى يا رجل!!

السادات الذى فتح مصر للصوص العالم شرقا وغرباً؟؟ أم السادات الذى أطلق اليهود اسمه على أحد شوارع تل أبيب؟؟!! أم هو ذاك الذى أُغلقت فى عهده مصانع المعدات الثقيلة، وأفلست شركات القطاع العام، وباتت مصر فى عهده تستورد ٨٥٪ من حاجاتها من القمح؟؟ أم هو ذاك الذى تقلصت الرقعة الزراعية فى عهده من ٦,٢ مليون فدان إلى ٥,٤ مليون فدان؟؟

اى مخططات أجنبية أفسدها السادات؟؟!!

يارجل: قل الحق..

قل أنه نفسه الذى نفذ مخططاتهم، واختصر عليهم الوقت، والجهد، والمال، والدم.. حقيقى هو وفر عليهم كل ذلك.. ومن أجل ذلك، كان حقه عليهم أن يصفقوا له، كما هو واضح فى الصورة التى تصدرت مقالك، والتى يظهر فيما الممثل الأمريكى رونالد ريجان يصفق لنظيره المصرى أنور السادات.. والتى نشرتها كدليل دامغ على مكانة السادات.. ليتك بالمرة كنت تنشر صورته وهو يقبل روزالين كاتر!!!.. ولم يكتف سعدة بمقاله ـ المؤدب جدا ـ ضد هيكل بل أفرد فى نفس العدد صفحتا ٤ و ٥ للرد على هيكل من على لسان بعض الشخصيات التى تمسحت فى بلاط السادات، أو التى ليس لها اى وزن، وأقطع بأن ٩٠٪ من هؤلاء لم يقرأوا كتاب هيكل، لكنهم تطاولوا عليه من باب «النقوط» فى عرس جديد صممه سعده لشتم العلامة القدير، وتطاول سعدة بأسماء مستعارة على الأستاذ هيكل من خلال باب «عزيزتى أخبار اليوم»، وظهر فى كل صفحة رسما كاريكاتيريا للأستاذ هيكل على سبيل الاستهزاء وفى صفحة «٨» أيضاً من ذات العدد من أخبار اليوم

(٢٠٠٨) كتب سعدة فى موقفه السياسى مقالا بعنوان «فلاسفة الهزيمة» كال فيه المديح والاطراء للسادات، وصب فيه كل اللعنات على الثورة، ورجالها، ومسيرتها.

مستشار السوء

ولم يكتف سعدة بذلك..

بل عاد وأعاد نشر ما سبق أن نشره فى جريدة «الشرق الأوسط» السعودية عام ١٩٧٩ عن الأستاذ هيكل، وهى موضوعات كانت الدعامة الأساسية فى الجسر الذى وصل بسعدة لمنصب رئيس تحرير أخبار اليوم.

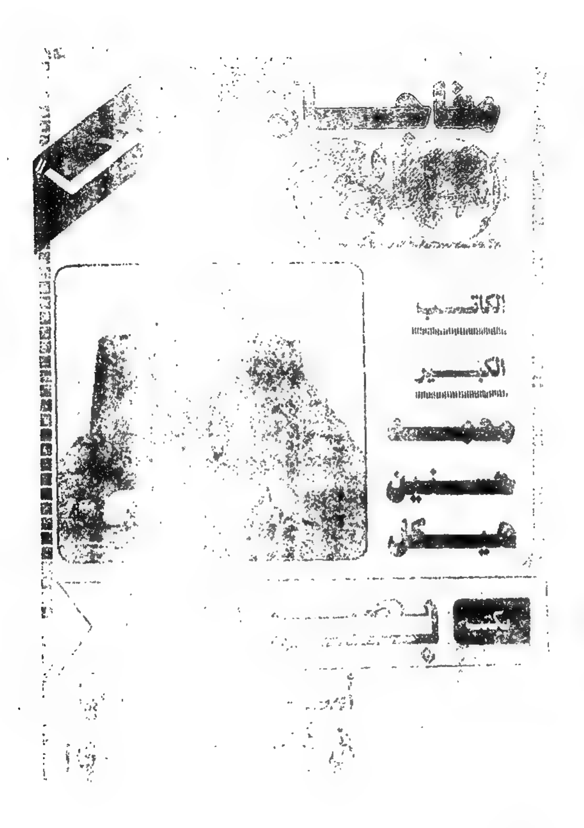
عاد سعدة فى عدد أخبار اليوم رقم ٢٠٠٩، الصادر فى ٣٠ ابريل ١٩٨٣، ونشر ما أسماه «مستشار السوء»، وكتب أنها «صفحات من كتاب جديد يصدر قريبا».. والمعنى هنا هو الأستاذ هيكل.

وبصرف النظر عن أننا لم نر هذا الكتاب الخالى تماماً من أى مادة، فهو عبارة عن تسجيل لوقائع قضية إتهام مصطفى أمين بالتجسس لحساب أمريكا، والتى تعرض لها الأستاذ هيكل فى مؤلفه «بين الصحافة والسياسية».

خرج علينا سعدة بالحلقة الأولى من كتابه هذا «مستشار السو» ولم نقرأ فيها سوى مرافعة محامى مصطفى أمين عنه أمام المحكمة فى القضية المعنية، ثم كلام مرسل وكثير تفهم منه أن الرجل الذى كان اسمه «جمال عبدالناصر» رئيس الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها مصر وسوريا، ورئيس منظمة الوحدة الأفريقية، والذى كان يحمل على عاتقه هموم الوطن العربى بالكامل، والذى كان يعمل ٢٤ ساعة فى الـ٢٤ ساعة.. هذا الرجل لم يكن له «شغلانه» سوى محاربة مصطفى أمين.. آى والله!!.. دا كلام عمنا سعدة.

ان عبدالناصر كانت مهمته الوحيدة، و«شغلانته» هى محاربة مصطفى أمين!!

.. ولا يريد أن يعلم أن عبدالناصر هذا كانت له «شغلانة» أخرى، وهى محاربة المدعو أنيس منصور!!.. لأن هذا الأنيس وقتها - ذو الخمس وثلاثين سنة أو أقل - كان عميد الصحافة العالمية.. وكان يشكل خطراً محدقا، وشرا مستطير على عبدالناصر، كان هو


الكاتب
الكبير
محمد
حسنين
هيكل

الآخر زعيما شعبيا خاف منه عبدالناصر فأقصاه.

يذكرني ذلك بتلميذ «فاشل» يرسب كل عام، فإذا سألوه عن سبب رسوبه يقول أن الوزير يضطهده!!.. أليست نكته مضحكة حقا أن يدعى صحافى لم يكن له اى اسم ان عبدالناصر كان يضطهده، رغم أنه كان - وظل - يرفع يده فى وضع «تعظيم سلام» لعبدالناصر حتى عام ١٩٧٣!!!

نعود إلى عمنا سعدة..

ففى ذات العدد من أخبار اليوم (٢٠٠٩) كت مقالا فى «المواف» السياسى بالصفحة الثامنة بعنوان «بعيداً عن الغضب..!» وكان أيضاً «وصلة» شتائم لا بأس بها فى هيكل، والثورة، وعبدالناصر!!.

وبجوار هذا «المواف» يوجد باب «عزيزتى أخبار اليوم» إذا به عندما نقرأه نجده «حلقة خاصة» فى «شتم» هيكل.. ولا أتصور أن تكون هذه الأسماء وتلك الصفات لها وجود، ثم اخترع سعدة أن قارئاً يسأل عن عنوان هيكل، ونشر عنوان الأستاذ الكبير ليسبب له مضايقات هو فى غنى عنها، وليس هناك «جليطة» أكثر من ذلك.

وفى العدد التالى من أخبار اليوم (٢٠١٠) الصادر فى ٧ مايو ١٩٨٣، واصل سعدة نشر ما أسماه كتاب جديد بعنوان «مستشار السوء» وهو - كما قلنا - كتاب لم نره، وانتهى بانتهاء الحلقة الثانية والأخيرة التى نشرت فى ذات العدد من أخبار اليوم.. وفيها واصل سعدة افتراءاته الغريبة والعجيبة عن الأستاذ هيكل.. ولا أدافع عن هيكل.. فقط نسجل ذلك لعل أحد أطباء النفس والباراسيكولوجى، يتبرع ويوضح ويفسر لنا، كيف ينقلب هذا الكاتب بزاوية ١٨٠ درجة - كبندول الساعة - دون سبب مقنع..

فلقد ألصق سعدة بالاستاذ هيكل كل الصفات السيئة، بكل مفردات قاموس «البذاءات» وفتح عليه - والزمرة الساداتية - ناراً لم تنل منه، وانما زادته قوة ورصانة.. واتهمه أنيس منصور وهو أحد رهبان العصر الساداتى بأنه «شاذ»!! لأن كل إناء بما فيه ينضح ومادام المتحدث هنا هو هذا الأنيس فلابد أن تكون ألفاظه هكذا مستقاه من ميوله وصفاته وأخلاقياته.

أدت هذه الحرب الاعلامية المسعورة ضد هيكل، إلى أن تحرك مجلس الشعب - المزور - ووافق اعضاؤه على حياكة قانون جديد لردع هيكل،وكل من يحذو حذوه، وافق مجلس الشعب فى جلسة ٥مايو ١٩٨٣ على مشروع قانون بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢١ لسنة ١٩٧٥، بشأن ما أسموه «المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وتنظيم اسلوب نشرها» واضافوا هذه المادة:

«لايجوز لمن إطلع بحكم عمله، أو مسئوليته، على معلومات تتعلق بالسياسات العليا للدولة أو الأمن القومى، لها صفة السرية، أن يقوم بنشرها أو اذاعتها إذا كان من شأن ذلك الاضرار بأمن البلاد أو مركزها الحربى أو السياسى أو الاقتصادى أو الدبلوماسى، وذلك ما لم تمضى عشرون سنة على حدوثها إلا بتصريح خاص من مجلس الوزراء».

ونحن نعلم أن مجلس الشعب فى الفترة من ١٩٧٩ حتى ١٩٨٤ كان مجلسا مزوراً، باعتراف أهله، وبالتالى فهو باطل.. وكل ما بنى على باطل فهو باطل.

«بصراحة» .. فى أخبار اليوم

وفجـأة..

وبعد ٣٠ شهر من هذه البذاءات..

وعلى غير ما يتوقع أى انسان.. فوجىء الملايين من القراء فى مصر وخارج مصر، بإعلان غريب فى صدر الصفحة الأولى من عدد أخبار اليوم رقم ٢١٤٥ الصادر فى ١٤ ديسمبر ١٩٨٥، كان اعلانا بالألوان الزاهية على ثلاثة أعمدة، هذا نصه:

«قريبا . مفاجأة اخباراليوم

الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل

يكتب «بصراحة» اسبوعيا فى أخبار اليوم»

وتوسط الاعلان صورة كبيرة للأستاذ هيكل!!..

ولما كان ذلك مفاجأة أخرست الألسنة عن الكلام، حتى لمجرد السؤال، وضع الكل يده على فمه يترقب فى صمت، حتى صدر العدد التالى من أخبار اليوم رقم ٢١٤٦، فى ٢١



هيكل يروي

قصة العودة للكتابة بعد ١١

[illegible]

ديسمبر ١٩٨٥، وتصدر الصفحة الأولى برواز كبير على عمودين به صورة للأستاذ هيكل، وإيضاح مختصر تحت عنوان «حول مقالات هيكل» هذا نصه:

«أحدث ما نشرناه فى الاسبوع الماضى عن عودة الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل للكتابة فى «أخبار اليوم».. دويا هائلا.

لم ينقطع رنين التليفون فى أخبار اليوم طوال الأسبوع، مكالمات من الداخل تسأل عن موعد بدء هيكل فى الكتابة، بعد أحد عشر عاما من الانقطاع عنها، وإن ظل طوالها يعيش فى مصر ويكتب للعالم من مكتبه بها.. ومكالمات من صحفى ومجلات من شتى أنحاء العالم العربى تطلب نشر مقالات هيكل فى نفس يوم صدورها فى «أخبار اليوم».

ولأن الاتفاق بين هيكل وبين «أخبار اليوم» كان محدداً.. فقد أحيلت كل هذه الطلبات من صحف ومجلات العالم إلى الأستاذ هيكل شخصيا.. ليرى فيها رأيه.. فقد رفض هيكل أن يتقاضى مليما واحدا من «أخبار اليوم» لقاء نشر مقالاته.. ولم تكن له أية طلبات أخرى من «أخبار اليوم» لهذا كان من المناسب أن تترك «أخبار اليوم» للأستاذ هيكل أمر الموافقة أو عدم الموافقة على نشر مقالاته فى أية صحيفة أو مجلة عربية أو أجنبية.

وفى نفس الوقت.. وفى وسط هذا الدوى الشعبى والعربى والعالمى.. سارع من يشككون دائما فى كل شىء.. وفى أى شىء.. إلى استثمار الفرصة.. فأرادوا أن يحملوا هذه الخطوة الديمقراطية فوق ما تحمل من تحليلات وإيماءات.وبالغ البعض فى تحليلاتهم إلى حد توقع تغييرات فى السياسة الاقتصادية لمصر.

«وأخبار اليوم» التى سمحت إلى هذه الخطوة الديمقراطية الفريدة تقول للملايين من قرائها الذين تصوروا أن الأستاذ هيكل سيبدأ الكتابة هذا الاسبوع.. إن تنفيذ هذه الخطوة سيأخذ وقتا أكثر مما توقعوه.. وذلك حتى يستوعب المتشككون والمشككون فى كل شىء وفى أى شىء.. أن الديمقراطية معناها أن تقول رأيك.. وتدفع حياتك ثمنا لحق غيرك فى أن يقول رأيه.

هذا ما آمنا به.. ومازلنا نؤمن خصوصاً فى عهد الرئيس مبارك الذى أعلن أكثر من

مرة انه لن يصادر رأيا.. وأن كل المصريين شرفاء بصرف النظر عن انتماءاتهم إنه رئيس مصر.. كل المصريين.».

«أخبار اليوم»

● كيف ذلك؟؟!!..

● كيف نفسر ذلك؟؟!!..

فبعد أن ظل سعدة لسنوات طوال، يتطاول بالشتائم على الأستاذ العملاق هيكل، بمناسبة وبدون مناسبة، وبعدما قال عنه أنه مطرود، وانه عميل، وأنه لا يجد من يقبله، وانه لا حجم له، وأنه.. وأنه.. إلخ، ينقلب فجأة بزاوية ٢٧٠ درجة، فتصبح رأسه فى الأرض، وبدون مقدمات، ويذهب للأستاذ هيكل «يرجوه» أن يتنازل ويقبل الكتابة فى أخبار اليوم، وبالشروط التى يطلبها!!..

ويكتب سعدة بنفسة معبراً عن الصدى المحلى، والعربى، والعالمى، لخبر عودة الأستاذ هيكل للكتابة، كاعتراف صريح وأكيد منه بما لقلم الأستاذ هيكل من صدى عالمى.. وهو الذى كان يتعمد التقليل من شأنه دائماً!؟..

لماذا؟..

هل لأنه اكتشف أن الأستاذ هيكل عملاق كبير، وقلم فريد، وأن هذا أمر واقع يجب التعامل معه؟؟.. لكنه يعرف ذلك جيدا.. ولم ينس ذلك حتى فى وقت سمحت له الظروف فيه أن يتطاول عليه.. وهو بنفسه كتب عن قدراته ومواهبه، وعرضنا لمقتطفات مما كتبه فى هذا الشأن فيما سلف.. هل لأنه أراد أن يرفع أخبار اليوم إلى أعلى قمة فى الصحافة العالمية، لعلمه بما لكتابات الأستاذ هيكل من ردود فعل عالمية، وعلى كافة المستويات الشعبية والسياسية؟؟.. لكن من يتأمل فى التركيبة السعدية يتيقن أنه ليس هو الشخص الذى يفعل ذلك، فهو ضئيل ويخاف الكبار، ويريد دائما أن يتطاول إليهم مهما كان الثمن، ومهما كانت الوسيلة، ويرى أنه مثلهم أو أحسن منهم، وبالتالى فليس من المتصور أن يصنع بيده ما يجعل الناس تردد أن هيكل هو الذى رفع أخبار اليوم، وليس سعدة رئيس التحرير..

[illegible]

[illegible] خطايا مصرية [illegible]

[illegible] بالتصفيق [illegible] !

[illegible] الرأي العام [illegible] انور السادات [illegible] القاهرة [illegible] اليوم [illegible] اسود [illegible] !

ولم تزعج [illegible] ابدا القرار [illegible] ... !

ولم [illegible] متهم ويطالب من المحكمة العسكرية ان تأمر بالتحقيق مع محمد حسنين هيكل الذي لم [illegible] الفتاوى ، والقرارات الجماهيرية ، والتعديلات [illegible] وانما اراد ان يرضي المحكمة ، محذرها من ان [illegible] حكمها بالاعدام [illegible] لا تشعب [illegible] الشوارع يبكون [illegible] يوم الحزين ، [illegible] !

ولم [illegible] العسكرية [illegible] لتصريحات هيكل . فما قاله — على الرغم من [illegible] به تحت طائلة القانون — لا يستحق [illegible] الاهتمام [illegible] المحكمة الوقت في استدعائه والتحقيق معه [illegible] المحكمة [illegible] الأخرى الأكثر اهمية ، والأكثر مسئولية [illegible] تلويحات طائشة ، لا يمكن ان تصدر من مواطن [illegible] مسئولية الكلمة التي ينطقها ، والقرار الذي يصدره !

ويوم تصدر المحكمة العسكرية احكامها في القضية الكبرى التي نظرتها ، وتعطى القانون حقه كاملا ، [illegible] العادلة [illegible] العادل والمسئول .

ابراهيم سعده



إذن.. كيف نفسر هذه الطفرة الغريبة أكثر من اللازم؟؟

●● لنا إجتهاد.. لعله يكون صائبا..

فالمتتبع لسيرة هذا الابراهيم - على صفحات هذا المؤلف - يتيقن أنه «عروس» لا حول له ولا قوة.. تحركها خيوط غير مرئية.. وينطلق من فمها ما شاء «لمحركيها» من أصوات تنسب إليها.. وهو إرتضى على نفسه أن يكون كذلك بل واعترف بذلك - كما سبق وذكرنا - فى مقاله آخر عمود بالعددين ١٩٦٣ و١٩٦٤ من أخبار اليوم.

وتأسيسا على ما سبق، فالأصوب هنا أن نلغى سعدة من هذه القضية، لأنه ليس له دور إيجابى فيها بالمرة.. فهو نفذ أوامر سياسة عليا، ولا شأن له بها.

فكلنا يذكر حادث اختطاف بعض الفلسطينيين للسفينة الايطالية «اكيلى لاورو»، والتى قامت مصر بالتخاطب مع مختطفيها، وإعادة السفينة..

وفى يوم ١٠ اكتوبر ١٩٨٥، حملت طائرة مدنية مصرية هؤلاء الفلسطينيون، قاصدة تونس لمحاكمتهم هناك.. لكن الذى حدث أن تحركت بعض المقاتلات الأمريكية المتمركزة فى إحدى القواعد العسكرية الأمريكية بصقلية وأحاطت بالطائرة المصرية وأجبرتها على الهبوط بالقاعدة الأمريكية.. كانت عملية اختطاف مهينة، قام بها «الكاوبوى» الأمريكى لطائرة ركاب مدنية مصرية.

هذه اللطمة المهينة من الولايات المتحدة لمصر.. كان لابد أن تردها مصر، وكانت الورقة الرابحة هنا هى قلم الأستاذ هيكل ذو الفعل السحرى العالمى، والشهير بعدائه لأمريكا.

ونعتقد أن باقى أوراق القضية أضحت مكشوفة..

هكذا «لوى» الواقع السياسى أنف سعدة، ودفعه إلى الذهاب للأستاذ هيكل «يترجاه» أن يكتب فى أخبار اليوم، دون أنى يعرف سعدة لماذا يطلب ذلك؟!

ولقد لمس سعدة بنفسه رد الفعل المحلى، والعربى، والعالمى، بمجرد أن أعلنت صحيفته نبأ عودة هيكل للكتابة.

هيكل يتحدث

وخرجت أخبار اليوم بعددها رقم ٢١٤٨، فى ٤ يناير ١٩٨٦، وفى صفحتها الأولى صورة للأستاذ هيكل على ٢ عمود، وتحتها هذا العنوان:

«فى اللقاء الأول مع «أخبار اليوم»

هيكل يروى قصة العودة للكتابة بعد ١١ سنة

● ثم نقرأ التفاصيل حسبما هو منشور تفصيلا:

«فى أول لقاء للأستاذ محمد حسنين هيكل مع قراء «أخبار اليوم» أكد أنه لا يطمع فى منصب سياسى أو صحفى.. وأن كل ما يريد هو أن يضع رأيه وتجربته أمام من يريد الاستفادة بهما.

وقال أنه تلقى ٤ عروض للكتابة فى الصحافة المصرية قبل أخبار اليوم، وأنه طوال فترة إبتعاده عن الكتابة فى الصحف المصرية لم يغادر مصر ولم يتخذ غيرها وطنا. وأعلن أنه تلقى عرضا بإنشاء صحيفة فى لندن أو باريس وعرضا آخر بإنشاء صحيفة فى القاهرة.

وأعلن أيضا أن الملك حسين عرض عليه الاقامة فى الأردن وأن وزيراً بريطانيا دعاه للاقامة فى لندن وأن كيسنجر عرض أن يتوسط له لدى الرئيس السادات.

جاء ذلك فى الحوار الشامل الذى جرى على مدى ساعتين بين مجلس تحرير «أخبار اليوم» والأستاذ هيكل وأجاب فيه عن جميع الأسئلة التى وجهت له والتى وصفها بأنها «محاكمة» ولكنه يقبلها.. وتنشر «أخبار اليوم» تفاصيل هذا الحوار على ٣ حلقات.

وعلى صحفتى ٤و٥ تنشر «أخبار اليوم» الجزء الأول من هذا الحوار الشامل..»

● ونقلب صفحات هذا العدد من أخبار اليوم، حتى نصل إلى صفحتى ٤و٥ ونقرأ مانشتات الحلقة الأولى من الحوار كالآتى:

- «حوار بين مجلس تحرير «أخبار اليوم» ومحمد حسنين هيكل»

- لم أترك مكانى فى الأهرام بأمر من الرئيس السادات معزولا أو مطروداً.

- طوال السنوات الاحدى عشرة التى انقطعت فيها عن الكتابة.. لم تكن لى حياة خارج مصر.

- عرض على الملك حسين الاقامة فى الأردن، ووزير الدولة البريطانى الإقامة فى لندن، وعرض كيسنجر ان يتوسط لى الرئيس السادات.

- تلقيت عرضا بإصدار صحيفة فى لندن أو باريس.. واعتذرت.

- لا أريد دوراً سياسيا.. ولا أريد مكانا فى دار صحفية.

- إذا كان لرأيى قيمة فهو موجود لمن يطلبه.. وإذا كان لتجربتى فائدة فواجبى ان أضعها تحت الطلب.

- قلت لابراهيم سعدة: لا اريد أجرا من أخبار اليوم على ما أكتب، ويكفينى ان أصل إلى القارىء المصرى.

- ٤ عروض للكتابة فى الصحف المصرية تلقيتها قبل عرض «أخبار اليوم» واعتذرت عنها جميعا.

●● والمانشتات السابقة التى تصدرت صفحتى الحوار مع الأستاذ هيكل، لا تغطى المضمون الحقيقى له.. ولأن الحوار المعنى هنا يعد من أعظم الأحاديث التى أدلى بها الاستاذ هيكل، ويحسب على أنه شهادة لشخصية كانت تشارك فى صنع القرار خلال أخطر فترات التاريخ المصرى الحديث، ولأنه يكشف النقاب عن أمور وأحداث لم يكن يعرف حقيقتها أحد من قبل أو تضاريت «التخمينات» بشأنها، ولأنه قبل كل شىء قيمة تاريخية وتثقيفية نادرة، فاننا ننشره - على طوله - بالكامل، وبصورة حرفية.

وقد تم الحوار فى منزل الأستاذ محمد حسنين هيكل، وأجراه معه من مؤسسة أخبار اليوم كل من: إبراهيم سعدة، ومحمد طنطاوى، وكمال عبدالرؤوف، وعبدالفتاح الديب، ونبيل أباظة، ومحمد تبارك، وابراهيم راشد، وربيع الشيخ، وجلال عارف.

ونبدأ بمقدمة الحوار، وكانت طويلة تليق بشخصية المتحدث، ووزنه، وأهميته، وقد كتبت على ستة أعمدة.. وهذا نصها:

●● الرجل الذى يعود للكتابة فى أخبار اليوم.. بعد انقطاع عن الكتابة فى الصحف المصرية دام ١١ سنة.. هل توقف نشاطه الصحفى خلال هذه المدة؟

أين كان محمد حسنين هيكل يقيم خلال تلك الفترة الطويلة.. وهل تلقى عروضا للعمل فى الخارج؟ وهل فكر جديا فى إصدار صحيفة تصدر فى أوربا أو فى القاهرة؟

.. وعشرات الأسئلة تصاعدت فى الشارع المصرى.. مع الضجة الكبيرة التى أحدثها الاعلان عن عودة هيكل للكتابة فى «أخبار اليوم».. هذه الضجة التى لم تهدأ حتى الآن.. والتى اتخذت أشكالا متعددة: منها ترحيب رجل الشارع بعودة كاتب كبير.. ومنها «إنزعاج» من عودة هذا الكاتب بالذات.. ومنها حماس مبدئى لمجرد الفكرة: ألا يحرم كاتب مصرى له تاريخه.. من التعبير عن نفسه على صفحات صحيفة مصرية.

وتسابقت الصحف والمجلات. المصرية والعربية. فى إفراد مساحة هامة حول مقالات الأستاذ هيكل القادمة فى «أخبار اليوم».. وتبرعت الأقلام بالتحليلات الكثيرة حول هذا الموضوع.. وأصبح السؤال التقليدى عقب قراءة هذه الصحف والمجلات هل يكتب هيكل؟ أم أن مقالاته مؤجلة؟ أم قد تم العدول عن هذه الفكرة من أساسها.

وكانت «أخبار اليوم» تعيش انفعالات الشارع المصرى دقيقة بدقيقة.. وتتلقى الأسئلة المتلاحقة التى تدل على مدى الاهتمام الذى أحدثته هذه الفكرة بين القراء..

وخصوصا من الشباب الذين لم يقرأوا لهيكل عندما كان يكتب مقالاته الشهيرة وهم مازالوا بعد لم يبلغو سن النضوج والاستيعاب.. إنهم سمعوا عن هيكل ولم يقرأوا له.. وكان الذى سمعوه مختلطا غير واضح.. فالرجل لا شك له خصوم.. جعلت ما يصل الى الشباب عنه.. مختلطا بصورة أخرى مشرقة يصوره فيها فيه قراؤه من الملايين.. ولكنه فى النهاية.. يمثل شيئا مثيرا للشباب.. أن يتعرفوا بأنفسهم على هذه الشخصية التى تركت بصماتها حتى الآن.. على الصحافة المصرية.

وكان لابد أن تقدم «أخبار اليوم» شيئا لقرائها حول هذا الموضوع الذى أصبح مثار إهتمام الشارع المصرى.

كان من اللازم أن يتم اللقاء مع الأستاذ هيكل.. لنواجهه بكل نبضات الشارع.. وكل اتهامات الخصوم.. وكل المحاذير التى يحاول البعض زرعها فى طريق عودته للكتابة على صفحات «أخبار اليوم».

ورأى إبراهيم سعدة رئيس التحرير.. أن يتولى مجلس تحرير «أخبار اليوم» مجتمعاً هذه المهمة: مهمة المصارحة والمكاشفة وإزالة الأحجار من طريق العودة.. والاقتراب بالقراء المهتمين بعودة الكاتب الكبير.. من الكاتب العائد..

بلقطات مكبرة.. ترسم ملامح شخصيته.. وتجوس خلال أفكاره.. تستقدم أراءه فى مختلف المجالات.. وخصوصا فى الصحافة المصرية التى هو عائد إليها.

وفى مكتبة بالقاهرة.. إنهمرت عليه الأسئلة من أعضاء مجلس تحرير «أخبار اليوم».. لم تترك الأسئلة جانبا شخصيا أوفكريا إلا وتناولته.. وقد سماها الأستاذ هيكل «بالمحاكمة» التى يقبلها.. ويقبل الاجابة عليها جميعاً.. قال ذلك وهو يبتسم فى ثقة.. وفى هدوء.

ومضى الوقت.. وتلاحقت الاجابات.. وامتلأت الأوراق بما يضع نهايات لعلامات إستفهام كثيرة.. وبما يثير شهية القارىء من اكتشاف حقائق جديدة.. وإذاعة أسرار لم تعلن من قبل.. حول الفترة التى انقطع فيها الأستاذ هيكل عن الكتابة.. وحول الضجة الكبرى التى حدثت بمجرد الاعلان عن عودته للكتابة.. وعن الاتهامات التى وجهت إليه بداية من أنه كان الكاتب الأوحد وحتى اتهامه بأنه كان شريكا فى القرار عن الأخطاء التى حدثت فى عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. وتعليقه على الاقتراح بأن تنشر الصحف المصرية الثلاث مقالة فى نفس اليوم واعتراضه على الانفتاح الاقتصادى فى مصر واقتراحاته ليصحح مساره.ورأيه فى الجو الديمقراطى الذى تميز به عهد الرئيس مبارك.. وفى نظام تعدد الأحزاب.. وهل يؤيد قيام أحزاب جديدة وبالذات الحزب الناصرى.. وهل يقبل الانضمام إلى هذا الحزب عند قيامه.. وهل كانت فترة حكم الرئيس الراحل أنور السادات سلسلة متصلة من الأخطاء والسلبيات كما لاحظ من قرأ كتابه «خريف الغضب».

ووقعنا بعد نهاية هذا الحوار.. أو هذه المحاكمة.. كما أطلق عليها الأستاذ هيكل.. فى مأزق! اننا لو أردنا نشر هذا الحوار مرة واحدة.. لاحتجنا لكل صفحات «أخبار اليوم».. وهذا غير عملى.

وجاءت الفكرة: لابد من تقسيم هذا الحوار إلى ثلاثة أجزاء.. تنشر على مدى ثلاثة اسابيع.. أولها هذا الاسبوع.. ولابد أن يكون التقسيم منطقيا: فالجزء الأول الذى ينشر اليوم خاص بالرجل: كل ما يتصل بشخصيته.. وبأخباره التى يتوق القراء لمعرفتها.. والجزء الثانى خاص بالصحافة المصرية التى يعود إلى الكتابة فى احدى صحفها.. والجزء الثالث يتضمن آراءه، فى السياسات بشكل عام والتى وجهت اليه اسئلة بشأنها.. وفى هذا الجزء الأول يجيب الأستاذ هيكل على هذه الأسئلة التى وجهها إليه مجلس تحرير «أخبار اليوم»:

● ما هى ملامح نشاطك الصحفى خلال السنوات العديدة التى ابتعدت خلالها عن الكتابة فى الصحافة المصرية؟

● اين كانت اقامتك الدائمة خلال تلك الفترة الطويلة؟

● هل تلقيت عروضا للعمل فى الخارج؟ وهل فكرت جديا فى إصدارصحيفة فى إحدى عواصم أوربا أو فى القاهرة؟

● عقب خروجك من السجن أعلنت أنك ستظل بعيداً عن «لعبة الصحافة المصرية».

.. ماذا جد من متغيرات شجعتك على أن تعود لتلك «اللعبة» مرة أخرى؟

● عرض «أخبار اليوم» لم يكن أول العروض لمحاولة إعادتك للكتابة فى الصحافة المصرية.. ما هى العروض السابقة.. وأسباب اعتذارك عن عدم قبولها؟

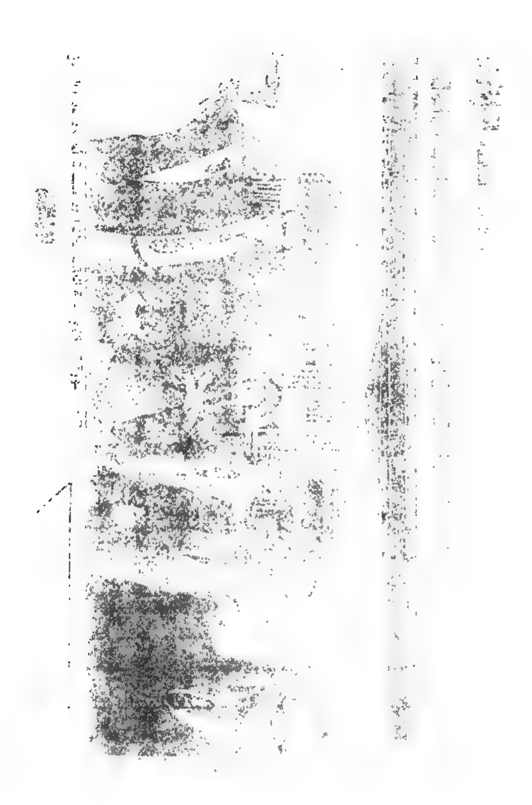
واقرأ ما أجاب به الأستاذ هيكل على هذه الأسئلة.»

***

●● وهذا هو النص الحرفى للحلقة الأولى من حديث الأستاذ هيكل:

إنكم تسألوننى بالضبط فيما كان تقديرى أن أتحاشاه لو أننى كتبت للصحافة المصرية ولقارئها مرة أخرى.

كان تقديرى أن أتحاشى الكتابة عن الذات، فلقد زادت أحاديث السير الشخصية حتى تجاوزت كل ما هو مقبول ومعقول.





وكان تقديرى أيضا أن أتحاشى معارك الماضى لأن الناس - تعبوا منها بالملل - خصوصا أجيال الشباب التى بدأت ترى فيها نوعا من حروب القبائل تحركها ثارات قديمة لا علاقة لها باليوم وما بعده.

ومع أن هذا الذى أقوله الآن، عن القبائل والثارات، يستحق أن يناقش لأسباب عديدة أسلم بها .. إلا أننى كنت أتصور شيئا آخر.

من البديهى أن الأمس يعيش فى اليوم بمقدار ما أن ملامح اليوم تشكلت فى الأمس، وبالتالى فلا انفصال بين اليومين.

وبالطبع فاننى أعرف أن هذا الذى يبدو، خصوصا لأجيال الشباب وكأنه ثارات قبائل ليس كذلك بالضبط، والأرجح - كما أظن - أن الأعلام التى يرفعها فرقاء هذه المعارك قد تكون أعلاماً مألوفة - وقد تبدو لأول وهلة قديمة - لكن الباحث المدقق سوف يجد أن خلافات المصالح والأفكار والاتجاهات التى تدور تحت هذه الأعلام هى صراعات قائمة.. كانت ولاتزال وسوف تستمر.

الأعلام المألوفة - أو القديمة - هى مجرد رموز لم يستطع أحد وربما لم يحاول أن يجد غيرها.. فقد بدت لهم معبأة ومشحونة بكل ما يريدون قوله خصوصاً فى زحام الصراع.

فالذين يتحدثون عن «الناصرية» مثلا لا يقصدون شخص جمال عبدالناصر، وإنما يقصدون مبادىء وخطوط وممارسات إجتماعية إقتصادية سياسية ثقافية معينة، لها تعبيراتها فى الداخل والخارج، وما سعت لتحقيقه.

والذين يتحدثون عن «الساداتية» مثلا لا يقصدون شخص أنور السادات، وإنما يقصدون مبادىء وخطوط وممارسات تجربة إجتماعية إقتصادية سياسية ثقافية لها تعبيراتها فى الداخل والخارج وما سعت لتحقيقه.

وغير هؤلاء قوى أخرى فى نفس الوضع: فحديث الوفد ليس شخص مصطفى النحاس، وإنما هو عن تجربة أكبر وأوسع، وحديث الاخوان المسلمين ليس شخص حسن البنا وإنما هو أيضا عن تصور أكبر وأوسع.. وغيرهم.

قصدت أن أقول أننى على استعداد للتسليم بأن اليوم لا ينفصل عن أمس والغد، وقصدت أن أقول أننى على استعداد تسليم بأن ما يبدو حرب قبائل ليس بالضبط حرب قبائل، وانما هى خيارات شاملة.. مبادىء وخطوط اجتماعية اقتصادية ثقافية.

القديم فيها فقط والمألوف فيها فقط هو الرموز.. الأعلام المرفوعة، وما تحت ذلك فهو مستمر متجدد.

ومع ذلك فقد كنت راغبا فى تحاشى ذلك قدر ما أستطيع، لاحساسى بسأم آخرين، ولاحساسى بملل آخرين، لأن كل الاسطوانات تبدو قديمة ومشروخة تعيد وتزيد، لاتتحرك ولا تتقدم كأنها لصقت بكل أشجار الصمغ فى الدنيا على لحظة معينة من الزمان.

كنت أتصور أنه سيجيء وقت فيما بعد، فيما بعد جداً، أستطيع فيه أن اناقش هذه القضية، بصرف النظر عن الأعلام وعن الرموز، فهذا ما يعطى الحوار كله مسحته القبلية والثارية، ساعتها نستطيع بلا حرج تناول القضايا المختلفة تحت الرموز، وتناول الصراعات الدائرة تفرضها الأيام، بل والساعات الراهنة.

ومع ذلك، وأما وقد جاء السؤال عما كان بالأمس منكم، فقد يكون من المستحب أن أجيب.. وفى كل الأحوال فاننى أشعر أنه حساب لابد أن أؤديه أمام صاحب الحق فيه، وأعنى القارىء المصرى الذى غبت عنه - أوهل أقول غُيبت عنه؟ - قرابة احد عشر عاما بطريقة منتظمة وشبه كاملة تقريبا، فلم يلتق بى مباشرة، ولم يسمع عنى إلا ما أذكر وتذكورن.. ولاداعى للتفاصيل.

●● أخبار اليوم:

١. تسألون عن ملامح نشاطى الصحفى خلال السنوات العديدة التى إبتعدت خلالها عن الكتابة فى الصحافة المصرية؟

والرد: أننى لم أنقطع عن النشاط الصحفى على الإطلاق.. لقد اختلفت فى أواخر سنة ١٩٧٣ وسنة ١٩٧٤ على نقطة محددة أُضيفت إلى أسباب الخلاف بين السلطة القائمة فى ذلك الوقت وبينى، وكانت تلك هى النقطة التى حتمت افتراق الطرق، وهذه

النقطة بالتحديد هى اتفاقية فض الاشتباك الأول بين مصر واسرائيل، ثم فك الاشتباك الثانى بعده، وما أحاط بالاثنين من ملابسات ونشأ من تداعيات.

وكان رأيى باختصار أن المشهد العظيم يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - ولعلكم لا تنسون أننى شاركت فى الإعداد السياسى والاعلامى له - قد أعطى لمصر نتيجة ضخمة يمكن البناء عليها سياسيا لتحقيق هدفين:

أولهما تعزيز مكانة مصر فى محيطها القومى.

والثانى إمكانية الوصول إلى سلام شامل لصراع الشرق الأوسط.

وبالنسبة للهدف الأول فقد كان تقديرى أن تعزيز مكانة مصر فى محيطها القومى هو أمر له أبعاده الاجتماعية والفكرية، فضلا عن السياسة خارجية كانت أو داخلية.

وبالنسبة للهدف الثانى فقد كان تقديرى أن صلحا منفرداً لن يؤدى إلى السلام، وانما سوف يؤدى إلى مجرد تجميد الصراع، والصراعات المجمدة تؤدى بمجتمعها دائما إلى تآكلات وانهيارات شديدة.

كان تقديرى أيضا أنها فرصة لا تعوض، فان الجهد الذى بذل فى الاعداد لحرب أكتوبر، كان جهدا خارقا، وضعت فيه الأمة وشبابها كل المتاح من طاقات، فإذا ضاعت التى صنعتها هذه الطاقات الاستثنائية كان الثمن فادحاً.

ذلك كان مجمل آرائى، وقد قلتها جميعاً فى حينها ونشرت، وقد جمعتها أخيراً فى كتب تحت عنوان «عند مفترق الطرق» لكى تكون المواقف والمواقع محددة.

ولم أترك مكانى فى الأهرام بأمر من الرئيس السادات - يرحمه الله - معزولا أو مطروداً، وانما كان القرار بتعيينى مستشاراً للرئيس - وهو منصب إعتذرت عنه فى نفس يوم صدور القرار به، وأبلغت الرئيس السادات أن خيارى الذى لا أريد له بديلا هو أن أظل صحفيا، وإذا لم يكن لى مجال فى الصحافة المصرية فان المجال فسيح فى صحافة العالم.. العربى والدولى.. ولقد أعدت نفس الكلام حينما تفضل الرئيس السادات وعرض على منصب نائب رئيس الوزراء فى وزارة السيد ممدوح سالم فى ربيع سنة ١٩٧٥، أى بعد أكثر من سنة كاملة على خروجى من الأهرام.

منذ خرجت من الأهرام كتبت ستة كتب باللغة الإنجليزية - ترجم بعضها إلى ثلاثمائة وثلاثين لغة فى العالم - وهذه الكتب هى: وثائق القاهرة - الطريق إلى رمضان - القيصر وأبو الهول - عودة آية الله - خريف الغضب - حرب الثلاثين سنة، وهو على وشك الصدور.

غير ذلك نشرت فى كل صحف العالم: الصنداى تليجراف، والتايمس، والصنداى تايمس فى إنجلترا، والنيويورك تايمس، والواشنطن بوست فى الولايات المتحدة، هذا الى جانب قرابة ألف مقال فى الصحف العربية والعالمية، أعدت نشر مجموعات منها على شكل كتب، صدر من هذه الكتب حتى الآن حوالى عشرين مجموعة.

●● أخبار اليوم:

٢ - تسألون اين كانت إقامتى الدائمة خلال تلك الفترة الطويلة؟ - وهذا سؤال قد اطيل فيه - بإذنكم - بعض الشيء، لأنى لا أعتقد أن الاجابة علية وحدها تروى القصة كلها.

أنتم أول من يعرف - ومعكم كل صحفى وكثيرون من غير الصحفيين فى هذا البلد - أننى لم اعش خارج مصر على الاطلاق، لقد عاهدت نفسى دائما أن لا يكون لى خارج مصر عمل أو بيت أو قبر، وكتبت ذلك علنا من زمن طويل ولم أرجع عما تعهدت به.

طوال هذه السنوات الاحدى عشر من سنة ١٩٧٤ إلى اليوم سنة ١٩٨٦ لم تكن لى حياة خارج مصر، خارجها لم يكن لى بيت ولو ليوم واحد، سافرت منها لمهام عمل محدودة، ولم تطل فترة إقامتى بعيداً عنها فى أى مدة سافرت منها أكثر من ستة أسابيع لم تزد يوماً، وكان ذلك عندما كنت أجمع مادة كتابى «عودة آية الله» وهو عن الثورة الايرانية.. ذلك اننى تابعت آية الله الخمينى من منفاه فى باريس حيث لقيته أول مرة، وحتى عاد إلى ايران وقضيت معه أيام فى «قم» العاصمة الدينية للشيعة.

وقد قامت التايمس والصنداى تايمس بعد ذلك بنشر ثمانية فصول كاملة من هذا الكتاب.

هذه أكثر مرة أقمت فيها خارج مصر، ستة أسابيع بين باريس وطهران وقم وبعدها القاهرة.

وأعتقد أننى استطعت - بغير تواضع وبغير استكبار - أن أبين أن الصحفى المصرى يستطيع أن يجد طريقه إلى صحافة العالم حتى وإن ظل فى وطنه وفى بيته. هذا بالطبع إذا إستطاع أن يظل على اتصال بالأحداث والأفكار والناس والتاريخ.

ومع أنى كنت أعرف أننى فى بعض الأحيان ضايقت سلطات الحكم فى مصر بما أنشره من أراء، واننى بالتالى معرض فيها لمخاطر، فان فكرة الهجرة من مصر - دائمة أو مؤقتة - لم تدخل فى حساباتى على الاطلاق. كان قرارى أن أظل فى مصر وليكن ما يكون، وكنت أعتقد انه لا قيمة لرأى يقوله صاحبه من خارج مكانه الصحيح. فالهرب دائما سهل، وأن يقول أى إنسان رأيه بعيداً عن الخطر فهذا شيء لا قيمة له، ثم أنه يفقد القول مصداقيته. وربما جاز لى أن أظن أن أى قيمة كانت لآرائى عن السياسة المصرية طوال هذه الفترة الحافلة جاءت من هذه الحقيقة الواقعة. اننى أبديت آرائى فى القرار السياسى فى مصر وأنا أعيش تحت سلطة صانع هذا القرار، ورهن أحكام قوانينه.

ولقد حاولت هذه المرة أن أحكم تصرفاتى بقدر ما هو ممكن إنسانيا، ولم يكن بين طموحاتى أن أكون بطلا، ولا كان بينها أن أتحول إلى شهيد، ومن هنا حاولت كل جهدى أن أتجنب أى إستفزاز لا مبرر له. كان يعنينى أن أقول رأيى لا أتجاوز فيه ولا أفرط وكان ظنى اننى بذلك لا اترك لأحد مدخلاً إلى مالا داعى له ولا ضرورة، والتزمت بذلك إلى حد التزمت أحيانا، ومن ذلك مثلا اننى وأنا أعرف طبيعة العلاقات بين الرئيس السادات والعقيد القذافى، قاطعت ليبيا بعد خروجى من الأهرام مقاطعة كاملة.

كانت آخر زيارة قمت بها إلى ليبيا سنة ١٩٧٠، وأيامها ذهبت - وأنا وزير للاعلام مع جمال عبدالناصر - حاملاً رسالة منه إلى القذافى، ولم أضع قدمى فى ليبيا بعدها.

وكانت آخر مرة لقيت فيها القذافى سنة ١٩٧٣ - عندما كنت فى الاهرام - وبعدها لم ألتق به وحتى اليوم.

وأتذكر اننى قمت بجولة فى العالم العربى كله عام ١٩٧٥، لأن «التايمس» طلبت منى كتابا أيامها عن العالم العربى، وبدأت بالمغرب العربى مرحلة أولى فى الجولة، قابلت الملك الحسن فى فاس، والرئيس بومدين فى الجزائر، والرئيس بورقيبة فى تونس، وفى

طريقى إلى القاهرة أخذت الطائرة من تونس إلى روما، ومن روما إلى القاهرة. وعتب القذافى، وبعث بمن يسألنى: هل طريق تونس ـ روما هو أقرب الطرق إلى القاهرة؟ وكان ردى انه أبعد الطرق جغرافيا، وأبعدها أيضا عن المشاكل لأنى أعرف طبائع العلاقات بين السادات والقذافى، ولا أريد أن أدخل طرفا فيها خصوصا وقد كان لى رأى فى تصرفات الكل، وهذه قصة أخرى على أى حال.

أعود إلى ما كنت فيه.

المهم كما قلت اننى حاولت أن أتجنب كل سبب لاستفزاز لا مبرر له، لم يكن لدى مانع أن أحاسب بآرائى لا أكثر ولا أقل، وآراء أى كاتب هى آراؤه ـ منشورة ومطبوعة ـ مسجلة عليه وثابتة.

ولقد حاول كثيرون نصحى بأن أترك مصر ولو مؤقتا، تجنبا لمخاطر تلوح فى الأفق خصوصا فى الفترة التى ظهر فيها ما يسمى بـ «قانون العيب». وتذكرون أننى أحلت بعده للمدعى الاشتراكى الذى منعنى من السفر شهورا، وحقق معى صيفا كاملا، ودارت أسئلته كلها حول آرائى، وقد قمت بنشر محاضر التحقيق كلها بعد ذلك فى كتاب تحت عنوان «وقائع تحقيق سياسى امام المدعى الاشتراكى فى مصر».

واعترف أن القلق اعترانى فى بعض الأحيان. وأتذكر شهر يناير سنة ١٩٨٠ وكنت فى زيارة تستغرق أسبوعين فى «لندن» العمل مع مجموعة الناشرين الدوليين الذين ينشرون كتبى.

تصادف يوما أن كان «الملك حسين» ملك الأردن فى لندن، واتصلت تليفونيا بمكان إقامته فى لندن أطلب موعداً، وفوجئت بأن رئيس ديوان الملك يرد على بأن «الملك سوف يمر على فى الفندق الذى أنزل فيه مساء نفس اليوم للقائى فيه» ورجوت رئيس الديوان فى أن أذهب أنا إلى لقاء الملك حيث يشاء، ولكن الرد جاء بأن «الملك سيكون فى الفندق فى الساعة السابعة مساء».

وحينما إلتقينا ذهب بنا الحديث مذاهب شتى، وفى موضع من الحديث قال لى الملك «انه يقرأ عن ذهابى إلى كل مكان فى العالم، ويتابع ما أنشر لكن لاحظ أننى لم أذهب

إلى الأردن أخيراً». وقلت للملك وذهني خالي من أي شيء: «انني سوف أزور الأردن في مرحلة تالية من كتاب أتناول فيه أمن الخليج»، وقال الملك «وهل لا تزورنا إلا لعمل؟ لماذا لا تقضي أجازة عندنا؟» وقلت له ـ بريئاً مازلت ـ إن موسم الأجازات بعيد، وكل أولادي الآن في المدارس والجامعات، وأنا أحب أن أقضي أجازاتي معهم، وقال لي الملك مبتسما: «يا أخي وهل ليس في الأردن مدارس أو جامعات؟»، وبدأت أفهم ما يقصد إليه الملك، ونظرت إليه بدهشة وقال هو:

«الحقيقة أنني لاحظت في الفترة الأخيرة أن مزاج فخامة الرئيس السادات معكر من جانبك واتصور أن إقامتك بعض الوقت في الأردن قد تجنب الكل مشكلة.. وقد لا يغضب فخامة الرئيس إذا جئت إلى الأردن، فهو بلد غير حاد قد يغضبه مثلا لو أنك ذهبت إلى دمشق أو بغداد او طرابلس أو غيرها.. عمان غير حادة فيما أتصور مع أنه الآن يهاجمنا».. وقلت للملك أنني أشعر بتأثر شديد لدعوته الكريمة، كما انني أشعر فعلا أن لي بيتا في كل وطن عربي، ولكني عائد إلى القاهرة، فهذه ضرورة ليس فقط لحياتي وعملي، وإنما حتى لقيمة ما أقول من آراء.

والغريب أنني في صباح اليوم التالي مباشرة في لندن إلتقيت بـ «ايان جيلمور» وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية، وهو صديق قديم، وفوجئت بـ «إيان جيلمور» يقول لي وقد عرف أنني عائد إلى القاهرة بعد يومين «لماذا لا تمكث شهرين أو ثلاثة هنا؟».. ومرة أخرى دهشت.. ودهشتي كانت أكثر مع إيان جيلمور مما كانت عليه مع الملك حسين، ولم أجد ما أقوله من المفاجأة إلا أن «تأشيرة دخولي إلى لندن مدتها أسبوعان وقد إنتهت صلاحيتها».واذا بإيان جيلمور يقترح أن يبعث إلى فندقي بأحد سكرتيريه في وزارة الخارجية لكي يأخذ جوازات سفرنا ويرتب لتأشيرة جديدة، تعطينا حق البقاء في لندن ستة شهور على الأقل وشكرت واعتذرت.

ولم تقف غرائب هذه المرة عند ذلك الحد، فلقد صادف وجود هنري كيسنجر في لندن وقتها، وكان ينزل في نفس الفندق الذي أنزل فيه، وذات مرة ونحن معا قال لي كيسنجر: «أنه يعرف أن علاقاتي مع الرئيس السادات قد وصلت الى نقطة حرجة، وأنه ناقش الموضوع مع صديق مشترك هو «اندرونايت» رئيس تحرير مجلة «ايكونوميست»،

وانه ينوى أن يكتب إلى صديقه الرئيس السادات». ورجوته ألا يفعل لأننى لا أتصور أن يتوسط أجنبى فى مجرى العلاقات بينى وبين رئاسة الدولة فى وطنى خصوصا إذا كان مبعث توتر هذه العلاقات يرجع إلى آراء أبديها فى الشئون العامة الجارية!

لكننى فى تلك الظروف قلقت.. سألت نفسى: أليس غريبا أن يلتقى فى الرأى كل من الملك حسين، وإيان جيلمور، وهنرى كيسنجر؟ ولمدة ساعات إنتابتنى هواجس.

هل أعود فى موعدى المقرر سلفا؟

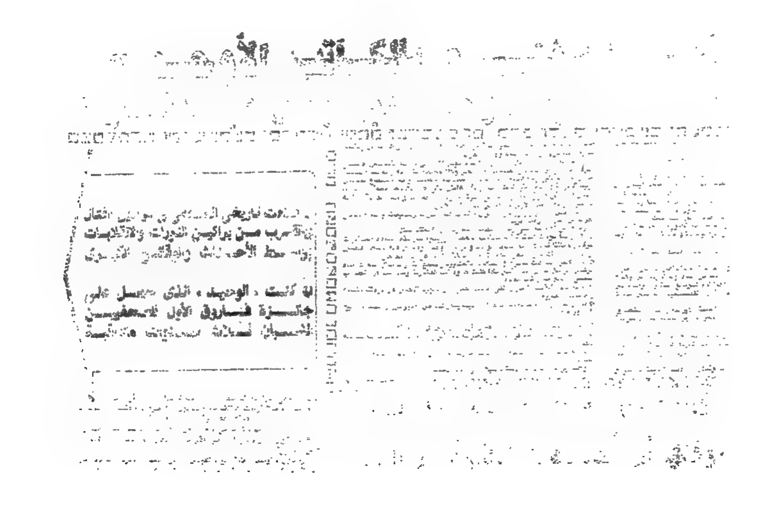
أم أنتظر فى لندن أياما أو أسابيع أراقب من بعيد؟

وكنت أعرف أن مجلس الشعب قد طلب إليه أن يناقش موضوع الصحفيين الذين يسيئون إلى سمعة مصر بالكتابة خارجها، كما أن صحف تلك الأيام كانت حافلة بالحديث «عنهم» وكان نصيبى من ذلك كله طويلا وعريضا.. وكنت أعرف نفسى وما أكتب.. فلم تجر على قلمى أو على لسانى كلمة واحدة يمكن أن تسيء ولو من بعيد إلى مصر.. لقد اختلفت مع سياسات ولم اختلف مع وطن.وصانع القرار السياسى بشر والوطن مقدس، وقد يخطيء هو فى قراره، وقد أخطيء أنا فى رأيى لكن من الذين يرون وضع خط فاصل بين الاثنين لأنى لا اعتقد فى نظرية «الحلول» الفرعونية القديمة، ولا أظن أن الوطن يتجسد فى شخص رئيس الدولة، ولا أن روح هذا الوطن تترك عوالم الأبدية والأزلية وتحل فيه!

ومع ذلك، وبصرف النظر عن نواياى، فقد كنت أعرف أننى مصنف «رسميا» أو محشور «سياسيا» ضمن من قيل عنهم - ظلما فى كثير من الأحيان - «أنهم أساءوا إلى مصر» كنت أعرف ذلك وأعرف أيضا طبائع السلطة فى كل بلدان العالم الثالث تقريبا، ولنفرض أنهم اتهموا واحدا من الناس بأنه «جمل» أو «فيل» فإن عليه هو أن يثبت بالايمان المغلظة أنه لا ينتمى إلى الجمال ولا الأفيال.. وكل صلته بهم أنه قابل أولهم فى ريف مصر كثيراً، وقابل الثانى مرة أو مرتين فى حديقة الحيوان!

عليه هو أن يثبت مالا يصح إثباته بل ولا يليق.. مجرد المحاولة لا تليق!

واذن ماذا؟

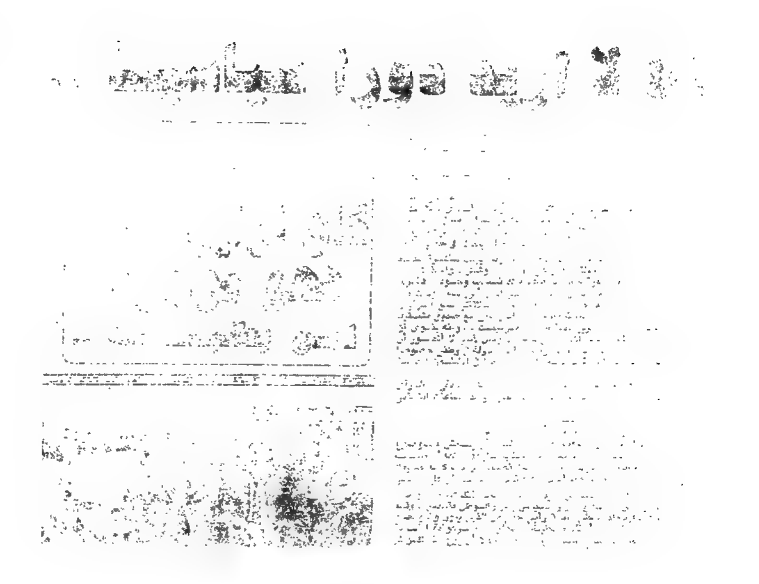


من براكين الثورات والانقلابات

وسط الأحداث

الوحيدة التي حصلت على

جائزة فاروق الأول للصحفيين



أعود أو أنتظر وأراقب من بعيد؟ ولم يطل ترددى.

كانت هناك مصداقية ما أبدى من آراء كما أسلفت.. ثم توالت أمامى اعتبارات أخرى:

واحد منها أن إنقطاع كاتب عن جذوره سوف يؤدى به إلى الذبول والضمور، ومن الممكن أن يكتب إنسان ولا ينشر له ما كتب فى وطنه، ولكنه عندما يظل فى هذا الوطن، فوق ترابه وتحت سمائه ووسط ناسه، يظل على قاعدته الطبيعية، وتظل جذوره فى عمق الأرض.. ولقد رأيت غيرى ممن هجروا أوطانهم أو هاجروا منها - بصرف النظر عن الدعاوى - وهم يفقدون ما كان لديهم.. وبغير أن أتطاول إلى تشبيه نفسى بأحد، فإن كاتبا عملاقا مثل «سولجنتسين» أضاع نفسه عندما ضاع منه وطنه.

ترك روسيا إلى أمريكا لاجئا، ومن يومها تحولت شجرته المورقة المزهرة المثمرة بروائع شامخة إلى شجرة شوك جرداء عجوز يأكلها الصدأ على مهل!

إعتبار آخر منها، اننى رأيت مجتمعات اللاجئين عن كثب.. حياتهم كلها خصوصا اذا طال اللجوء، فى أجواء من التمنى تنتهى بهم إلى عوالم من صنع الوهم.

ولقد رأيت رجالا ذوى كبرياء لكن البعاد الطويل عن أوطانهم ثم أجواء التمنى وعوالم الوهم تورثهم فى آخر المطاف مرارة علقم، وكفر بالشعوب وبالتاريخ.. وربما ترون أننى لم اورد فى إعتباراتى قضية الوطن فى حد ذاته، وذلك لأننى لا أريد أن اثبت مالا يصح إثباته، فهناك أشياء نحسها كلنا يجمل بنا إحتراما لها وللنفس الا نتحدث عنها.

بين هواجسى وخواطرى قضيت ساعات تلك الليلة فى لندن، وفى صباح اليوم المقرر لعودتى وجدت نفسى على الطائرة إلى القاهرة.. السجن أو القبر فيها أكرم من بيت أو قصر فى غيرها.

اعتذر لأنى أطلت فى الاجابة على هذا السؤال.. كان يمكن أن أستطرد فيه.

●● أخبار اليوم:

٣ - نجىء الآن إلى سؤالكم الثالث عن عروض العمل فى الخارج:

- جوابى اننى تلقيت عروضا كثيرة لا أرى من اللائق فى حق أصحابها أن أتحدث فيها

تفصيلا.. المهم أننى اعتذرت عنها جميعا.

ولقد كان بين هذه العروض أكثرمن واحد باصدار صحيفة فى احدى عواصم أوربا - لندن.. باريس بالتحديد - ولقد اعتذرت شاكراً ومقدراً.

أما عن إصدار صحيفة فى مصر فقد فكرت.. وأكثر من التفكير.. فقد سألت ولم أكن أريد أن أحرج أحداً فأكملت السؤال بقولى:

«أننى أترك لمن يعنيهم الأمر أن يختاروا التوقيت المناسب».

ولقد شرحت أن هدفى ليس إصدار جريدة معارضة وانما فى ذهنى جريدة مستقلة تجعل من قارئها على صلة بما يجرى وله فى بلده، وفى المنطقة وفى العالم.. ولايزال هذا رايى وان كنت لا اعرف الطريق السوى الى تحقيقه خصوصا فى ظل القوانين الحالية من ناحية، إلى جانب أننى من ناحية أخرى لم أعد مقتنعا بأن الصحف يمكن أن تكون ملكية أفراد، كما أنه لا يصح أن تكون ملكا لحكومة ولابد من حل آخر ينسجم مع العصر وروحه، ومع ضروراته ووسائله، وهذه مسألة تستحق مناقشة طويلة.

والحقيقة أن حرية الصحافة فى رأيى هى حرية تدفق المعلومات بالدرجة الأولى.

ولعلى أختلف هنا مع مدرسة فى الصحافة ترى الحرية كلها فى أعمدة الرأى.

وأنا لا أقلل من أهمية أعمدة الرأى، ولكنى أضعها فى المقام الثانى بعد حرية تدفق المعلومات أو الأخبار.

كل كاتب يستطيع أن يبدى ما يشاء من آراء لكن هذه الآراء تبقى مجرد إجتهادات شخصية.. هذا عن أعمدة الرأى.

أما عن حرية تدفق المعلومات أو الأخبار فهى تتيح لكل قارىء - لكل مواطن - أن يعرف الحقائق ويكون رأيه الخاص على أساسها.

فى تقديرى أن أى نظام ديكتاتورى يستطيع أن يتحمل أية آراء يبديها بعضهم عن مشاكل كل يوم: مواصلات - مجار - انقطاع كهرباء.. إلى آخره.. ثم أن أى نظام ديكتاتورى يستطيع أن يتحمل أية آراء يبديها بعضهم الآخر فى المطلق عن مزايا الديمقراطية

والاحتكام للقانون والحريات العامة والخاصة إلى آخره.

والمعيار الحقيقى، وهو الذى يفصل بين الديمقراطية والديكتاتورية ـ فى مجال الاعلام عموما ـ هو معرفة الناس الكاملة بحقائق ما يجرى فى بلادهم وما حولهم فى العالم.

وعندما نضرب المثل على حرية الصحافة فى أمريكا، ونقول أن جريدة واحدة هى الـ «واشنطن بوست» تسببت فى إسقاط «ريتشارد نيكسون» واخراجه من البيت الأبيض فى واشنطن فلنتذكر أن الـ «واشنطن بوست» لم تفعل ذلك بمقالات الرأى، وانما فعلته بنشر حقائق الوقائع حول قضية «ووترجيت» كاملة.

وعندما نضرب مثلا آخر على حرية الصحافة فى فرنسا ونقول أن جريدة «اللوموند» هزت حكم «فرانسوا ميتران» فلنتذكر أن «اللوموند» لم تفعل ذلك بمقالات الرأى، وانما فعلته بنشر وقائع نسف السفينة «جرين بيس» السلام الأخضر.. كاملة.

عامود الرأى.. رؤية ذاتية لكاتب.

وأما الرأى العام الواسع والحقيقى فلا يمكن أن تصنعه إلا حرية تدفق المعلومات. الأخبار. لأن الوقائع والحقائق هى التى تتولى فى هذه الحالة صياغة إتجاهات الرأى العام بطريقة عميقة وثابتة ومؤثرة.

بعد الوقائع والحقائق يمكن لأعمدة الرأى أن تؤدى دورها وسط رأى عام يعرف ويفهم، له رأيه الذى كونه من متابعة ما حوله، وهو على إستعداد لسماع أية إضافات يستطيع أن يفرزها بعقله، فيضيفها إلى ما عنده أو يستبعدها منه، ذلك أن المعرفة المسبقة أكدت لديه سلطان العقل وأتاحت له أن يكون طرفا حقيقيا فى حوار وليس لعبة فى حروب ودعايات وأهداف مستترة أوغير واضحة.

وظنى أن أعمدة الرأى ـ حتى وان صلحت نوايا أصحابها واستقام قصدهم ـ لا يمكن أن تؤثر فى غياب حرية تدفق المعلومات، تصبح أعمدة الرأى فى هذه الحالة كما يقولون فى السودان كلام ساكت، كلام غير قادر على الفعل، لأنه يلف ويدور من حول فراغ.. كل هذا والعصر الذى نعيش فيه الآن أيضاً، وهو عصر لم تعد فيه حدود، ولم تعد فيه سيادات تستطيع أن تسيطر على سلطان العقل داخل هذه الحدود، فصحف العالم

وموجات إذاعاته وقنوات تليفزيونه - ثم الأقمار الصناعية - لم تعد تعرف حدودا، ولم تعد توقفها سيادات الدول.

وظنى أن هذا العصر الجامح الهائج لم يأخذ من قيمة الكلمة المكتوبة فى بلدها، وانما زاد عليها ولم يتحول الاعلام المكتوب إلى إقناع بالانطباع كما يقول خبراء الاعلان ذلك لأن الناس سوف يواجهون الحقيقة فى النهاية، عندما يدركون بتجربة. حياتهم اليومية من ظروف معاشهم أن كل الشعارات المعلبة للاقناع بالانطباع لم تؤد إلى حل مشكلاتهم كما يرونها بعيونهم ويلمسونها بأيدهم، بل لقد أصبح الناس يطلبون من الكلمة ما تعجز عنه الصورة على رونقها، فالصورة مهما كانت الظروف محدودة تعرض نفسها على لمحات البصر، وأما الكلمة المكتوبة فانها تعرض نفسها متأنية رزينة على البصيرة وليس على البصر.. ومع ذلك فهذه بدورها قصة أخرى.

●● أخبار اليوم:

٤ - سؤالكم بعد ذلك عما قلته بعد خروجى من السجن وانني سوف أظل بعيداً عن لعبة السياسة المصرية ولعبة الصحافة المصرية؟

- وهذا كلام قلته ومازالت ملتزما به، بمعنى أننى لا أريد دوراً سياسيا ولا أريد مكانا فى دار صحفية.

هذا شىء، وأن أبدى رأيى وأكتبه وأنشره فى الشئون الجارية شيء آخر.. أنا لم أتوقف عن الكتابة والنشر منذ خرجت من السجن وحتى الآن، ولا يمكن لصحفى أن يتوقف إلا إذا كان يريد أن يعتزل ليس فقط المهنة وانما الحياة العامة كلها.

وأنا لم أفكر فى الاعتزال، ولم أقل به، ولم أفعله، ولا أظنني سأفعل إن شاء الله، فأنا واحد من المؤمنين بالعمل طالما أن القدرة عليه قائمة.

وماذا أريد أن أفعل بدور سياسى الآن.. لقد أديت فى زمانى كل ما أتاحته لى الظروف من أدوار، ورأيت عصرى كله ووقائعه وأبطاله، وأنا لا أريد ان اقحم نفسى على غير العصر، فليس أسوأ فى رأيى من بقايا متخلفة من أيام سبقت تجرى وهى لا تدرى فى زحام أيام لاحقة.. كل ما اتمناه أن أكون نافعا.. إذا كان لرأيى قيمة فهو موجود لمن

يطلبه، واذا كانت لتجربتى فائدة فواجبى أن أضعها تحت الطلب، وهذا فى رأيى هو تواصل الأجيال وليس الصراع بينها.

وهكذا فانه عندما جاءنى عرض «أخبار اليوم» فلقد قلت للأستاذ ابراهيم سعدة اننى أوافق على أساس شرطين عامين:

أولهما ألا يتعرض أحد لكلمة أو سطر مما أكتب.

وثانيهما أن ينشر ما أكتب دون تشويش، بمعنى أننى لا أتصور صفحة يظهر فيها كلامى وفى نصفها الآخر تعليقات عليه فى نفس اللحظة.

فمن الطبيعى أن تجىء أية تعليقات بعد النشر، وحتى يكون الموضوع قد عرض نفسه على قارئه بحرية، فالحوار شىء والمشادة شىء آخر - أليس كذلك؟

ولقد قلت بعد ذلك للأستاذ إبراهيم سعدة: اننى لا أريد أجرا من أخبار اليوم على ما أكتب، ويكفينى أن أصل إلى القارىء المصرى، فهذا القارىء هو صاحب الدين الحقيقى على، واذا كنت قد استطعت أن أصل إلى الصحافة خارج مصر، وفى العالم كله، فلقد كان الأساس فى ذلك هو القارىء المصرى، فأى قيمة لانسان خارج حدود بلاده مستمدة مما أعطته له بلاده ذاتها أولا وثانيا وثالثا.

ثم قلت له ايضاً أننى سأواصل الكتابة من هنا.. من مكتبى الذى عملت منه الاحدى عشر سنة الماضية..هو الذى إتسع لى ولكل ما أردت أن أصنعه وأنا لا أريد تغييره.

أى أننى لن أذهب إلى دار «أخبار اليوم» أو غيرها من الدور، لأننى لا أريد أن أكون طرفا فى أى شىء إلا الحوار العام.

هكذا ترون أننى لم أذهب إلى تلك اللعبة مرة أخرى ولا أنوى.

وحتى حين سألنى الأستاذ ابراهيم سعدة أين المكان الذى أريده لما أكتبه فى «أخبار اليوم»؟ ثم أردف قائلاً أنه يتصور البداية فى الصفحة الأولى والبقية فى الصفحة الثالثة، كان ردى أن الأمر متروك له، فهو كرئيس تحرير الجريدة وأنا أعرف حقوقى وحقوق الآخرين.

●● أخبار اليوم:

٥ ـ لا أعرف تحديداً إذا كان عرض «أخبار اليوم» هو أول العروض التى تلقيتها للكتابة فى الصحافة المصرية أو انه آخرها .. بل أننى لا أعرف تحديداً ما هو مصير هذا العرض نفسه؟

ـ المسألة معقدة بعض الشىء.

ما حدث كان أكثر تعقدا من كل الروايات عنه.

لقد حدث بعد خروجى من السجن ـ مع غيرى ممن شملتهم اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ ـ أن أشار بعضهم إشارات عابرة مؤداها لماذا لا تكتب.. لم لا؟ لكن هذه الاشارات لم تحمل عرضا محددا أقبله أو أعتذر عنه.

ثم جاء أول عرض محدد من الأستاذ مكرم محمد أحمد رئيس تحرير «المصور» وكان ذلك فى منتصف سنة ١٩٨٢ .. وقلت اننى سأفكر، وفكرت فعلا وبجدية، وانتهيت الى القبول، وفى نوفمبر من هذه السنة ١٩٨٢، وكان قد مضى على خروجنا جميعا من السجن عام كامل، وجدت أن فرصة مرور سنة من التأمل الهادىء قد تكون مناسبة، أكتب فيها مجموعة من المقالات تربط الماضى بالحاضر وتتوجه الى المستقبل، وكتبت بالفعل ستة مقالات، كان المقالان الاخيران منها تصور خطة عمل مستقبلية، وتسلم الاستاذ مكرم محمد أحمد هذه المقالات، ثم كان أن عادت إلىَّ هذه المقالات عن غير طريقه، مع طلب رقيق وكريم بأفضلية تأجيل نشرها، سواء فى مصر أو خارج مصر، وقبلت وفى ذهنى أن غيرى يعرف عن ملابسات الأمور أكثر مما أعرف ثم أننى فى كل الأحوال أريد أن تصل السفينة إلى بر الأمان، ثم أننى أقدر مصاعب الظروف وتعقيداتها.

هذه قصة العرض الأول باختصار.

ثم جاء العرض الثانى، وكان مرتبط بتطورات سياسية فى مصر ومرتهنا بها ولم اجد فى نفسى القدرة على قبوله، فليس فى دورى كما أراه أن أقف ضد حزب لصالح حزب آخر، وهكذا كانت بداية العرض ونهايته فى نفس الوقت، ربيع سنة ١٩٨٤.

ثم جاء عرض ثالث من الأستاذ محفوظ الأنصارى رئيس تحرير الجمهورية، والحقيقة أن هذا العرض كان مشاعر ود أكثر منها إتفاق، ولقد ناقشت مع محفوظ ظروف

الجمهورية وكان منطقى أن ظروف الجمهورية لا تحتمل وان ظل هو يخالفنى فى الرأى.

ثم كان هناك عرض رابع من الأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام، وكان عرضا محددا: سألنى هلى يستطيع أن يأخذ حقوق نشر الجزء الأول من كتابى الجديد «حرب الثلاثين سنة»؟ ووافقت بلا تردد - كان عرضا محددا فى موضوع محدد واتفقنا فى ثانية واحدة، ولايزال اتفاقنا فيما يتعلق بى قائما حتى هذه اللحظة.

نجىء إلى العرض الأخير، وهو عرض أخبار اليوم، ولقد قبلته هو الآخر، وأعترف ان قبولى به كان بعد تردد لأسباب لا تغيب عنكم، ولا تغيب عن قراء هذا الحديث.

وعلى أية حال فقد قبلت:

وربما يشهد الأستاذ إبراهيم سعدة أنى حاولت مخلصا معه ومع غيره أن ألفت أنظارهم مؤقتا إلى محاذير عديدة.

بينها - هل يتصور أن أوضاع أخبار اليوم تسمح؟

وبينها - هل يتصور أن مجمل الأوضاع العامة يسمح؟

وكانت هناك أيضاً محاذير أخرى لا داعى للخوض فيها الآن.

وتعرفون بعد ذلك ما حدث حين أعلنت أخبار اليوم أننى سأعود للكتابة على صفحاتها، كان الاعلان الأول يوم السبت ١٤ ديسمبر ١٩٨٥.

ولقد ثارت ضجة قد نعود إلى أسبابها فى سياق هذا الحديث.

ثم عرفت يوم الثلاثاء ١٧ ديسمبر أن هناك نية للتأجيل، وسمعت حكايات بغير نهاية كلها فى تصريف فعل «قال» و«يقول».. إلى آخره.

ثم أبلغت يوم الأربعاء ١٨ ديسمبر أن هناك بالفعل «رأيا» يرى بأفضلية التأجيل لثلاثة أو أربعة شهور حتى يهدأ الضجيج.

ولعلكم تعلمون انه كان هناك إقتراح بأن يجىء التأجيل من جانبى، اى أن أعلن أنا على الناس أن عرضا قدم إلى بالكتابة، واننى وافقت عليه، لكننى فى الوقت الراهن لست مستعدا له بسبب شواغل أخرى سبق أن ارتبطت بها.

ولم يكن ذلك فى مقدورى أدبيا معنويا. فلسنوات ظل هناك من يلحون «تجاوزا وادعاء» أن القارىء المصرى لم يعد يهمنى، ومادمت قد وصلت إلى غيره فما الذى يدعونى إلى العودة إليه؟ ولم يكن هناك ما هو أبعد من تفكيرى من مثل هذا الغرور الأحمق.

ولقد قلت بكل إحترام وتقدير اننى على إستعداد لأن أفهم الرغبة فى التأجيل، لكنه من الظلم أن يكون الاعلان عنه من جانبى، وأنا لم أطلبه إبتداء، ولأسباب من عندى وهى فى الحقيقة ليست عندى.

ولقد وجدت العقدة حلا لها حين توصلت أخبار اليوم إلى صيغة معقولة نشرتها يوم السبت ٢١ ديسمبر وجاء فى نهايتها «.. إن أخبار اليوم التى سعت إلى هذه الخطوة الفريدة تقول للملايين من قرائها الذين تصوروا أن هيكل سيبدأ الكتابة هذا الأسبوع.. أن تنفيذ هذه الخطوة سيأخذ وقتا أطول مما توقعوه.. وذلك حتى يستوعب المتشككون والمشككون فى كل شىء وفى أى شىء أن الديمقراطية معناها أن تقول رأيك وتدفع حياتك ثمنا لحق غيرك فى أن يقول رأيه».

ومن جانبى إعتبرت المسألة منتهية.. فالموضوع من جانب أصحاب العرض مؤجل، ومن جانبى فان التأجيل يثير لدى قضايا كثيرة تتعدى الموضوع بما هو أكثر منه وأبقى وأدعى للحرص.

وأكثر من ذلك فلقد كانت هناك صحف كثيرة تطلب نشر ما أكتبه فى نفس الوقت مع أخبار اليوم، كان يمكن أؤجل الكتابة فى مصر، وفى نفس الوقت أنشر ما أكتب فى بقية أنحاء العالم العربى أو حتى خارجه.. لكن مثل هذه الامكانية كانت تنطوى على معان لا أريدها ولا أعتقد بصحتها، ذلك أن ما يمكن أن أكتبه خارج مصر سوف يكون تذكرة ضمنية متكررة مع كل كتابة بأن ما هو متاح وسهل فى العالم العربى وخارجه. ليس سهلا فى مصر وليس متاحا. وليس هذا عدلا ولا هو حقا.

إضافة إلى ذلك فهناك مسألة شائكة، فلقد وجدت، وأنا أفكر فيما أكتبه، أنه لا يمكن البدء إلا بقضايا مصر وما يتصل بها. فمصر الآن هى القفل والمفتاح فى المنطقة كلها، ولو بدأت بمناقشة شئون أخرى غير شئونها لا تهمت نفسى قبل أن يتهمنى أحد

بالتقصير أو بما هو أسوأ منه، ولم أستطع أن أقبل - فى هذه الظروف الراهنة وليس فى غيرها - أن أتناول شأنا من شئون مصر لا ينشر فيها وإنما ينشر فى غيرها، فضلا عن أن ذلك ينطوى على حرج أريد أن أعفى نفسى منه الآن مع تسليمى تاريخيا بحقيقة الأمة الواحدة، وقضيتها الواحدة مهما بدا على السطح أن السياسة تقول بغير ذلك.

وهكذا لم أقبل قرار تأجيل النشر فى مصر وحدها، وإنما اتخذت بمفردى قرار التأجيل بالنسبة للنشر فى غيرها.

ظننت كما قلت أن الموضوع منته بالتأجيل فى مصر وخارجها، ثم فوجئت بعدد أخبار اليوم الأخير ينشر فى صفحته الأولى نقلا عن مصدر مسئول ما يلى:

«نفى مصدر مصرى مسئول مانشرته مجلة «المجلة» السعودية عن صدور قرار سياسى بمنع الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل من الكتابة نهائيا بعدما زعمته المجلة عن ردود أفعال سياسية عنيفة لخبر عودته للكتابة، ووصف المصدر الذى كان يتحدث لمندوب وكالة أنباء الشرق الأوسط هذا الخبر بأنه عار تماما من الصحة، وقال أنه لم يصدر أى قرار سياسى إطلاقا فى هذا الخصوص، وأن موضوع كتابة الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل أو عدمها هى من حقه فقط. وأشار المصدر فى تصريحه إلى المناخ الديمقراطى الذى يسود مصر، وحق الكاتب فى التعبير عن رأيه دون أى قيود».

وأعترف أننى دهشت بعد قراءة هذا الخبر، وخطر ببالى على الفور ان اصدر بيانا أقول فيه تفاصيل كثيرة أحجمت عن مسها.

ثم بدا لى هذا الاعلان مخالفا لروح ما قبلته وما نشرته أخبار اليوم فى عددها الأسبق. بدا لى أن هناك الآن من يريد تحميلى بمسئولية التأجيل ثم خطر لى أن أنتظر حتى أرى الأصل الذى استدعى التكذيب.. هكذا إنتظرت حتى وقع فى يدى عدد «المجلة» السعودية، فإذا هو يقول «أننى منعت من الكتابة فى مصر نهائيا».

ولابد أن أسلم اننى قدرت النوايا الطيبة للذين أعلنوا التكذيب، ولهم الحق، فهناك فارق بين «التأجيل» و«المنع النهائى» ومع أن الموضوع بكل زواياه كما أسلفت يثير لدى قضايا مرئية وأصولية متشابكة ومعقدة سواء كانت النوايا بالتأجيل أو كانت بالمنع - إلا

أننى كما قلت قدرت النوايا الطيبة، وان استغربت صياغتها كما وردت فى الخبر الذى وزعته وكالة أنباء الشرق الأوسط.

هذه هى قصة العرض الأخير بالكتابة فى مصر.. رويتها مجملة ولست أعرف إلى أين بعد ذلك فصولها؟ الفصل التالى على أى حال مؤجل والكلام الآن تطفل، وحين يجىء موعده تكون مواسم الطبيعة قد تغيرت من الشتاء الى الربيع.

ونصل الآن إلى الجزء الثانى من أسئلتكم، وأتحسب منذ البداية انه سيكون أشبه بالمحاكمة ومع ذلك نستمر.

كان هذا هو النص الحرفى للجزء الأول من حديث الأستاذ محمد حسنين هيكل مع مجلس تحرير أخبار اليوم.. نشرناه كما هو.. بالفاصلة.. والنقطة.

الجزء الثانى

نشر الجزء الثانى من الحديث فى عدد أخبار اليوم رقم ٢١٥٠ الصادر فى ١١ يناير ١٩٨٦، على صفحتى ٤ و٥ وهذا نصه حرفيا:

مانشيتات الحديث على الصفحتين هى:

«الجزء الثانى من حوار مجلس تحرير «أخبار اليوم» ومحمد حسنين هيكل»

- أطلب من نقابة الصحفيين أن تفصل بينى وبين من يتهموننى بالتخلى عنهم.

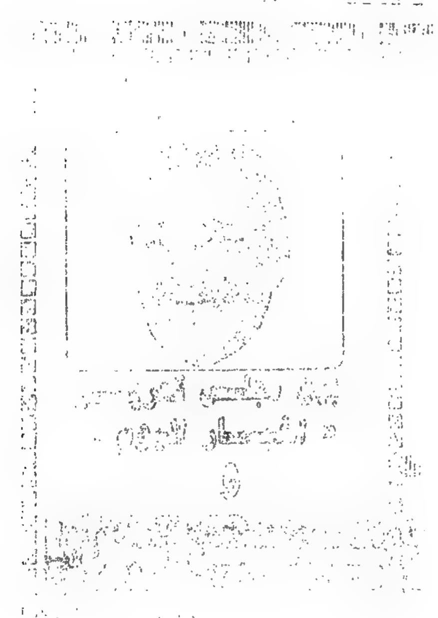
- أوضاع مصر الراهنة لا تحتمل مواكب النائحات، النادبات، اللاطمات الخدود!

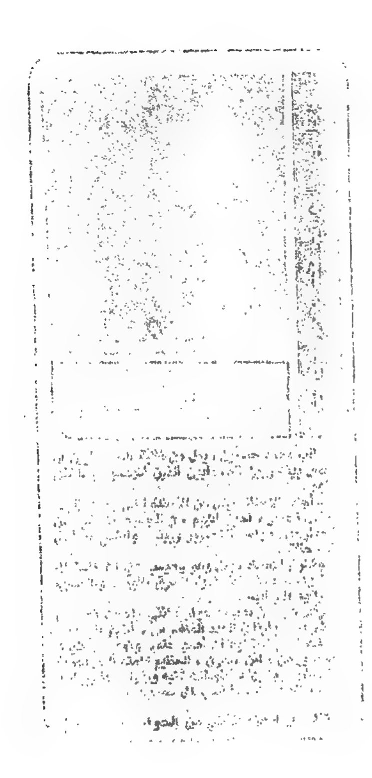
- هيكل الثمانينات: هو نفسه هيكل الستينات + تاريخ عاشه.. وقضايا شغل بها.. وأفكار تابعها.. وكتب قرأها.

- أرى فى أجواء الصحافة فريقين: فريق يبدو وكأنه يريد ان يهرب من ماضى يلاحقه، وفريقا يبدو وكأنه يريد أن يمسك بمستقبل لن يلحقه!

- مصر على خريطة المنطقة وفى وسطها.. أشبه بعملاق وحيد

- بعيدا عن الصحافة.. قال هيكل: المساعدات الأمريكية لمصر لن تزيد.. بل أخشى أنها ستقل.



. فى لقـاء ريجـان وجـورباتشـوف لم يسـتـغـرق بحث قـضـيـة الشـرق الأوسط أكثـر من دقيقة.

●● مقدمة الجزء الثانى من الحديث:

أصر الأستاذ محمد حسنين هيكل على أن يطلق تعبير «المحاكمة» على الأسئلة التى وجهها إليه مجلس تحرير «أخبار اليوم» فى الجزء الثانى من الحوار والذى ننشره اليوم.

وقال هيكل أنه يقبلها.. وأجاب عليها جميعاً.. ولكنه استطاع أن يصنع من «الاتهامات» التى وجهت إليه.. دروعاً لبسها وقذائف أطلقها.. لتصيب الاتهامات فى مقتل!

إستطاع هيكل أن يتحول من «متهم» إختار هو أن يكونه.. إلى صاحب دعوى رفعها فى الحـال.. وعلى إمـتـداد الحـوار.. أو المحـاكـمـة.. حـين قـال: ألا نبـدو ونحن نتكلم عن الصحـافـة - وقد إتفقنا على تخصيص هذا الجـزء للكلام عن الصحـافـة - وكأننا شغلنا بأنفسنا حتى لكأن حزازاتنا القديمة والجديدة هى هم الناس وأرق لياليهم؟؟

أراد هيكل أن يقـول - وقـد قـال - أن هناك من القضـايا الرئيسية مـا يشغل بال الناس أكثر من حزازات بين الصحفيين.

ووافقناه.. ولكننا ركزنا على نقطة هامة: وهى أن كل الأسئلة التى وجهناها إليه عن الصحافة.. لم تكن من صنعنا.. كانت تجميعا لأسئلة تدور فى بعض الأروقة الصحفية عقب الاعلان عن عودة هيكل للكتابة فى «أخبار اليوم».. وكان الرد عليها لازما للقراء الذين رحبوا بهذه العودة.. وأعربوا بكل الطرق عن إهتمامهم وتشوقهم ليقرأوا لهيكل على صفحات جريدتهم.. ثم تعرضوا لحيرة وبلبلة عندما تحرك خصوم هيكل وأطلقوا الاشاعات عن «المنع» أو «التأجيل».. كان لابد أن ننقل ماهو دائر فى بعض الأروقة الصحفية - كما قلنا قبل ذلك - إلى الكاتب العائد.. حتى يخاطب هو مباشرة.. القراء الذين ينتظرونه. وإذا كان الأستاذ هيكل - فى هذا الجزء الذى ننشره اليوم - قد أجاب على أسئلة الصحافة.. فانه لم يترك القضايا الرئيسية التى نتفق معه فى أنها تشغل بال رجل الشارع.. فقد إنطلق إليها يفتح باب الحوار.. ويسلط عليها من تجاربه ولقاءاته الأضواء الكاشفة..

والجزء الثالث من الحوار - كما إتفقنا - مخصص كله للكلام عن السياسات.. أو القضايا التى تشغل الناس.. وارتبط إرتباطا وثيقا باهتمامات الشارع المصرى.

ونعود إلى الجزء الثانى من الحوار وهذه هى الأسئلة التى وجهناها للأستاذ هيكل:

• يتهملك بعض الزملاء بأنك لم تعارض قرار تأميم الصحافة، على زعم انك انت الوحيد الذى استفاد منه وكنت الملك المتوج للصحافة المصرية، إذا جاز لنا إطلاق هذا الوصف.

• لقد اضيرت جميع القيادات الصحفية وتشتت وتصنفت اقلامهم وابعدوا عن مواقعهم ما عدا الأستاذ محمد حسنين هيكل وحده.. هل اخطأ هؤلاء جميعا ولم تخطىء انت مرة واحدة؟

• ماذا فعلت - بحكم قربك من صانع القرار - لانقاذ مهنة الصحافة وحماية الزملاء الذين لم يسلموا من الأذى؟ ويمكن ان نحدد هنا بعض الأسماء كأمثلة الاساتذة - مصطفى أمين - جلال الدين الحمامصى - موسى صبرى - أنيس منصور؟

• ماذا كان موقفك من قضية إغلاق جريدة «المصرى» ومحاكمة أصحابها ؟

• وهل سنقرا لهيكل جديد غير هيكل الذى عرفناه من قبل؟

وفيما يلى ما اجاب به الأستاذ هيكل على هذه الأسئلة.

أستأذنكم، قبل أن ندخل فى أسئلة الجزء الثانى من حوارنا الممتد، أن تتقبلوا منى كلمة تقدير أشعر بإلحاحها على.. أشعر أنها واجبة، وبالحق وليس بالمجاملة اننى راجعت نصوص ما نشر من حوارنا فى العدد الماضى من «أخبار اليوم» وأعتقد اننى أستطيع أن أضع ختمى وتوقيعى عليه، وأستعير من «ابن خلدون» العظيم كلمته المتواضعة التى كان يجيز بها مخطوطات كتبه ويقول فيها بريشته هو: «الحمد لله مانسب إلىَّ صحيح» ثم يضع خاتمة وتوقيعه.

اننى رأيت تأشيرة «ابن خلدون» لأول مرة فى مكتبة جامع «القرويين» بفاس، ودق قلبى وأمين المكتبة يخرج لى المخطوطة الأصلية لـ«مقدمة إبن خلدون» من خزائن كنوزه ويتركها معى أكثر من نصف ساعة أقلب وأتأمل فيها حتى وصلت إلى الصفحة الأخيرة

ثم تسمرت عيناى على إجازة «ابن خلدون» النهائية للمخطوطة: «الحمد لله مانسب إلى صحيح» اننى رددت هذه العبارة الصادقة والجميلة والمتواضعة كثيرا، معجبا ببساطة تركيبها ودقة بنيانها، ورحت أستعيدها مرات كما أستعيد أبياتا من الشعر مستحسنا ومستزيدا. ولست أخفى عليكم أننى إتخذتها فى عديد من الظروف مثلا سائرا على لسانى.

بل اننى ادخلت تحويرا عليها فى بعض المرات لتلائم الظروف.

فحين كان ينشر عنى بعض ما كان ينشر على شكل حملات مركزة وضارية كانت عبارة ابن خلدون العظيم تستدعى نفسها من حافظة الذاكرة الى اللسان فأرددها مع تحوير يلائم الظروف قائلا: «الحمد لله مانسب الى غير صحيح» إشارة الى إطمئنانى الذاتى ـ على الأقل ـ باننى لم أتحدث بما زعموا ولم أتصرف كما صوروا.

وبعد عدد «أخبار اليوم» الماضى، كان باستطاعتى ان أعود إلى كلمات ابن خلدون دون تحوير، وأن استعيرها منه كما خطتها ريشته وأقول «الحمد لله مانسب الى صحيح».

اننى ادعو الله الا تتكرر مثل هذه الحملات المركزة الضارية على أحد، واتمنى ان يكون وقتها قد فات فى مصر.

اننى لم اتعرض وحدى لمثل هذه الحملات، فلقد «تفضلوا» بها على آخرين، ولعلى كنت أكثر حظا من غيرى، فلقد كانت لدى فرصة أن أصل إلى أوسع القراء خارج مصر وأدافع عن نفسى، ولم أكن أدافع بالرد على أحد، فلقد عاهدت نفسى من زمن طويل ألا أرد على أحد.

كنت أرد بمحاولة الاقتراب من الحقيقة فى الموضوعات والقضايا بصرف النظر عما تردده الحملات، وكان ما أقوله يصل الى جماهير واسعة فى العالم العربى ـ مثلا ـ وكانت لى من ذلك راحة، ولعلى أقول رضا.

أما غيرى ممن تعرضوا لهذه الحملات فلم تكن لبعضهم مثل الفرصة التى كانت متاحة لى، وبالتالى فانهم وضعوا فعلا تحت حالة حصار بمفرقعات الكلام وبسحب دخان كثيف تحجب الرؤية، ثم أصوات مزمجرة عادية تصرخ من حولهم. حملات غريبة

اشتركت فيها قيادات الدولة أحيانا وسخرت لها كل أجهزتها.

. تعرض رجال من أمثال فؤاد سراج الدين، وخالد محيى الدين، وابراهيم شكرى ،وفتحى رضوان، وحلمى مراد، وممتاز نصار، وغيرهم وغيرهم وغيرهم - لحملات لا يملكون وسيلة للرد عليها.

وفى افعال وأقوال هؤلاء الرجال وغيرهم وغيرهم ما يمكن إنتقاده، وما لابد من مناقشته، فليس هناك فى أى وطن وفى شأن قضاياه ما لا يقبل الحساب ويستوجبه، لكن المناقشة وحتى الحساب لا يمكن أن يكونا بحملات الكراهية والمفرقعات والدخان والزمجرة والعواء.. إلى آخره!

وأنا لا أعرف من الذى أدخل هذا الأسلوب فى الحياة السياسية المصرية، ولكنى أدعو الله مخلصا أن يكون عهده قد انتهى فى بلادنا، ربما أضفت إلى ذلك أن مثل هذا الأسلوب أصبح عقيما، بل لعله أصبح مفيدا للمستهدفين به يعطيهم أكثر مما يأخذ منهم.

على أى حال بالنسبة لى. هذه المرة، أستطيع كما قلت لكم مرتاحا وراضيا أن أقول لكم «الحمد لله ما نسب إلى صحيح» ثم أوجه إليكم كلمة تقدير قد لا تكونون فى حاجة إليها، لكن واجبى أن أقولها .. اسمحوا لى أن أضيف ملاحظة أخرى.

اننى أعرف أن الرأى بتأجيل نشر مقالى الدورى «بصراحة» لا يزال ساريا، وفيما أعلم فان سريانه مستمر لثلاثة أو أربعة شهور أخرى وربما أكثر.

وبعض الناس يتصورون أن هذه الأحاديث التى تجرونها معى هى عملية تغطية للتأجيل، وحتى لو كان هذا الرأى صحيحا فاننى على استعداد للقبول به، ويكفينى أن صوتى وصل للناس ثلاثة أسابيع متصلة، ويكفينى اننى بعد أحد عشر عاما من الخلط المتعمد والمقصود - إستطعت بارتياح ورضا - أمامكم وأمام الناس أن أستعير كلمة أحد كبار السادة فى الفكر العربى، وهو إبن خلدون وأردد عبارته «الحمد لله ما نسب إلى صحيح». الآن نصل إلى ما تسمونه أنتم حواراً، وأسميه أنا «محاكمة».

لا داعى للحرج. وليس هناك ما يبرر تسمية الأشياء بغير أسمائها ولو حتى بدعوى المجاملة.

أنا قابل بها كما هى. وبنصوصها وألفاظها كما أراها الآن أمامى، وأنا أعلم أن هذه الأسئلة ليست كلها من وضعكم، وليست بألفاظها وصياغتكم، أعرف أنكم حاولتم أن تنقلوا إلى كل ما قيل وأشيع وروج له سواء نُشر أو لم ينشر، وفى الواقع أن كله نشر وتكرر نشره.

وبالتالى فأنا أقدر أن تعبيرات مثل «الصحفى الأوحد» و«الرجل الذى إحتكر» والرجل الذى «تنكر لزملاء المهنة وتخلى عنهم» إلى آخره.. ليست من عندكم، وانما هى «جرد» لمخزونات «دكاكين» كثيرة.

أعرف أنها ليست من عندكم لأنى واثق انكم تعرفون الكثير من وقائع ماجرى، لا أريد توريط أحد منكم، ولكنى أظن أن بعضكم كانوا أكثر من عارفين بحقائق ما جرى، كانوا شهودا عليه.

قد تأذنون لى أن أحدد أمامكم المنهج الذى أنوى اتباعه فى هذا الجزء من حوارى معكم.

الاحظ أن أمامنا كثيرا من الأسئلة، والتركيز الظاهر فيها عن الصحافة والصحفيين، وماذا فعلت أنا، وماذا لم أفعل فى الماضى؟ ثم إحتمال عودتى إلى الكتابة الصحفية الدورية، وماذا أثارت وماذا حركت بالسلب أو الايجاب؟.

وهناك بعد ذلك بقية الأسئلة، ومعظمها يدور حول ما كان ويمكن أن يكون، وجمال عبدالناصر، و«سلبيات» حكمه، وأنور السادات و«خريف الغضب» والانفتاح وقصص أخرى كثيرة.

وأقترح أن نبدأ بموضوعات الصحافة - المهنة وزملاء المهنة وأنا - والماضى والحاضر وحكايات ما جرى ويجرى فيهما.

ثم بعد ذلك ننتهى بموضوعات السياسة وما يتصل بها، سواء فى الوقائع أو الأفكار أو الرجال وأدوارهم.

لكنى قبل أن أدخل فى هذه الموضوعات كلها أستأذنكم فى وضع بعض النقط على بعض الحروف لكى تكون الخطوط والحدود ظاهرة مسجلة على الأرض وعلى الخرائط،

فلا يحدث لها مثل ما نراه الآن حادثا بالنسبة «طابا» والصراع الدائر حولها، وحول خمس عشرة نقطة أخرى ضاعت علاماتها على بحور الرمال المتحركة فى سيناء!!

إذا أذنتم فهذه نقطى على الحروف:

أولاً : أريد أن يكون واضحا اننى أتقدم بحسابى أمام القارىء وحده وليس غيره، وحين أقول القارىء فأنا أعنى الرأى العام فى مصر وبقية أمتنا العربية . لغير هؤلاء ليست لدى حسابات أقدمها.

ثانياً: أريد أن يكون واضحا أيضاً أننى لا أطلب اذنا بالمرور من أحد، بمعنى اننى لا اقدم حسابى لكى يرتفع حاجز أدخل منه إلى بوابة، ومن البوابة إلى ما وراءها!

ثالثاً: أريد أن يكون واضحا كذلك انه ليس هناك ما يدعو أحداً من الذين اهتموا على طريقتهم باحتمال عودتى للكتابة الدورية، إلى أن يجهد نفسه فى «إستنطاقى» كما يقول إخواننا فى الشام ليعرفوا مكنونات سرى، كما أنه ليس هناك ما يدعو أحدا منهم إلى إجراء «إختبارات» تكشف من دخائل فكرى ما يظنونه خبيئا فيها.

ليست إلى ذلك كله أو مثله حاجة، يكفيهم أن يسألونى وسوف أرد بصراحة أريحهم من اللحظة الأولى وبدون عناء أو لف أو دوران.

لهم أن يسألونى مباشرة:

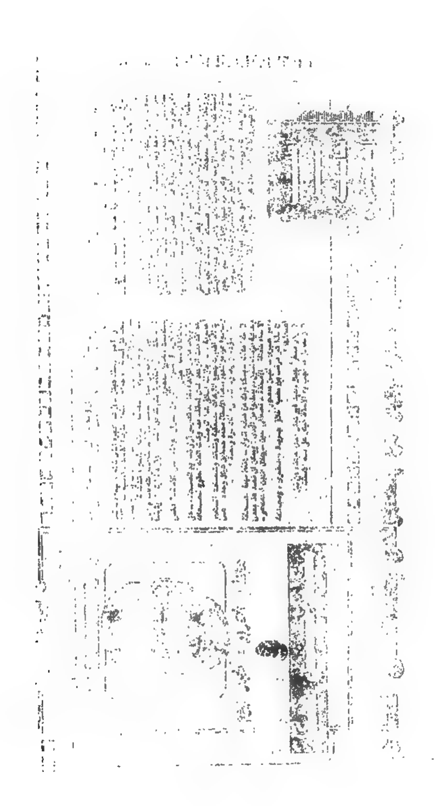
ـ هل مازلت معجبا بجمال عبدالناصر؟

وردى: نعم. فهو فى اعتقادى أحد إثنين فى تاريخ مصر الحديث إستطاعا أن يفهما موقع مصر ودورها، وأن يدركا بعمق أن الجغرافيا هى العامل الثابت فى صنع التاريخ، وعلى هذا الاساس دار محور تجربتهما.. أحدهما كما قلت جمال عبدالناصر، والآخر محمد على.

ولهم أن يسألونى مباشرة:

هل مازلت معجبا بتجربة جمال عبدالناصر؟

وردى مرة أخرى: نعم. وأنا موقن ـ ومرور الأيام وظهور الحقائق يؤكدان يقينى مع كل



يوم - بأن تجربة جمال عبدالناصر كانت أهم تجربة فى التاريخ العربى المعاصر، وهى ككل التجارب التى يصنعها البشر، إنسانية، بمعنى أن فيها الايجابى وفيها السلبى، وانها إحتملت الخطأ وإحتملت الصواب. لكننا إذا قمنا بعملية تقييم شامل لها فسوف نجد ما هو إيجابى فى تجربة عبدالناصر أكبر وأبقى بكثير مما هو سلبى، ومن ثم فان الرصيد النهائى لعصر عبدالناصر هو رصيد بالاضافة إلى الجهد الوطنى والقومى الذى تراكمه الأجيال واحداً بعد الآخر.

لا يوجد عمل إنسانى فى رأيى يمكن وصفه بالكمال. كل ما هو إنسانى نسبى، المطلق يخرج من عالم السياسة ويدخل فى عالم الدين.

كل ماهو تاريخى - لأنه إنسانى - ليست له عصمة، وانما هو مفتوح للتقييم واعادة التقييم والمراجعة، وقياسه يكون بمجمل النتائج وليس بالوقوف أمام التفاصيل، هذا مع تسليمى بأن التفاصيل تستحق أن تبحث على حده وأن تقاس بمعاييرها.

لكن الأهمية الأولى هى للمحصلة النهائية بالطبع، وبعد عمليات الجمع والطرح.... إلى آخره.

وربما كان علينا أن نتذكر أنه بمقدار ما يكون العمل الانسانى ضخما، بمقدار ما ينعكس ذلك على سلبه وايجابه وعلى خطئه وصوابه.

وليس أضخم فى اعتقادى من عملية تغيير المجتمعات خصوصا بالثورة.

وقد أسمح لنفسى بتذكيرهم أن الثورات لا يصنعها أفراد، وانما تصنعها شعوب، تحس بالفجوة الشديدة بين طموحها وواقعها وتحاول أن تتخطى المراحل أو بعضها قفزا. الأفراد يمكن أن يعبروا عن الثورات ولكنهم لا يصنعونها.

وكانت فى مصر ثورة كامنة متشوقة إلى النور ظامئة للحرية، من قبل أن يجيء نابليون، وكان محمد على رمز أول محاولة لبناء دولة حديثة فى مصر. وكان احمد عرابى رمزا أول محاولة شعبية ضد السيطرة الأجنبية على مصر. وكان مصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، ومصطفى النحاس، رموز محاولات تجددت بهدف الحصول على استقلال مصر أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب العالمية الثانية كان «جمال

عبدالناصر» رمز محاولة وطنية وقومية سياسية واجتماعية شديدة الطموح، ولقد حققت هذه المحاولة كثيرا، وقصرت فى كثير، لكن رصيدها النهائى إيجابى فى ظنى بمعايير ما هو إنسانى.

رابعاً: بقيت نقطة أخيرة، أظن أنه من المستحسن وضعها على حرفها فى هذا الموضع من حوارنا، وهى ذلك التساؤل الذى يبحث عمن هو «العائد ولو بالاحتمال إلى الكتابة الدورية فى مصر؟ هل هو الرجل الذى كان فى عصر الستينيات أو هو رجل غيره مصنوع - جاهز - لعصر الثمانينات؟!».

وردى انه على حد علمى.. فالرجل هو نفس الرجل، لم ينسلخ من جلده ولم تجر له عملية غسيل مخ برضاه أو على غير رضاه! ولم يذهب إلى جراح تجميل يجرى مشرطه بالتعديل أو التبديل حتى تتلاءم ملامحه مع مقاييس القبول فى الواقع الجديد.

نفس الرجل بالطبع ومعه ما يمكن أن تعطيه الأيام والسنون.

بمعنى ان مازاد عليه من حقبة الستينيات إلى حقبة الثمانينات هو التاريخ الذى عاشه، والقضايا التى شغل بها، والأفكار التى تابعها، والعوالم التى رآها، والناس الذين إلتقى بهم، والكتب التى قرأها، وما استطاع أن يستوعب من هذا كله ويفهم ويضم. أقول «استطاع» ولم أقل أكثر بمعنى أدق فان الرجل الذى كان فى الستينيات لم ينقلب شخصا آخر غير ما كانه، وانما مسه مثل كل كائن حى روح التطور المستمر المتجدد أو هكذا يتمنى.. قلت «هكذا يتمنى» ولم أقل أكثر.

وأظن أن هذا هو شأن حياة الطفل فى الصبا، والصبى فى الشباب، والشباب فى الرجل.. وهكذا بقية مراحل العمر والنمو، ولكنه نفس الكائن الحى وليس غيره.

●● أخبار اليوم:

إن هذه النقط الأربعة لم تخرج بنا عن موضوع الصحافة، مازلنا فى الموضوع، وكان ما قلته ضروريا له حتى يكون الحوار كله على نور. مازلنا فيه مع العلم اننى أريد أن أستأذنكم فى الخروج عنه لدقائق من وقتكم.

لقد لاحظنا مع أن معظم الأسئلة كانت عن الصحافة، ثم لحقت بها بعض الأسئلة خارج موضوعات الصحافة، وأنا أعرف أنها ليست كلها أسئلتكم، ولكنها جرد «الدكاكين» الكثيرة التى أريد وتريدون تفريغ مخزوناتها.

معكم الحق. ولكن، ألا يلفت ذلك نظرنا إلى شىء؟

وفى موازيننا جميعاً - وأنا بينكم - شىء من الاختلال. إسمحوا لى أن أسألكم واسأل نفسى: ألا نبدو أمام الناس جميعاً - على هذا النحو - وكأننا شغلنا بأنفسنا حتى لكأن حزازاتنا القديمة هى هم الناس وأرق لياليهم؟.

كم من الناس يعنيهم هذا الذى فرضناه جميعا عليهم لمجرد أن الاقلام فى أيدينا والصفحات رهن أمرنا؟ أنا أدرك بالطبع أن المهنة كلها تحت الضوء العام، وما يحدث جزء لا يتجزأ من حساسية دورها، لكنه يخيل إلى أننا زدناها درجتين، اشعر، وارى انكم تشاركوننى نفس الشعور، بأننا بالغنا فى قدر إهتمام الناس بما نفعله أو لا نفعله، أحيانا أتصور أن حالنا مع قرائنا أشبه بذلك القائد العسكرى المتعاجب الذى وقف بجيشه أمام ذلك الفيلسوف الأثينى العظيم ليسأله: «ماذا تريد منى أيها الحكيم؟» وجاءه الرد لم يتأخر. رفع ذلك الفيلسوف الأثينى العظيم بصره لحظة ثم أشاح بيده ورد قائلا: «لا تحجب عنى شعاع الشمس». ومضى القائد العسكرى فى حال سبيله تاركا الحكيم مع الشمس والنور والدفء.

أحيانا يخيل إلى أننا جميعاً - ولا استثنى نفسى - نقف مستكبرين نتظاهر بالتواضع والاهتمام بشئون الناس، بينما نحن فى الحقيقة نحجب عنهم شعاع الشمس والنور والدفء. تستغرقنا مشاكلنا. حزازاتنا القديمة والمستجدة. كأن التاريخ يجب ان يتوقف. كأن مشاكل الدنيا جرى إختزالها فى شواغلنا الذاتية على عقمها.

وأرجوكم أن تغفروا لى، وأنا واحد ممن عاشوا قرابة أربعين سنة من حياتهم فى مهنة الصحافة، إذا قلت أمامكم أن بعض أجواء المهنة تبدو لى الآن على نحو أو آخر فى حالة عصبية، وربما يكون ما أراه فى هذه الأجواء صحيحا، وربما لا يكون، وربما يكون هو إحساسى بالمناخ العام.. وربما وربما.

والشاهد انني أرى فى هذه الأجواء الآن أحد فريقين:

فريق يبدو وكأنه يريد أن يهرب من ماض يلاحقه.

وفريق يبدو وكأنه يريد أن يمسك بمستقبل لن يلحقه.

بالطبع ليس هذا حال كل الناس، فهناك من هم بعيدون عن هذه الأجواء، وهناك كثيرون أقفلوا على أنفسهم أبواب مكاتبهم، وحاولوا ان يخلقوا لأنفسهم حالة توازن تحفظ عليهم سلامة فكرهم..

وبالطبع هناك أجيال الشباب الطالع فى المهنة، وفيهم من يحمل بشائر بآمال أتمنى أن تتحقق، وان كنت أضع يدى على قلبى إشفاقا ومحبة.

●● أخبار اليوم:

بإذنكم سوف أستطرد من هذه النقطة إلى نقطة غيرها متصلة بها، وأعلم مقدما أنها ليست واردة بالنص فى أسئلتكم، ولكنى أراها بالإشارة والتلميح فى الأسئلة. موجودة ضمناً وان لم تكن مكتوبة نصاً.

ماأريد أن أقوله هو: هل يعقل أن تستغرقنا شواغلنا ومشاكلنا وحزازاتنا القديمة والجديدة، وفى البلد أمامنا مافيها، وأحوالها على مانرى، والأفق حولها طوق رمادى داكن تصطدم به العين ولاتستطيع اختراقه؟!

تعالوا إلى نظرة سريعة على الأرض التى نقف عليها وفى اتجاه الأفق. ماذا نرى؟

١- الوضع الداخلى أمامكم صعب فى أبسط تعبير. بلد تعداده خمسون مليوناً من الناس. وستون فى المائة منهم تحت سن العشرين، أى أنهم على وشك أن يتقدموا بمطالبهم العادلة والعاجلة الى مجتمعهم: عمل، وبعد العمل زواج، وبعد الزواج بيت، وبعد البيت تكاليف حياة.. وهم فى عصر حافل بالتطلعات وهم ينظرون حولهم ويحلمون. ويرون غيرهم ويطلبون. والحقيقة التى لامهرب منها أن متوسط دخل الفرد فى مصر خمسمائة جنيه فى السنة وفق أكثر التقديرات تفاؤلاً فى تقارير الهيئات الدولية.

ولنا أن نسأل أنفسنا ماالذى سوف تفعله هذه الكتلة الضخمة التى تمثل ٦٠٪ من

سكان مصر عندما تجد نفسها ممزقة بين الأمر الواقع والأمل المشروع؟ ردوا على؟ ماذا يفعلون؟ إلى أين يتجهون؟ ما الذى يجدونه فى عقولهم؟ فى قلوبهم؟ وكيف تتحرك هذه الكتلة الهائلة وبأى قوة اندفاع؟

لاحظوا أننى أتحدث عن الشباب أو عن القريبين أو المقتربين من سن الشباب.. لا أتحدث عن غيرهم ولو أن غيرهم مشكلة أيضاً، لكن غير الشباب قد يكونون كتلة صامتة، وأما الشباب فهذا بالطبع كتلة قلقة بحجم ٦٠٪ من الخمسين مليوناً من المصريين. هذا بالطبع ونحن لم نتكلم عن زيادة عدد السكان!

كل ذلك على أى حال يقودنا إلى حقائق الاقتصاد المصرى الراهنة، وأنا لاأريد الخوض فيها ولا الاقتراب من أرقامها، لكن الحقائق مخيفة، وتكفينا مراجعة لأرقام الاستثمار وأرقام الديون الخارجية، وأرقام موازين المدفوعات والميزان التجارى والميزانية الجارية، لندرك أننا ببساطة فى ورطة شديدة. ولابد أن أقول أننا لانساعد بكفاءة على حلها، ويكفينى أن أشير إلى كثرة تغير السياسات، وتضارب القرارات، ثم أشير إلى وجوه الإسراف غير المسئولة وأنا على استعداد لذكر عشرات الأمثلة، وفوق هذا كله غارات السلب والنهب التى يتعرض لها الاقتصاد المصرى فى السنوات الأخيرة.

وبهذه الأحوال والأوضاع لاأعرف كيف نواجه مسئولية الكتلة القلقة فى مصر، وهى كما قلت بحجم ٦٠٪ من سكانها . كل شبابها؟!

وفى مرحلة من المراحل كان هناك حل مؤقت وجزئى، وقد تمثل فى الهجرة إلى النفط، لكن أبواب الهجرة إلى النفط يجرى الآن إغلاقها واحداً بعد واحد، والأسباب عديدة ليس هذا مجالها.

ولقد كانت تحويلات المهاجرين إلى النفط تسد بعض المطالب، رغم أنها خلقت من حولها جواً ساهم فى تسخين التطلعات، والتحويلات الآن تقل وتقل معها موارد أخرى، مثل دخل البترول المصرى نفسه وعوائد قناة السويس وأرباح السياحة.

وإذن ماالعمل؟ وكيف التصرف؟ وإلى أين خطانا؟

لاأعرف إذا كان ذلك يعزينا أن نتذكر أن نسبة الشباب فى مصر هى نفس نسبتها فى

بقية العالم العربى.. فى بقية العالم العربى نجد أن ستين فى المائة من السكان هم فى سن العشرين ومادونها، وكلهم معرضون، على نحو أو آخر، لما يواجهه الشباب فى مصر.. والمحزن أن الأمة العربية بعد أربعة عشر عاماً من عصر النفط خرجت منه دون أن تحل مشاكل مستقبلها. لقد استنزفت مواردها وأهدرت طاقاتها. بنت غابات من أعمدة الأسمنت المسلح وسط الصحارى، واشترت نصف السلاح التقليدى الذى أنتجه العالم وصدره طوال تلك السنوات وفضلات مخازنه أيضاً، وأسوأ من ذلك فإن إيراداتها الجديدة من النفط تهبط وتتدنى يوماً بعد يوم، وربما تسمحون لى أن أقول لكم أن المملكة العربية السعودية، التى وصلت إيراداتها من النفط سنة ١٩٨٠ إلى مائة وعشرة بلايين دولار، سوف تكون سعيدة إذا أقفلت حساباتها الختامية فى العام الذى انصرم (١٩٨٥) بإيرادات تصل إلى ثلاثين بليون دولار. أى أقل من الثلث، حتى أنها اضطرت فى ذلك العام إلى سحب عشرين بليون دولار من احتياطياتها لسد عجز مصروفاتها الجارية. وهذا هو أغنى بلد عربى إذا قيس الغنى بمقاييس السيولة المالية.

وإذا سألنا أنفسنا: أين نحن كصحافة من هذا كله؟ فإن الرد هو: حزازاتنا مازالت شاغلنا، وصراعاتنا هى همنا الأول والأخير. فلان قال، وفلان لم يقل. وفلان فعل وفلان لم يفعل؟!

٢ - الوضع الإقليمى - العربى - من حولنا مزعج، وتكفينا نظرة واحدة على خريطة المنطقة لنرى أن مصر وسطها أشبه بعملاق وحيد- ولاأستعمل كلمة معزول- وهو إلى جانب وحدته متألم من جراح مشاكله العميقة والغائرة.. وهكذا فإن الصورة كما قلت مزعجة.

هاتوا أمامنا خريطة ولننظر إلى الغرب والجنوب والشرق حولنا.

الخريطة وحدها تنطق بما لاأريد أن أنطق به- الآن على الأقل- وأيا كان المسئول عن الحالة كما ترسمها الخريطة أمامنا.. فإن القضية الآن ليست قضية المسئولية، وإنما هى قضية مواجهة الحالة.

وأعتقد أننا فى الشهور القادمة - وليس بعيداً - أمام أسئلة مطروحة علينا فى قضيتين اثنتين: الاتفاق الفلسطينى الأردنى، وحرب الخليج، وقد أبدينا الاهتمام بهما أخيراً واعتبرناهما مدخلاً إلى عودة عربية، سواء كانوا «هم» الذين جاءوا أو «نحن» الذين ذهبنا.

١ ـ سوف نجد أنفسنا أمام لحظة حقيقة فيما نسميه مشكلة الشرق الأوسط، أو مشكلة فلسطين. سوف نكتشف أن كل الجهود التى حاولناها وحاولها غيرنا قد وصلت إلى نقطة يستحيل معها على أحد أن لايعترف بأنه أمام طريق مسدود إلا إذا كان بيننا مرة أخرى من هو مستعد للقفز إلى المجهول.. ومرة أخرى لاأدخل إلى تفاصيل.

٢ ـ وسوف نجد أنفسنا عند لحظة معينة تشن فيها إيران هجوماً أخيراً على العراق، وإذا صحت معلوماتى فإن إيران اشترت فى السنة الأخيرة كميات ضخمة من المواد الكيماوية، ثم اشترت معها ربع مليون قناع واقى من الغازات السامة، ومعنى ذلك أن فى انتظار الخليج هجوم ربيع إيرانى قد يتحول فى أى لحظة إلى معركة بالغازات السامة، وهى كارثة انسانية، وتصعيد خطير فى حرب لم يعد لها هدف، ولم تعد لها ضرورة، ولم يعد لها منطق!

لكى أعطيكم صورة حية عن الوضع الذى آلت إليه أحوالنا فى العالم العربى، أو ازمة الشرق الأوسط كما إصطلحنا على تسميتها.. سوف أستأذنكم فى أن أروى لكم ماسمعته عما دار فى اجتماع جنيف بين ريجان وجورباتشوف.

الذى حدث فى شأن الشرق الأوسط وكل قضاياه ـ وأظن أن مصادرى فى وضع يسمح لها بأن تعرف صورة ماجرى ـ كان على النحو التالى:

تعرض الاثنان الكبار لأوضاع الشرق الأوسط كلها مرتين فى خلال اللقاءات الأربعة المغلقة التى دارت بينهما فى جنيف والتى جمعتهما «رأساً برأس» كما يقولون لمدة ثمانى ساعات كاملة!

حدث تعرض لها مرة فى الاجتماع الأول، ومرة فى الاجتماع الثالث. فى مرة الاجتماع الأول كان ريجان وجورباتشوف يبحثان مشروع جدول أعمال أعدّه مساعداهما، وكان من ورقة واحدة وضعها كل منهما فى جيبه، فلقد حرصاً على أن لا يدخلا اجتماعهما بملفات ولا وزراء خارجية، ولا مستشارين، إثنان من المترجمين فقط ينقلان الحوار ويسجلان نقاطه. وكان ذلك حرصاً منهما ـ من جانب ريجان أكثر ـ على أن يكون اللقاء بينهما تعارفا واستطلاعاً واختبار نوايا.

وحين جاء البند الخاص بالشرق الأوسط فى ورقة جدول الأعمال، قال ريجان «انه يقترح بالنسبة لتعقيدات القضية وتشابك عناصرها أن يترك الموضوع برمته إلى اجتماع لوزراء الخارجية يعقد فيما بعد، وقد يرى وزراء الخارجية بعد ذلك أن يتركوه لاجتماع خبراء من الجانبين».

ووافق جورباتشوف، بأن ذلك: «يبدو له أمراً معقولاً خصوصاً على ضوء أولويات المسائل المطلوب بحثها».. كانت أولويته الأولى بالطبع حرب النجوم.

وهكذا انتهى بحث قضية الشرق الأوسط فى الجلسة الأولى، ولم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة.

ولقد سألت أحد العارفين مستغرباً أن تبحث أمور الشرق الأوسط كله على هذا النحو؟ وكان رأيه وقد وافقته عليه كما يلى:

.. «أن ريجان يشعر أن الولايات المتحدة لها اليد العليا الآن فى شئون الشرق الأوسط فإذا تفاوضت بشأنه مع الاتحاد السوفيتى فإنها سوف تعطيه مما عندها ولا تأخذ شيئاً عنده..

وأما بالنسبة لجورباتشوف فهو يشعر أن الاتحاد السوفيتى ليس فى يده كثير فإذا تفاوض عن الشرق الأوسط الآن، فمعنى ذلك أنه يتفاوض من موقف ضعف ينتهى به إلى تثبيت الأحوال على ماهى عليه بإقرار أمر واقع فى صالح الولايات المتحدة».

والمهم أنه هكذا كان.. دقيقة واحدة وخرج الشرق الأوسط كله من جدول الأعمال.

ثم جاء ذكر الشرق الأوسط بعد ذلك مرة ثانية فى الجلسة الثالثة، وكان ذلك فى معرض مايسميه الأمريكيون «مسألة الحقوق الإنسانية»، فقد أثار ريجان مسألة السماح بهجرة أعداد أكثر من يهود الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة، وقال لجورباتشوف «أنه فهم من الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران أنه حصل على وعد منه ـ من جورباتشوف ـ عندما التقى معه أخيراً فى باريس بأن الاتحاد السوفيتى لايمانع فى إعادة فتح باب الهجرة واسعاً أمام اليهود السوفيت ليذهبوا لإسرائيل، وأن الرئيس ميتران لم يبلغ ريجان بهذا فقط بل أبلغ به آخرون بينهم شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل، وبينهم أيضاً «ادجار

برونفمان» رئيس المجلس اليهودى العالمى.

وقال جورباتشوف انه لم يعد ميتران بفتح الباب بغير حدود، وإنما وعده بفتح الباب فى المسائل الإنسانية، بمعنى تسهيل جمع شمل العائلات وما يشبه ذلك من أسباب ثم قال جورباتشوف: «إن اليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفيتى لا يذهبون إلى إسرائيل لتجميع شمل العائلات كما هو مفروض وكما هو مقترح ولكنهم يذهبون إلى أمريكا».

ورد ريجان: «بأن على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بتنسيق بينهما أن يتأكدا أن كل المهاجرين سوف يذهبون إلى إسرائيل وبغير عوائق».

وسأل جورباتشوف عما يعنيه ريجان بكلمة «بغير عوائق» وكان رد ريجان معناه «أنه يقصد فتح باب الهجرة بلا عوائق». ورد جورباتشوف بأنه «سوف يبحث هذا الموضوع تفصيلاً على ضوء تأثير ذلك على علاقة الاتحاد السوفيتى مع الدول العربية». وقال ريجان ان الدول العربية المعتدلة لم تعد ترفض هجرة اليهود بأعداد كبيرة إلى إسرائيل، وأن معلوماته تقول بأن عدداً من الدول العربية طلب من الاتحاد السوفيتى أن يعيد علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل حتى تستطيع إسرائيل أن تقبل إشتراك الاتحاد السوفيتى فى عملية السلام. ورد جورباتشوف بعبارة غامضة قال فيها «انه لاينظر إلى المسائل على هذا النحو.. وعلى أى حال انه سيدرس».

ثم جرى الانتقال إلى موضوع آخر وفى هذه المرة الثانية استغرق الحوار عن الشرق الأوسط- هذا إذا اعتبرنا هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل موضوعاً حيوياً لأمن الشرق الأوسط ولفائدة أزمته- مالا يزيد على خمس دقائق. وهذه- فيما أخشى- أهمية الشرق الأوسط فى العالم الآن.

تراجعت فى جدول اهتمامات الكل ونحن هنا لاندرى.

وأرجوكم أن تسامحونى إذا كانت تعبيراتى قد شطت وتجاوزت، وإن كان على أن أسألكم مرة أخرى أين نحن كصحافة من هذا كله؟ حزازاتنا أيضاً. أليس فى حقائبنا شئ آخر؟!

٢- انتقل بكم بعد ذلك إلى الموقف الدولى، ولعلكم تلاحظون معى أن سياستنا الخارجية أصبحت مركزة فى الواقع على جبهتين: العلاقات مع الولايات المتحدة والعلاقات مع إسرائيل.

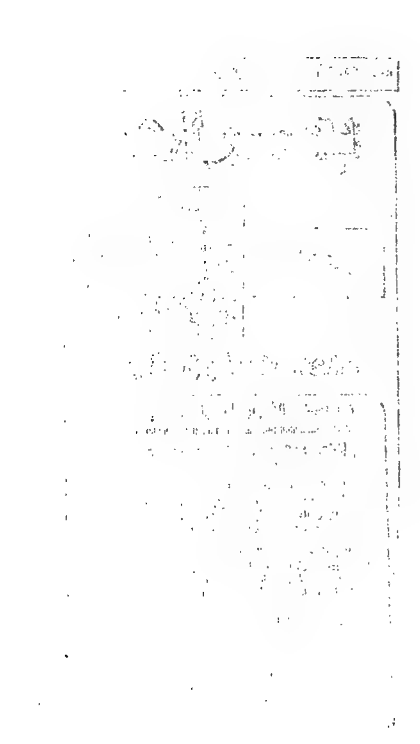
انا أعرف أننى أطلت، وأنا أعرف أننى خارج الموضوع الذى تسألوننى فيه. سوف أستأذنكم فى مواصلة كلامى بنفس الطريقة، وأؤكد لكم أننى لا أتهرب من إجابة صريحة على ما سألتمونى فيه من موضوعات الصحافة وستجدون إننى عائد إليها.

كنت أتحدث معكم عن الموقف الدولى: والجبهتين الأساسيتين فيه لعملنا، العلاقات مع الولايات المتحدة، والعلاقات مع إسرائيل.

أخشى أن أقول لكم أننا على الطريق إلى فترة خشنة مع الولايات المتحدة، وأنا لاأقول هذا بمعلومات آخرين، وإنما أقول بمعلوماتى، فلقد ذهبت مرتين إلى الولايات المتحدة فى السنة الأخيرة: مرة فى نوفمبر السابق (١٩٨٤) لأتابع معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية، الرئاسة الثانية لرونالد ريجان، ومرة أخرى فى مايو الأخير، وكان حظى أن أعيش مع عشرين من صفوة عقول العالم وعلمائه أغلقوا عليهم باب قاعة الأمم المتحدة، وطلبوا إليهم ن يبحثوا مسألة حرب النجوم، وكان رئيسنا فى هذا الاجتماع، السياسى الأوربى المقتدر والمخضرم «فيلى برانت» الذى كان مستشاراً لألمانيا الغربية، وفى واشنطن وفى نيويورك قابلت كثيرين على هامش انتخابات الرئاسة، وعلى هامش حرب النجوم.

إسمحوا لى أن أرصد معكم بعض الظواهر البارزة فيما وجدته فى واشنطن ونيويورك:

ـ أولاً: الشرق الأوسط ليس فى اهتمام أحد فى البيت الأبيض، اهتمامات البيت الأبيض على الترتيب التالى: الأزمة الاقتصادية فى أمريكا- العلاقات مع الاتحاد السوفيتى تحت زعامة جورباتشوف- تفجيرات أمريكا الوسطى- قلاقل أمريكا اللاتينية- التوتر الكامن فى العلاقات مع أوربا- الاهتمام البادى بما يجرى فى حوض الباسيفيك وهو الذى يزحف بسرعة ليصبح بؤرة مسرح دولى جديد له توازناته وله تفاعلاته، وله ضوابطه، فهناك على شطآن وبحار الباسيفيك تتلاقى أربع دول عملاقة: الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتى، واليابان والصين.. هناك أيضاً استراليا وأندونيسيا




بصراحة
يكتبها :
محمد حسنين هيكل
في التطور السياسي في مصر

والفلبين وامتداد الساحل الغربى لأمريكا اللاتينية كله حتى جزر الفوكلاند!

وتتنازل قائمة الأولويات بعد ذلك ليظهر فيها الشرق الأوسط بعد أفغانستان وبعد أمن السعودية- الذى هو قضية خاصة وحده- تجئ أزمة الشرق الأوسط فى البند التاسع أو العاشر!

هذا بينما البعض هنا يحلم بـ «ريجان»؟ وما يستطيعه ريجان؟ ومتى يتحرك ريجان؟ بل متى يتكلم ريجان؟!

- ثانياً: فى هذا الإطار هناك من يتصور فى واشنطن أن مصر أدت ما كان مطلوباً منها وانتهى الأمر، ما كان فى يدها تصرفت فيه كما رأت لكن أحداً فى المنطقة لم يتبعها. وهكذا فإنه ليس لها أن تلح فى أكثر مما حصلت عليه إلا إذا كانت على استعداد لتأدية مهام أخرى توكل لها بالتحديد فى المنطقة.

وقد تسألوننى عن نوع هذا المهام؟ ولعلى أذكركم بأن مصر سنة ١٩٨٠ سمحت للقوات الأمريكية التى قامت بعملية «تاباز»- وهى عملية إنقاذ رهائن السفارة الأمريكية فى طهران- بأن تنطلق من أراضيها، أى أن هذه العملية جهزت فى مصر وأديرت فوق أرضها، وانطلقت منها القوات إلى تلك المغامرة المشئومة على الأقل بنتائجها.

هذا نوع من المهام التى لاضرورة لها.

إذا أردتم نماذج أخرى لنوع المهام المطلوبة من مصر فسوف أروى لكم حكاية أخرى.

ذات ليلة فى نيويورك أيام معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية أقامت لى السيدة «كاترين جراهام» صاحبة جريدة «الواشنطن بوست» ورئيسة مجلس إدارتها مأدبة عشاء فى بيتها. دعت إليها فى نفس الوقت كل رؤساء تحرير الصحف الأمريكية الكبرى. وكان هناك عدد من مشاهير الصحفيين مثل «كرافت» و«جيهلين» و«جرينفيلد». كان هناك أيضاً «أرثر شيلزنجر» فيلسوف ومؤرخ السياسة الأمريكية الأشهر، إلى جانب عدد من السياسيين البارزين، وعدد من السفراء العرب، كان من حظى أن يكون بينهم السفير المصرى المقتدر فى كندا أيامها «تحسين بشير» الذى نظر إلى باقى المدعوين حوله وقال لى «إن كاترين جراهام جمعت هنا كل حكومة الظل فى الولايات المتحدة».

ذكرت عبارة «تحسين بشير» لتعطيكم فكرة عن جو العشاء وما دار فيه من أحاديث ومناقشات.

ثم تجيء حكايتنا التى أردت أن أرويها لكم نموذجا آخر لنوع ما هو مطلوب من مصر.

كان بين المدعوين الدكتور «جيفرى كيمب» مسئول مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض عن الشرق الأوسط، ووقفنا معا وبيننا تحسين بشير يسمع ساكتا بحس دبلوماسى متمرس.

وسألت الدكتور كيمب، وكان سؤالى فى الحقيقة إجتماعيا قبل أن يكون سياسيا، فحين تجد أمامك مسئول مجلس الأمن القومى الذى يشير على ريجان فيما يتعلق بالشرق الأوسط، لابد أن تسأله فى شيء، وبالفعل فانى قلت له: «والآن والرئيس ريجان يوشك على دخول البيت الأبيض لأربع سنوات أخرى فما هى نواياه تجاهنا؟». وسألنى كيمب بدوره عما أقصده بكلمة «تجاهنا؟». وقلت بطريقة عفوية «أزمة الشرق الأوسط.. مصر؟».

وفوجئت بالدكتور كيمب يقول لى: «ألا ترى أن مصر تشغل نفسها بأزمة الشرق الأوسط بأكثر مما هو لازم؟»، ودهشت لكنى قلت له «أليس ذلك مشروعا؟.. وأليس هذا دورها؟». واعترتنى الدهشة مرة أخرى عندما رد قائلا: «ليس ذلك مشروعا ولا هو دورها»! ثم إستطرد يقول: «إسمع منى.. فى السنة القادمة ليس أمام مصر غير مهمتين: الأولى أن تحافظ على نظام نميرى فى السودان(*)، والثانية أن تتصدى لنظام القذافى فى ليبيا». وأعترف أننى أحسست بشيء من الضيق ولم أشأ أن أسكت، وانما قلت للدكتور كيمب «فى ظنى أن مصر لن تفعل ذلك ولا أرى شيئا يرغمها عليه؟ نظام نميرى مسألة تخص شعب السودان، ونظام القذافى مسألة تخص شعب ليبيا..» ثم رأيت أن أتحفظ قائلا «هذا رأيى»، ولم يسكت الدكتور كيمب، وإنما إستطرد يقول: «إنك سألتنى

(*) نرجو الانتباه إلى خطورة ما قاله مسئول الأمن القومى الأمريكى للشرق الأوسط، فالعام الذى كان يشير إليه هو عام ١٩٨٥، وهو العام الذى سقط فيه نظام غيرى يوم ٦ أبريل منه، ولم تستطع مصر حمايته، أيضاً فإن عام ١٩٨٥ شهد الإعلان عن عدة «مؤامرات إرهابية» فى مصر كانت منسوبة كلها لمعمر القذافى، ناهيك عن حملة معده - وأمثاله - المسعورة ضده.. أنه «نعم التصدى».. نرجو أيضاً ربط ذلك بموقف الإعلان المصرى من نظام عمر البشير فى السودان الآن، والنظام الإسلامى الحاكم فى طهران.. أيضاً «نعم التصدى».

وقد قلت لك ما ينبغى على مصر أن تفعله وما يتحتم عليها أن تفعله، ولم أشأ أن أطيل فتحركت من مكانى متجها ناحية ضيف آخر!

هذا هو نموذج مما هو مطلوب من مصر.

للانصاف فان مصر الحالية لا تستجيب بسهولة لهذا النوع من المطلوبات، والنتيجة أن هناك نوعا من «التبرم» بالسياسة المصرية لا تخطئه أذن أو عين فى واشنطن.

إذا تذكرنا أن «ريجان» نجح فى أن يصبغ الولايات المتحدة فيما هو ظاهر على الأقل بصبغة عقائدية شبه صليبية، تتحرك بشكل محسوس إلى أقصى اليمين. وإذا تذكرنا أنه فى مدة رئاسته الثانية والأخيرة لا يهتم الا باستفتاءات الرأى العام ويتصرف بمقتضاها لأنه لا يريد غير الاحتفاظ بشعبيته، وإذا تذكرنا أن هناك إنتخابات تجديد نصفية للكونجرس الأمريكى فى نهاية العام، وأن هذه الانتخابات قد تسفر عن تثبيت مواقع اليمين المتطرف. إذا تذكرنا هذا كله وأضفنا إليه أزمة الاقتصاد الأمريكى ومشكلة التحدى السوفيتى بقيادة جديدة شابة وحمى سباق السلاح المتزايدة وأولويات المشاكل مما سبق أن أشرت إليه. إذن فان هذا كله يعطينا مؤشرات بأن كل شىء ليس على مايرام بالنسبة لنا فى واشنطن.

توقعاتى. إذا جاز لى إستباق الحوادث. أن المساعدات الأمريكية لمصر لن تزيد عما عليه الآن، بل أخشى أنها ستقل، وإذا لاحظنا أن هناك بالفعل بوادر غمز للسياسة المصرية فى الولايات المتحدة.. إذن فنحن أمام مقدمات تقتضى أن نتحسب لها من الآن ونتأهب، والحقيقة أن مسألة المساعدات الأمريكية كلها تستحق دراسة جدية تتقصى أصلها وفصلها وتقيم نتائجها وآثارها لكى نعرف بالضبط ماذا نريد وماذا يريدون وماذا يحدث فعلا؟

ولابد أن أقول. وقد قلت ذلك دواماً. أننى من انصار علاقات مصرية أمريكية طيبة، لكنى أريد علاقات مصرية أمريكية صحية. ولابد أن أعترف أن نوع العلاقات الذى رأيناه فى السنوات العشر الأخيرة ليس صحيا، وبالتالى فهو فى ظنى ليس طيبا.

●● أخبار اليوم:

بإذنكم سوف أتعرض سريعا للمشكلة الثانية التى أعتقد أنها سوف تواجهنا فى الشهور القادمة. سوف أتعرض لها بسرعة لكى أنتقل إلى موضوعات الصحافة. اننى

أقصد العلاقات مع إسرائيل.

واسرائيل أيضا لها مطلوبات. وأقول لكم انني لا أقصد طلبات إسرائيل فى التطبيع ولا فى «طابا» ثم أننى لا أقصد طلبات اسرائيل فى الضفة الغربية وغزة، ولا فى عقد إتفاقية صلح مع الأردن أو مع سوريا.

أتحدث عن شىء آخر مطلوب من مصر - فيما أعلم - والطالب هو شيمون بيريز رئيس وزراء اسرائيل - واسمعونى جيدا - يطلب من مصر أن تساعده على كسر وزارة الائتلاف فى إسرائيل.

بمقتضى الاتفاق الأصلى الذى وقعه تحالف أحزاب العمل مع تحالف الليكود فان على بيريز (قائد تحالف العمل) أن يسلم رئاسة الوزارة فى نوفمبر القادم إلى شامير (قائد تحالف الليكود).

كان الاتفاق أن تتناوب الكتلتان رئاسة وزارة إئتلافية تواجه المصاعب الكبرى أمام إسرائيل: رئيس من العمل لمدة عامين (بيريز) ثم رئيس من الليكود لمدة عامين آخرين (شامير).

بيريز لا يريد أن يسلم الوزارة فى الموعد المقرر. يريد أن يحتفظ - شأنه شأن كل سياسى - بالحكم لحزبه.. وبالرئاسة لنفسه خصوصا وقد طال الكرسى أخيراً بعد انتظار وعناء.. أكاد أقول ومهانة!

وشامير من ناحية أخرى لا يريد أن يتنازل عن دوره، فقد تجاوز السبعين من عمره وهذه آخر فرصة أمامه لتولى المنصب الكبير، ثم أنه يريد أن يكون هو القائم بالرئاسة عندما يحل موعد الانتخابات القادمة للكنيست.

أعود إلى ما يطلبه بيريز من مصر - وفقا لما تقول به مصادر أمريكية وأوروبية أثق فى حسن اطلاعها - يقول ما معناه:

«أعطونى تنازلا كبيرا أواجه به شامير ثم أصطدم به وأحل وزارة الائتلاف وأخوض انتخابات جديدة أستطيع أن أفوز فيها بحجم التنازل الذى سوف تعطونه لى، وبعد ذلك وبعيداً عن تعصب شامير وتحجره نستطيع أن نتفاهم!!»

صدقونى أننى لا أعرف بالضبط ما هو نوع التنازل الذى يطلبه بيريز من مصر وأظنه يطلبه أيضاً من الأردن؟

هل يريد «طابا» مثلا؟ هل يريد القبول الطوعى العربى بضم أراضى عربية أخرى - رسميا - إلى إسرائيل؟ هل يريد مزيدا من الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية لكى تقبل بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢؟.

أغلب الظن أنه يريد هذا كله. وفوقه أكثر إذا استطاع! وأنا لا أعرف ماذا عند بيريز ليقدمه لنا عندما يصفو له الجو.. لكنى لا استطيع أن أنسى أن تكتل العمل هو المهندس الأول لسياسة الاستيطان والضم الزاحف!

وفى رأى بيريز أنه إذا لم تقدم مصر ما هو مطلوب - إذن فهى ليست جادة فى عملية السلام، وإذن.. وإذن..

●● أخبار اليوم:

أعرف أننى أخذتكم معى إلى بحار بعيدة، وقد يتصور بعضكم أننى أتفادى الكلام فى قضايا الصحافة.

الحقيقة اننى منذ البداية كنت أنوى الاختصار فى موضوع الصحافة، وكنت أنوى أن أقتصر فى شأنه على اقتراح محدد لعله يريحنا ويريح الناس.

أنتم تسألوننى ماذا فعلت لإنقاذ مهنة الصحافة وحماية الزملاء الذين لم يسلموا من الأذى وتذكرون أسماء بالذات؟ وأنتم تتحدثون عن قضية جريدة «المصرى» وماذا فعلت فيها؟ وأنتم تتحدثون عن الضرر الذى لحق بجميع القيادات الصحفية فتشتتوا وقصفت أقلامهم وأبعدوا عن مواقعهم إلى آخره.. إلى آخره؟

هناك جزء خاص بى فى هذه الأسئلة كلها، وهنا سوف أجدنى أقول متحملاً مسئولية كل كلمة فيما أقول.

أقول مايلى:

تعالوا نحل هذه القضية بوسيلة عملية ومباشرة دون أن نشغل الناس.. من جانبكم

فانكم تنقلون عن الآخرين قولهم: اننى لم أقف، لم أتصد، لم أفعل، ومن جانبى أقول وما اقوله معزز بالوثائق والشهود - أن موقفى كان عكس ما سمعته الآن تماماً لقد وقفت. وقد تصديت. وقد فعلت.

اننى مستعد أن أقول أكثر من ذلك، وهو أنه ليس بين كل من ذكرتم واحداً لم أقدم له الكثير وأكثر من الكثير احياناً، ولا أريد أن أزيد حرفاً حتى لايكون ما أقوله نوعاً من المن - لاسمح الله - على أحد.

ومع ذلك فهناك حل عملى، لماذا لايقوم مجلس نقابة الصحفيين وهو الهيئة المسئولة عن المهنة، بالتحقيق فى كل هذا الذى يقال؟ إننى أتقدم الآن رسمياً إلى مجلس نقابة الصحفيين طالباً منه أن يبحث هذه القضية، وليت نقابة الصحفيين تستعين معها فى التحقيق بممثل لنقابة لمحامين والأطباء والمهندسين أو غيرها من النقابات المهنية.

لنطلب من كل واحد من هؤلاء الذين إدعوا أمامكم أننى لم اقف، ولم أتصد، ولم أفعل، أن يكتب بخط يده - إذا تفضل - كل مالديه ثم لتطلبوا منى أن أكتب بخط يدى كل مالدى. وبعد ذلك يجرى تحقيق تعلن على الناس نتائجه بدل أن نشغلهم بتفصيلاته ورواياته..

إن بعضنا مع الأسف تعود على إطلاق الكلام على عواهنه دون تحديد، ولقد جاء الوقت فيما أظن لكى نخصص ونحدد.

أليس هذا اقتراحاً معقولاً يخلص المهنة من أشباح الماضى وأثقاله؟

اننى أضع اقتراحى أمامكم وأطرحه على نقابة الصحفيين. مقدماً أقول لكم- أنه لن يتقدم أحد من الذين تحدثتم عنهم بورقة مكتوبة إلى نقابة الصحفيين تحدد وتخصص، لأن الذين تعودوا إلقاء الكلام على عواهنه والاسترسال فى الروايات والحكايات يعرفون- على الأقل بينهم وبين أنفسهم- أن الحقيقة غير ما يدعى به مع الأسف.

سوف أقول لكم لماذا فضلت أن أقترح هذا الأسلوب.. أسلوب التحقيق بدلاً من أن أرد على سؤالكم هذا مباشرة.

أسبابى كما يلى:

أولاً: لقد تحدثت معكم من قلبى عما أحس به من ضيق الناس بحزازاتنا، وانصرافهم

إلى هموم أخرى على كواهلهم.

ثانياً : إننى لا أتصور أن أعود إلى الكتابة ويكون أول ما أفعله أن أفتح صفحات قديمة وأنكأ جراحاً أتمنى أن يشفيها الزمن.

إننى اضطررت اضطراراً أن أتناول رواية واحدة محددة من روايات الصحافة فى كتاب. وعلم الله أننى ترددت كثيراً قبل كتابته، وكان تقديرى أن أترك قصته ووثائقها للتاريخ، لكن الآخرين لم يتركوا لى سبيلاً، وهكذا كتبت لكى يظهر الحق ونحن جميعاً بين الأحياء!

ومع ذلك فأنا عزوف عن إعادة فتح الصفحات ـ أراها مسألة مؤجلة وأرى غيرها من المسائل أولى.

ثالثاً : إننى لست متأكداً أن بعض الذين ذكرتم أسماءهم كانوا مستعدين لطرح أسمائهم هنا فى أسئلتكم، إنكم أخذتم ما قالوه بالطبع، ولكنى لا أعتقد أنهم راغبون فى وضعه تحت العدسات المكبرة والكاشفة– وفى كل الأحوال فإننى لا أريد محاصرة أحد ولاحتى بدعاوية!!

رابعاً: إن الاقتراح الذى عرضته عليكم وأتقدم به إلى نقابة الصحفيين كفيل ـ فى اعتقادى ـ بعلاج القضية. يظهر الحقيقة دون أن يشغل الناس أو يضغط على أوقاتهم وأعصابهم.

لعلى بعد هذه الأسباب الأربعة ان اضيف ملاحظة واحدة وهى أن معظم ماذكرتم من قضايا الصحفيين والصحافة لم تكن له علاقة بمسألة الحرية. أخشى أن أقول أن حرية الصحافة لم تكن طرفاً أصيلاً فى أى موضوع منها.

أكرر لم تكن لها علاقة بحرية الصحافة، وهكذا ترون أننى لست متأكداً تماماً من أن هناك أقلاماً قصفت سنونها، ولعلى متأكد من أن هناك أقلاماً استنفذت ما كان فيها من الحبر فى بعض الأوقات، وعلى أى حال فعند أول منحنى للطريق كانت هناك براميل جديدة من الحبر فى انتظارها.

ولاحظوا أننى لاأدعى بأنه كانت هناك حرية صحافة فى الماضى، لا فى الماضى ولافيما بعده، وربما أضيف أن قضية حرية الصحافة فى مصر وفى كل بلدان العالم

الثالث بالتحديد قضية عويصة وهى تخفى فى أعماقها أكثر مما يبدو على سطحها أحياناً بالتبسيط المخل!

ومع ذلك أضيف شيئاً آخر: هل أستطيع أن أتمنى على الذين ينسبون إلى حرية الصحافة قضاياهم أن يذهبوا إلى نقابة الصحفيين بنماذج مما كتبوه فى الماضى وأدى إلى اضطهادهم؟

إذا أردتم رأى بصراحة، فلقد آن لهذا «المهرجان» أن يتوقف، لا تحتمل أوضاع مصر الراهنة موكباً من مواكب التراجيديات اليونانية القديمة.. مواكب النائحات الصائحات النادبات اللاطمات الخدود ـ خصوصاً وأن المسرح الصحفى ليس عليه بطل مأساوى حكمت عليه المقادير بما هو أقوى من نواياه أو إرادته!

بقى سؤال عن تشخيص لمشكلة الصحافة المصرية الآن؟ وسوف أرد عليه بصراحة أيضاً.

مشكلة الصحافة المصرية جزء من مشكلة المجتمع المصرى عموماً، وهى مشكلة «التراكم». سوف أشرح لكم ما أقصده بالتراكم.

اننى أستلهم الصورة من دراسات علماء الاجتماع فى تشخيصهم لأوضاع مجتمعنا.

علماء الاجتماع يقولون أن تاريخ مصر يحمل ظاهرة غريبة، تلخيصها أن مصر تأخذ بالجديد دائماً ولاتستغنى فى نفس الوقت عن القديم، وهكذا يتراكم التراث طبقات فوق بعضه.. لاتحدث عملية فرز كاملة تستوفى مداها فتأتى بجديد وتستبعد قديماً.

كله موجود.. وكله فوق بعضه حتى عصور التاريخ وماتخلف عنها من مواريث العصور.

كان هناك العصر الفرعونى، وجاء العصر اليونانى. لم يزح الفرعونى وإنما كون طبقة فوقه. ونفس الشئ فعله اليونانى مع الرومانى ونفس الشئ فعله البطلسى مع اليونانى. ونفس الشئ فعله الرومانى فوق البطلسى.. وهكذا حتى جاءت عصور التاريخ الإسلامى: عصر الخلافة، وفوقه طبقة كونها عصر الفاطميين، ثم طبقة كونها عصر الأيوبيين، ثم طبقة كونها عصر المماليك، ثم طبقة كونها العصر العثمانى.. وهكذا وهكذا. حتى فى الأزياء. الجلباب ويجواره العباءة والعقال، والجبة والقفطان، والجاكته والبنطلون،

والبلوجينز والبلوفر فوقه. كله على بعضه، وكله فى نفس الوقت فى نفس الشارع. بل أحياناً فى نفس البيت!

أكاد أقول أنه هكذا حدث للصحافة المصرية. تراكم طبقات. جديد يجئ ولكن القديم لايتغير، وان توارى أحياناً تحت السطح أو القشرة. الذين كانوا يكتبون فى العصر الملكى والأحزاب التى عملت فى إطاره موجودون.. وأنا أدعو الله مخلصاً أن يطيل فى أعمارهم ويعطيهم الصحة والعافية. عندما جاءت الثورة بقوا وجاءت طبقة أخرى.

وعندما برز عبدالناصر وأصبح دوره متميزاً فى مصر بما أجرى من تحولات ظهرت طبقة ثالثة.

وفى عصر السادات وبكل ماحفل به من أحداث ظهرت طبقة رابعة، وفى عصر مبارك ظهرت الطبقة الخامسة.

كله تراكم فوق بعضه. كله فى نفس الوقت. الجديد يظهر والقديم موجود، وهذا الوضع أكثر ما يكون بروزاً فى الصحافة لأنها وسيلة كل سلطة فى الوصول إلى الناس، وتتجدد السلطات وتتغير وتتبدل، والوسائل تتراكم فوق بعضها، كلها تلبى حاجة وكلها تؤدى دوراً.

ولأن الصحافة فى الواجهة.. فى الضوء الساطع أمام الناس صباح كل يوم فإن تناقض الصورة يبدو حاداً، وأحياناً يبدو شديد الحدة. لكى نتمثل هذا الوضع بصورة حية حتى وان بدت هذه الصورة لوحة سيريالية من وراء الواقع والممكن والمعقول، تعالوا نتصور قاعة يحضر فيها بمعجزة رموز كل العصور التى عبر عنها فى يوم من الأيام قطاع مؤثر من صحافة اليوم.

هل نستطيع أن نتصور قاعة يجتمع فيها بمعجزة إلهية كبار رموز القوة والسلطة والحكم فى نصف القرن الأخير ـ من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٨٦ ـ الذين كانوا على القمة المصرية، سواء كانوا اليوم فى رحاب الله أو كانوا فى دنيا الناس؟

فى القاعة إذا حاولنا تمثيل هذه الصورة السيريالية سوف نجد ملكين، وأربعة من رؤساء الجمهوريات، وقرابة ثلاثين من رؤساء الوزارات، ومثلهم من قادة الأحزاب.

وأنا لا أريد أن أسمى أسماء ولا أن أحدد عصوراً لكنى أريد أن أترك قارئ هذا الحوار يتخيل ويتصور.

ماذا سيحدث فى هذه القاعة؟ وما الذى يمكن أن يدور فيها؟ أى شئ إلا الحوار. بالضبط هذه صورة مايجرى فى الصحافة المصرية. فالذين يتحاورون اليوم على ساحتها هم الذين عبروا عن هذه العصور ومازال بعضهم يعبر.. وعن كل العصور!

ولاحظوا أنى لا أتحدث عن المخبرين الصحفيين، فهؤلاء مهمتهم الأخبار، وهؤلاء لايصلون بسهولة إلى مراقى النجوم.

نموذج حى لمشكلة التراكم فى مصر وهى مشكلة معقدة. وهى أكثر ما تكون تعقيداً فى الصحافة، ولم أقصد أن أسئ إلى أحد، وإنما تحدثت عن ظاهرة تستطيعون أن تروها.. بل أن تمسكوا بها.

أظننا الآن قطعنا شوطاً بعيداً.

وربما نتوقف الآن. وعلى أى حال فقد بقى أمامنا لقاء آخر. ثالث! وأعد فيه أن أكون أكثر حرصاً على الاختصار، وأن يكون أسلوبى معكم.. سؤال وجواب. وجواب على قدر السؤال لاأكثر.

الجزء الثالث

نشر الجزء الثالث والأخير من حوار مجلس تحرير أخبار اليوم مع الأستاذ هيكل بالعدد ٢١٥١ الصادر فى ١٨يناير ١٩٨٦، على صفحات ٤ و٥ و٦.

•• مانشتات الحوار:

. أقول لمن وصفنى «بالكاتب الأوحد» تذكر أين كان «الكاتب الأوحد» قبل جمال عبدالناصر؟

. صنعنى تاريخى الصحفى فى ميادين القتال وبالقرب من براكين الثورات والانقلابات ووسط الأحداث والوقائع الكبرى.

. كنت «الوحيد» الذى حصل على جائزة فاروق الأول للصحفيين الشبان ثلاث سنوات

متعاقبة.

. كنت الضيف الوحيد الذى دعاه الطلبة الإيرانيون الذين احتجزوا الرهائن فى السفارة الأمريكية وطلب منى وزير الخارجية وقتها أن أتوسط فى قضية الرهائن.

. هيكل يتحدث عن الديمقراطية وأزمة التصديق فى مصر

. وضعت للسادات الخطة الإعلامية وجزء من الخطة السياسية لحرب أكتوبر وكلفنى بوضع قرار الحرب.

قبل منّى السادات الاقتراح بفتح قناة السويس رغم معارضة مستشاريه السياسيين.

. لن انضم للحزب الناصرى فى حالة قيامه ولا لأى حزب آخر

. إننى أول من يسلم بأن هناك سلبيات للتجربة الناصرية

. أدعو إلى حوار على مستوى الشعب كله لنعرف ماذا نريد

. أعترف بهذه الأفضال للرئيس مبارك:

● أتى إلى الحكم فى لحظة مفعمة بالقلق وكان محتفظاً بتوازنه

● قدم نفسه للناس بطريقة طبيعية وهادئة فى حين ان المناخ حوله كان عصبياً

● دخل مكتبه ودرجة الحرارة فى مصر قرب درجة الغليان فاستطاع بجهد لاشك فى إخلاصه تخفيض الحرارة إلى درجة شبه عادية.

● لم يحاول اعتراض طريق التطور الطبيعى لحركة القوى الاجتماعية فى مصر بطريقة خشنة أو عنيفة.

●● مقدمة الجزء الثالث من الحديث:

«رغم أن الحوار كان يدور فى غرفة مكتبه بالقاهرة.. إلا أن الأستاذ محمد حسنين هيكل.. نقلنا عندما تكلم إلى أوربا وأمريكا وإيران.

وكان زمن الحوار فى يناير ١٩٨٦.. ولكننا شعرنا فى لحظات أننا نقف مابين الأربعينات والثمانينات.

قطع بنا هيكل فى هذا الجزء الثالث من الحوار.. مسافات فى المكان والزمان! وهذا

الجزء من الحوار بين مجلس تحرير «أخبار اليوم» وبين الأستاذ هيكل كان مخصصاً للسياسات كما قلنا قبل ذلك.. ولكنه لاحظ أن هناك بعض الأسئلة عن الصحافة وعنه مازالت معلقة.. مصرون عليها لأنها تتعلق بالضجة الكبرى التى أحدثتها عودة هيكل للكتابة فى «أخبار اليوم».. لهذا فقد تناول هذا الجزء كثيرا من ردوده على الأسئلة الخاصة بالصحافة.. إلى جانب حديثه عن السياسات.

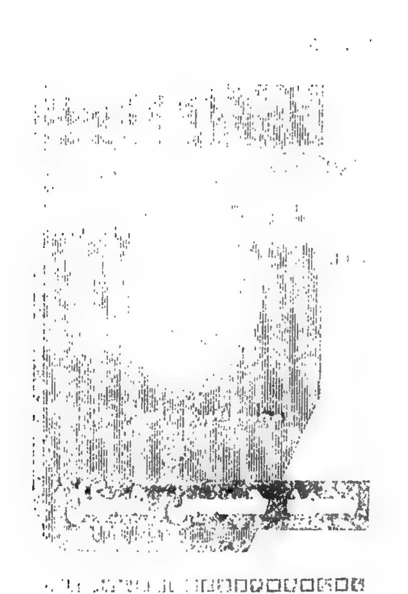
ومن ناحية أخرى.. كان من المتصور والمعقول - على حد تعبير الأستاذ هيكل - أن نترك بعض الأسئلة للمستقبل ليحاول الاقتراب من موضوعاتها فى مقالاته القادمة.. وقد وافقنا على ذلك.

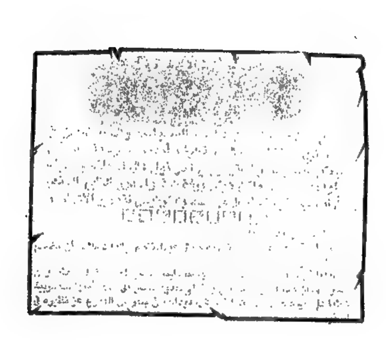
ومع ذلك.. ففى هذا الجزء الثالث من الحوار.. أثار الأستاذ هيكل عدة قضايا.. وأعلن كثيرا من الأخبار.

قال هيكل لمن اتهمه بأنه الكاتب الأوحد فى عهد جمال عبدالناصر أنه كان موجودا قبل جمال عبدالناصر وأنه صنع سجله الصحفى فى ميادين القتال وبالقرب من وهج وحريق براكين الثورات والانقلابات.. ووسط الأحداث والوقائع الكبرى، وأنه كان الصحفى الوحيد الذى حصل على جائزة فاروق الأول للصحفيين الشبان ثلاث سنوات متعاقبة قبل الثورة.

وأعلن هيكل أنه كان الضيف الوحيد الذى دعاه الطلبة الايرانيون الذين احتجزوا الرهائن فى السفارة الأمريكية وطلب منه «سايروس فانس» وزير الخارجية الأمريكية وقتها أن يتوسط فى قضية الرهائن.. وأعلن أنه صاحب الاقتراح بفتح قناة السويس بارادة مصرية مستقلة، وقد قبل منه الرئيس الراحل السادات الاقتراح ونفذه رغم معارضة مستشاريه الرسميين، وقال أنه وضع للسادات الخطة الاعلامية وجزءاً من الخطة السياسية لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ وكلفه السادات بوضع قرار الحرب.

وسلم هيكل بأن هناك سلبيات للتجربة الناصرية، وقال إن الأمم الحية تحقق فى السلبيات من مراحل تجاربها حتى تستطيع تجاوزها فى المستقبل.. وأكد أنه لن ينضم للحزب الناصرى فى حالة قيامه ولا لأى حزب آخر.





وفى نهاية الحوار الطويل.. أعطى الأستاذ هيكل كثيراً من الفضل للرئيس حسنى مبارك لأنه أتى إلى الحكم فى لحظة مفعمة بالقلق وكان محتفظا بتوازنه، وانه قدم نفسه للناس بطريقة طبيعية وهادئة، وكان المناخ السائد حوله عصبيا، وأنه إستطاع تخفيض درجة الحرارة فى مصر التى كانت قرب درجة الغليان حتى أصبحت شبه عادية وانه لم يحاول إعتراض طريق التطور الطبيعى لحركة القوى الاجتماعية فى مصر بطريقة خشنة أو عنيفة، وأنه أعطى الأولوية لعنصر السلامة والأمان.

ودعا هيكل إلى حوار يدور على مستوى الشعب كله بأحزابه وتنظيماته وقواه حتى نعرف من نحن.. وماذا نريد؟

وهذه هى الأسئلة التى وجهها مجلس التحرير إلى الأستاذ هيكل:

● اعلان نبأ عودتك للكتابة أثار مخاوف البعض، وربطوا بين هذه العودة وسلبيات فترة من حياتنا شهدت حكم الحزب الواحد والراى الأوحد، وتمادى هذا البعض فتصور أن تلك السلبيات سوف تعود بعودتك إلى الكتابة.. ما ردك على هذا البعض؟

● تردد كثيرا أنك كنت مشاركا فى الحكم. بالمشورة وبصنع القرار. خلال سنوات حكم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، ماذا كانت حدود تلك المشورة، وما دفاعك عن الجانب السلبى للحكم خلال تلك الفترة؟

● بما تفسر الضجة الكبرى التى لم تهدأ حتى الأن بمجرد الاعلان عن عودتك للكتابة فى صحيفة مصرية؟

● ما هو تفسيرك للناصرية كما تفهمها؟ وكيف يمكن للبعض تصور دوران عجلة التاريخ الى الوراء؟

● لماذا وافقت على أن تكتب فى أخبار اليوم وليس فى الأهرام؟

● ما رأيك فى الجو الديمقراطى الذى تميز به عهد الرئيس مبارك، ومنذ بداية توليه الحكم؟

● هل تؤيد قيام احزاب جديدة؟ وبالذات الحزب الناصرى؟ وهل تقبل الإنضمام إلى هذا الحزب؟

وفيما يلى ما أجاب به الأستاذ هيكل على هذه الأسئلة.

فى بداية هذا اللقاء الثالث والأخير فى هذه المناسبة بيننا قد يكون من الملائم أن أنبهكم وأنبه نفسى إلى بعض النقط التى تتصل بالإجراءات كما يقولون.

من ناحية فإن اطار هذا الحديث الذى أدرناه معا قد وصل إلى حدود، وعلينا أن نتذكر - نذكر أنفسنا كما يفعلون فى لجان الامتحانات - بأنه باق من الزمن ساعة أو أكثر قليلا - وبالتالى فان علينا أن نسرع فى محاولة للاجابة عن أكبر عدد ممكن من الأسئلة فى الوقت الباقى والمتاح.

ومن ناحية أخرى فانه من المتصور والمعقول أن نترك بعض الأسئلة للمستقبل اذا شاء الله وعدت للكتابة الدورية المنتظمة وقتها قد أحاول الاقتراب من موضوعاتها فى مقالات، وهذا متصور ومعقول كما قلت شريطة أن لا يكون بين هذه الأسئلة ما يعتبر تأجيله فى نظركم أو نظر الناس تهربا من الموضوع.

ومن ناحية ثالثة فأنا ألاحظ أنه مازالت هناك أسئلة معلقة عن الصحافة وعنى، وأنتم تصرون عليها وتعتبرون التجاوز مرفوضا من جانبكم.. ورغم أن ذلك سوف يعيدنا إلى حديث أريد تجنبه وقد إستغرقنا على أى حال بما يكفى، فاننى لا أريدكم أن تفسروا محاولة تجنب ما هو ذاتى، بحيث تبدو وكأنها تهرب مما هو موضوعى.. وأنا أسلم معكم بأننى فى الحديث السابق ركزت على السياسة ولم أقترب من موضوعات الصحافة إلا فى الجزء الأخير منه، ولقد كنت أرجو عفوكم ولكنى أراكم مصممين.

إنكم طرحتم على أسئلة كبيرة ومركبة وعويصة، وبعضها يستحق أن يكتب فيه كتاب بأسره، وأنا أحاول قدر ما أستطيع أن أختصر، والاختصار كما تعلمون أصعب من الاطالة، وربما تعلمون قصة أول إشارة بعث بها ونستون تشرشل، حين أصبح رئيسا لوزراء انجلترا فى اللحظة الحرجة من الحرب العالمية الثانية، إلى رئيس أركان حرب الامبراطورية الجنرال سير آلان بروك، أراد تشرشل أن يضع فكره عنت له عن الحرب أمام آلان بروك، وجلس على مكتبه فأملى مذكرة من عشر صفحات ثم كتب بخط يده كلمة أرفقها بها يقول فيها لرئيس أركان حرب الامبراطورية:

«عزيزى الان ـ آسف أن تجيئك هذه المذكرة فى عشر صفحات، من سوء الحظ أنه لم يكن لدى الوقت لاختصارها فى عشرة سطور»!! ترون أن الاختصار صعب.. وترون أننى حاولت، وأحاول، وكان الأسهل أن أطيل وأسترسل، لكن الصفحات محدودة، ووقتكم محدد، وكذلك وقت الناس، تثقل مشاكلهم كواهلهم، ونحن فى المهنة مثل أهل بيزنطة، مدينتهم تحاصرها جيوش الغزاة وهم بداخلها مستغرقون بالكامل فى سؤال طرحوه على أنفسهم عما إذا كان الملاك يستطيع أن ينفذ من ثقب ابره أو أنه لا يستطيع.

يتصل بنواحى الاجراءات فى حديثنا اليوم اننى أريد أن أُنهى إلى علمكم ـ تلاحظون اننى أستعمل اللغة الرسمية لدواوين الحكومة ! ـ أننى أرسلت يوم السبت الماضى، فور صدور عدد أخبار اليوم الأخير، نسخة من هذا العدد ومعها خطاب إلى نقيب الصحفيين الاستاذ إبراهيم نافع.. فى هذا الخطاب وضعت إقتراحى بأن تقوم النقابة بالتحقيق فى شأن ما كان منى تجاه الزملاء الذين أشرتم إلى أسمائهم وقلتم أننى لم أقف معهم فى أزماتهم بل تخليت عنهم ـ أو هكذا يشاع ـ ثم رجوته أن يتصل بهم ليضعوا ما لديهم محددا ومكتوبا على ورق، ثم يتفضل ويتيح لى فرصة أن أضع إزاء ذلك ما عندى.. فأنا أدعى أننى فى أزماتهم وضعتهم على رأسى وفى عينى، وهم يقولون ـ أو يقال نقلا عنهم ـ أننى لم افعل بل أدرت ظهرى ونسيتهم، رجوت النقيب أن تتولى النقابة تقصى الحقيقة ونقلها للناس دون أن نشغلهم ـ فوق ما هم فيه ـ بالملائكة وثقوب الابر!

●● أخبار اليوم:

بعد هذه المجموعة من النقط الاجرائية نعود إلى موضوعنا الأصلى: الحوار.. المحاكمة.. الامتحان ـ سموه ما شئتم وأنا قابل بما تشاءون.

أجد أمامى تركيزا شديدا على حكاية «الصحفى الأوحد»[1] إحتكر لنفسه وحجب عن الآخرين، واستند على قربه من جمال عبدالناصر وثقته به فتجرأ على النقد، وارتفع صوته وحده وخفتت أصوات الآخرين.

---

(١) مصطلح «الصحفى الأوحد» اخترعها إبراهيم سعده، ولم يستخدمها كتابة ونطقاً احد سواه.. وهو خطأ لغوى جسيم، لأن «الأوحد» هو الله جل جلاله.. وكلمه «الأوحد» فعل، كأن تقول «أوحدت فلانه» اي انجبت ولداً واحداً فقط، فإذا ما استخدمت كـ «اسم» فتأتي كلمت سببى، كأن تقول «فلان اوحد زمانه» اي لا نظير له، وتكون هنا على سبيل المطلق، وليت سعده يخصص ساعة من وقته كل سنة ويجلس فيها مع مدرس لغة عربية شاطر.

اليس ذلك هو السؤال المعلق فوق رأسى مثل سيف المقادير؟ سوف أجيب عليه أمامكم وبصراحة، لكنى أرجو أن تغفروا لى إذا أحسستم أنى أتجاوز.. الواقع أننى أريد أن نعالج هذا السؤال مرة واحدة ثم نسمح له بعد ذلك أن يذهب بهدوء إلى النسيان.

أرجوكم أن تتذكروا معى - وبعضكم على وجه القطع يتذكر - أين كان هذا «الصحفى الأوحد» - كما يقال - قبل جمال عبدالناصر، قبل الثورة، قبل ١٩٥٢؟.

تذكرون أن الثورة حين قامت وجدتنى أحد رؤساء التحرير فى صحف أخبار «اليوم» وعضواً فى المجلس الذى كان يدير شئونها، كان عمرى بضعا وعشرين سنة، وأظن أننى كنت أصغر من تولوا هذه المواقع سنا.

تذكرون أننى لم أصنع سجلى الصحفى بالجلوس على المكاتب أو الوقوف على أبواب الوزارات، وانما صنعته «بالبحث عن المتاعب» كما كنت أقول.. فى كل مكان:

فى ميادين القتال والحروب، وبالقرب من وهج وحريق براكين الثورات والانقلابات، ووسط الأحداث والوقائع الكبرى التى راحت تترى على منطقة الشرق الأوسط كلها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.

تذكرون أننى «الوحيد» - آسف أن أتلفظ بها - الذى حصل على جائزة فاروق الأول للصحفيين الشبان ثلاث سنوات متعاقبة.. فى المرة الأولى عن مجموعة تحقيقات عن وباء الكوليرا فى مصر.. كتبت التحقيقات من منطقة الوباء التى عشت فيها وسط الموت الأصفر الزاحف عدة شهور.

وفى المرة الثانية حصلت على الجائزة عن مجموعة تحقيقات عن حرب فلسطين.. ولقد كنت فى الميدان مع قوات الفدائيين قبل دخول الجيوش، ثم تابعت مأساة دخول الجيش، ثم ذهبت إلى إجتماعات مجلس الأمن فى باريس لأرى الستار ينزل عمليا على الفصل الأول من القصة الهائلة.. وفى المرة الثالثة حصلت على الجائزة عن مجموعة تحقيقات عن الحرب الأهلية فى اليونان، وقد إمتد نطاقها فشملت البلقان كله - يوجوسلافيا وبلغاريا وألبانيا - إلى جانب اليونان ذاتها.

وكدت أتقدم للجائزة مرة رابعة بسلسلة تحقيقات عن الثورة الايرانية بقيادة مصدق..





... من مراحل تجاربها حتى تستطيع تجاوزها في المستقبل . واكد انه لن ينضم للحزب الناصري في حالة قيامه ولا لأي حزب آخر .

وفي نهاية الحوار الطويل اعطى الاستاذ هيكل كثيرا من الفضل للرئيس حسني مبارك لانه اتى الى الحكم في لحظة مفعمة بالقلق وكان محتفظا بتوازنه وانه قدم نفسه لمصر بطريقة طبيعية وهادئة وكان المناخ السائد حوله عصبيا وانه استطاع تخفيض درجة الحرارة في مصر التي كانت قرب درجة الغليان حتى اصبحت شبه عادية . وانه لم يحاول اعتراض طريق التطور الطبيعي لحركة القوى الاجتماعية في مصر بطريقة خشنة أو عنيفة وانه اعطى الاولوية لعنصر السلامة والامان .

ودعا هيكل الى حوار يدور على مستوى الشعب كله بأحزابه وتنظيماته وقواه حتى نعرف من نحن وماذا نريد .

وهذه هي الاسئلة التي وجهها مجلس التحرير الى الاستاذ هيكل :

● اعلان نبأ عودتك للكتابة اثار مخاوف البعض . وربطوا بين هذه العودة وسلبيات فترة من حياتنا شهدت حكم الحزب الواحد والرأي الأوحد . وتمادى هذا البعض فتصور ان تلك السلبيات سوف تعود بعودتك الى الكتابة فما ردك على هذا البعض ؟

● تردد كثيرا انك كنت مشاركا في الحكم - بالمشورة وبصنع القرار - خلال سنوات حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فماذا كانت حدود تلك المشاركة وما دفاعك عن الجانب السلبي للحكم خلال تلك الفترة ؟

● بماذا تفسر الضجة الكبرى التي لم تهدأ حتى الآن بمجرد الاعلان عن عودتك للكتابة في صحيفة مصرية ؟

● ما هو تفسيرك للناصرية كما تفهمها ؟ وكيف يمكن للبعض تصور دوران عجلة التاريخ الى الوراء ؟

● لماذا وافقت على ان تكتب في « اخبار اليوم » وليس في « الاهرام » ؟

● ما رأيك في النهج الديموقراطي الذي تميز به عهد الرئيس مبارك منذ بداية توليه الحكم

● هل تؤيد قيام احزاب جديدة ؟ وبالذات الحزب الناصري . وهل تأمل الانضمام الى هذا الحزب ؟

وفيما يلي ما اجاب به الاستاذ هيكل على هذه الاسئلة

وقد عشتها فى طهران منذ إندلع لهيبها، وطلبتنى لجنة الجائزة وطلبت إلى رقيقة إلا أتقدم مرة رابعة وأن أفسح المجال لغيرى وقبلت، وطبعت أخبار اليوم تحقيقاتى فى كتاب بعنوان «إيران فوق بركان» كان من أكثر الكتب رواجا فى تلك الأيام.

ولا أدعى أننى كنت أحسن من غيرى ولا أكفأ . لكنى اقول أننى حاولت أن أذهب إلى الأخبار والمعلومات فى ميادينها ومكامنها، وقبلت الحياة مع الخطر وأمام تحدى الموت، فى حين أن غيرى ربما كان أعقل.

ولم تكن لجنة جوائز فاروق الأول للصحافة هى التى رعت جهدى وقتها، ولكن قبلها وأهم منها كانت جماهير القراء قد رعت هذا الجهد وشجعته، ووجدتنى قبل الثورة فى الصفوف المتقدمة من المهنة، والمهنة بطبيعتها فى وسط السياسة، وهكذا وجدتنى قريبا من كثيرين من ساسة هذا العصر أتعامل معهم كصديق ويسألوننى بمقدار ما أسألهم. أقولها بخجل. لكنى مضطر أن أقولها.

طيب . بإذنكم . نترك ما قبل الثورة وما قبل عبدالناصر، ونقفز اكثر من عشرين سنة.. نقفز إلى سنة ١٩٧٤، تركت مكانى فى الأهرام بعد سبعة عشر عاما رئيساً لتحريره، كنت أتقاضى فيها مبلغ خمسة آلاف جنيه فى السنة . وكنت رئيسا لمجلس ادارته ورئيسا لتحريره وأحد مخبريه وكاتب مقال اسبوعى . لم يزد هذا المبلغ مليما واحدا حتى خرجت، بل وكان بالطبع ينقص بما يخصم من ضرائب واستقطاعات معاش الى آخره.. ثم اعتذرت عن منصب مستشار الأمن القومى، ومنصب نائب رئيس الوزراء فى وزارة السيد ممدوح سالم، وكلا المنصبين عرضهما على الرئيس السادات، وفى ثانيهما إشترك فى العرض السيد ممدوح سالم مع الرئيس السادات، إعتذرت وقررت أن أجرب حظى فى مجال النشر العالمى، وفرغت من أول كتاب للقارىء فى العالم الخارجى، ولم أذهب به إلى أحد أصدقائى الشخصيين مع أن بينهم من أبدى رغبة فى نشره وأولهم السير «دنيس هاملتون» وهو يومها رئيس مجلس ادارة مجموعة صحف التايمس ورئيس تحريرها العام.

ذهبت بكتابى الى ناشر لا أعرفه من قبل، وهو اللورد «هارتويل» صاحب ورئيس مجموعة صحف «التلجراف» وعرضت على «الصنداى تلجراف» مائة ألف جنيه

إسترلينى حقوقا مقدمة على الكتاب، وباعت هى حقوق نشره بعد ذلك لواحد وعشرين ناشرا فى العالم، وربحت منه فوق ما دفعته لى اكثر من ثلاثمائة الف جنيه إسترلينى طبقا لحساباتها الرسمية.

وأكثر من ذلك طالبتنى «التلجراف» بأولوية حق الحصول على الكتاب الثانى الذى اكتبه للنشر العالمى وبالفعل حصلت عليه.

ويومها قال البعض «انه صديق لعدد من رؤساء تحرير الصحف البريطانية وأن هؤلاء قد قبلوا كتابه مجاملة».. لم يفهموا أن رئيس تحرير جريدة بريطانية يجامل صديقا له إذا جامله بدعوته على غذاء أو عشاء، لكنه لا يجامله على حساب القراء.

الغريب أن البعض قالوا ذلك فى القاهرة، فى الوقت الذى كانت «الصنداى تلجراف» تنشر فيه كتابى «وثائق القاهرة» فى حلقات إمتدت ثمانية أسابيع كاملة.

نفس الشىء حدث لكتابى الثانى عن حرب ١٩٦٧.

وفى الكتاب الثالث وهو «الطريق إلى رمضان» كانت أمامى عدة عروض متنافسة واخترت عرضا من دار «كولينز» وأنا لا أعرف فيها أحداً، واشترت «التايمس» حق النشر الصحفى من كولينز» وصدر «الطريق إلى رمضان» فى إثنتين وعشرين لغة.

ونفس الشىء حدث لكتابى التالى «أبوالهول والقوميسير».

قال البعض فى القاهرة: «وما هى المشكلة؟ يكتب فى موضوعات عاشها فى مصر؟».

واخترت أن يكون كتابى الخامس للعالم فى موضوع لم أعشه فى مصر، وهى الثورة الاسلامية فى إيران: بدأت «الصنداى تايمس» نشره موضوعاً رئيسيا فى صفحتها الأولى، ثم تلتها «التايمس» التى خصصت له صفحة كاملة طوال اسبوع كامل، ثم صدر الكتاب فى ثلاثة وثلاثين لغة:

لم أكتب الكتاب «من منازلهم» أو «من مكاتبهم» كما يقولون، وانما بدأت مع آية الله الخمينى من باريس وتبعته إلى طهران، وعشت معه فى «قم»، وكنت الضيف الوحيد الذى دعاه الطلبة الإيرانيون الذين احتجزوا الرهائن فى السفارة الأمريكية إلى زيارتهم فى معقلهم، وقضيت أيام أقلب فى وثائق وزارة الخارجية الايرانية والقصر الامبراطورى.

«نيافاران» ـ وأقابل كل من أردت مقابلتهم من تبريز الى اصفهان، ومن قم الى طهران.

وكان أن اتصل بى وزير الخارجية الأمريكية وقتها «سايروس فانس» يسألنى إذا كنت مستعداً أن أتوسط فى قضية الرهائن، ودعانى إلى مقابلته فى واشنطن لبحث المسألة، ولم تكن إرتباطاتى المسبقة تسمح لى بالذهاب إلى واشنطن يومها فأرسل لى فانس مساعده لشئون الشرق الأوسط «هارولد سوندرز» يقابلنى فى لندن ثم يعود إلى مقابلتى بعد ذلك فى قلعة «بلزيف» بجوار جنيف حيث كنت أنزل لبضعة أيام ضيفا على الأمير صدر الدين أغاخان.

وقد تسبب توسطى فى قضية الرهائن فى أزمة انتظرتنى فى مصر عندما عدت إليها بعد ذلك.

كان الرئيس السادات ـ يرحمه الله ـ متضايقا، وقال للسفير الأمريكى فى مصر:

ـ وهل لم تجد واشنطن بين الأربعين مليونا من المصريين أحداً توسطه فى مشكلة الرهائن غيره؟»

ورد السفير الأمريكى قائلاً:

ـ «من سوء الحظ أنه كان الوحيد بين الأربعين مليون مصرى الذى يعرف الخمينى»!

والغريب أن توسطى فى مشكلة الرهائن كان موضوع حملة على مصر، لا يعرف بعض الناس مع الأسف أن الصحفى الذى يعيش فى وسط الحوادث يجد نفسه بالفعل وسطها .. ومادام فى وسطها فانه قد يجد نفسه بالضرورة والطبيعة طرفا من أطرافها.

ثم جاء كتابى السادس للسوق الدولية وهو «خريف الغضب».

والآن أعمل فى الكتاب السابع «حرب الثلاثين سنة» وقد وقعت عقده مع دار «أندريه دويتش» ولم أكن قد كتبت حرفا واحداً فيه!!

هكذا لأحد عشر عاما بعيدا عن الصحافة المصرية.. لم أكن بعيدا عن المهنة وانما كنت فى وسط الصحافة فى العالم الواسع.

ما الذى أقصد إليه بهذا كله؟

أريد أن أقول بتواضع، وبخجل حقيقى من نفسى ومن الناس، أنها تجربة حياة، إنها حياة صحفى، بدأت قبل عبدالناصر، وبالتالى فان فترة عبدالناصر لم تكن فيها استثناء، وانما كان خط سير طبيعيا بين ما كان قبله وما جاء بعده.

هل تجاوزت؟

أتمنى أن يكون الجواب بالنفى، مضطرا - أؤكد لكم - سمحت لنفسى بكل ما قلت.. لكن هناك مواقف ترغم الانسان على أن يقول مالم يكن ضروريا قوله فى ظروف عادية.. ربما يشفع لى كما قلت اننى اضطررت لأن إطار أسئلتكم هو الذى يحدد كلامى، وربما أيضا لأن السكوت قد يعتبر - من جانبك ومن جانب آخرين - تقصيراً.

إلى جانب أن هناك أجيالا جديدة لم تكن هناك عندما حدث هذا كله وتقولون أنتم لى الآن أن من حقها أن تعرف.

●● أخبار اليوم:

فى هذا السياق عرفت جمال عبدالناصر، نعم.. وتشرفت بصداقته، نعم.. صداقة طبيعية بين رجل تاريخى نادر، وبين صحفى وكاتب عاش فى عصره ظاهرة حدثت وتحدث فى الدنيا كلها.

ودون تطاول إلى التشبه بأحد مرة أخرى، فقد كانت هناك صداقة الرئيس الأمريكى «وودرو ويلسون» والكاتب الصحفى «والتر ليبمان»، وكانت هناك صداقة «ونستون تشرشل» و«بيفر بروك»، وكانت هناك صداقة «جون كيندى» و«جيمس رستون» وكان هناك صداقة «ديجول» و«مالرو»!

أين وجه الغرابة فى مثل هذه الصداقة بين صانع التاريخ وحامل القلم؟ طيب! وتسألون سؤالا آخر، تقولون اننى استناداً على هذه الصداقة تجرأت على النقد فارتفع صوتى وخفت صوت الآخرين؟

سؤالى لكم بدورى: هل ذلك حدث؟ هل تجرأت على النقد لأنى كنت فى حمى الصداقة وأمانها؟

أرجو كم أن تسألوا أنفسكم سؤلا آخر: ألم أتجرأ على النقد مع الرئيس السادات.

يرحمه الله . ووقفت موقفا معارضا من مجمل توجهاته السياسية الداخلية والعربية والدولية فى أعقاب النصر الكبير الذى تحقق يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣؟

فعلت ذلك من غير حمى الصداقة وأمانها .

وقد دفعت الثمن راضيا، خرجت من مكانى . وكان أكبر موقع فى الصحافة المصرية . رئاسة تحرير الأهرام، ثم دخلت السجن.

وإذن فاننى أتجرأ وأقول رأيى، لا أستند فى إبدائه على حماية الصداقة ولا على أمانها .

أليس كذلك؟

مضطراً قلت ذلك مرة أخرى حتى لا يقول أحد أننى أتهرب.

●● أخبار اليوم:

يجىء سؤالكم التالى، وهو أنه «تردد كثيرا أنك كنت مشاركا فى الحكم . بالمشورة وصنع القرار . خلال سنوات حكم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر .. ماذا كانت حدود تلك المشاركة؟ وما دفاعك عن الجانب السلبى للحكم خلال تلك الفترة؟».

وردى أن هذه مجموعة أسئلة فى سؤال ولابد أن نأخذها واحداً واحداً .

هل كنت شريكا فى الحكم بالمشورة وبصنع القرار؟

اننى سئلت هذا السؤال من قبل، وكان جوابى عليه دائما هو استعارة كلمة «سعد زغلول» التى قال فيها «تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه» .. كنت أقول ذلك وأسكت ومعكم الآن فانى أكرر نفس الجواب ولكنى أزيد عليه.

أريدكم أن تعرفوا أن الصحافة فى الدنيا كلها جزء من الحياة السياسية فى أى بلد من البلدان.

وهكذا فان الصحافة تجد نفسها وثيقة الصلة بالسياسة .. الصحفى يريد الاقتراب من مجال صنع الحوادث لأنه يريد أخبارها، والسياسى يريد الاقتراب من مجال نشر الحوادث لأنه يريد أن يصل إلى الرأى العام هناك بالطبع . إلى جانب الاقتراب المحتمل

بين الصحفى والسياسى ـ تناقض محتمل أيضاً.. ينشأ من ان السياسى يريد أن يحافظ على أسراره إلا ما يريد نشره على النحو الذى يلائمه، والصحفى يريد أن ينشر على النحو الذى يلائم قراءه قبل غيرهم.

أى أن كلاهما يحتاج إلى الآخر وكلاهما يخشى من الآخر.

أحيانا وبالتجربة تنمو دواعى الاقتراب.. وتضمر محاذير التناقض حين يلتقى الطرفان على هدف، وهكذا تنشأ علاقة قوية بين السياسى والصحفى.. التجربة هى التى تصنع ذلك الوضع الفريد، خصوصا فى عصور لها أهمية خاصة يطغى فيها الهدف العام على مصلحة هذا الطرف أو ذاك.

«مالرو» مثلا توثقت علاقته مع ديجول فى ظروف المقاومة لتحرير فرنسا، وكان هو الذى صاغ وثائق حركة فرنسا الحرة.

«ليبمان» توثقت علاقته مع ويلسون فى ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى، وكان ليبان هو الذى صاغ مبادئه الأربعة عشر الشهيرة.

«رستون» توثقت علاقته مع كيندى ابان إشتداد الحرب الباردة، وكان أحد المشاركين الرئيسيين فى وضع برنامج كيندى بما فى ذلك خطاب التنصيب.

«بيفر بروك» دخل الوزارة دخل الوزارة مع ونستون تشرشل.

مراحل فى العمل الوطنى تخفف حدة التناقض بين الصحفى والسياسى، وتؤكد إمكانيات التقارب بينهما.

يجد الصحفى نفسه قريبا من دائرة صنع القرار، ثم يجد نفسه فى مجلس صنع القرار، وهو لا يستطيع أن يسخط نفسه تمثال حجر أوصنم وانما لا بد له أن يشارك فى الحوار الدائر أمامه، خصوصا إذا كان ذلك فى مقدوره، وفى نطاق خبرته، ثم أنه لا يستطيع فى نفس الوقت أن يصد عن نفسه ما يرى ويسمع أمامه، وانما سوف يجد مهما أراد أن جزءاً مما رأى أو سمع يتسرب إلى الجانب المهنى فيه.. ولست واثقا أننا نستطيع أن نسمى ذلك إحتكاراً للأخبار والمعلومات، ولقد كانت للكل مصادرهم، وكان لهم دوائرهم، وقد كتب الجميع ونشروا واحسن كثيرون منهم وتفوقوا وسطعت فى ذلك

العصر شموس وبزغت نجوم بعضها مازال فى موقع الصدارة حتى الآن.

ومع ذلك، وفى نطاق آخر، ألم نعرف شبيهـا لذلك فى مصر وإن كان على مستوى مختلف؟

ألم يكن هناك صحفيون مصريون بالقرب من القصر الملكى ينقلون عنه الرسائل، ويكلفون منه بمهام بينها أن يتولوا توزيع منشورات ضد خصومه السياسيين.. ألم يحدث ذلك؟

اننى لا أريد أن أسمى أسماء، ولا أن أشير إلى وقائع بالذات، مع أن هذا ممكن.. لا أفعل.

ومع ذلك فأنا لم أنقل رسائل من قصر ملكى، ولا كلفت بمناورات، ولا وزعت منشورات.

لقد كنت - وأنا سعيد بذلك - طرفا فى مجالس القرار التى اتخذت فيها خطوة تأميم قناة السويس وأبديت رأيى، وكنت موجوداً فى بحث قضية الوحدة العربية وأبديت رأيى، وكنت موجودا فى معركة بناء السد العالى، وأبديت رأيى كنت موجوداً أيضا فى ظروف حرب سنة ١٩٦٧ وأبديت رأيى. أبديت رأيى وكتبته وتستطيعون الرجوع إليه.. ومع ذلك أريد أن أسألكم: ألم أفعل نفس الشىء من نفس الموقع مع غير جمال عبدالناصر؟

فعلته مع أنور السادات على سبيل المثال.. سوف أعطى بعض النماذج:

لقد روى هو فى مناسبة علنية أنه أرسل إبنته إلى فى بيتى تدعونى إلى مقابلته حينما أدرك أن معركة مع من كنا نسميهم «مراكز القوى» قد بدأت، وذهبت اليه وفكرت معه وشاركت فى مجلس قراره.. ألم يحدث؟ حدث!

لقد كنت معه فى مجلس القرار فى أهم لحظات حياته، حين تحمل مسئولية حرب أكتوبر، وكنت الذى وضع له الخطة الاعلامية وجزءاً من الخطة السياسية للحرب.. أكثر من ذلك كنت الرجل الذى كلف بوضع قرار الحرب ذاتها بما فى ذلك كتابة التوجيه الاستراتيجى الذى أعطاه للمشير أحمد اسماعيل على بتحديد أهداف الحرب.. ألم يحدث؟ حدث!

بعد الحرب فانه طلب إلى الاشتراك فى محادثاته الأولى مع كيسنجر الذى جاء إلى

القاهرة فى نوفمبر ١٩٧٣، وأعتقد أن دورى مع كيسنجر كان من أسباب خروجى من الأهرام، ولست أنا القائل بذلك، وإنما أستأذنكم فى أن أعرض عليكم وعلى الناس صفحة واحدة من كتاب أشهر مفكر استراتيجى فى اسرائيل وهو «أموسى برلموتر» الذى يعتبر عقل الموسسة العسكرية فى إسرائيل.

حتى وأنا بعيد عن الأهرام، وفى وقت ظل حبل العلاقات بيننا موصولا، شاركت مرات فى مجلس قراره، وعلى سبيل المثال مرة فى مارس ١٩٧٥ وبعد فشل المحاولة الأولى لفك الاشتباك الثانى، قبل منى إقتراحاً بفتح قناة السويس بارادة مصرية مستقلة وبصرف النظر عن انها مرحلة ثانية من فك الاشتباك مع إسرائيل، كان مستشاروه الرسميون ضد الفكرة وتردد هو فى بادىء الأمر ثم قبل وتحمس.

ألم يحدث؟ حدث!

طيب.. نجىء بعد ذلك إلى جزء من سؤالكم عن حدود المشاركة فى القرار؟

أريدكم أن تعرفوا حقيقة أساسية من حقائق ترتيب وتركيب اى نظام حكم فى الدنيا كلها.

اى نظام حكم فى الدنيا له ثلاثة أركان:

الركن الأول: هو الفكرة.

الركن الثانى: هو التنفيذ.

الركن الثالث: الأمن.

وأنا لم أكن فى ركن التنفيذ، ولا فى ركن الأمن، واذن فقد كنت فى ركن «الفكرة» وهذا بالطبع المجال الاقرب الى تكوين صحفى أو كاتب وإلى طبيعته.

وهكذا أستطيع مطمئنا أن أقول أن مشاركتى كانت بـ «الفكرة» وفى مجالها.

أستطيع أن أقول مطمئنا نعم.. كنت طرفا فى حوار مع جمال عبدالناصر بدأ يوم ١٨ يوليو - قبل الثورة بعدة أيام - عندما إلتقينا بمحض مصادفة فى بيت اللواء محمد نجيب.

تجدد الحوار بعد ذلك فى فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ثم إتصل بغير انقطاع حتى غروب يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حينما كنت واحداً من الذين كتبت عليهم المقادير أن يعيشوا لحظة

الوداع الأخير بجانب الفراش الذى إقترب منه ملاك الموت يدعو الرجل الممدد فيه إلى الرحيل معه.

حوار مستمر لم ينقطع.. كل حوار بالطبع حول فكرة.. تنفيذها إختصاص آخر.

أمنها اختصاص ثالث.

●● أخبار اليوم:

سؤالكم بعد ذلك هو قولكم «ما دفاعك عن الجانب السلبى للحكم خلال تلك الفترة؟».

ردى ببساطة: اننى لا أدافع الآن.. ثم أن التجربة ليست فى حاجة إلى دفاع من أحد، التجربة يحكم عليها التاريخ شأن كل تجربة تاريخية.

أعود إلى مقولة اننى لا أدافع الآن، لا أدافع ولا أرانى مضطراً إلى الدفاع لسبب واحد أشرتم أنتم إليه ضمنا عندما قلتم أننى تجرأت على النقد.. وفى الحقيقة فانى لم أنتظر الموت لكى يكسر قيدى ويحل عقدة قلمى.. ان ما رأيته من سلبيات تحدثت عنه فى حينه وفى أوانه، والتفاصيل موجودة فى مقالات وقتها، ولكنى لا أرجع إليها الآن أو أستشهد بها لأدعى لنفسى بطولات على حساب رجل هو البطل الحقيقى فى أمته خلال سنوات عصره.

لقد سألنى المدعى الاشتراكى حينما مثلت أمامه سنة ١٩٧٨ هذا السؤال أو شيئا قريبا منه، ويومها سمحت لنفسى أن أتحدث تفصيلا أمامه بما كتبته عن هذه السلبيات فى وقته وفى حينه، وتستطيعون الرجوع الى محاضر تحقيق المدعى الاشتراكى وقتها، وأضيف لعلمكم أننى سمحت لنفسى وقتها بذلك لأننى قلت له:

- «اننى كتبت ما كتبت وها هو موجود أمامك بنصوصه التى أقدمها لك الآن - كتبته فى وقته وحينه وحين كان الأحياء أحياء والأقوياء اقوياء.. لكنى أريد أن أسألك سؤالا: أين كان غيرى من هذه السلبيات؟ إن الرئيس القائم بالحكم الآن «الرئيس أنور السادات» كان لمدة عشر سنوات رئيسا لمجلس الأمة وهو المجلس الذى تقوم مهمته على مراجعة سلبيات الحكم وتجاوزاته.. فماذا قال أو قالوا؟

إن سجلى كما ترى أمامك.. فدعنى أرى سجلات الآخرين».

وطلب منى المدعى الاشتراكى المستشار أنور حبيب وقتها أن الا أصر على تسجيل السؤال فى المحضر وكان له ما أراد، غير أن شهود التحقيق مازالوا أحياء!

●● أخبار اليوم:

عندى ملاحظة تتصل بهذه الجزئية من سؤالكم الأخير عن سلبيات التجربة الناصرية؟

اننى أول من يسلم بأن هناك سلبيات للتجربة الناصرية. كل تجربة إنسانية تاريخية - وليست قدسية أو دينية - لها سلبياتها.. ولكن حسابها يكون بالقياس إلى إيجابياتها.

والأمم الحية تحقق السلبيات من مراحل تجاربها حتى تستطيع تجاوزها فى المستقبل.

اننى اتذكر ما قلته للرئيس السادات يرحمه الله، وقلت للسيد ممدوح سالم مد الله فى عمره حينما عرض على الاثنان ان اشترك كنائب لرئيس الوزراء فى الوزارة التى تشكلت برئاسة السيد ممدوح سالم سنة ١٩٧٥ قلت للاثنين - بين ما قلت - ضمن أسباب اعتذارى عن دخول الوزارة ما معناه:

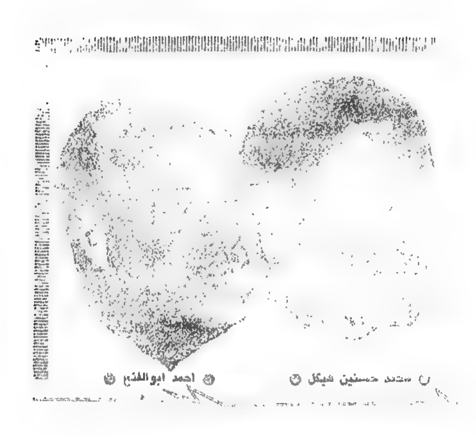
«أننى أرى بداية حملة على جمال عبدالناصر وعصره وأنا لا أريد أن أكون شريكا فيها ولا حتى أحد شهودها الصامتين.. إن تجربة جمال عبدالناصر فيها الايجابى وفيها السلبى، ومن واجبنا إجراء تقييم شامل لها يتضح به وجه الحقيقة وبعد ذلك يكون علينا أن نسقط السلبيات وندينها ونحدد الايجابيات ونبنى عليها.. وأما الادانة الشاملة على النحو الذى أرى مقدماته فهو لا يخدم مصلحة البلد، لأنه يمزق أواصر المراحل بين تاريخه».

وقلت للرئيس السادات - وكررت ما قلته للسيد ممدوح سالم - ما معناه:

«أن التاريخ سوف يسألك أين كنت عندما حدثت هذه التجاوزات؟ وهل كنت شريكا بالموافقة فيها أو كنت شريكا بالصمت؟»

ولقد كتبت هذا المعنى فيما بعد استعمله الرئيس السادات عدة مرات فى خطابات




محمد حسنين هيكل
احمد ابو الفتح

علنية هاجم فيها مواقفى.

لكنى قلت ما قلت مقتنعا به وأظننى بغير عناد لا أزال مقتنعا به.

●● أخبار اليوم:

تسألون بعد ذلك «فسر البعض عودتك على أنها عودة للحكم الناصرى، فكيف يمكن للبعض تصور دوران عجلة التاريخ إلى الوراء؟»

- جوابى كما يلى:

اننى لا أحبذ عادة فى أى حوار أن يقوم أحد أطرافه باصطياد كلمات أوتعبيرات مما يقوله الطرف الآخر ويركز عليها ويجعل منها قضية بذاتها.. لا أحبذ ذلك وآراه فى معظم الأحيان نوعاً من السفسطة، بمعنى أن السؤال أولى أن يؤخذ بمجمله وليس بانتقاء كلمات أو ألفاظ فيه.

فى هذه الحالة.. فى حالة هذا السؤال وعلى هذا النحو وبهذه الصياغة أجدنى ميالا إلى الأخذ بما أتجنبه عادة، تلفت نظرى تركيبات مثل «عجلة التاريخ لا تدور إلى الخلف» إن مثل هذه التركيبات اللفظية تذكرنى بشعارات الحملات الاعلانية من نوع «إنه يغسل أكثر بياضا» و«انها الأصل» وفى حين أن غيرها «كبيرة ولذيذة» إل آخره.

مثل هذه الشعارات تصلح لحملة إعلانية تسوق أعداداً من المستهلكين إلى شراء سلعة معينة عن طريق التركيز بالتكرار على شعار معين يتولد عنه الاقتناع بالانطباع على أساس نظرية السير «وليم كرافورد» أستاذ الاعلان الذى قال يوما «إن قطرة الماء اذا نزلت عن موضع معين من الحجر وظلت تنزل عليه باستمرار فانها فى النهاية تفلقه».

مثل هذا فى السوق التجارى للسلع مفهوم وربما مقبول، لكنه فى مجال الأفكار والعقائد السياسية خطر بالغ.

فى السوق التجارية فان المسألة سلع يشتريها الراغبون فيها وحتى غير الراغبين - الا بقوة الاعلان - وهى معهم فى اطار استهلاكهم اليومى وحاجتهم إليها يمكن تلبيتها فى حينها - وغدا قد تجىء سلعة أخرى تطغى على السوق بقوة شعار منافس.

فى مجال الأفكار والعقائد السياسية يختلف الأمر، فهذه الأفكار والعقائد قضايا نضال طويل، ثم أنها تصوغ حاضر ومستقبل أجيال، ومن ثم فان اسلوب الشعارات الاعلانية التى تتكرر حتى تفلق الحجر مسألة تقتضى الحذر.

الافكار والعقائد السياسية يجب أن تختبر كل يوم، وان يجرى قياسها فى كل المراحل مع تقدم التجارب واختلاف الظروف، ولابد أن تكون موضع درس دائم ومراجعة متصلة عن طريق حوار لا يتوقف.. و«دوران عجلة التاريخ إلى الوراء» واحدة من تلك الشعارات الاعلانية التى تصك أسماعنا وتخطف بصرنا كل يوم.

وربما قلت أن ألفاظ التعبير نفسها تنطوى على مغالطة فى النص، وفى المضمون دعونى أقول أن العجلة فى حد ذاتها - أى عجلة - تدور حول نفسها أساسا، وحركتها يمكن ان تكون إلى أمام أو إلى وراء اذا كان هناك محرك يحركها، وأرادت ذلك الارادة المسيطرة على المحرك.. التصوير فى حد ذاته يحتاج إلى نظرة ثانية.

وحكاية أن «عجلة التاريخ تدور إلى الوراء» تحتاج هى الأخرى إلى نظرة ثانية، فالتاريخ لا يعود، ومراحله لا تتكرر ولا تستعاد.. لكنه شعار نردده لكى يحفظه الناس وتستمر فى عقولهم بمسامير على نفس طريقة «انه يغسل اكثر بياضا» وغيره من الشعارات.. فى الأفكار والعقائد السياسية لست من انصار ذلك، لست من أنصار التعبئة والتغليف والتعليب والشحن لسوق الاستهلاك.. لعلنى من أنصار الفحص والتدقيق والنظر فى داخل الأشياء لأننا لسنا أمام قضية إستهلاك سلعة وإنما امام ضمائر أمم.

من تلك الشعارات مثلا أنه «لا حرب بعد الآن» وأنه «سلام إلى الأبد»، وأنها «كانت آخر الحروب» - وذلك شيء لا أفهمه مع أنى لست داعية حرب ولا أصنف نفسى ضمن الصقور الجارحة والنسور!

أنا أعرف أن السلام هدف كل أمة، لكن القوة هى سبيلها إلى حفظ السلام، ذلك أنه لا سلم بغير عدل، ولا عدل بغير قوة، ولا قوة بغير سلاح.

وحكاية إقناع شعب بأنه «لاحرب بعد اليوم» معناها بالضبط أننا نطلب منه قبول كل ما يفرضه عليه الآخرون، وهذا شيء غريب، خصوصا لشعب يعيش فى موضع وموقع

مصر على حد تعبير عالمنا الكبير الدكتور جمال حمدان.

والحقيقة أننى لا اعرف شعبا أو أمة فى العالم طرحت عليه مثل هذه المقولة أو روج بين صفوفه لمثل هذا الشعار.

هناك شعارات أخرى مثل كل تلك الشعارات التى تدين الماضى بطريقة شاملة حتى أعز أمجاده.

ويوم بدأت الحملة على حرب السويس - حتى حرب السويس - وبدأت المحاولة لتصويرها وكأنها ضمن هزائم، سمعت سيدة ذكية تقول:

- «يارب.. إنهم يأخذون منا تاريخنا.. فهل تراهم سيعطوننا مستقبلا بدلا منه؟»!

والتساؤل على حق، فلقد سلم بعضنا - ضمن عمليات تسليم كثيرة - فى تاريخنا لكنهم لم يصنعوا لنا مستقبلا يعوض عنه!

والملفت للنظر أن أسلوب الحملات كله غريب فى مصر، وأنا لا أعرف له مثيلا فى تواريخ شعوب وأمم أخرى.. فهذه أول مرة يتعرض فيها شعب من الشعوب لحرب نفسية تشن عليه من الداخل.. العادة أن الحرب النفسية ضد شعب من الشعوب تشن عليه من الخارج، أن تشن الحملات النفسية على شعب من الشعوب من الداخل شىء غريب معناه ببساطة أن هناك عملية إختراق حتى النخاع جرت له.. والشعوب الحية لا تسكت عن أخطاء مراحلها.. لا تعفو عن المسئولين عنها.. وانما الشعوب الحية تحقق وتحاسب وتدين وتعاقب لكنها لا تقبل بشن الحروب النفسية عليها من الداخل.

فى فرنسا، بعد الحرب العالمية الثانية، حققوا فى أسباب هزيمة فرنسا، وفى انجلترا بعد الحرب حققوا فى الأسباب التى جعلت بريطانيا تدخل الحرب على غير استعداد، وفى امريكا حققوا فى كارثة بيرل هاربور.. لكن الادانة المطلقة لمرحلة بأسرها فى التاريخ لم تحدث إلا لشعب مهزوم وكان أعداؤه هم الذين فرضوا عليه منطق الادانة الشاملة، وكان ذلك ما حدث فعلا على سبيل المثال فى تجربة ألمانيا النازية وفى تجربة اليابان، ثم لم تلبث كلتاهما إلا بضع سنوات حتى ثارتا على هذا الوضع الغريب الذى يريد أن يفرض على شعب بأكمله عملية تشهير جماعى.

وعلى حد علمى فان مصر لم تكن فيها نازية.

وعلى حد علمى فان أعداء مصر لم يدخلوا إليها ليفرضوا إرادتهم على شعبها.

هذا كله من ناحية عامة.

من ناحية محددة، أقصد تجربة جمال عبدالناصر بالذات، فلابد أن نضع أمامنا مجموعة ضوابط.

أولها أن عبدالناصر قاد تجربته وسط تأييد كاسح لم يسبق له مثيل فى مصر، وكان هذا التأييد الكاسح يتخطى حدود مصر إلى آفاق أمتها العربية غلابا على غيره، حتى خرجت الأمة كلها لوداعة فى بحر من الدموع عز نظيره فى الدنيا.

ومعنى الادانة الشاملة أن الاتهام لا يطول عبدالناصر وحده، وإنما يشمل كل مصرى وكل عربى على الاقل بغيبة الوعى أو الغيبوبة.

المسألة ليست بهذه البساطة.

يجيء بعد ذلك أننا لا نستطيع أن نحاسب مرحلة تاريخية إلا على أساس إلتزامها الذى أعلنته والذى قبلته أغلبية ساحقة من الناس.

ومن الثابت أن جمال عبدالناصر لم يخدع أحداً، لم يقل مثلا بالديمقراطية السياسية، وإنما قال بديمقراطية إجتماعية تكون المدخل للديمقراطية السياسية، ثم رسم لذلك طرائق وأساليب، وقد تكون هذه الطرائق والأساليب خطأ فى خطأ، لكنها كانت أمام الناس، ثم أنها لاقت قبولهم وتأييدهم بطريقة لا مجال للشك فيها.

وإذا شاءت الأمة بإرادتها الحرة طرائق وأساليب أخرى فهذا حقها، تعدل عما رأته وتأخذ بغيره وهى فى هذه الحالة فى موقع من يدافع عن نفسه ويرجع عن خطأ لكنه لا يشن حربا على نفسه. أليس ذلك منطقيا؟!

مسألة أخرى تلحق بهذا كله وهى أننا لا نستطيع قياس مرحلة بظروف مرحلة أخرى.

مثلا لا نستطيع أن نلوم «عرابى» لأنه لم يرسل طائراته لكى تقصف بارجة الأميرال البريطانى «سيمور» التى راحت تدك حصون الاسكندرية.. ببساطة لم تكن لدى عرابى

مقاتلات ولا كان العالم كله يعرف المقاتلات.

أكثر من ذلك لعلى واحد من الناس الذين لا يلومون مصطفى النحاس باشا لقبوله الوزارة بعد إنذار بريطانى للملك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ - كان الملك وحاشيته يلعبون بالنار والعالم فى حرب، والنحاس زعيم أغلبية شعبية لا شك فيها - ببساطة كان النحاس على حق فى موقف شديد الصعوبة.

عندما نريد أن نحاسب التجربة فعلينا أن نتذكر أنها مورست فى الخمسينات والستينات ضمن إطار حركة التحرر الوطنى وفى أجواء الحرب الباردة، وفى ظل سيطرة استعمارية مباشرة فى المنطقة.

ولقد قدمت التجربة إجاباتها على القضايا السياسية والدولية والاجتماعية المطروحة عليها، وأنشأت صلة لاشك فيها بعالمها المعاصر، وحركت تياراً رئيسياً فعالاً فى منطقتها كما أجرت تحولات بعيدة المدى.

ولقد أصابت فى أشياء ولم تصب فى أشياء أخرى، لكنه لايمكن الحكم عليها خارج عصرها وخارج المناخ الوطنى والعربى والدولى الذى تحركت وفعلت فيه.

ذلك رأيى فى حكاية «العجلة» وحكاية «دورانها» وحكاية «إلى الوراء».

إن مقولات الشعارات الإعلانية المعبأة والمغلفة والجاهزة للشحن والاستهلاك لم تقتصر فقط على ما جرى ويجرى داخل حدود مصر، وإنما خطت المقولات خارج الحدود إلى العالم العربى وإلى ما ورائه بعض الخطى بطريقة كانت غير مسئولة، وأخطر من عدم مسئوليتها فإن تأثيراتها على المستقبل البعيد لمصر يمكن أن تكون فادحة التكاليف وإلى درجة لايمكن احتمالها.

من ذلك مثلاً - وأنا أتكلم بصراحة - مقولة أن العرب لم يساعدوا مصر، وأنا لا أعتقد أن هذه المقولة صحيحة رغم أننا تركناها تتردد وتسرى فى فكر الناس ووعيهم إلى درجة ليست مؤذية فحسب، ولكنها غير لائقة أخلاقياً كذلك.

تعالوا نتكلم بالأرقام وأرجو أن يناقشنى أحد فيما أقول وبالأرقام أيضاً.

إن الدول العربية قدمت لمصر فى الفترة مابين ١٩٧٣ إلى سنة ١٩٧٧ مبلغاً يتراوح

مـابين عـشـر إلى ثمـانيـة عـشـر بليـون دولار على شكل مـساعدات لاترد ومنح وهبـات وقروض ميسرة ـ وبالطبع ليس لأخ أن يمن على أخيه بما قدمه له.

فى السنوات العشر الماضية بلغت قيمة تحويلات المصريين العاملين فى العالم العربى إلى مصر ما متوسطه خمسة بلايين دولار سنوياً ـ أى أن قيمة التحويلات إلى مصر فى تلك الفتـرة وصلت إلى حدود الخمـسين بليـون دولار ـ وبالطبع فـإن هذا عـمل وعـرق مصـريين، لكن إخوة لهم قبلوهم ورحبوا بهم وفتحوا أمامهم أبواباً، ومع أنى أعـرف أن بعض المصريين تعرضوا فى بعض البـلاد العربية لظروف لم يكن لها ما يبـررها وكان فى بعضها لايجوز، إلا أن الأمور تقاس بحجمها. وفى سنوات معينة، وحتى بعد اتفاقيات كامب ديفيد، فإن جزءا كبيراً من مشتريات مصر من السلاح مولته مصادر عربية فى حدود تتراوح مابين خمسة إلى ثمانية بلايين من الدولارات.

فإذا حاولنا إجراء عملية حساب بسيطة بالجمع تبين لنا أن مجمل مـاوصل إلى مصر من الأموال المتولدة فى العـالم العربى يكاد أن يقارب سبعين بليون دولار- أى سبعين ألف مليون دولار.

والسؤال الأول الذى كان يجب أن نسـأله لأنفسنا هو: أين ذهب هذا كله؟ ومـاذا فعلنا به؟ ومن الذى فعل؟ وكيف؟

وربما كان لنا بعد ذلك أن نقول أن سبعين ألف مليون دولار ليست كافية، وأننا كنا فى حاجة إلى أكثر ـ لكننا قبل إلقاء هذا السؤال على أنفسنا وعلى الآخرين كان يجب أن نجيب على ماقبله: أين؟ وماذا؟ ومن؟ وكيف؟!

وهذه أسـئلة يتـحـتم علينا أن نواجـهـا يومـاً. وأتمنى أن نواجـهـها حين يجئ أوانها بأسلوب التحقيق والتدقيق، وليس مرة أخرى بأسلوب الشعارات الإعلانية.

هل تسـمحـون لى بإضـافة هنا، وقد تبـدو لأول وهلة خارج الموضوع، لقد وقع فى يدى أخيـراً تقرير سرى لإحدى المؤسسات المالية الكبـرى فى الولايات المتحدة الأمـريكية، وبين ما قرأته فيه تقدير عن حجم الودائع الخاصة للمصـريين فى بنوك خارج مصـر.. هل أقول لكم عن حجمها؟.. التقرير يقدرها بمبلغ خمسة وأربعين بليوناً من الدولارات، وعلى

أى حال ـ وهى عبارة لاحظت اننى أكررها معكم كثيراً ـ فهذه قضية أخرى.

يتداعى إلى تفكيرى الآن شعار إعلانى آخر بأن «مصر رئيسة العرب وأنهم إذا لم يتبعوها فقد تخلو عنها». وهذا خلط مخيف يؤدى بنا إلى دروب كلها مسدودة.

إذا قلنا أن مصر لها دور «الزعامة» فى العالم العربى، فقد نكون على صواب، ولكننا بالتأكيد على خطأ عندما نتحدث عن «الرئاسة».

الرئاسة ترتيب أو تنظيم يحدده دستور أو قانون، وأنا لا أعرف دستوراً أو قانوناً ينصب مصر على رئاسة العالم العربى.

أما الزعامة فشئ آخر: الزعامة دور وليست مجرد مقعد، والدور حين يمارس، وليس الدور مجرد الادعاء أو الاحتجاج به.

والزعامة تعبير. وكل من تتوفر له خصائص الدور يقود غيره ويتزعمهم بمقدار ما يعبر عنهم.

أى أن الزعامة ترتهن بأداء دور يعبر، ويسعى لتحقيق آمال آخرين، ويقودهم على الطريق من الأمل إلى تحقيق الأمل.

ولم يكن معقولاً أن تتزعم مصر مسيرة عربية إلى صلح مع إسرائيل لأنها فى مثل هذه المسيرة لا تعبر عنهم، وهكذا فإنهم لم يتبعوها!

ولم يكن موضوع الرئاسة مقبولاً.. تأمر مصر فيطيعوا فليس هناك دستور أو قانون يعطيها هذا الحق، ولا هناك قوة إجبار وراء هذا الحق تفرضه.

.وأنا لا أقول أنه لم تكن هناك أخطاء عربية تجاه مصر.

كانت هناك أخطاء.. بل وخطايا.. وأنا أعرف أن بعض القوى العربية لاتريد دور مصر، لأن مصر مهما كان ويكون عنصر تحديث وتوحيد وسط أمتها، لكن الأكبر هو المطالب بالفهم والأسبق إلى التطور، هو الأقدر على الاستيعاب، ثم أن المهيأ للزعامة والقيادة عليه أن يتحمل مسئولياتها ـ وليس بالشعارات الإعلانية تبيع اليوم سلعة وغداً تخسر رأسمالها كله.. ألعاب تاكتيكية على حساب مصالح استراتيجية.

●● أخبار اليـوم؛

نصل بعد ذلك إلى سؤال دقيق:

ـ لماذا فى أخبار اليوم وليس فى الأهرام؟

لابد أن يكون واضـحاً أولاً أن الأهرام بيتى ومن فـيه أهلى، وحيـاتى فيه هـى نصف عمرى المهنى. واعتـزازى بعملى مع أسرته وما استطعنا تحقيقه لايمادله اعتـزازى بشئ آخر فى سجلى المهنى وفى دورى فى الخدمة العامة.

كان ذلك تشخيصاً عاماً يجئ بعده التحديد.

١ ـ ان عـرض «أخبـار اليـوم» بالكتـابة الدورية فى الشئون الجارية كان هو العـرض الأسبق ـ ولقد قبلته.

٢ ـ لاأخفى أننى توقمت مشاكل من عودتى للكتابة الدورية المنتظمة فى مصر، وكان الأفضل فى تقديرى أن يظل «الأهرام» بعيداً عن هذه المشاكل. إن ما توقعته لم يحدث لحسن الحظ وأجدنى معكم رغم كل توقعاتى السابقة فى علاقة سعيدة وهذه مفاجأة طيبة، وربما كان على أن ألوم نفسى لما توقعته، فلقد كان يجب أن أدرك أن قلب المهنة سليم والحمد لله، حتى وان بدت عوارض الالتهاب على بعض أطرافها.

٣ ـ لعلى فضلت أيضـاً أن تكون عـودتى هى عـودة إلى «الكتـابة» وليست عـودة إلى «الأهرام» فالعودة إلى الأهرام كان يمكن أن تحدث إلتباساً لامبرر له وأنا لا أريده. وأنا أعرف أنه لايوجد أسوأ فى العلاقات الإنسـانية من أن يتصور جيل سبق أن له حقاً بالوصاية على جيل لحق به. وفى شأن «الأهرام» وكل من فيه– فإننى لم أكن أريد التباساً من أى نوع، فأنا فخور بأن مؤسسة شاركت فى تجديد شبابها قـادرة على أن تواصل مسيرتها بقيادة أكثر شباباً، وأنا أتابع عن قرب وأعرف فى صميمى متى يكون على جيل أن يسلم أعلامه إلى جيل آخر، خصوصاً فى مجال مسئولية التنفيذ العملى المباشر.

٤ ـ ان روابطى مـع «الأهرام» هى مع ناسـه. الآلات والمطابع والمبانى والجدران ليست هى مـوضع الولاء. كل هذه وسـائل وأدوات، وهى مـثل كل الوسـائل والأدوات مـحـايدة، الكلمة نفسها هى التى تحتمل الموقف، أما الوسائل والأدوات فهى تدور وفق ماهو مطلوب





بين مجلس تحرير
« أخبار اليوم »
و
محمد حسنين هيكل

بين القراء .. وخصوصا من الشباب الذ
مقالاته الشهيرة وهم مازالوا بعد لم يد
سمعوا عن هيكل ولم يقرأوا له .. وكان
فالرجل لاشك له خصوم .. جعلت ما به
أخرى مشتركة يصورها فيه قراؤه من الم
مثيرا للشباب .. أن يتعرفوا بأنفسهم ع
حتى الآن .. على الصحافة المصرية .

● لم أترك
طوال السنوات

إنكم تسالونني بالضبط فيما كان تقديري أن أتحاشاه
إذ أنني كتبت للصحافة المصرية ولقارئها مرة أخرى .
كان تقديري أن أتحاشى الكتابة عن الذات فلقد زادت
أحاديث السير الشخصية حتى تجاوزت كل ما هو مقبول
ومعقول .
وكان تقديري أيضا أن أتحاشى مشاركة العمل الصحفي لأن
... فيما أظن ... خصوصا أجيال
الشباب التي بدأت ترى فيها نوعا من ضروب
... باليوم وما بعده .

حضر اللقاء عن أخبار اليوم
● إبراهيم سعدة
● محمد ... الطاوي
● كمال عبدالرؤوف
● عبدالفتاح الديب
● ... أباظة
● ... المبارك

منهـا، والمطلوب الحـالى من الكل واحـد. وإذن فليس هناك فـارق بين لفـات الورق الأبيض هنا ولفاتها هناك. الخيار ليس بهذه الصـعوبة. قلت وأقـول مـرة ثانيـة الوسـائل مـحايدة، والكلمة هـى حاملة الموقف والفكرة والرأى.

هذه هـى المسـألة..

●● أخبـاراليـوم:

أمـامنـا الآن سـؤالكم المستعصى «بماذا تفسـر الضجة الكبـرى التى لم تهدأ حتى الآن بمجرد الإعلان عن عودتك للكتابة فى صحيفة مصرية؟».

إن هـذا السؤال يذكرنى بشطرة من بيت شعر لـ «شوقى» يقول فيها:

«وهـذه الضجة الكبرى علامَ؟»

والشـهادة لله أننى حتى هذه اللحظة لا أجد جواباً مـقنعـاً. بالطبع اننى سـمـعت بعض ماقيل وتناثر.

ثم أننى تلقيت بعد ذلك «رسـالة ودية» بالتأجيل تحمل أسبابه كما قدرها أصحاب هـذا الرأى.

سمعت مثلاً عن عدم ارتياح وقلق وغضب بعض المستثمـرين ورجال الأعمال، ولابد أن أقـول اننى لم أفهم، ولم أشـغل نفـسى كثـيـراً بمحـاولة أن أفـهم عـدم ارتيـاح وقلق وغـضب هؤلاء المستثمرين ورجال الأعمال.

لم أشغل نفسى كثيراً بارتياح ورضـا وسعادة بعض المستثمـرين ورجال الأعـمال، فـمثل ذلك ليس بين أمانى الغالية التى أحلم بتحققها.

ومع أنى طول عمـرى واحد من الذين يعرفون أهمية الطبقة المتوسطـة- أو البرجوازية على حد التعبيـر الشـائع ـ فى نهـضـة الشـعوب والأمم وتحريك طاقـاتها وإمكانيـاتها، إلا أننى لسوء الحظ لاأعتبـر بعض المستـثـمـرين ورجال الأعـمـال الحـاليين- أقـول بعضهم ولاأعمم ـ تكويناً لطبقـة متوسطة. الطبقـة فى رأيى لابد أن ترتبط بوسيلة من وسـائل الإنتـاج: الزراعة، الصناعة، التجـارة الحقـيـقـيـة ولـيس أعـمـال السـمـسـرة ـ العمل ـ وهكذا.

لكن الجماعات التى أتحدث عنها الآن ليست طبقة وليست لها علاقة بوسائل الإنتاج.

أخشى أن نشاطها يذكرنى بعملية النهب الأولى لمصر فى السبعينات والثمانينات من القرن الماضى.. نشاطهم فى السنوات الأخيرة هو عملية النهب الثانى لمصر كما أسميته فى كتابى «خريف الغضب».

ولاحظوا أننى استعملت تعبير «يذكرنا» ولم أقل أن «عجلة التاريخ دارت وعادت بنا إلى القرن الماضى»، لأن بعض ملامح المراحل قد تتشابه لكن التاريخ لا يعيد نفسه.

ولقد قيل لى أن «فلاناً» علق على عودتى بأنها انقلاب صامت.

وقيل لى أن آخر روى أنه كان ينوى أن يستثمر ملايين الدولارات فى مشروع ولكنه قرر أن ينتظر حتى يرى..!

وقيل لى أن عناصر فى الحزب الوطنى الحاكم أرسلت برقيات تطلب إرسال استنكارات قبل أن تقع الواقعة!

وترامى إلى غير ذلك كثيراً ولم أحاول حتى أن أتحقق منه لأنى لاأريد أن أناقش مثل هذا كله مع أحد. وقد لاحظ كثيرون من أصدقائى اننى كنت أواصل عملى العادى فى الفترة التى ثارت فيها «الضجة الكبرى» ونصحنى بعضهم أن أتحرك وأفعل شيئاً لمواجهة ما يقال ومايثار، ولم أتحرك ولافعلت شيئاً فقد كان اعتقادى أن أى كلمة أقولها فى هذا المجال قد تصبح قيداً على مواقفى فيما بعد وهذا آخر ما أريده أو أسعى إليه.

وربما كان بعض ماسمعته صاخباً ومختلفاً وفيه كان منسوباً إلى الدكتور عبدالعزيز حجازى على سبيل المثال، والحقيقة أن حجازى اتصل بى مساء الإعلان الأول عن عودتى للكتابة وكان حديثنا كله من باب الدعابة على الضجة الثائرة حول الموضوع كله، وللرجل معى ـ بصرف النظر عن احتمال اختلاف آرائنا فى بعض القضايا ـ مواقف لاأنساها فى ظروف عصيبة.

ولقد سمعت عن مواقف أخرى منسوبة إلى أصدقاء آخرين ولم تترك لدى أسى ولا شجناً، فالموضوع ليس شخصياً ولا هو بحدود الصداقة والود.

ولنفرض أن صديقاً شخصياً لى وجد- من منظوره ومن موقع رؤيته ـ أن عودتى إلى

الكتابة قد تكون لها آثاراً سلبية فى حدود يقدرها، فقد كان من حقه أن يبدى رأيه. وأى شئ غير ذلك معناه أننا نمسخ المسئوليات العامة لتكون على قدر العلاقات الشخصية وهو ما لاأظنه سليماً. الشاهد اننى سمعت كثيراً، وسمعت صاخباً، وسمعت معقولاً وغير معقول.

لكنى تلقيت بعد ذلك ماوصفته بأنه «رسالة ودية» بالتأجيل ثلاثة شهور أو أربعة، وكان السبب المحدد الذى تلقيته هو «قلق بعض المستثمرين ورجال الأعمال».

ولم أعلق بشئ، فأهل مكة كما يقولون أدرى بشعابها.

ومع أن العملة بالنسبة لى لها وجه آخر - فإننى تركت العملة فى موضعها وكما تركها أمامى أهل مكة - عارفاً أن الوجه الآخر من العملة له وقت آخر وأوان مختلف.

والحقيقة اننى أعتبر الموضوع كله أكبر منى ومن غيرى، وأرى فيه مايتصل بجوانب مبدئية وأصولية فى حياتنا العامة، وعلى هذا الأساس أناقشه، وأما الجانب الشخصى فيه والذاتى فأمره سهل.

●● أخبار اليوم:

- سؤالكم بعد ذلك عن «هل أوافق على قيام حزب ناصرى وهل أنضم إليه؟».

والجزء الأول من السؤال إجابته سهلة: نعم أوافق. ولماذا لايكون من حق الناصريين، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من القوى السياسية، أن يكون لهم حزب يعبر عن فكرهم ويأخذ من اهتمام الناس بمقدار قدرة حزبهم على أن يكون مقنعاً؟

الجزء الثانى من السؤال إجابته واضحة بالنسبة لى على الأقل. ردى أننى لن أنضم إلى هذا الحزب فى حالة قيامه ولا إلى أى حزب آخر، ففى رأيى أن الصحفى أو الكاتب يجمل به أن يكون بعيداً عن الأحزاب لأن فكره يجب أن يكون مفتوحاً على كل التيارات، رأيى أيضاً أن الصحفى أو الكاتب لايستطيع أن يجد نفسه فى حزب سياسى، الحزب السياسى يقتضى من أعضائه انضباطاً، والانضباط فى تصورى قيد، والصحفى أو الكاتب فى مهمته أن يقلب الأفكار وأن يعيد تقليبها، وأن يراقب عصره ويتابع مراقبته.

قلت لبعض أصدقائى من الناصريين أن عبدالناصر نفسه لم يقنعنى بالانضمام إلى تنظيم سياسى مما أقامه أثناء أدائه لدوره التاريخى، بل لعل تنظيماته كلها من أول هيئة

التحرير إلى الاتحاد الاشتراكى وقفت منى موقفاً متحفزاً، ولم تكن تلك كراهية شخصية. وإنما كانت فرط حساسية من رجل قريب إلى هذه الدرجة من قمة تنظيمها، شارد إلى هذه الدرجة عن إطار التنظيم!

رأيى بالنسبة لصحفى وكاتب أن القيد الحزبى صعب خصوصاً فى عصرنا الذى نعيش فيه.

هذا عصر أعتقد أنه من عصور التغيير الكبرى فى التاريخ الإنسانى كله. نشهد أمامنا عالماً جديداً يتشكل وسط طموحات عظيمة ومخاطر كبرى. هناك ثورة وسائل الإنتاج وثورة علاقات الإنتاج.

هناك ثورة المواصلات والاتصالات والمعلومات.

هناك ثورة فكر لإنسان عالمى يبحث عن دوره فى دنيا جديدة لم تعد مقصورة على الأرض إلى أعماقها، وإنما اخترقت أفلاك النجوم وما وراءها.

هناك مخاطر كبرى تبحث عن أمان.

أسلحة نووية لم يعد ممكناً استعمالها، وبيئة مهددة بالتلوث والموت، وطاقة لم تخطر قوتها ببال بشر من قبل ولابد من تطويعها، ونظام نقدى دولى لم يعد قادراً، وعلاقات اقتصادية لم تعد قابلة للاستمرار وفيها مشاكل تجارة وطاقة ديون، إلى جانب تغييرات فى موازين القوى تخطف حركتها الأبصار.

لاأظن أن أى قيد حزبى يرضينى.. لعلى أشك فى فكرة الأحزاب كلها سوف تقدر على إثبات نفسها فى العالم الجديد، وأظننا سوف نرى أشكالاً أخرى من التنظيم السياسى، لاأعرف بالتحديد لكن العصر القادم فى رأيى سوف يعطى إجاباته الجديدة على تحدياته المستجدة.

والحقيقة إننى لست خائفاً على الأحزاب وحدها من العصر الجديد، ومع ذلك- وكما قلت كثيراً خلال هذا الحديث- فهذه قضية أخرى!

●● أخبار اليوم:

ـ أخيراً سؤالكم عن «رأيى فى الجو الديمقراطى الذى تميز به عهد الرئيس مبارك ومنذ بداية توليه الحكم؟».

قبل أن أدخل فى صميم الإجابة على هذا السؤال فإنى أرجو أن يتسع صدركم لملاحظة تمهيدية توحى بها لهجة السؤال فى حد ذاتها. أقصد صياغته إلى جانب ما تنطوى عليه هذه الصياغة من إيحاءات.

وانصافاً لكم فإن ملاحظتى هذه لاتنصب على صياغة سؤالكم وحده وإنما هى تمتد- فى رأيى- لتشمل كثيراً مما نسمعه فى مصر الآن سواء جاء على شكل أسئلة أو على شكل إجابات.

موضوع ملاحظتى أننى أحس فى كثير مما يقال فى مصر الآن - بالسؤال أو بالجواب - نبرتين لاتخطئهما أذن. كلتاهما مسموعة يصل إلينا طنينها وصداها باستمرار من وراء الكلمات.

● النبرة الأولى تحمل مظنة تهنئة النفس. ربما كانت الكلمات لاتزجى التهنئة للنفس باللفظ الصريح، ولكنها تقوله بالإيحاء المبطن من داخل اللفظ.

الإيحاء دائماً فى اتجاهين متوازيين:

أولهما أننا أحسن حالاً مما كنا. وعلينا أن نحمد الله!

والثانى أننا أحسن حالاً من غيرنا. وعلينا أن نشكر الله!

ثم تنساب التفاصيل لتأخذ الإيحاءات شوطاً أبعد على الطريق.

ألسنا أحسن حالاً مما كنا؟ ألم ننتقل من انغلاق إلى انفتاح، ومن ديكتاتورية إلى ديمقراطية، ومن حرب إلى سلام.. إلى آخره؟. ولكن هذا الإيحاء- بأننا أحسن حالاً مما كنا- يذهب إلى المبالغة فى تصوير الانغلاق الذى يتحدث عنه، فإذا البلد وكأنه كان معسكر اعتقال كبيراً، وإذا هو وكأنه كان فى عزلة كاملة عن العصر والعالم، وإذا هو وكأن حركة التطور والتغيير كانت فيه حبيسة قبو غائر تحت سطح الأرض بفراسخ لايصل إليه هواء ولا أوكسجين!

ثم تواصل الإيحاءات بالتساؤل الذى يحس دون النطق به نصاً: وألسنا أحسن من غيرنا ممن حولنا؟ ألسنا أحسن حالاً من لبنان حيث يتمزق الشعب والأرض والحرية والأمن؟ وألسنا أحسن حالاً من أفريقيا حيث يموت الناس جوعاً على اتساع القارة جنوب

الصحراء؟ وألسنا أحسن حالاً من إيران حيث الحرب وغليان الثورة وحكم آيات الله؟ إلى آخره إلى آخره؟

ثم نحن نمضى فى هذا المنطق أحياناً إلى بعيد وإلى حد أننا نتعمد بالكلمة والصورة أن نبالغ فى مصائب الآخرين لكى نثبت لأنفسنا ونعيد التأكيد ـ بأن أحوالنا هى الأحسن وأن علينا ـ كما قلت ـ أن نهنئ أنفسنا ولانكف عن تهنئتها.

أحياناً يزيد عيار تهنئة النفس، وأحياناً بغير داع ملح تذكرنى هذه النبرة بما كان يفعله بعض خطباء المساجد فى العصر العباسى الثانى، وحين كانت أوامر الولاة تطلب إلى الخطباء بأن يذكروا الناس أن أحوالهم أحسن، وكان يمكن أن تكون أسوأ، وزادها بعض الخطباء إلى درجة أن واحداً منهم على حد ماتروى كتب التاريخ عن ذلك العصر، استنفد كل مالديه من أسباب تهنئة النفس ثم هداه تفكيره إلى اختراع أخطار لابد من تهنئة النفس على ردها، فإذا هو يقول «أيها الناس: إحمدوا الله أن لم يجعل للفيلة أجنحة وإلا لطارت بها وحطت على بيوتكم فهدمتها على رؤوسكم» وبطريقة تلقائية ردد المصلون وراءه «الحمد لله»!

وبالتأكيد ـ وللانصاف ـ فإن لدينا كثيراً فى مصر نحمد الله ونشكره عليه، ثم أن حمد الله وشكره واجب فى كل وقت وأوان. لكنى أظن ـ وبعض الظن قد يكون إثماً كله ـ أن نبرة تهنئة النفس فى مصر لابد أن تخفف بعض الشئ من غلوائها!

● النبرة الثانية المسموعة أو المحسوسة فى مصر الآن بالإيحاء أيضاً هى نبرة الاستشهاد بالآخرين لإثبات حسن سيرنا وسلوكنا. فلان فى «فيينا» يقول أننا الأعقل والأحكم، وفلان فى «نيويورك» يشهد بأن مارآه عندنا لم يسبق له أن رأى مثيله حيث طوف فى الآفاق، ودولة «كذا» قالت فى الأمم المتحدة أنها تريد أن تتعلم من تجاربنا. ثم أن هيئة «كذا» تريد أن تهدينا دروعاً وكؤوساً وميداليات فى حسن الأداء وفى تفوق النتائج.

وبصراحة فإنى لا أظن أننا فى حاجة إلى شئ من ذلك لانحن فى حاجة إلى تهنئة أنفسنا باستمرار، ولا نحن فى حاجة إلى جمع شهادات حسن السير والسلوك من الآخرين.

مثل ذلك لانحتاج إليه لأنه قد يلهينا عن النظر فى أمورنا بصدق، وقد يصرفنا عن متابعة تطوير حياتنا فى جد خصوصنا إذا ترسبت الإيحاءات السارية وأصبحت قناعات راسخة.

وأريد أن أضيف بعد هذا كله أن هذه الملاحظة كانت تنصب على صياغة السؤال ولكنها لاتتعرض لمضمونه.

●● أخبار اليوم:

فإذا انتقلنا إلى المضمون ذاته فلعلى أقول أننى أعطى للرئيس مبارك كثيراً من الفضل، ولكن علينا أن نحدد بالضبط موجبات الاعتراف بالفضل.

لصالح الرئيس مبارك أولاً أنه أتى إلى الحكم فى لحظة مفعمة بالقلق وكان محتفظاً بتوازنه.

ولصالح الرئيس مبارك ثانياً أنه قدم نفسه للناس بطريقة طبيعية وهادئة، فى حين أن المناخ السائد حوله فى ذلك الوقت كان استثنائياً وعصبياً.

ولصالح الرئيس مبارك ثالثاً أنه دخل مكتبه ودرجة الحرارة فى مصر قرب درجة الغليان، فإذا هو يستطيع بجهد لاشك فى أخلاصه، تخفيض درجة الحرارة إلى درجة شبه عادية.

ولصالح الرئيس مبارك رابعاً انه لم يحاول اعتراض طريق التطور الطبيعى لحركة القوى الاجتماعية فى مصر بطريقة خشنة أو عنيفة.

ولصالح الرئيس مبارك خامساً أنه مارس مهمته بالحذر المهنى المكتسب من تجربته الطويلة السابقة على دخوله معترك السياسة، ومن هنا كانت الأولوية التى أعطاها لعنصر السلامة والأمان، وكان مثل ذلك الحذر ضرورياً فى الظروف التى تحمل بها أعباء مسئوليته.

هذه كلها أفضال لابد من الاعتراف بها.

أما مسألة الديمقراطية فمسألة تستحق مناقشة أعمق.

لابد أن أسلم أمامكم ـ وأمام الناس ـ أن هناك أصواتاً متعددة ومختلفة تسمع بوضوح فى أرجاء مصر.

وتعدد الأصوات واختلافها ظاهرة صحية فى حد ذاتها لكن ذلك لم يكن من صنع الرئيس مبارك، وإنما هى طبائع الأحوال، ذلك أنه عندما تتعدد المصالح فى أى بلد من البلدان فإن ذلك يستوجب تعدد التعبيرات السياسية عن هذه المصالح ومن ثم تعدد الأصوات، لا يمكن فصل مايجرى فى الاقتصاد عما يجرى فى السياسة، وإذا لم يكن هناك نوع من الارتباط فإن الاحتكاك واقع والارتطام محتمل!

تلك قواعد اللعبة ولايستطيع أحد الخروج عليها.

إذا تعددت المصالح واختلفت، وإذا تعددت الطبقات نتيجة لتعدد المصالح وتناقضت، إذن فإنه لا مفر من تعدد التعبيرات وتعدد الأصوات.

إن فترة وجود تنظيم سياسى واحد فى مصر كانت تعبر عن فلسفة اجتماعية واقتصادية معينة، يجرى تنفيذ سياساتها وفقاً لقواعد معينة. وأنا لاأقول الآن أن ذلك كان صواباً أو كان خطأ، فهذه قضية تدرس وحدها وفى ظروفها.

إننا بعد ذلك تركنا هذه الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية وأخذنا بغيرها- ومرة اخرى لاأتحدث عن الخطأ والصواب- لكننا أخذنا بفلسفة الانفتاح.

وإذن فإن قواعد اللعبة لابد أن تختلف. لاتستطيع فى مرحلة سياسة الانفتاح أن تعتمد نفس التركيب السياسى الذى كان قائماً فى مرحلة التخطيط الشامل اقتصادياً واجتماعياً.

استحالة مادية. واستحالة فكرية. واستحالة سياسية.

تعدد المصالح يعنى تعدد التعبيرات عن هذه المصالح- يعنى تعدد الأصوات المعبرة.

ولعل ذلك ما قصدته حين أعطيت للرئيس مبارك فضل أنه لم يحاول اعتراض التطور الطبيعى لحركة القوى الاجتماعية فى مصر.

اننى اتحدث باختصار شديد. مع ذلك أحاول أن تكون أفكارى مفهومة وأتمنى أن تكون كذلك بالفعل.

●● أخبار اليوم:

- انتقل بعد ذلك إلى مسألة أخرى وهى السؤال عن تعدد التعبيرات وتعدد الأصوات وهل هو الديمقراطية بالتأكيد؟ أقول إن تعدد التعبيرات والأصوات علامة من علامات الديمقراطية، ولكنه فى ظنى ليس دليلاً كافياً على قيامها.

اضرب مثالاً لذلك.

إذا دخلنا قاعة كبيرة وجدنا فيها من ينفخ فى مزماره، ومن يدق على أوتاره، ومن يحرك أصابعه على القانون، ومن يضرب بشدة على الطبلة، أو على مفاتيح البيانو، ثم وجدنا مع هؤلاء من لايمسكون بآلة وإنما ينفخون فى حناجرهم وحدها، وكل منهم لاشأن له بالآخر، وإنما هى «مزيكة» على هواه ومن وحى الخاطر.. فهل يمكن أن أسمى ما أرى فرقة أو مايصدر عنها أغنية أو كونشرتو أو سيمفونية؟!- لا أظن.

سوف تقول أن هذا الجمع فى هذه القاعة ناس ليس عليهم قيد، وكل منهم يفعل ما يشاء ويؤديه على هواه، لكن مايفعلونه ليس بالضبط موسيقى. هى أدوات موسيقية بغير موسيقى، وزمر ونفخ ودق وصراخ يجلب صداعاً ولايجلب متعة أو منفعة.

وقد أقول أن هذا كله لابأس به إذا كان مانراه فى القاعة فترة استعداد، وإذا كان محاولة تأهب- لكنى سوف أصدق أنها موسيقى حقيقية حين أرى نوتة مكتوبة تدخل القاعة، ثم دراسة حقيقية تجرى بين العازفين والأصوات فيها على أساس، وتحت إشراف مايسترو يتحمل مسئولية الناتج النهائى.

سوف أترك التشبيهات والصور المجازية إلى الواقع وأسألكم:

ماهى الديمقراطية؟

أطرح تصورى عليكم:

الديمقراطية فى ظنى هدف وطنى أو قومى - تشارك فى وضعه وتحديده كل القوى صاحبة المصلحة فى الوطن أو الأمة بالحوار - وتباشر تحقيقه بنفسها وبمؤسساتها- وتتابع تحقيقه بواسطة ممثليها المنتخبين، ورأيها العام الذى يجب أن تتوافر له امكانيات المعرفة والحرية.

هكذا أجدنى على استعداد للقول أنه بدون هدف وطنى مقبول ومحدد فإنه لايمكن أن تكون هناك ديمقراطية، بل إن فكرة الوطنية ذاتها- فضلاً عن الديمقراطية- تفقد أهم قواعدها، فالوطن ليس مجرد أرض، ولاهو مجرد بيت، وإنما هو «مشروع تاريخى مشترك» بدون «المشروع التاريخى المشترك» تتفك رابطة الشعب ويتبعثر وجوده.

وبغير القبول العام بـ «المشروع التاريخى» وتجديده دائماً فى كل مرحلة من مراحل النمو، بحيث يتسق وينسجم مع الحقائق المستجدة فى العصر وفى العالم- تتحل وحده الشعب وتتصادم مصالح جماعاته وأفراده.

وليس هناك وسيلة مأمونة لتحديد أهداف «المشروع التاريخى» للشعب فى كل مرحلة غير وسيلة الحوار الحر المبرأ من كل شبهة كبت أو ضغط. ولايمكن أن يكون الحوار الحر كلاماً وإنما هو مسئولية تنشئ قراراً أو ترسم إطاره.

هكذا نرى أننا أمام عدة أسس للديمقراطية.

هدف محدد متفق عليه ومتجدد.. وحوار.. وقرار.

●● أخبار اليوم:

كل ديمقراطية أو أمل فى الديمقراطية- بل كل وطن ووجوده- شبه استحالة بغير هذه الأسس الأربعة، وليس ذلك غريباً عنا، ولا هو ضائع فيما نراه أمامنا.

فى تاريخنا الحديث كان «محمد على» يطرح مشروع دولة حديثة فى مصر وقوية.

فى تاريخنا الحديث طرح «اسماعيل» مشروع أن مصر قطعة من أوربا.

فى تاريخنا الحديث قامت الثورات الوطنية المتعاقبة على مشروع استقلال مصر.

وفى تاريخنا القريب تحملت ثورة ٢٣يوليو بمشروع متعدد الزوايا:

الاستقلال.. والحرية الاجتماعية والسياسية.. والعمل العربى الموحد.. والاشتراك فى قضايا العالم من موقع غير منحاز.

وكل مشروع من هذه المشروعات الوطنية المتجددة نجح فى أشياء وفشل فى غيرها، وتقدم فى بعض المواقع وتراجع فى أخرى.

والعالم كله أمامنا، ولنا أن نختار مثالاً منه كما نشاء، وسوف نجد أن الهدف ـ المشروع الوطنى ـ هو الأساس الذى تقوم عليه ديمقراطية هذه الأوطان أو أملها فى الديمقراطية.

●● أخبار اليوم:

أصل إلى النقطة التى أريد الوصول إليها فى هذا الموضوع بالذات، وهى أننى فى هذه المرحلة أشعر ـ وقد أكون مخطئا ـ أن الهدف الوطنى غير محدد، وأن مشروعه التاريخى تحوطه غلالات ضبابية.

لا أعرف بالضبط ـ وقد يكون جهلاً من جانبى ـ ما هو الهدف الوطنى؟ ويقال لنا أحياناً أن الهدف الوطنى تحدده خطة التنمية .

لكنى أرد بأن خطة التنمية ليست هى الهدف الذى أتحدث عنه، فما أتحدث عنه أشمل وأوسع بكثير من خطة للتنمية، فما أتحدث عنه هو الاستراتيجية العليا– للمشروع التاريخى للشعب أو الأمة

وأتذكر اننى بعد ان خرجت من السجن فى أواخر نوفمبر ١٩٨١ طالبت بشيئين: طالبت بتقرير عن تحقيق يتقصى كل ماجرى فى مراحل سابقة من تاريخنا القريب حتى يستريح ضمير مصر ويطمئن.

وطالبت بتحديد جديد واضح لهدفنا الوطنى والقومى حتى تستطيع ارادة مصر ان تؤدى دورها المستقبلى بكل طاقاتها وبدون ان تلتفت الى الوراء أو تتردد، وبالطبع أوضحت أن الوسيلة لتحديد ذلك الهدف هى الحوار على اوسع نطاق وبدون أية عوائق ومن سوء الحظ ان ذلك لم يحدث، وخطونا الى التعدد بغير تحديد، ووجدنا انفسنا امام «المزيكة» التى نسمعها الان.. كل مع مزماره واوتاره وطوله والبيانو أيضا .

ولقد قلت ان ماجرى فى حد ذاته صحى، لكن الذى اتردد فيه هو وصف مانراه باسم الديمقراطية وبالمعنى الحقيقى للكلمة. اصوات ولكن بغير نغم. وحركة ولكنها بغير هدف جماعى، وكلام كثير لكنه ليس حوارا، واذا كان حوارا فهو اشبه مايكون بحوار الطرشان كما يقول اخواننا فى لبنان.. ناس يتكلمون ولاعلاقة لما يقوله احدهم بالاخر والسؤال

بينهم ليس له جواب، والجواب ليس بسؤال، وهم لايسكتون.. وهكذا. وهذا تفسير مانراه فى حياتنا السياسية فى هذه الايام: حكايات من الماضى، وثارات قديمة، وفتن مثيرة عما يجرى هنا وهناك، ودعايات وحملات، وفى احسن الاحوال شعارات وامانى حلوة، لكننا يجب ان نسأل انفسنا: ماهو الموضوع بالضبط وماهى القضية.

●● أخبار اليوم:

والحقيقة ان مناقشة جدية حول هذه المسائل لايمكن أن تبدأ إلا مع الرئيس مبارك نفسه فقد كان هو الذى تلقى تفويض الشعب شرعيا فى ظرف خطير، وكان هو ـ وهذه شهادة له ـ الذى تولى عملية علاج الحمى، ونجح فى تخفيض درجة حرارتها. وكان فى صالحه أن الظروف أعفته من حجج الثورية وذرائعها، كما أعفته ايضا من اثقال الحرب وتكاليفها، وهكذا فقد كان فى وسعه أن يواجه الموضوع والقضية بوسيلة أو وسائل طبيعية. لكن عقدتنا فى بعض الاحيان اننا لانستطيع ان نتحاور مع رؤسائنا، وانما نحن نرفع اليهم او نتلقى منهم، والواقع ان ذلك لم يعد ممكنا خصوصا فى غياب حجج الثورية وذرائعها، واثقال الحرب وتكاليفها كما قلت. فالرئيس مبارك هو المسئول بحكم الشرعية، ثم هو المسئول أيضاً بحكم الواقع الذى يجعل مؤسسة الرئاسة ـ كما هو حالها فى كل بلدان العالم الثالث ـ مؤسسة الدولة الأولى، وربما الوحيدة، بل انه من قبيل تضييع الوقت أن نتحاور مع غيره، فالآخرون كلهم رجاله واختياره، ولم يجلس واحد منهم على كرسيه إلا باشارة منه.. بل أن العهد كله عهده.. وكذلك الحال فى كل بلد يعتمد النظام الرئاسى حتى فى العالم المتقدم. فهم فى أمريكا مثلا يتحدثون عن إدارة «كنيدى» أو «نيكسون» أو «ريجان» وهم فى فرنسا يتحدثون عن «ديجول» او «بومبيدو» او «ديستان» واخيرا «ميتران» وهنا فى مصر فنحن نتحدث عن نظام عبدالناصر، ونظام السادات. ورغم ان كل هؤلاء فى غير مصر وفى مصر، كان لهم رؤساء الوزراء والوزراء ورؤساء المجالس والمؤسسات.. الا ان المسئولية يتحملها واحد، وهى تلتصق باسمه وليس باسم غيره. والرئيس مبارك يتقدم الآن إلى الجزء الثانى من رئاسته الاولى، واظنه سوف يتقدم الى رئاسة ثانية يسمح له بها الدستور. وقد يكون مفيدا ان ندخل مدة رئاسته الثانية، وقد تحولت «المزيكة» التى نسمعها الان الى فن حقيقى وخلق وإبداع.

وهكذا فانه قد يبدو مفيدا أن نستغل الفترة الباقية من رئاسته الأولى فى حوار حقيقى معه، تمهيدا لحوار حقيقى يدور على مستوى الشعب كله، بأجزائه وتنظيماته وقواه.. حتى نستطيع أن نعرف على الأقل من نحن؟ وماذا نريد؟ وما الذى يجمعنا غير مشروع وطنى واحد؟ وكيف نحققه؟ ولمن؟ إلى آخره الى آخره.

ساعتها تتسق وتنسجم الأصوات، ويسمع صوت الحوار، ويكون الحوار هو منشىء القرار ويحق لنا أن نقول: نعم هى الديمقراطية.

أما الآن فلا أظننى مقتنعا لا بعملية إدارة الحوار، ولا بعملية صنع القرار، ومن هنا أزمة التصديق التى تلقى بظلالها على مصر، ومن هنا التساؤل المسموع فى كل أركانها: «ما الذى يحدث هنا؟ ومن المسئول عنه؟»!

ولقد آن لهذه الأحاديث أن تصل إلى نهايتها، وبعدها - وفيما يتعلق بى - فان كل شىء معلق بأوانه.

وآسف لأننى أطلت.

●●●

وفى العدد ٢١٥٤ من أخبار اليوم، الصادر فى ٨ فبراير ١٩٨٦، أعلنت أخبار اليوم فى صدر صفحتها الأولى، أن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل سيكتب بدءا من السبت القادم مقاله الدورى «بصراحة»..

وجاء السبت التالى الذى وافق ١٥ فبراير ١٩٨٦، وصدر العدد ٢١٥٥ من أخبار اليوم، وفى صدر صفحته الاولى كان بداية مقال الاستاذ هيكل «بصراحة» تتصدر يمين الصفحة على ٢ عمود، بينما شغلت بقية المقال الصفحة الخامسة عن آخرها، وكان عنوان مقاله: «صنع القرار السياسى فى مصر» ثم استكمل الحديث حول نفس العنوان فى العدد التالى من أخبار اليوم رقم ٢١٥٦ الصادر فى ٢٢ فبراير ١٩٨٦، وقد شغل المقال جزء من الصفحة الأولى، والصفحة الخامسة وثلث الصفحة الثامنة.

وجاء المقال الثانى - والأخير - للاستاذ هيكل فى أخبار اليوم بعددها رقم ٢١٥٧ الصادر فى ١ مارس ١٩٨٦ وكان بهذا العنوان:

«سلطة التحقيق وسلطان الحقيقة..

مبارك امانة فى ضمير كل مصري».

وتناول فيه الحديث عن أحداث تمرد جنود الأمن المركزى الذى تم فى ٢٥ فبراير ١٩٨٦، واستدعى الأمر صدور قرار بحظر التجول، وانتشرت مصفحات ومدرعات الجيش فى شوارع القاهرة، واستقال بسببها وزير الداخلية وقتها اللواء أحمد رشدى، وخلفه اللواء زكى بدر يوم ٢٨ فبراير ١٩٨٦ الذى كان يشغل منصب محافظ أسيوط.

كان هذا المقال هو آخر مشهد فى قصة الأستاذ هيكل مع أخبار اليوم، بعدها توقف دون سابق انذار أو تمهيد، وترددت أقاويل كثيرة، وتعليلات شتى.. كلها كانت تبحث عن تفسير للغموض الداكن الذى أحاط بتوقفه المفاجيء عن الكتابة.. ولماذا لم يواصل؟

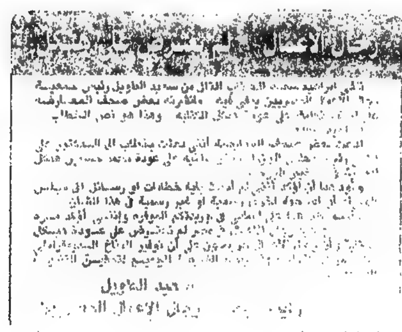
البعض قال ان المستثمرين ورجال الأعمال هددوا بسحب أموالهم من مصر اذا استمر الأستاذ هيكل فى الكتابة.. لما هو معروف عن الأستاذ هيكل من كراهيته لنسبة كبيرة من هؤلاء «الانفتاحيين» الذين تسببوا فى هدم المشاريع الصناعية العملاقة بمصر، واقاموا على أنقاضها مصانع اللبان والشيبسى والهامبورجر.. فإذا وضعنا فى اعتبارنا أن رئيس الوزراء وقتها كان «الدكتر» على لطفى الذى كان عضوا نشطا فى جمعية رجال الأعمال المصريين ومصلحته الشخصية - الباقية - كانت تحتم عليه إرضائهم، لاقتنعنا بأن ذلك أحد الأسباب..

وإذا وضعنا فى اعتبارنا أن هذه الفترة هى التى شهدت تمخض الوجود عن شركات توظيف الأموال، ومافيا تجارة العملة، الذين «فرموا» الدكتور مصطفى السعيد وزير الاقتصاد وقتها، واضطر الى الاستقالة، ثم شيعوه بفضائح لا علم له بها، وثبتت براءته فيما بعد منها.. ولما كان من المتوقع أن يتعرض لها الأستاذ هيكل بالهجوم عليها ليدمر ثقة المواطنين فيها، فقد رأوا أن يتغدوا به قبل أن يتعشى هو بهم.. وهذا أيضاً معقول آخر..

والبعض قال أن وراء ذلك قرار سياسى!!

ونحن لنا اجتهاد آخر يضاف الى ما سبق من تعليلات وتفسيرات، وهو أن الأستاذ





رجال الاعمال [illegible]

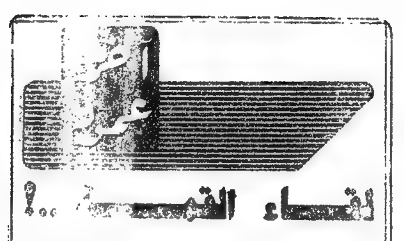
[illegible] خطاب التالى من سعيد الطويل رئيس جمعية رجال الاعمال المصريين [illegible] بعض صحف المعارضة [illegible] على عودة [illegible] وهذا هو نص الخطاب [illegible]

[illegible] بعض صحف [illegible] الى المستثمرين [illegible] على عودة [illegible]

[illegible] خطابات او رسائل الى [illegible] رسمية او غير رسمية فى هذا الشأن [illegible] أؤكد [illegible] لم تعترض على عودة [illegible] على أن توفير المناخ [illegible] التجميع [illegible]

سعيد الطويل

رئيس [illegible] رجال الاعمال [illegible]



لقاء القمة ..!

ابتداء من يوم السبت القادم . تبدأ « أخبار اليوم » [illegible] وعلى مدى الأسابيع العديدة القادمة ـ في نشر سلسلة من [illegible] مقالات بقلم الكاتب الكبير مصطفى أمين . في نفس الوقت [illegible] تنشر فيه سلسلة أخرى من المقالات بقلم الكاتب [illegible] محمد حسنين هيكل . ومما لا شك فيه أن مجرد الجمع بين [illegible] في الصحافة العربية . في صحيفة واحدة وفي وقت واحد [illegible] لابد أن يبدو [illegible] بالغا من قارىء « أخبار اليوم » [illegible] بالتزام ما يخطه قلم الأستاذ محمد حسنين [illegible] الأستاذ مصطفى أمين

وهذا الحدث الكبير ، ليس جديدا . فمنذ أن [illegible] الأستاذان مصطفى أمين وعلي أمين صحيفة « أخبار اليوم » والأستاذ محمد حسنين هيكل هو أبرز كتابها [illegible] . واستمر هذا [illegible] على [illegible] أمين ومحمد حسنين هيكل ـ في العطاء الصحفي [illegible] مع جميع [illegible] أن يصلوا « بأخبار اليوم » [illegible] الأخبار [illegible] إلى ما [illegible] الكثير من [illegible] الصحفية الهائلة . التي [illegible] الصحف التالية [illegible] بالمساهمة في تكرارها

ثم ترك الأستاذ هيكل أخبار اليوم [illegible] وحقق له الصرح الكبير الذي [illegible] الصحفي إحدى ركائزه . كما حرمت [illegible] لا حق [illegible] من الركيزتين الباقيتين [illegible]

هيكل نفسه قد يكون هو الذى توقف بإرادته، لأنه حينما وافق على الكتابة فى أخبار اليوم كان شرطه الوحيد هو عدم التدخل بالحذف أو بالاضافة لما يكتب. ومن يقرأ مقاله الأخير - الذى أشرنا إليه سلفا - يتيقن أن تدخلا قد وقع بالفعل فى صلب المقال بالحذف، وفى عنوان المقال بالاضافة.. أو على الأقل إظهار السطر الثانى من العنوان ببنط أكبر من السطر السابق، رغم أن العنوان الحقيقى للمقال هو السطر الأول «سلطة التحقيق وسلطان الحقيقة» فإذا كان السطر الثانى وضعه الأستاذ هيكل كعنوان، فهو بالتأكيد وضعه كعنوان ثانوى يكتب ببنط صغير.. وهذا استنتاج يقينى، لأن الأستاذ هيكل من المستحيل أن يكتب عناوين من هذه «الماركة» التى تندرج تحت الشعارات التى يمقتها بشدة.

أقول قولى هذا.. والله تعالى أعلم.. ثم الأستاذ هيكل.. ثم إبراهيم.. المهم ان الاستاذ هيكل عاد للظهور ثانية فى أخبار اليوم.

ففى الصفحة الأولى من العدد ٢٢٠٢ الصادر فى ١٠ يناير ١٩٨٧ - وبعد عام تقريبا من اختفاء الأستاذ هيكل - ظهر هذا الاعلان:

«إبتداء من الاسبوع القادم فى «أخبار اليوم»

محمد حسنين هيكل يتسعيد حواراته مع شخصيات عالمية قابلها»

إذن سيعود الأستاذ هيكل للكتابة فى أخبار اليوم، لكن لن يكتب عن الأحداث الجارية، بل سيعيد نشر مادة كتاب نشرته الصحف العربية له من قبل بعنوان «زيارة جديدة للتاريخ» ومضونه عبارة عن حوارات كان قد أجراها مع سبعة شخصيات عالمية بارزة.

فلم يعد الأستاذ هيكل للكتابة فى أخبار اليوم إذن، وإنما أخبار اليوم هى التى قامت باستئذان الأستاذ هيكل لاعادة نشر مادة نشرت من قبل فى صحف غير مصرية!!

والغريب أن سعدة كتب عن الأستاذ هيكل فى «آخر عمود» بالعدد المذكور من أخبار اليوم يقول:

«.... فمنذ أن اصدر الأستاذان مصطفى امين وعلى امين صحيفة «أخبار اليوم» والأستاذ محمد حسنين هيكل هو أحد أبرز كتابها، ونجومها، واعمدتها..................»

متناسيا تماما ما سبق أن كتبه عن الأستاذ هيكل وهو ماسبق أن تعرضنا له فى بداية هذا الفصل.

وبدأت أخبار اليوم فى إعادة نشر حوارات الأستاذ هيكل مع «السبع شخصيات» بدء من العدد ٢٢٠٣، وعلى مدى سبعة أعداد متتالية، وبانتهاء هذه الحوارات، فى العدد ٢٢٠٩ من أخبار اليوم، الصادر فى ٢٨ فبراير ١٩٨٧ انتهت تماما قصة الأستاذ هيكل مع أخبار اليوم.. فلم نره كاتبا أو مكتوبا عنه بعد ذلك..

لكن..

هل أستأذنكم فى قراءة هذا الفصل مرة أخرى.. وثالثة.. وعاشرة!!



سعده..
وأشياء أخرى..

والآن..

ياعدالة القضاة..

هل هذه هى كل جرائم إبراهيم سعده؟!

لا.. فجرائم سعده تزيد بكثير عما عرضناه، لكن هناك اعتبارات معينة تحتم علينا ألا نتعرض لها الآن، وإذا كتب الله لنا عمراً فقد يأتى زمن نعرض لها فى الجزء الثانى.

وهناك جرائم أخرى لم نعرض لها حتى لا تتسع مساحة الكتاب، ويتضخم حجمه فنعجز عن تسديد نفقات طبعه..

ومع ذلك.. فعلى سبيل المثال ـ لا الحصر ـ أستطيع أن أشير إلى جرائم سعده التى لم أتعرض لها لدواعى الاختصار فى حجم الكتاب:

فهناك مثلاً «سعده.. ووزير الاقتصاد الدكتور مصطفى السعيد»..

فلقد امتدحه كثيراً.. وحينما أصدر قراراته الاقتصادية الشهيرة فى ٥ يناير ١٩٨٥، تغنى بها سعده. ولما خرج الرجل من الوزارة هجم عليه ينهش فى لحمه، وترك جريدته تنشر ما يتم معه من تحقيقات وكأنه خارج عن القانون، ثم اتضح بعد ذلك أن الرجل كان بطلاً فى معركة شرسة وقف فيها وحيداً، لا لشىء إلا ليدافع عن الصالح العام، فكان أن داسته جحافل تجار العملة، وشركات توظيف الأموال.

ونذكر لسعده ـ من أقبح ما نذكر له ـ ما كتبه عن العلامة النابغة الأستاذ الدكتور احمد شفيق، فى مقال بعنوان «جليطة الدكتور شفيق»، واستشهد فيها ـ أيضاً ـ بمجلة

أجنبية، لكنها لم تكن «الباري ماتش» بل كانت - على ما أذكر - مجلة «الباري بريور»!! التى قالت أن عقار الدكتور شفيق الجديد «وحش». وعليه انبرى سعده، ليفصح ويكشف لنا مواهبه فى علوم الطب والفارماكولجى، ولعن وسب فى الرجل العلامة الذى لا تخلو أى موسوعة طبية عالمية من اسمه، ولم يكن مع سعده من حُجة سوى المجلة الخواجاتى والتى تسمى «البارى برنجان»، واتهم الدكتور شفيق بأنه «ينافق» الرئيس مبارك.. واتهامه له بالنفاق هنا - على ما أظن - كان من باب الغيرة، لأنه لا يريد أن يشاركه أحد فى النفاق.. ولا أعرف - والملايين - سبباً قد يدعو عالم له وزن الدكتور أحمد شفيق إلى أن ينافق رئيس دولته.. لماذا؟؟!

فهو غنى من أى منصب.. ولا يطمح فى أن يكون وزير تعليم يدعو التلميذات إلى الإنحلال، والجامعات إلى إرسال برقيات التأييد.. ولا يريد أيضاً أن يصبح عمدة مدينة.

ونذكر حملة سعده على الدكتور عبدالعزيز حجازى رئيس وزراء مصر الأسبق، ومؤسس سياسة الانفتاح التى يطبل لها سعده.

وحملته المسعورة على الفنان نور الشريف لمجرد أن قام ببطولة فيلم جسد فيه شخصية المناضل الفلسطينى «ناجى العلى».

وغيرها.. وغيرها..

هل نجح سعده فى أى حملة قادها ضد أحد، واستطاع أن يصنع رأى عام يتعاطف مع ما يكتب؟

أبداً.. أبداً.. أبداً..

لم ينجح سعده فى أى حملة قادها ضد شخص أو دولة أو نظام ما.. فمصطفى السعيد يُقدره القاصى والدانى، ونجح بجدارة فى انتخابات مجلس الشعب، عن دائرة ديارب بالشرقية، وكان رجل أعمال ناجح، وأستاذ جامعى بارز قبل أن يصبح وزيراً.

وأحمد شفيق نابغة فى الطب رغم أنفك، وسيظل رغم أنفك: على الأقل فهو ليس فى منصب من صنع أحد، ولكنه فى مكانة وصل إليها بعلمه ومجهوده ومواهبه.

وكذلك الدكتور حجازى.. ونور الشريف.. وغيرهم.. وغيرهم.

ولازال سعده يبحث عن أى قضية «يحشر» نفسه فيها، عله يخرج منها نجماً لكنه فى

كل مرة يسقط ويرتطم على صخرة الفشل!!

مسكين ياذلك السعده..

السبيل الوحيد الذى قد يجعل منك «شىء» عند القراءة هو أن تستقيل (!!)، نعم تستقيل.. وقتها سيكون لك «رصيد» عند الناس.

والآن..

أريد أن أتقدم للسيد الأستاذ الدكتور عميد كلية الصحافة والإعلام جامعة القاهرة بطلب أظنه بسيطاً..

ياسيدى العميد.. فأنا ـ كما قرأت ـ قد أنجزت عملاً استغرق منى مجهوداً شاقاً ومضنياً فى إتمامه.. ألا يستحق أن تمنحنى درجة «دكتوراة» عليه؟!

فمصر ـ بحمد الله وفضله أصبح بها عشرات ـ بل مئات ـ الألوف الذين يحملون «دكتوراة» خاصة خريجو الكليات النظرية الذين يحصلون عليها من بيوتهم فى أسابيع معدودة، وأنا ـ والله يعلم ذلك ـ قد أعددت من قبل رسالة دكتوراة لأحد الأصدقاء فى عدة أشهر، شغل بها منصباً رفيعاً فى الحكومة، وهو الآن على وشك أن يصبح وزيراً أو محافظاً.. وبالتالى فلا يخفى عليكم أننى أنا «أحلم» بأن أتيقظ وفى جيبى دكتوراة، ويصبح اسمى «دال/ صلاح الامام».

والآن.. وبعد هذا المجهود، ألا أستحق هذه الدال فى المدعو إبراهيم سعده، ولا يهم باقى الكلمة.. فقط أريد الحرف الأول منها!!

وعلى كل فأنا سأمنحها لنفسى.. من الآن سأسمى نفسى «دال/صلاح» فهناك آلاف أعطوها لأنفسهم، وهناك آلاف آخرين اشتروها، وبعضهم سرقها.. أما أنا سأكون واضحاً.. وأقول:

«أنه فى يوم الخميس الموافق ١٨ فبراير ١٩٩٣م، ٢٥ شعبان ١٤١٣هـ بناحية شبراويش مركز أجا دقهلية، قررنا نحن مجلس جامعة الحياة، منح الباحث صلاح الامام أحمد، ابن الامام أحمد، المولود فى شبراويش مركز أجا دقهلية، درجة العالمية.. الدكتوراة مع مرتبة ومخدة وبطانية.. وليصبح اسمه بدءاً من اليوم «الدكتور صلاح الامام».

ياسلام .. والله لايق علىّ الدكترة..

..ويبقـى..

أن أبدأ فى إعـداد الجـزء الثـانى من هذا الكتـاب، لأحـصـل به على «ذال» أو حـتى «ضاد»، لكن عن من سيكون؟!

عن سقراط الصحافة المصرية.. الكتب الفذ أنيس منصور، فهو أيضاً طبَّال ليس له مثيل، تورمت يداه من الطبل لعبدالناصر، وبعد وفاته بسنتين أو أكثر بدأ ينقلب عليه.. ثم أتم إنقلابه عليه فى الثمانينيات فقال فيه أكثر مما قاله مالك فى الخمر.

.وأنيس منصور من الكُتاب القلائل الذين يتميزون بالجرأة.. ولا أدل على ذلك من مجموعة الكتب التى نقلها ـ بالكربون ـ عن لغات أخرى ثم لطع عليها اسمه.. وجراءته كانت لا توصف حينما تفرد عن كل كتاب العربية ونشر قصص المغامرات الجنسية والشذوذ الذى يبدى إعجابه دائماً برجاله أمثال الإسكندر.

وأنيس منصور أيضاً من الكتاب القلائل الذين تخصصوا فى دراسة تضاريس جسد المرأة، وجلد المرأة، وصوتها، وعرقها، وحركاتها، وإيماءاتها.. إلخ.

سيكون لنا وقفه مع كتاباته إذا كتبت لنا حياة.

وذاك الشىء الذى لمع فجأة، وأصبح رئيساً لتحرير نصف صحف مصر، والذى على ما أذكر اسمه «سمير رجب» الشهير بـ «محفوظ عجب».

والكاتب المسمى «زروت..» ولا أذكر باقى اسمه، لكنه من كُتاب الأهرام، وهو الوحيد الذى يصر أن يعتلى صورته السمحة مقاله، ويصر أن تتغير هذه الصورة من أسبوع لآخر، وكأنه صبى مراهق!!

لن أتراجع عن الوقوف أمامه رغم أنه يحتفظ بأعظم قاموس بذاءات فى العالم.

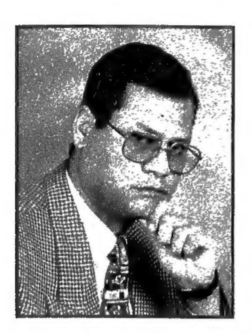
والراجل «الضقتور» صاحب المنهج العلمى فى التاريخ، والذى حكم على كل الكتاب بأنهم لا يعرفون شيئاً، لأن المنهج العلمى لديهم منعدم.. ومنهجه العلمى ليس فى التاريخ.. بل فى المغنى والطرب أيضاً!!

ترقبوا الجزء الثانى من مؤلفنا «الوجه القبيح للصحافة».

ولا تبخل علينا بأى قصاصة تحوى كلمة لأى من هذه الأسماء، أرسلها والك الأجر والثواب من الله تعالى.

أخوكم الدكتور

الفهـــرس



كان الإعجاب بهذا الجهد الكبير فى متابعة المواقف الفكرية والفلسفية المعقدة لكاتب كبير فيلسوف عبقرى كالأستاذ ابراهيم سعده (وهل أدل على عبقريته من أن الدولة قد احتفظت به رئيسا لمنبر من أهم منابر الفكر فى العالم العربى أكثر من عشرين عاما.. والحقيقة أن الدولة معذورة.. لأنها لو وجدت له منافسين لما ترددت فى تعيينهم مكانه.. أليست هى الحكومة التى تسجل دبيب العبقرية فى الرؤوس؟!)..

وكان الذهول مع تساؤلى: كيف استطاع صلاح الامام أن يتعقب الأستاذ الكبير ابراهيم سعده طيلة عشرين عاما.. رحت أبخع نفسى منددا بقصورى وعجزى.. إذ أننى أبدأ فى التثاؤب بعد دقيقتين من قراءة أى مقال للأستاذ الكبير سعدة ومن هم على دربه.. أما بعد خمس دقائق فلا توجد قوة فى الدنيا تقدر على دفعى للمواصلة.. فكيف استطاع الكاتب أن يتعقبه ليس لدقيقتين ولا لخمس بل عشرين عاما..!!..

مع الإعجاب كان الخوف..

ومع الذهول كان الاعتراض..



كان الخوف لأننى تصورت ملاكا من ملائكة العذاب الذين يحصون على الإنسان خط الله عليها يوم القيامة.. وتصورت أن إمكانيات مثل هذا الملاك وجهده لا بد تفوق إ الامام.. فرحت أقلب صفحات الكتاب وأنا أقول لنفسى فى خوف: «يالها من كارثة لو أ بكتاب كهذا يحصى عليه خطاياه يوم القيامة».. كنت أدرك بالطبع أن كتاب الملاك سيكو فإن كان يخيفنى الأصغر كيف سأفعل مع الأكبر.. نعم.. تصورت كتابا يحصى على ذنوبو رعبى.. وتعاطفت مع الكاتب العبقرى الكبير الأستاذ ابراهيم سعدة.. لأنه دوننا جميعا. ضريبة العبقرية. يلقى كتابه فى الدنيا قبل كتاب الآخرة..

د. محمد عباس